جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد - كلية الآداب
قسم التاريخ



التجاذبات المذهبية تجاه الشيعة الأمامية الأثنى عشرية ببغداد/ ٤٤٧-٦٥٦هـ/ ١٠٥٥-١٢٥٨م

دراسة تحليلية

اطروحة تقدم بها

منصور حسين هادي

إلى مجلس كلية الآداب ، جامعة بغداد وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي

بإشراف الأستاذ الدكتور

مرتضى حسن النقيب

١٤٣٧هـ ٢٠١٥م



In The Name of Allah Entirely Merciful

The Especially Merciful

((قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا))

الاسراء / ٨٤

Say: "Each Works According to His Manner

But Your Lord is Most Knowing of Who is

Best Guided In Way"

Israa, 84

الإهداء

إلى ... كل من علمني، وتعلمت منه، وأخذت منه.

إلى ... الأحياء منهم، وأرواح من قضى منهم.

وأرجو حسن القبول

منصور



شكر وعرفان

لا يسعني إلا أن أتقدم بوافر الشكر الجزيل، مع بالغ الاحترام والتقدير، لأستاذي الجليل الدكتور مرتضى حسن النقيب، أحد اساطين قسم التاريخ في كلية الآداب-جامعة بغداد فبمتابعته المتواصلة لأبواب الاطروحة، وملاحظاته الرشيدة وتنقيحاته الفريدة كان لي خير عون وسند، مؤازراً لي وللعزيمة مدد، فأنا له من الشاكرين، ولفضله من المقرين.

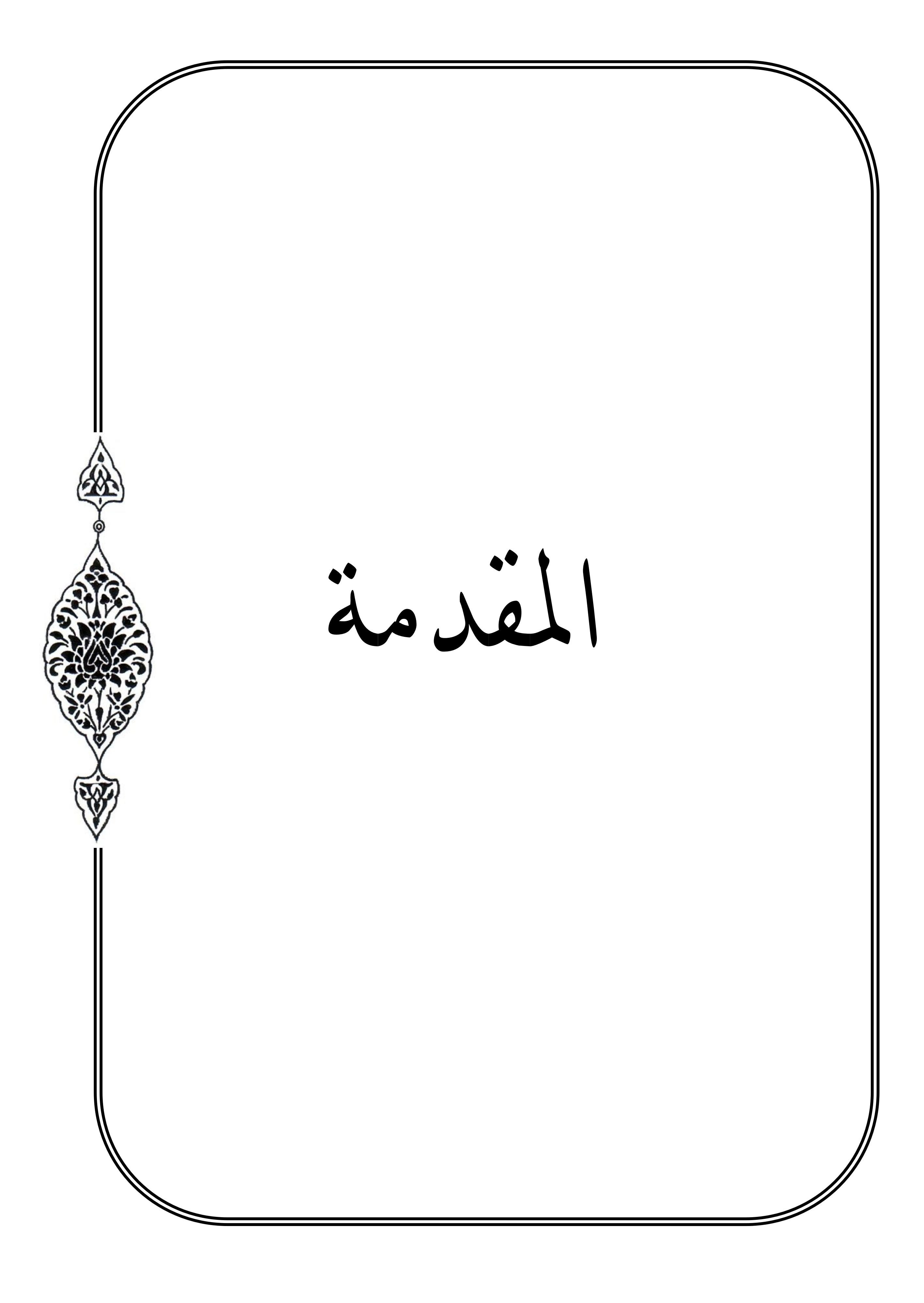
كما ويطيب لي أن أتقدم بالشكر لأساتذة قسم التاريخ في كلية الآداب-جامعة بغداد كافة، وأخص منهم اساتذة التاريخ الاسلامي خاصة، لاسيما اساتذة السنة التحضيرية، وأذكر منهم بالاسم: الدكتور حمدان عبد المجيد، والدكتور ناجي حسن، والمرحوم الدكتور بهجت كامل، ولا يفوتني الشكر والثناء لرئيس قسم التاريخ الحالي الدكتور اسامة عبد الرحمن، والسابق الدكتور محمود عبد الواحد، وكافة الاداريين في قسم التاريخ لهم مني جزيل الشكر والتقدير.

الباحث

الرموز المستخدمة ودلالتها

الرمز	الاسم
د.ت	دون ذكر تأريخ
ت	توفي
ج	جزء
ص	صفحة
صص	صفحات
ط	طبعة
مـ	مجلد
م	تأريخ التقويم الميلادي
هـ	تأريخ التقويم الهجري القمري
هـ.ش	تأريخ التقويم الهجري الشمسي

الفهرست



المقدمة

المقدمة:

يتناول موضوع الاطروحة ما يخص وقائع التجاذبات المذهبية تجاه الشيعة الامامية الاثني عشرية في بغداد، ودلالاتها السياسية والدينية (المذهبية) / دراسة تحليلية (٤٤٧-٦٥٦هـ/١٠٥٥-١٢٥٨م) [١].

وموضوع التجاذبات المذهبية في ظل الواقع السياسي – الديني للدولة العباسية، موضوع مهم، ولم يسبق ان درس دراسة اكاديمية وافية غير منحازة، او قدّم بشكل تفسير اكاديمي مقنع لمفرداته، وتكمن أهميته وما يثار من جدل وتجاذبات في حاجة المؤرخ المحترف الى دراسته وتحليله، درجة عالية من الحياد والموضوعية، ونحن في ضوء الظروف السياسية الراهنة، بحاجة مفتوحة، حقيقيةً، الى إثارته وتحليله تحليلاً موضوعياً أكاديمياً، بعيداً عن التحزب والطائفية.

الموضوع يهدف في محتواه الى معالجة امور سياسية–دينية تنعكس على نواحٍ عدة من عملية البحث أهمها:

ما يتعلق بحل المشكلة المذهبية، فنحن باعتقادنا ان افضل الحجج في حل مثل هذهِ المسألة العويصة التي يروج لها أهل التحزب كثيراً هو تحليلها تحليلاً أكاديمياً من خلال الولوج الى وقائعها الإجتماعية–الدينية وبيان مسبباتها، والخلفيات التي ساهمت في بروزها، ولان التأريخ تجارب انسانية، ودروس وعبر، فما احرانا ان نوظف جهودنا العلمية والاكاديمية في هذا المنحى قدر المستطاع لحل سياسة كبيرة تكاد تكون مستعصية على أولي الأمر في المجتمع العراقي الراهن.

ان وقائع دولة الخلافة العباسية مرت وعلى امتداد حقبها ما بين النصف الثاني من القرن الرابع الهجري / الحادي عشر الميلادي والغزو المغولي لبغداد في ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، أي ما يتناول جوانب متعددة من التاريخ البويهي–السلجوقي–العباسي بجملة متعددة من التجاذبات المذهبية الشديدة الوقع بين الشيعة الإمامية

[١] وهو في الحقيقة جزء متمم للرسالة التي كنا قد تقدمنا بها لقسم التاريخ بكلية الآداب / جامعة بغداد لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي والموسومة بـ"مواقف الحنابلة من الشيعة الامامية الاثني عشرية" دراسة تحليلية (٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٥-١٠٥٥م).

الأثني عشرية ومخالفيهم من فرق المسلمين من أهل السنة ببغداد مقر وحاضرة الخلفاء العباسيين، ومع ان تداعياتها تبدو متشابهة وبكثير من الاوجه والظروف والمسببات، الا انه لا مناص من دراستها وتحليلها دراسة موضوعية وافية لتفكيك تلك التجاذبات واصولها، وبعد ذلك من تقرير قناعة شخصية من الباحث في امكان التعايش معها سياسياً ودينياً على اساس من الرعوية (الوطنية) المحضة وهو ما يقود بنا الى نتائج طيبة في افضل السبل والاعتبارات، على اعتبار ان ما يظهر جلياً لدى الباحث من مجمل التجاذبات الدينية في التاريخ عامةً لم تفضِ الى ترجيح جانب مذهبي على آخر من اطراف التجاذب، وبالتالي ما ادى الى استمرارها.

قسمت هذه الدراسة الى اربع ابواب:

- الباب الاول يتضمن فصلين، الفصل الاول يتناول جانبين احدهما : جانب هيستوغرافي Historiography يدور حول كشف المصادر وتحليها، وهذا الجانب على قدر كبير من الاهمية اكاديمياً، لانه يستغرق في تحليل المصادر الخاصة بالبحث، من حيث احداثها ومصداقيتها، وما كتبه المصنفون القدامى والمحدثون بتلون مذاهبهم في وقائع التاريخ الاسلامي للفترة قيد البحث من تاريخ دولة الخلافة العباسية، وهي بلا ريب كثيرة وبحاجة الى نقد وتحليل كبيرين لمعرفة نواياهم واتجاهاتهم السياسية والمذهبية، وكذلك في محتوى ما كتبه المصنفون من أهل الفرق في اسماء وشخصيات اهل المذاهب، وتسميات كبار شيوخها واهم ما كتب بها من خلال تقرير وسائل المقارنة بينها، ومثل هذهِ المصادر كثيرة حقاً على الرغم مما هو مفقود من تلكم المصنفات والتي لم تصلنا مباشرةً من مؤلفيها بل ان اغلبها لم يصلنا ابداً، مع ملاحظة الغياب شبه التام لوجهة النظر الشيعية تجاه الاحداث والوقائع السياسية في الحقب التاريخية قيد البحث، واقتصار كتب الشيعة الامامية على تاريخ "المعصومين: الاربعة عشر وهم الرسول الاكرم محمد (ص) وابنته فاطمة الزهراء (ع) والائمة الاثني عشر، وكذلك السفراء الاربعة للامام الثاني عشر وحتى انقضاء زمن الغيبة الصغرى سنة ٣٢٩هـ/٩٤١م، وكذلك كتب المناقب والاحاديث والروايات للمعصومين الاربعة عشر.



فضلاً عن ما تيسر من مراجع كتبها الباحثون والكتاب المحدثون منذ عهد قريب ونخص منها ما كتبه كلود كاهن وهنري لاووست الفرنسيين وما تضمنته دائرة المعارف الاسلامية/الاصدار الثاني EI.2 لمفردات تخص البحث، كذلك ما كتبه المشارقة الاكاديميين من امثال الاستاذ الراحل مصطفى جواد وعباس اقبال وغيرهما، والاستئناس بمضامينها ومضاهاة الافكار بها.

اما الجانب الثاني: فلدينا جانب آخر يتناول المفاهيم والمصطلحات "Terminology" التي ترد في البحث وتفسير مضامينها بما يتناسب ومحتواها التاريخي، مثل مفاهيم: الشيعة، والشيعة الامامية الاثني عشرية، والروافض، وكذلك مفاهيم البويهيين والغز والسلاجقة، والسلاجقة العظام، ومفاهيم فقهية ومذهبية على نحو من مفهوم: الحنفية، والشافعية، والحنابلة، الصوفية والاعتقاد القادري–القائمي، ومفاهيم مؤسساتية على نحو من السلطنة، والوزارة، الاستاذ دارية وشبكات المدرسة النظامية وغيرها من المؤسسات التعليمية الخاصة والعامة في دولة الخلافة العباسية.

ويجب التنبه الى ان هذهِ المفاهيم بجدر الاحاطة بها واستيعاب دلالاتها الدينية والسياسية ابان الفترة قيد البحث والدراسة.

اما الفصل الثاني من الباب الاول فانه يمثل فصلاً تمهيدياً عن الاحوال السياسية والدينية (المذهبية) لحاضرة الخلافة العباسية "بغداد" قبيل دخول السلاجقة بغداد في رمضان ٤٤٧هـ/تشرين الاول ١٠٥٥م، وانهاء امارة الاستيلاء البويهية متمثلة بالملك الرحيم (٤٤٠–٤٤٧هـ/١٠٤٨–١٠٥٥م) حيث شهدت بغداد من الوقائع والتجاذبات المذهبية مصحوبة ببوادر الضعف والتهاون لأمراء الإستيلاء البويهيين اودت بالخليفة العباسي القادر بالله (٣٨١–٤٢٢هـ/٩٩١–١٠٣٢م) الى الاحتكاك بالغزنويين في المشرق الاسلامي ومن ثم بالغز السلاجقة من بعد ظهورهم وازاحتهم للغزنويين في عهد الخليفة القائم بأمر الله (٤٢٢–٤٦٧هـ/١٠٣٢–١٠٧٥م) بغية تهيئة الاجواء لحلول قوة جديدة محل البويهيين تتوافق مذهبياً مع مؤسسة الخلافة العباسية الشافعية المذهب وتطلعاتها في ضبط الدعوى الفاطمية وانتشارها في ضوء ما كان قد تأكد من ضعف البويهيين واضطراب احوال اماراتهم وانهم

يعيشون ايامهم الاخيرة مع الخلفاء العباسيين الذين يدعون الى انهاء حكمهم بالقوة من قبل منافسيهم الجدد "السلاجقة" بعد انتشار دعواهم في خراسان وعلى اثر انتصاراتهم على الغزنويين التي توجت في وقعة داندانقان ايام رمضان ٤٣١هـ/مايس ١٠٤٠م مع ملاحظة أهمية هذا الفصل للصلة القائمة بين ما كان يحصل من حالات الاحتكاك السياسي بين رؤساء الديوان في الادارتين العباسية والبويهية والتجاذب المذهبي بين علماء الشيعة الامامية الاثني عشرية وشيوخ اهل السنة من الحنابلة في بغداد، ودور الخليفة العباسي القائم بامر الله من خلال وزيره الحنبلي المعتقد ابن المُسلمة الذي كانت سياسته الادارية تعتمد في ترك الامور على عواهنها حتى تتولد القناعة لدى أهل بغداد من طرفي التجاذب المذهبي من اجل امكانية استبدال امارة الاستيلاء البويهية بقوة اكثر كفاءة في ضبط الامن المجتمعي في بغداد تقوم على دعوة السلاجقة الغز لانهاء حكم هؤلاء البويهيين لبغداد.

فضلاً عن ذلك برز طور جديد من التجاذب المذهبي يقوم على ميدان المناظرة العلمية والمحاججة وسفح الحبر على الورق بدل اراقة الدماء في الفتن المذهبية التي كانت تحصل بين العوام في محال بغداد، واسواقها حيث كان من رواد هذا الطور من العلماء امثال كبير الامامية الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ/١٠٢٢م) ومن بعده الشريف المرتضى (ت٤٣٦هـ/١٠٤٤م) ورأس المعتزلة وقاضي القضاة عبد الجبار الهمداني (ت٤١٥هـ/١٠٢٤م)، والحقيقة ان مثل هذه المناظرات شخصت على انها مهدت الى انبثاق وتأسيس المدارس الرسمية متمثلة بالنظامية ببغداد مع انها كانت قد اسست قبل ذلك في بعض حواضر المشرق الاسلامي، لغايات عدة من بينها المواجهة الفكرية والعقائدية تجاه الشيعة عموماً، من فرق الاسماعيلية والامامية الاثني عشرية.

ويلاحظ أهمية هذا الفصل في الدراسة للصلة القائمة من تجاذبات بين ما كان يحصل من حالات الاحتكاك والتجاذب المذهبي بين الشيعة الامامية الاثني عشرية والمسلمين من أهل السنة بشكل خاص من قوى الحنابلة، وفي ضوء صلة الوضع الجديد في ظل حكم السلاجقة الغز بسابقة ايام البويهيين.

- الباب الثاني: ويتكون كذلك من فصلين الفصل الاول تناولنا فيه المتغيرات السياسية التي نتجت عن دخول السلاجقة بغداد وتداعياتها وما اثاره السلاجقة من اعمال سلب ونهب وتخريب للسواد ما بين واسط وحتى تكريت بما ادى الى افقار الناس، وكذلك ما قام به السلاجقة من اجراءات ادارية وسياسية لدى الخلفاء، وتابعنا ما يعرف بـ"القطيعة التاريخية Historical Rupture" بين ما درج عليه البويهيين في تدبير شؤون الخلافة ومن اتاحة الحرية المذهبية لكل الاطراف من شعائر وآذان في المساجد، وما استقر عليه بعد ذلك حكم السلاجقة بتبني خط مذهبي يتوافق مع تمذهب "مؤسسة" الخلافة العباسية على وفق الاعتقاد القادري الذي جاء به الخليفة القادر بالله اوائل القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي فضلاً عن ذلك لدينا حركة الامير قائد العسكر ابا الحارث البساسيري، الذي زادت قوته واقطاعاته، قبيل دخول السلاجقة بغداد، وهو ما اصطلح عليه المؤرخون من أهل السنة بـ"فتنة البساسيري" والذي لجأ الى مكاتبة الفاطميين، ورفع شعارهم والخطبة لهم حتى في مقر الخلافة بغداد نفسها انتفاضاً لما اصابه في مكانته واقطاعاته، وما اصاب اهل السواد واهل بغداد من خروقات اثر دخول السلاجقة المدينة.

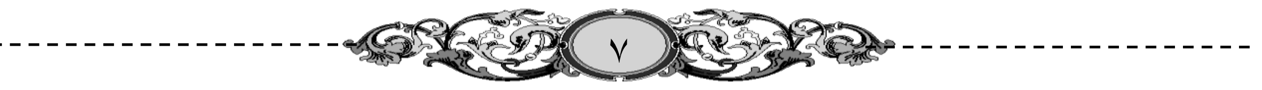
فضلاً عن مجريات سياسية السلطان طغرل بك تجاه الخليفة العباسي القائم بأمر الله والضغط عليه من اجل تلبية طلباتهم، وما صاحبه من تجاذبات مذهبية ادت بمقدم الامامية آنذاك ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٨م) الى الانتقال من الكرخ ببغداد الى مشهد علي "النجف"، وما صاحبها من وقائع واحداث نتيجة فرض مراسم ودعاوي مذاهب اهل السنة على مساجد الشيعة الامامية الاثني عشرية على نحو ما حصل في جامع براثا ومشهد مقابر قريش وسائر مساجد الكرخ بالتثويب وترك "حي على خير العمل".

الفصل الثاني من الباب الثاني تابعنا فيه المتغيرات السياسية-الاجتماعية في اوضاع المجتمع البغدادي والتجاذبات المذهبية التي كانت تقع ايام السلطانين عضد الدولة الب ارسلان (٤٥٥-٤٦٥هـ/١٠٦٣-١٠٧٣م)، وولده ملك شاه (٤٦٥-٤٨٥هـ/١٠٧٣-١٠٩٢م) من عهد السلاجقة العظام، واثر الانتعاش المذهبي بجانبيه

الحنفي والشافعي الذي اضطلع به سلطان السلاجقة من جهة وزيره نظام الملك (ت٤٨٥هـ/١٠٩٢م) من خلال انشاءه شبكة المدارس التي نسبت اليه وسميت بالنظامية، او من خلال متولي الاستيفاء شرف الملك ابو سعد المستوفي (ت٤٩٤هـ/١١٠١م) او غيرهما من رجال الدركاه، وهذهِ التحولات في حقيقة الامر الواقع ادت الى تحفيز بعض مقدمي المذاهب الاسلامية كالحنابلة منهم خاصة الى الحذو حذوهما وهذا بحد ذاته يعد تحولاً مهماً في نشأه دور علم مختصة بالدراسات الدينية لتدريس الفقه واصوله طبقاً للمذهب الذي ينتمي اليه الواقف، فضلاً عما كانت تقوم به المساجد في هذا المحتوى من قبل شيوخهم ومقدميهم من اصحاب المذاهب. مع ملاحظة مهمة هي اننا في الباب الثاني ارخنا لمجمل الحوادث ووقائع التجاذب المذهبي وفق تولي السلاطين السلاجقة الثلاثة العظام كل من طغرل بك، وابن اخيه الب ارسلان ومن ثم ولده ملك شاه. فيما سنعمد بعد وفاة السلطان ملك شاه لأن نؤرخ في البابين : الثالث والرابع لمجمل الحوادث ووقائع التجاذب المذهبي وفق تولي الخلفاء العباسيين دست الخلافة وحتى سقوط الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م.

الباب الثالث: يتناول مجمل الاوضاع السياسية ومالها من تأثير على حالة التجاذبات المذهبية تجاه الشيعة الامامية الاثني عشرية في بغداد بين السنوات ٤٨٥-٥٧٥هـ/١٠٩٢-١١٧٩م. وهذا الباب مقسم كرونولوجياً من فصلين ايضاً.

الفصل الاول: تناولنا فيه فترة سبعة عقود من السنوات، عقد ونصف من اواخر القرن الخامس الهجري، والنصف الاول من القرن السادس الهجري او السنوات ما بين ٤٨٥-٥٥٥هـ/١٠٩٢-١١٦٠م، وهي ايام خلافة المقتدي بأمر الله بعد وفاة السلطان ملك شاه ٤٨٥هـ/١٠٨٢م وحتى وقت وفاة الخليفة في ٤٨٧هـ/١٠٨٤م ومن ثم ولده الخليفة المستظهر بأمر الله الخليفة العباسي الثامن والعشرون وايامه الممتدة من ١٨ محرم ٤٨٧-ليلة ٢٤ ربيع الاخرة ٥١٢هـ/٧ شباط ١٠٩٤-٧ آب ١١١٨م. ومن بعده ولده الخليفة الفضل المسترشد بالله الخليفة العباسي التاسع والعشرون الذي ارتقى دست الحكم للعباسيين وسنوات حكمه وايامه التي امتدت لنحو من سبعة عشر عاماً وستة اشهر: ٢٤ ربيع الاخرة ٥١٢-١٧ ذي القعدة ٥٢٩هـ/٨



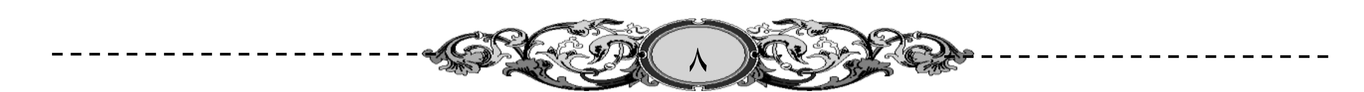
آب ١١١٨-٢٢ آب ١١٣٥م. وكذلك ولده الخليفة العباسي الثلاثون منصور الراشد من ذي القعدة ٥٢٩-ذي القعدة ٥٣٠هـ/آب ١١٣٥-آب ١١٣٦م. واخيراً عمه محمد المقتفي بأمر الله بين السنوات ذي الحجة ٥٣٠-ربيع الاول ٥٥٥هـ/آب ١١٣٦-آذار ١١٦٠م.

كما تعد سنوات هذا الفصل بغاية الاهمية في التاريخ العباسي، وذلك لاضطراب امر سلاطين السلاجقة بعد وفاة السلطان ملك شاه، وبروز دور مهم للخلفاء العباسيين حيث حاول الخليفة المسترشد بالله الاستقلال بشكل او آخر من حكم السلاجقة لكن محاولته هذهِ كلفته حياته باغتياله وهو اسيراً سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م فيما اتهمت الباطنية بقتله، وما آلت الخلافة الى ولده الراشد بالله، عمل السلاجقة على خلعه وما لبث ان واجه نفس مصير ابيه سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م. فيما كانت ايام الخليفة المقتفي بالله ايذاناً بالتخلص من التسلط السلجوقي.

الفصل الثاني من الباب الثالث يتناول فيه الاوضاع السياسية والاجتماعية وبما لها من تأثير على مجمل التجاذبات المذهبية تجاه الشيعة الامامية الاثني عشرية في بغداد ولنحو من عقدين من الزمان (٥٥٥-٥٧٥هـ/١١٦٠-١١٧٩م) وهي سنوات خلافة :

- المستنجد بالله ابو المظفر يوسف الخليفة العباسي الثاني والثلاثون (٢ ربيع الاول ٥٥٥-٩ ربيع الاخر ٥٦٦هـ/٦ آذار ١١٦٠-١٢ كانون الاول ١١٧٠م) وولده:
- المستضيئ بأمر الله ابو محمد الحسن، الخليفة العباسي الثالث والثلاثين (٩ ربيع الاول ٥٦٦-٢ ذي القعدة ٥٧٥هـ/١٢ كانون الاول ١١٧٠-٢٣ آذار ١١٨٠م).

ويعد هذا الفصل ذو أهمية خاصة تتعلق بتداعيات انهاء الخلافة الفاطمية بمصر سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م ومالها من تأثير معنوي على الشيعة الامامية في بغداد، فضلاً عما شهدته ايام الخليفة المستنجد وولده المستضيء من تعاظم سطوة



الحنابلة في بغداد واطلاق يد كبير وعاظهم ومقدمهم وقتئذ عبد الرحمن بن الجوزي في الامر بمعاقبة مخالفيهم.

الباب الرابع والاخير يتناول أهم حقبة في العصور العباسية قاطبةً، وهي الحقبة التي أدت الى الغزو المغولي لبغداد ودخول هولاكو لبغداد وانهاء الخلافة العباسية وتصفية غالب البيت العباسي فيها سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م وهذا الباب قسمناه ايضاً الى فصلين:

-الفصل الاول: تناولنا فيه عهد الخليفة العباسي الناصر لدين الله احمد ابن الخليفة المستضيء بأمر الله (٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٧٩-١٢٢٥م) وهو الخليفة العباسي الرابع والثلاثون من بين الخلفاء العباسيين، ويعد عهده من أطول عهود الخلفاء طراً، اذ أمتد لاكثر من اربعة عقود ونصف من السنون الهجرية القمرية او بالاحرى لنحو من سبع واربعين عاماً (ستٍ واربعون سنة واحد عشر شهراً)، وكان عهده الطويل للخلافة قد برزت فيه ظاهره يمكن ان نسميها بالصحوة العباسية الاخيرة لدى الخلفاء العباسيين او عهد الإزدهار الأخير للمؤسسة العباسية التي امتدت لاكثر من خمسة قرون من الزمان.

وقد تابعنا في هذا الفصل مجمل الاوضاع والتجاذبات التي حدثت ايام خلافة الناصر والنظم والمؤسسات التي استحدثها على نحو من نظام الفتوة الذي أحتوى بها الناشطين من العامة في نشاطاتهم الاجتماعية التي كان يمكن ان تتحول الى تجاذبات مذهبية او شغب لقوى العيارين، ويعرف عن الخليفة الناصر لدين الله ميله شخصياً الى التشيع حتى انه هيء ضريحاً له في مقابر قريش بجوار سابع وتاسع الائمة الاثني عشر للشيعة الامامية.

الفصل الثاني من الباب الرابع: وهذا الفصل يختص بالفترة الزمنية الممتدة ما بين وفاة الخليفة الناصر لدين الله العباسي ٦٢٢هـ/١٢٢٥م وحتى نهاية او انهاء الخلافة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م أثر قيام الغزو المغولي على يد هولاكو خان واستحواذه على بغداد.

وهي الفترة التي تعاقب عليها ثلاث من الخلفاء :

- محمد الظاهر بامر الله (٦٢٢-٦٢٣هـ/١٢٢٥-١٢٢٦م) الخليفة العباسي الخامس والثلاثون ، ومن بعده ابنه:
- المستنصر بالله ابو جعفر منصور (٦٢٣-٦٤٠هـ/١٢٢٦-١٢٤٢م) الخليفة العباسي السادس والثلاثون من خلفاء بني العباس.

ومن ثم ولده :

- عبد الله المستعصم بالله (٦٤٠-٦٥٦هـ/١٢٤٢-١٢٥٨م) الخليفة العباسي السابع والثلاثون والاخير من الخلفاء العباسيين في ببغداد.

تناولنا فيه مجمل التجاذبات المذهبية خلال هذه العهود الاخيرة من عمر الدولة العباسية واثر تراكماتها في بغداد كمؤسسات دينية، وواقع سياسي حتى صار بموجبها قطاع مهم من رعايا المجتمع في دولة الخلافة يقتنع بشكل او بآخر بأن الحكم الكافر العادل أيَّ كان مصدره وعقيدته خير من المسلم الظالم (اي ما يراد به ضمناً الخليفة العباسي في قبال متولي السلطنة الايلخانية الجديدة الايلخان هولاكو خان).

اما نقاط ومحطات التأمل التي لابد من التوقف عندها في الاطروحة حتى تثري البحث وطرحه وتثار عندها تساؤلات عن ماذا ؟ وكيف ؟ ومتى تنتهي هذهِ التجاذبات في المجتمع البغدادي ؟ ، فيمكن اجمالها بما يأتي:

-اثر التدهور المستمر في ادارة الدولة البويهية خاصةً بعيد وفاة عضد الدولة البويهي سنة ٣٧٢هـ/٩٨٣م، وفشل امراء الاستيلاء البويهيين في بغداد في الحد من آثار التجاذب المذهبي في المدينة، وعلى العكس من ذلك حصول نوع من الصحوة لدى شخصية الخليفة القادر ومن ثم ولده القائم وادارته وفي ازدياد نفوذ الخليفة العباسي، ونمو موارده المالية الاقليمية، ودور ذلك كله في تهيئة الارضية والظروف المناسبة لقادم جديد يحل محل المتسلطين من البويهيين في تمشية امور البلاد المادية والادارية، خاصةً اذا كان هذا القادم الجديد متوافق مذهبياً مع مذهب الخلافة العباسية.

وسيلاحظ ان القادمين الجدد من "السلاجقة" وهم حنفية سنة كان لهم توافق ديني مذهبي مع الخلفاء العباسيين " وهم شافعية سنة" كذلك، ولكن الخلافات السياسية الشديدة التي حدثت بعد عهود سلاطين السلاجقة العظام ادت الى الاقتتال بين الطرفين حتى قتل الخليفة المسترشد بالله وابنه الراشد بالله، فهل كان هذا التوافق المذهبي مبعث اطمئنان واستقرار في دولة الخلافة، ام ان الواقع التاريخي كان يؤشر بالضد من ذلك وهو ما ادى الى التصادم والإقتتال بين الأثنين ؟

مع أن السؤال يظل قائماً فيما اذا كان هذا التوافق المذهبي حقيقة يحقق مبعث اطمئنان واستقرار في دولة الخلافة ؟ ام يولد تصادم جديد ذا منحى سياسي عام يعيشه المجتمع في بغداد في العهد قيد الدراسة ؟

-ثم ان هذا النزاع السياسي المستمر ادى في حالات من التجاذبات المذهبية الى درجة اكبر واخطر مما كان عليه في العصر البويهي وبتشجيع من السلاجقة والعباسيين أنفسهم، فقد لاحظنا منذ بداية العصر السلجوقي رواج هذهِ التجاذبات حتى ان قدوم السلطان ركن الدين طغرل بك الى بغداد بهدف ظاهري يقوم على أداء فريضة الحج وتمهيد طريق الحج مجدداً من حاضرة الخلافة العباسية، ومع ذلك لم يقم اي من سلاطين السلاجقة باداء فريضة الحج، فقد تناسوا عن أداءها وتقاعسوا عنها بنزاعاتهم الداخلية المقيتة من اجل قضايا كسب السلطة والمال، كما يلاحظ ان اي من الخلفاء العباسيين ومنذ أيام الخليفة العباسي هارون الرشيد خامس الخلفاء العباسيين (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٩م) لم يؤدِ هذهِ الفريضة، فقد كانت مثل هذهِ الحجج والدعاوي في اداء الفريضة من الذرائع التي روجت من لدن السلاجقة لتأييد وكسب الرعايا من العوام في الترحيب بمقدمهم وطمأنة أمرائهم وخداع البويهيين بشخص الملك الرحيم، فضلاً عما ذكر من ذرائع وحجج في دفع الخطر الذي صار محدقاً بالعباسيين المتمثل بالدولة الفاطمية بالمغرب اولاً وفي مصر فيما بعد في ضوء المراسلات المتبادلة التي كانت تحصل بين القيادة السلجوقية الحاكمة في خراسان والخليفة القائم بأمر الله، مع ان السؤال يظل قائماً مرة اخرى فيما اذا كان السلطان الطاعن بالسن طغرل بك في مراسلاته مع الخليفة (قبل نفيه للحديثة) يقصد

حقيقةً إزاحة الخطر الفاطمي عن العباسيين وعن دولتهم الواقعة تحت الهيمنة البويهية ؟ اذا ما علمنا انه حصل مرةً ان رفعت رايات بيضاء، وهي رايات الفاطميين نفسها من لدن السلاجقة تهديداً للخليفة القائم عندما تردد الخليفة في اتمام الوصلة بزواج السيدة بنت الخليفة من السلطان العجوز العقيم المولد.

-وثمة تساؤل آخر بخصوص مقدم او مرجع الشيعة الأمامية الاثني عشرية "شيخ الطائفة" ابو جعفر الطوسي ابان دخول السلاجقة الى بغداد، إذ كان هذا الامام العالم قد آثر المغادرة الى مشهد علي "النجف" على الاستقرار بين أتباعه ومريديه الأمامية ببغداد، الا ان ذلك كان خوفاً على نفسه وصيانتها، فهل ساهمت هذهِ المغادرة في تخفيف التجاذب المذهبي في بغداد ؟ ام وقع النقيض من ذلك ؟

- ومن التساؤلات التي يثار الجدل حولها، ما يخص المدارس النظامية التي اوجدها الوزير الشهير نظام الملك الطوسي. فماذا كان دورها في هذا السياق وهل اسهمت في تقوية الركائز التي انتشر فيها المذهب الشافعي، وتخفيف النزاع المذهبي وتجاذباته أم أنها اسهمت بطريقة أشد في إثارة تجاذب مذهبي آخر تجاه قوى أهل السنة وفعالياتهم ؟

من اجل ذلك نرى ان عدد من الصدور الحنفية عمدوا الى انشاء مدارس خاصة بمذاهبهم، وفي الحقيقة اسهم ذلك في وقوع نوع من التنافس في انشاء هذهِ المدارس بازدهار الحركة العلمية في بغداد وقد توجت هذه الحركة العلمية لاحقاً من خلال إنشاء المدرسة المستنصرية نسبة الى منشأها الخليفة المستنصر بالله العباسي (٦٢٣-٦٤٠هـ/١٢٢٦-١٢٤٢م) لتكون مفتوحة على المذاهب السنية الاربعة المعروفة فضلاً عن العلوم الاخرى من طب وحساب.

- أمر آخر يجب الانتباه اليه، وهو ظهور شخصيات سياسية عسكرية مهمة على مستوى الأمراء المنتمين الى مذهب الإمامية وعقائدها مثل الامير دبيس بن صدقة وفاعليته في الاحداث السياسية لدولة الخلافة. فهل اسهم كل ذلك في تأجيج التجاذب المذهبي في بغداد ؟ خاصةً اذا علمنا انه صار تحت زعامة الأمير دبيس

عسكراً يضاهي عسكر الخليفة العباسي، والعسكر السلطاني السلجوقي ابان خلافة المسترشد العباسي (٥١٢-٥٢٩هـ/١١١٨-١١٣٥م).

- امتازت ايام سنوات خلاقة الخليفة المستنجد بالله (٥٥٥-٥٦٦هـ/١١٦٠-١١٧٠م) ومن بعده المستضيء بأمر الله (٥٦٦-٥٧٥هـ/١١٧٠-١١٨٠م) بانتعاش قوة الحنابلة على المجتمع البغدادي خاصة بعد إنهاء الخلافة الفاطمية في مصر سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م، حتى ان الخليفة المستضيء بأمر الله فوض الى كبير وعاظ الحنابلة ومقدميهم عبد الرحمن بن الجوزي أمر محاسبة مخالفيهم من الناشطين مذهبياً، وهذا ما حدث لاحد منشدي الأسواق بفضائل أهل البيت المدعو ابن قرابا فهل ساهم ذلك كله في ردة فعل المجتمع البغدادي "بكثرة الرفض" وانتعاش احياء طقوس واحتفالات الشيعة الإمامية الاثني عشرية في عهد الخليفة الناصر لدين الله العباسي (٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٨٠-١١٣٤م) ؟

ولنا ان نقول: ان سياسة الخليفة الناصر لدين الله في التقرب الى مذهب الشيعة الامامية الاثني عشرية لم تستمر او تستقر على وتيرة واحدة، بل كانت تتغير تبعاً لتغير رجال أدارته والأشخاص المقربين إليه. وهل للأمر دوافع سياسية، خاصة بالخليفة الناصر ؟ في ضوء مواقفه من الايوبيين أتباع صلاح الدين الأيوبي الذين أخذت انتصاراتهم أمام الصليبيين تستحوذ على عواطف وقلوب المسلمين، فضلاً عن ذلك فإن بروز الخوارزميين في المشرق الإسلامي كقوة تَطلّعْ جديد نحو بلاد الخليفة، ربما قد خشي منها الخليفة الناصر من ان تقوم بنفس دور البويهيين ومن بعدهم السلاجقة في الاستيلاء على حاضرة الخلافة العباسية بغداد. مما استدعى الى مقارعتهم ولو عن طريق تأليب، وبنحو ما، أعدائهم المغول عليهم وفي محاولتهم الفاشلة سنة ٦١٤هـ/١٢١٩م في الاستحواذ على بغداد.

لقد ساهم الإمعان في أنشاء المدارس الخاصة في المذاهب السنية وخاصة على اثر إنشاء المستنصرية واقتصارها على المذاهب الأربعة في رفع نبرة وحدة الكبت المذهبي الذي عانت فيه الشيعة الامامية الاثني عشرية طيلة ايام حكم هؤلاء الخلفاء العباسيين وإداراتهم المتحزبة لهذهِ القوة او تلك وزادت في حدة تلك

التجاذبات، الشخصية الضعيفة للخليفة، خاصة تجاه ولد الخليفة نفسه الملقب بابي بكر، للخليفة العباسي الأخير المستعصم بالله (٦٤٠-٦٥٦هـ/١٢٤٢-١٢٥٨م) في حدة التجاذب المذهبي تجاه الشيعة الإمامية في بغداد ؟ ومثل ذلك كان يحصل داخل مؤسسة الخلاف بين الجناحين المدني المتمثل بالوزير مؤيد الدين بن العلقمي (ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م) والجناح العسكري المتمثل بالدويدار الصغير (ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م) اللذان يمثلان طرفي نزاع متداخلين في خضم التجاذبات المذهبية السائدة وقتئذ ؟

هذه التساؤلات وما تتضمنها من إجابات هي محور مهم من البحث، والإجابة عليها في هذهِ الدراسة التي ستعالجها بصورة موضوعية مستوفاة من تحليلات المصادر والمراجع ما بين البويهيين والسلاجقة والعباسيين.

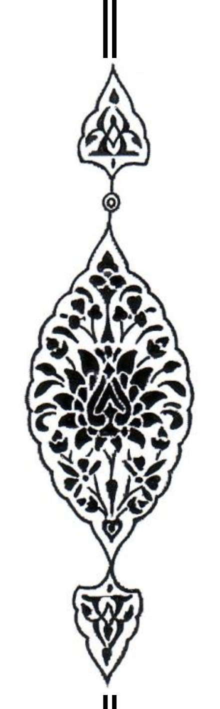
وقد واجهنا في كتابة هذه الاطروحة تحديات جدية تمثلت بضيق الوقت المتاح، فموضوع البحث يسع موسوعة تاريخية واسعة. ولا يخفى على القارىء، ان الحياد والموضوعية كان أهم تحدي كتابي واجهناه خلال هذهِ الدراسة، وقد ذللنا بعض هذهِ التحديات بمؤازرة ودعم وتقويم الاستاذ المشرف.

الصعوبة الاكبر أتت من ناحية الافتقار الى كتب الإمامية الاثني عشرية التي تبحث في الجانب التاريخي السياسي لدولة الخلافة العباسية ككل، وما يتوفر من كتب الأمامية لا يتجاوز اهتمامات مؤلفيها بتاريخ سيرة الرسول الأعظم (ص) وفاطمة الزهراء والأئمة الاثني عشر، والأحاديث والخطب المروية عنهم، وهذهِ بمجملها لا تتعدى العام ٢٦٠هـ/٨٧٤م، إلا ان الجهد العلمي المتواضع يبقى قائماً طيلة محاولاتنا كتابة الابواب الاربعة لهذه الدراسة.

ومن الله التوفيق

الباب الأول

الباب التمهيدي للدراسة



يشتمل هذا الباب على فصلين :

- **الفصل الأول:**

الإشكالات المنهجية وكشف وتحليل المصادر

- **الفصل الثاني:**

الأحوال السياسية والدينية (المذهبية) لحاضرة الخلافة العباسية "بغداد" قبيل دخول السلاجقة بغداد في رمضان ٤٤٧هـ/كانون الاول ١٠٥٥م وانهاء امارة الاستيلاء البويهية فيها.

الفصل الأول

يشتمل هذا الفصل على جانبين :

- الجانب الهيستوغرافي **Historiography** الذي يتناول كشف المصادر وتحليلها من حيث اصالتها **Originality** وأعتماديتها **Reliability**.

- الجانب الذي يتناول المفاهيم والمصطلحات **Terminology** التي ترد في الاطروحة.

في كشف وتحليل المصادر

يعد عمل تحليل المصادر على قدر كبير من الأهمية في الأطروحة، لأن ما يتوفر لدينا من الادبيات، مادة تاريخية بمصادر متنوعة لفترة قيد البحث، تتضمن الواناً كثيرة من المصادر، على الرغم مما فقد منها لأسباب عدة منها ما يتعلق بفعل التجاذب المذهبي بين أهل الفرق والمذاهب من منازعات ادت الى اتلاف واخفاء(١) كثير من تلك المصادر التي تقررها مواقف الخلفاء العباسيين والسلاطين وامرائهم واتابيكيتهم. فضلاً عن اسباب اخرى تعود للكوارث التي وقعت ببغداد للفترة قيد البحث(٢) لكن ما يهوّن هذا الامر بعض الشيء هو ان بعض الاقتباسات التي تم

---

(١) على نحو ما حصل من احراق للبيت وخزانة الكتب العائدة لشيخ الطائفة (الامامية) ابو جعفر الطوسي في بغداد سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٦م. انظر: ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط٢ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م) ج١٦، ص١٦؛ او ما حصل لخزانة الكتب التي اوقفها الوزير البويهي سابور بن اردشير التي وقع بها الحريق سنة ٤٥١هـ/١٠٥٨م، ولما نهبت العامة بعض كتبها ابعدهم وزير السلطنة السلجوقية آنذاك عميد الملك الكندري "وجلس يختار منها ما يأخذ وما يدع". انظر: عز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: خليل مأمون شيحا، ط٢ (بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٧م)، ج٨، ص١٩٤. وبديهياً ان الوزير الكندري اختار ما يوافق معتقده السياسي الحنفي وترك النار تلتهم الباقي؛ ومن الامثلة ايضاً ما عمله السلطان محمود بن سبكتكين في الري سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م من احراق "خمسون حملاً من كتب الفلاسفة والمعتزلة والنجوم والمبتدعة تحت خشب المصلبين". انظر: ابو المظفر شمس الدين يوسف بن قزاوغلي بن عبد الله المعروف بسبط ابن الجوزي (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، تحقيق: محمد بركات وآخرين (بيروت: الرسالة العالمية، ٢٠١٣م)، ج١٨، ص٣٥١؛ وانظر ايضاً: نجاح الطائي، المحرقة الكبرى لكتب البشرية (بيروت: دار الهدى، ٢٠٠٩م).

(٢) منها ما تعرضت له بغداد من كوارث طبيعية خاصة الفيضانات المتكررة، مثال ذلك ما اورده سبط ابن الجوزي في حوادث سنة ٥٥٤هـ/١١٥٩م حيث ذكر: "وغرقت كتب جدي وغيرها"؛ ويمكن احصاء نحو من خمس واربعون حالة غرق وفيضان لبغداد خلال المدة الممتدة ما=

انتقاءها من قبل مصنفين لاحقين التي وصلت الينا يشير مصنفوها الى هذهِ الكتب باسماءها واسماء مؤلفيها[1].

ان الاشكالية المنهجية الكبيرة التي تواجه بحثنا هي: اقتصار المصادر الخاصة بكتب التاريخ العام ايام السلاجقة او تواريخ الخلافة وكتب الطبقات للفترة قيد البحث، نقول اقتصارها على مصنفات للشيوخ والعلماء والمؤرخين من المخالفين للشيعة الامامية، وهو ما يشعرنا بحد ذاته بنوع ما من عدم اكتمال الصورة في معلومات الأطروحة، وذلك لغياب وجهة النظر الشيعية من احداث التجاذب المذهبي

=بين ٤٤٧هـ/١٠٥٥م وحتى ٦٥٦هـ/١٢٥٨م (وهي المدة موضوع بحثنا) غالبها وقعت بفعل فيضان نهر دجلة، وقليل منها بفعل فيضانات نهر الفرات لتصل المياه الى الجانب الغربي من بغداد وتغرقها. انظر: غامس خضير حسن الدوري، "الكوارث الطبيعية وآثارها في العراق"، اطروحة دكتوراه غير منشورة (كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٩٦)، صص: ٦٦-٧١؛ او بفعل عمليات النهب والحرق التي تمت نتيجة الاجتياح المغولي لبغداد ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، اذ يذكر صاحب الحوادث الجامعة: "احرق معظم البلد". انظر: مجهول، الحوادث الجامعة، ص٣٥٩؛ فيما يرد في كتاب "مختصر اخبار الخلفاء" المنسوب لابن الساعي: ويقال انهم (المغول) بنوا اسطبلات الخيول وطولات المعالف بكتب العلماء عوضاً عن اللبن. انظر: علي بن انجب المعروف بأبن الساعي (ت٦٧٤هـ/١٢٧٥م)، مختصر تاريخ الخلفاء (القاهرة: المطبعة الاميرية، ١٣٠٩هـ)، ص١٢٧.

[1] مثال ذلك ما يشير اليه ابن الجوزي من اقتباسات من "كتاب الفنون" لشيخ الحنابلة في وقته ابو الوفاء علي بن عقيل البغدادي الظفري (ت٥١٣هـ/١١١٩م) صاحب كتاب الفنون الذي قيل انه في ٢٠٠-٨٠٠ مجلد على اقوال مختلفة، ولكن لم يصل لنا سوى مجلد واحد بقسمين حققه جورج المقدسي. للمزيد عن ابن عقيل انظر ترجمته في: الامام الحافظ شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان قايماز التركماني الذهبي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، سير اعلام النبلاء، تحقيق: شاكر مصطفى (بيروت: دار احياء التراث العربي، ٢٠٠٦م)، ج١٣، ص٣٣٩؛ George Makdisi, IBN-AQIL, et la Resurgence de le Islam Traditionaliste au axle secicle (Damas: Institute Francais de Damace, 1963)

ومسبباتها التي هي اساسية في هذه الدراسة[١]. وان عد يحيى بن ابي طي النجار[٢] من ابرز مؤرخي الشيعة فأن اغلب كتبه قد فقدت. كذلك لاسباب سياسية تعود للايوبيين.

ولئن كان ابو شامة المقدسي (ت٦٦٥هـ/١٢٦٧م) اعتمد كثيراً على ما كتبه ابن ابي طي الحلبي الامامي فأن اغلب ما اعتمد عليه وما نقل عنه المقدسي هو في شأن الدولتين النورية والصلاحية[٣] لا غير، وليس ما يخص موقف وتوجهات الشيعة الامامية وقتها.

ان ندرة ما صنفه الشيعة الامامية الاثني عشرية عن التاريخ السياسي للدولة العباسية في الفترة قيد البحث يعزى الى سببين اولهما: ان مؤلفي الشيعة الامامية الاثني عشرية في واقع الحال لا يعدون الخلافة الشرعية كشورى او انتخاب او ما الى ذلك بل نص قائم على الأئمة الاثني عشر[٤]، والسبب الثاني: ان التاريخ

---

[١] ولئن كان هنالك مؤرخون كتبوا في التواريخ العامة، قيل عنهم انهم من الشيعة، او يميلون الى التشيع امثال اليعقوبي (ت٢٩٢/٩٠٥م) ومن بعده المسعودي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) فأن اولئك هم ممن ارخوا وتوفوا للفترة التي سبقت الفترة قيد بحثنا.

[٢] يحيى بن ابي طي النجار بن ظافر بن علي بن عبد الله بن ابي الحسن ابن الامير محمد بن حسن الغساني، "الحلبي، الشيعي، الرافضي" صاحب كتاب "تاريخ الشيعة" في عدة مجلدات، مات في الكهولة، في العقد الثالث من القرن السابع الهجري للمزيد انظر: الذهبي، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م)، ج١٣، ص٤٧١؛ صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: ابو عبد الله جلال الاسيوطي (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٠م)، ج٢٢، صص: ٥٨-٦١؛ صائب عبد الحميد، معجم مؤرخي الشيعة (قم: مؤسسة دائرة معارف الفقه الاسلامي، ٢٠٠٤م) ج٢، ص٤٥٣.

[٣] المقصود بالدولة النورية والصلاحية هي الدولة الاتابكية الزنكية والسلطنة الايوبية.

[٤] انظر شروط الامام عند الشيعة الامامية الاثني عشرية في: مرتضى العسكري، معالم المدرستين (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٩٨٦م)، ص١٥٧. وانظر الى بحث=

السياسي لدولة الخلافة العباسية عادة ما يكتبه المنتصر او المتصدي للسلطة والحكم، وهم بطبيعة الحال غير الشيعة الامامية، صحيح انا قد نجد اشارات نادرة في بطون كتب الرجال لعلاقة المترجم لهم بالمدة الزمنية التي عاشها رجالهم لكنها لا تعدو عن اشارات بسيطة غير وافية، نعم كتب مصنفوا الشيعة الامامية الاثني عشرية واسهبوا في تاريخ وسيرة الائمة الاثني عشر، وما روي عنهم من احاديث تروى عن الرسول محمد (ص) او عن الائمة أنفسهم[1].

الا ان غالب هؤلاء المصنفين وبسبب مكانة الائمة الاثني عشر والرسول محمد (ص) وابنته فاطمة الزهراء؛ صنفوا كتباً وصلت الينا بما عرف بكتب المناقب، تتناول مناقب وكرامات و "معجزات المعصومين الاربعة عشر".

وكتب المناقب هذهِ بدورها قد حفزت المسلمين من أهل السنة عامةً الى تصنيف كتب باسم كتب المناقب مضاهية لتلك المصنفات، مثل كتاب مناقب الإمام احمد لابي الفرج بن الجوزي، او ما صنف عن كرامات الشيخ عبد القادر الجيلي[2] (ت٥٦١هـ/١١٦٦م) .

=في رأي مخالفيهم في: محمد عمارة، الاسلام وفلسفة الحكم، المعتزلة واصول الحكم (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٧م)، صص: ٢٧-١١٣.

[1] وبطبيعة الحال فأن هذا التاريخ لا يتجاوز سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م وهو تاريخ ابتداء الغيبة الصغرى للامام الثاني عشر.

[2] الشيخ عبد القادر بن ابي صالح بن عبد الله بن جنكي دوست بن ابي عبد الله بن عبد الله الجيلي، هكذا ورد نسبه في الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي. للمزيد عن ترجمة الشيخ عبد القادر انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٢، صص: ٧٧-١٣٠؛ الحافظ زين الدين ابي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين احمد بن رجب البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي (ت٧٩٥هـ/١٣٩٣م) الذيل على طبقات الحنابلة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م)، ج١، صص: ٢٤٤-٢٥٣؛

W. Branue, "ABD AL-Kadir", EI.2, Vol.I, PP.69-70.

تشتمل المصادر التي اعتمدنا عليها في كتابة فصول الاطروحة مجموعة واسعة من المصنفات الكتابية وهي:-

١- كتب الامامية الاثني عشرية وتفاسير القرآن الكريم.

٢- كتب الفرق الاسلامية عند المسلمين من أهل السنة.

٣- كتب التواريخ العامة والمحلية.

٤- كتب التواريخ الخاصة بالسلاجقة.

٥- كتب الطبقات والوفيات، وموسوعات التراجم.

٦- كتب معاجم اللغة، والاصطلاحات.

٧- كتب البلدان.

فضلاً عما استأنسنا به من دراسات وآراء فيما كتبه المؤرخون المحدثون من المراجع الحديثة سواء كان ذلك من قبل مؤرخين شرقيين عرب او غير عرب، وغربيين في حقل الاستشراق لمضاهاة الآراء اولاً والتوسع في اخذ التصورات التي رسموها للاحداث والوقائع التاريخية ثانياً.

١- كتب الامامية الاثني عشرية، وتفاسيرها للقرآن الكريم:

تكمن أهمية كتب الشيعة الإمامية الاثني عشرية في هذه الدراسة كون هذهِ الكتب تعبر عن التغذية الفكرية والشحن المذهبي، والمحاججة المذهبية التي يطلقها علماء التشيع في المناقب، والفضائل التي وردت بخصوص الرسول الاعظم (ص) وابنته فاطمة الزهراء والائمة الاثني عشر، وكذلك فأن بدايات الحقبة قيد البحث قد اكتملت فيها ما يعرف عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية بالموسوعة الحديثية التي مازال الشيعة الامامية الاثني عشرية يعبرون عنها ايضاً بـ"الكتب المعتبرة" في الحديث وهذه المصنفات هي اربعة:

١- كتاب من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق[١].

٢- كتاب الكافي في الاصول[٢] والفروع[٣] للكليني.

والكتابان الآخران هما:

---

[١] الشيخ ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ/٩٩١م) من لا يحضره الفقيه (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٥م) ويذكر اغابزرك الطهراني ان المصنف هذا هو احد الاصول الاربعة للشيعة المعتمد عليها عندهم وهو في (٦٦٦) باباً، و (٥٩٩٨) حديثاً منها (٣٩٤٣) بمسانيد، و (٢٠٥٥) مرسلة. للتفاصيل انظر: محمد محسن اغا بزرك الطهراني، الذريعة الى تصانيف الشيعة (بيروت: دار احياء التراث العربي، ٢٠٠٩م)، ج٢٢، ص١٤٦.

[٢] ابو جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٨هـ/٩٠٤م) اصول الكافي (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٥م).

[٣] الكليني، فروع الكافي (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٥م) ويذكر اغا بزرك الطهراني ان الكافي يضم (١٦٠٠٠) حديث، منها (٥٠٧٢) صحيحاً، و (١٤٤) حسناً، و (١٧٨) موثقاً، و (٣٠٢) قوياً، و (٩٤٨٥) ضعيفاً. انظر: الذريعة الى تصانيف الشيعة، ج١٧، ص١٦٠.

الاستبصار فيما اختلف من الاخبار[١] للشيخ الطوسي[٢]

٣- تهذيب الاحكام[٣]، للشيخ الطوسي ايضاً.

وترك لنا شيخ الطائفة الطوسي كذلك:

النهاية في مجرد الفقه والفتاوي[٤].

وهو من اوائل كتب الفقه والفتاوي الاجتهادية التي صنفت من مراجع الشيعة، ويعد البذرة الاولى للكتب التي يصطلح عليها بالوقت الحاضر بـ"الرسالة العملية" ويلاحظ من عنوان الكتاب ان كلمة مجرد الفقه أي ان الفتيا اعطيت مجردة من السند الحديثي، بل اعتماداً على اصول الفقه الاجتهادي.

وقد يتبادر الى الذهن هو أهمية او علاقة هذهِ الكتب في دراستنا ؟

---

[١] ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٨م) الاستبصار فيما اختلف من الاثار (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٥م)

[٢] هو شيخ الطائفة ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، ولد سنة (٣٨٥هـ/٩٩٥م) في طوس بخراسان وقدم بغداد سنة ٤٠٨هـ/١٠١٧م وتتلمذ على يد الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ/١٠٢٢م) ومن بعده على الشريف المرتضى (ت٤٣٦هـ/١٠٤٤م) ويعد الطوسي مؤسس الدراسة العلمية الدينية في مشهد علي (النجف) التي هاجر اليها هارباً من بغداد بعد دخول السلاجقة بقيادة السلطان طغرل بك اليها واشتداد امر التضييق عليه سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م، توفي الشيخ الطوسي في النجف ودفن في داره وقبره الان ظاهر ويزار. للمزيد انظر: ابو العباس احمد بن علي النجاشي الاسدي الكوفي (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م) رجال النجاشي، تحقيق: محمد جواد النائيني (بيروت: دار الاضواء، ١٩٨٨م) ج٢، ص٢٩٠؛ وانظر حسن عيسى الحكيم، الشيخ الطوسي (النجف: مطبعة الاداب، ١٩٧٥م) صص: ٦٣-١٠٦.

[٣] ونشر في (بيروت: مؤسسة الاعلني للمطبوعات، ٢٠٠٥م).

[٤] انظر: شيخ الطائفة ابو جعفر الطوسي، النهاية في مجرد الفقه والفتاوي (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٧٠م). ويعد الشيخ الطوسي علامة مميزة في مذهب الامامية الاثني عشرية لما صنفه من كتب تتناول الحديث، والفقه والفقه المقارن، وعلم الرجال، وفهرست (بيلوغرافيا) لتصانيف الشيعة، وعلم الكلام، وعلم الاصول والادعية والعبادات. للمزيد انظر: حسن عيسى الحكيم، الشيخ الطوسي، صص: ٣١٧-٤٨٥.

الجواب يمكن تلخيصه بأن الروايات التي تضمنتها هذهِ الكتب هي التي أعطت المشروعية لدى الشيعة الإمامية الأثني عشرية في احتفالات عاشوراء والغدير وبقية المناسبات التي يحتفل بها الشيعة الإمامية الأثني عشرية والتي من خلالها بقيت جذوة الانشداد الى المعصومين الاربعة عشر متقدة ومتواصلة. ومما لاشك فيه ان مجمل هذهِ الاحتفالات هي التي تستفز مخالفي الشيعة عموماً، وبسببها كانت تجري كل التجاذبات المذهبية تجاه الشيعة الامامية.

ولدينا كتب الاحتجاجات والمناظرات التي برع فيها عدد من مرتادو هذا الفن من العلماء، هم من الفريقين الامامي ومخالفيهم، وتاتي أهمية هذهِ الكتب في بحثنا، لتؤكد وبشكل صريح ان مجمل التجاذبات التي جرت ببغداد وميدانها في الغالب الكرخ وفي مناسبات معروفة كان لها وبخط متوازٍ تجاذب علمي ساحاته الورق والكراسات والحجة الفكرية مقابل الحجة.

فمن بين كتب الشيعة الامامية الاثني عشرية في المناظرات والمحاججات لدينا:

-**كتاب الشافي في الإمامة**[1] ، للشريف المرتضى[2]

---

[1] الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي (ت٤٣٦هـ/١٠٤٤م) الشافي في الامامة، تحقيق: عبد الزهراء الحسيني الخطيب، ط٢ (٢مـ، ٤ج، طهران: مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، ١٩٨٦م).

[2] علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن ابراهيم بن موسى بن جعفر الصادق ابو الحسن، الملقب بالمرتضى، ذو المجدين المولود سنة (٣٥٠هـ/٩٦١م) هو أسن من اخيه الشريف الرضي، وليَّ نقابة الطالبيين بعد وفاة ابيه سنة ٤٠٢هـ/١٠١١م، ووليَّ امارة الحج، كان "عالماً"، فاضلاً، شاعراً، عاقلاً، جواداً ممدحاً، وله من المصنفات الكثير". للمزيد انظر ترجمته في: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، صص: ٢٩٤-٣٠٠؛ ياقوت بن عبد الله الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) معجم الادباء (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٠) مـ٧، ج١٣، صص: ١٤٦-١٥٧؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٨، صص: ٤٥٦-٤٥٨؛ ابو عبد الله شمس الدين احمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) ميزان الاعتدال في نقد=

والكتاب هو في الواقع يمثل رد الامامية الاثني عشرية لما صنفه القاضي المعتزلي عبد الجبار الهمداني[1] (ت٤١٥هـ/١٠٢٤م) في كتابه الموسوم بـ"المغني"

=الرجال، تحقيق: علي محمد معوض وآخرين، ط٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م)، مـ٥، ص١٥٢.

[1] هو القاضي المعتزلي عبد الجبار بن احمد بن عبد الجبار بن احمد بن الخليل بن عبد الله الاسدابادي، ابو الحسن، المعروف بالهمداني، كان "ينتحل" مذهب الشافعي في الاصول، ومذاهب المعتزلة في الفروع، وله مصنفات في ذلك، ورد بغداد حاجاً، وحدث بها. انظر ترجمته في : ابو بكر احمد بن علي، الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ/١٠٧١م) تاريخ بغداد او مدينة السلام، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط٢ (بيروت: دار الكتاب العلمية، ٢٠٠٤م) مـ١١، صص: ١١٤-١١٦؛ ابو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني (ت٥٦٢هـ/١١٦٣م) الانساب، وضع حواشيه: محمد عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م) مـ١، ص١٤١؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد (الكويت: دائرة المطبوعات والنشر، ١٩٦٠)، ج٣، ص١٢١؛ تاج الدين ابو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م) طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: مصطفى غبد القادر عطا ، ط٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٢م) ج٣، ص١١٦؛ شهاب الدين ابي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) لسان الميزان (بيروت: دار الفكر، د.ت) مـ٣، ص٤٧٢؛ احمد بن يحيى المرتضى، باب ذكر المعتزلة وطبقاتهم، تحقيق: توماس ارنلد (بيروت: دار الوراق، ٢٠٠٨م) ص١٠٩ وما بعدها.

في ابواب التوحيد والعدل[١] وكان الجزء العشرون خاصاً بالإمامة وهو الجزء الذي حفز ودفع الشريف المرتضى الى تصنيف كتاب الشافي في الإمامة[٢] .

وكذلك لدينا:

-**الاحتجاج**[٣] لأبي منصور الطبرسي[٤] ، والذي يعد احد أهم كتب الشيعة التي تورد احتجاجات الإمامية تجاه مخالفيهم المسلمين من أهل السنة، والى جواز مجادلتهم، وتكمن أهمية مصنف الاحتجاج في احياء تلكم الإحتجاجات لدى الإمامية وابقاءها حية في نفوس اتباع المذهب الإمامي الاثني عشري، وهذا واضح من كلام مصنف الكتاب في تبرير تصنيفه للمصنف[٥].

---

[١] انظر: القاضي ابو الحسن عبد الجبار احمد عبد الجبار الهمداني (ت٤١٥هـ/١٠٢٤م) المغني في ابواب التوحيد والعدل، تحقيق: عبد الحليم محمود وآخرون، مراجعة : ابراهيم مدكور (٢٠ج، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت).

وكان الاعتقاد السائد ان كتاب المغني قد فقد، حتى عثر عليه الدكتور خليل نامي، والاستاذ فؤاد سيد، ونشرته وزارة الثقافة في مصر في عشرين مجلداً، وحققه جملة من الاساتذة المصريين وبأشراف الدكتور طه حسين. انظر: الشريف المرتضى، الشافي في الامامة، مـ١، ج١، مقدمة التحقيق بقلم عبد الزهراء الحسيني، ص١٢.

[٢] ذكره صاحب الذريعة بعنوان " الشافي في الامامة وابطال حجج العامة". انظر: اغا بزرك الطهراني، الذريعة الى تصانيف الشيعة، ج١٣، ص٦.

[٣] ابو منصور احمد بن علي بن ابي طالب الطبرسي (من علماء القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) الاحتجاج، تعليق: محمد باقر الموسوي بحر العلوم، ط٣ (١مـ، ٢ج، بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٠م)؛ واغا بزرك يذكره في الذريعة بـ"الاحتجاج على اهل اللجاج" انظر: الطهراني، الذريعة، ج١، ص١٧٨.

[٤] احمد بن علي بن ابي طالب الطبرسي، من فقهاء، ومحدثي، ومتكلمي ونسابة الامامية، عاش في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي ولا تذكر سنة وفاته على التدقيق والتحقيق. للمزيد انظر: محسن الامين، اعيان الشيعة (بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ١٩٩٨م) مـ٤، صص: ٣٢٩-٣٣١؛ محمد باقر الخونساري، روضات الجنات في احوال العلماء والسادات (بيروت: دار احياء التراث العربي، ٢٠١٠م) ج١، صص: ٦٤-٦٦.

[٥] انظر: الطبرسي، الاحتجاج، ج١، ص١٣.

أما اهمية هذهِ المصنفات في تطوير فصول الأُطروحة فهي كبيرة لأنها تضعنا في اجواء التجاذب المذهبي ومحفزاته لاتباع مذهب الإمامية الأثني عشرية حتى يطمأنوا الى شرعية ممارساتهم المذهبية في عاشوراء ويوم الغدير، وغيرها من مراسم الاحتفالات لديهم.

ولا نغفل من كتب الامامية الاثني عشرية التي صنفت ابان الفترة قيد البحث.

كتب الادعية والزيارات التي صنفت بشكل وعدد ملفت للنظر، وهي كتب ومصنفات تتناول آداب وادبيات وشعائر زيارة مراقد واضرحة او مقامات الرسول محمد (ص) وبنته فاطمة الزهراء والائمة الاثني عشر، للترغيب في الاجر والثواب المرجوين في هذهِ الزيارات، ولترسيخ مفاهيم التوسل بهم لنيل الشفاعة المرجوة في قضاء الحوائج الدنيوية والاخروية، وهذا ما ينكره عليهم غالب مخالفيهم من الشيوخ ومن الخلفاء العباسيين، وتأثير ذلك كله في أتباع المذهب الإمامي الأثني عشري من حيث شدهم الى احياء هذهِ الشعائر خاصة بعد انقضاء زمن الغيبة الصغرى، وبدء زمن الغيبة الكبرى للامام الثاني عشر سنة (٢٦٠هـ/٨٧٤م) التي يعتقدونها.

وكعينة اولى لهذهِ الكتب لدينا:

-**كامل الزيارات**[١] ، لابن قولويه القمي[٢]

ويعد هذا الكتاب من أقدم ما وصل الينا من هذهِ المصنفات.

---

[١] الشيخ ابو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م) كامل الزيارات (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٩م).

[٢] الشيخ المحدث ابو القاسم جعفر بن محمد بن موسى بن قولويه القمي البغدادي والملقب احياناً بالصدوق وهو لقب لاكثر من مصنف من مصنفي الشيعة. صاحب التصانيف المتعددة في الفقه الامامي، وكان من كبار مشايخ المفيد، توفي في بغداد سنة ٣٦٧ او ٣٦٨هـ/٩٧٧م. ودفن في مقابر قريش الى جوار مرقد الامامين السابع والتاسع من أئمة الشيعة الامامية الاثني عشرية ومازال ضريحه ظاهر يزار بجانب تلميذه الشيخ المفيد. للتفاصيل انظر: ابو العباس احمد بن علي النجاشي الكوفي الاسدي، رجال النجاشي، ج١، ص٣٠٥ وما بعدها؛ الخونساري، روضات الخبات، ج٢، ص١٧٢ وما بعدها.

-**مصباح المتهجد**[١] للطوسي[٢].

والكتاب فضلاً عن كونه احد الأدبيات المعتمدة للشيعة الإمامية الأثني عشرية التي تحوي أدعية وأوراد وزيارات لأهل البيت، فهي بالوقت نفسه نجد ذكر للعن "الاول والثاني والثالث والرابع، ويزيد بن معاوية خامساً" ويلاحظ هنا التنويه بالتلميح لا التصريح بالأسماء للأربعة، وهذا ما تنكره بقية الفرق من أهل السنة، وتعده سباً للصحابة تمارسه الشيعة الإمامية الأثني عشرية في طقوسهم بما يؤدي الى المزيد من التجاذب والجدل المذهبي[٣].

-**اقبال الأعمال**[٤]، لابن طاووس[٥]

---

[١] ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م) مصباح المتهجد، صححه: حسين الاعلمي، ط٢ (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٤م).

[٢] تقدمت ترجمته.

[٣] ورد ذلك في زيارة الحسين بن علي بن ابي طالب في يوم عاشوراء. انظر: الطوسي، مصباح المتجهد، ص٥٥.

ولا يخفى ان الاول، والثاني، والثالث، والرابع هم: ابي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، ومعاوية بن ابي سفيان.

[٤] رضي الدين ابو القاسم علي بن موسى بن طاووس الحسني الحسيني (ت٦٦٤هـ/١٢٦٦م) اقبال الاعمال، قدم له وعلق عليه حسين الاعلمي (بيروت: مؤسسة الاعلني للمطبوعات، ١٩٩٦م). ولابن طاووس كتاب اخر في نفس المضمون. انظر: ابن طاووس، مهج الدعوات ومنهج العبادات (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٩٩٤م).

[٥] رضي الدين ابو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسني الحسيني. ولد سنة (٥٨٩هـ/١١٩٣م). مرجع الشيعة في زمانه، "تولى نقابة العلويين من قبل هولاكو" الايلخان المغولي بعد غزوه لبغداد ٦٥٦هـ/١٢٥٨م. وابن طاووس هو الذي افتى لهولاكو بأن الحاكم الكافر العادل افضل من الحاكم المسلم الظالم والمراد به واقعاً الخليفة العباسي الاخير المستعصم بالله (٦٤٠-٦٥٦هـ/١٢٤٢-١٢٥٨م) توفي سنة ٦٦٤هـ/١٢٦٦م ودفن بقبر كان قد اعده لنفسه قرب ضريح الامام علي بالنجف. للمزيد انظر: مجهول، كتاب الحوادث، (مؤلف من القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي) (بيروت: دار الغرب الاسلامي، ١٩٩٧م) ص٣٨٨؛ الخونساري، روضات الجنات، ج٤، صص: ٣٢٥-٣٣٩؛ عباس القمي=

ويلاحظ أن كتب الأدعية والزيارات والأوراد هذهِ تزداد مادتها حقبة بعد أُخرى وزمن بعد زمن[١].

وفضلاً عما تقدم:

فإن مصنفي الشيعة كتبوا، خاصة ابان الفترة قيد البحث، كتباً في المناقب والكرامات بل وحتى المعجزات للرسول الاكرم (ص) وابنته الزهراء، والائمة الاثني عشر، ولا يخفى اثر هذهِ المصنفات في أَتباع المذهب وفي تأكيد القداسة التي احيطت بأئمتهم.

وهذه المصنفات على نحو من:

-**الثاقب في المناقب**[٢] لأبن حمزة[٣].

الذي يروي من المناقب التي هي اشبه ما تكون بمعجزات للرسول محمد (ص) وللأنبياء ولفاطمة الزهراء بنت محمد والائمة الاثني عشر.

وعلى نحو من :

-**الخرائج والجرائح**[٤] للراوندي[٥].

=(ت١٣٥٩هـ/١٩٤٠م)، الكنى والالقاب، (قم: مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤٢٩هـ) ج١، صص: ٣٩٢-٣٩٦.

[١] في العصر الحديث جمعت محتوى هذهِ الكتب بكتاب ضخم مشهور. انظر: عباس القمي، مفاتيح الجنان (الكويت: مكتبة الالفين، ١٩٨٧م).

[٢] عماد الدين ابو جعفر محمد بن علي الطوسي المعروف بابن حمزة (من اعلام القرن السادس الهجري/الحادي عشر الميلادي) الثاقب في المناقب، تحقيق: نبيل رضا علوان، ط٤ (قم: مؤسسة انصاريان، ٢٠٠٧م).

[٣] انظر ترجمته في: عباس القمي، الكنى والالقاب، ج١، ص٣١٧.

[٤] قطب الدين ابو الحسين سعيد بن عبد الله الراوندي (ت٥٧٣ه/١١٧٧م)، الخرائج والجرائح، ط٢ (٣ج، بيروت: مؤسسة النور، ١٩٩١م).

[٥] وهو سعيد بن عبد الله بن الحسين بن هبة الله بن الحسن، المشهور بقطب الدين الراوندي: شاعر، متكلم، مفسر، محدث. انظر ترجمته في: ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج٣،=

واسم الكتاب كما يشير المؤلف هو: "الخرائج والجرائح، لأن معجزاتهم التي خرجت على ايديهم مصححةَ لدعاويهم، لانها تكسب المدعي ومن ظهرت على يده صدق قوله"[1]

اما ما يخص تفاسير القرآن الكريم لدى الشيعة الإمامية الأثني عشرية فلدينا: -**مجمع البيان في تفسير القرآن**[2]، لابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي[3]، ويعتقد ان معظم تفاسير القرآن لدى الشيعة الإمامية هي مستمدة بشكل او بآخر من التفسير المنسوب للامام الحسن العسكري[4] الإمام الحادي عشر من أئمة الشيعة الإمامية الأثني عشرية، او الى ما اشتهر بـ تفسير القمي[5].

=ص٥٩؛ عبد الحسين احمد الاميني النجفي، الغدير في الكتاب والسنة والادب، ط٣ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٧٧م)، ج٥، ص٣٨٠.

[1] انظر: الخرائج والجرائح، ج١، ص١٩.

[2] ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ/١١٥٦م)، مجمع البيان في تفسير القرآن، ط٢ (١٠ج+فهارس، بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٥م). وذكره صاحب الذريعة بعنوان "مجمع البيان في علوم القرآن" انظر: اغابزرك، ج٢٠، ص٢٥.

[3] الشيخ ابو علي الفضل بن الحسن ابن الفضل الطبرسي (ت٥٤٨هـ/١١٥٦م) احد كبار علماء الامامية ومصنفي كتبهم في القرن السادس الهجري. وتفسيره للقرآن الكريم جاء وفاءً لنذر نذره، تتلمذ عليه وروى عنه عدد من علماء ومؤلفي الشيعة الامامية الاثني عشرية امثال القطب الراوندي وابن شهر آشوب. للمزيد انظر ترجمته في: محسن الامين، اعيان الشيعة، مـ١٣، صص: ٦٤-٦٨؛ الخونساري، روضات الجنان، ج٥، صص: ٣٥٧-٣٦٥.

[4] انظر: التفسير المنسوب للامام الحسن العسكري، تحقيق: محمد الصالحي الانديمتكي (قم: منشورات ذوي القربى، ١٣٨٨ هـ ش). والتفسير ونسبته مختلف فيه من قبل كثير من رجالات الشيعة من المتقدمين والمتأخرين. انظر مقدمة التحقيق للصالحي للتفسير المذكور، صص: ٧-٣١.

[5] انظر: ابو الحسن علي بن ابراهيم القمي (من اعلام القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي) تفسير القمي (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠١٤م).

٢-كتب الفرق الاسلامية[١]

ومن أشهرها:

-الفرق بين الفرق[٢]

لعبد القاهر البغدادي، وهو أَشعري من علماء النصف الاول من القرن الخامس الهجري / الثاني عشر الميلادي، الذي عاش ايام الخليفة العباسي القادر بالله وسنين من خلافة ابنه الخليفة القائم بأمر الله.

والكتاب في مجمله يبين "ظلالة" بقية الفرق التي لا ينتمي اليها مصنف الكتاب من المعتزلة والامامية والمجسمة، فيما افرد الباب الخامس كاملاً في تبيان ان فرقته (أهل السنة والجماعة) هم "الفرقة الناجية"[٣].

ومما تجدر ملاحظته ان مصنف الكتاب "البغدادي" لا يصرح بمن "سأله" عن الفرقة الناجية هذهِ، لكننا نخمن ان الكتاب صنف إبان النصف الثاني من سنين تولي

---

[١] ربما عُدَّ رواج تصنيف كتب الفرق الاسلامية الى الترويج لمذهب مصنفيها بأن الفرقة الناجية هي فرقة المصنف نفسه، وذلك استناداً الى الحديث المشهور "لتفترقن امتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة واثنتان وسبعون في النار، قيل لرسول الله فمن هي الفرقة الناجية، قال: هي التي انا عليها واصحابي". انظر: ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م) سنن ابن ماجه، تحقيق: احمد شمس الدين، ط٤ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٣م) الحديث ٣٩٩٢؛ وبنفس المعنى انظر: ابو داود سليمان بن الاشعث السجستاني الازدي (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م) سنن ابي داود (بيروت: دار ابن حزم، ١٩٩٧م)، ج٥، الحديث ٤٥٩٧؛ ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت٢٩٧هـ/٩١٠م) سنن الترمذي (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٤م) الحديث ٢٦٤١.

[٢] ابو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م) تحقيق: محمد محي عبد الحميد (القاهرة: دار الطلائع، ٢٠٠٥م).

[٣] يذكر البغدادي: "سألتم، اسعدكم الله بمطلوبكم: شرح معنى الخبر المأثور عن النبي (ص) في افتراق الامة ثلاثاً وسبعين فرقة، واحدة منها ناجية". الى ان يقول : "فأردت اسعافكم بمطلوبكم". انظر: الفرق بين الفرق، ص١١. وعن البغدادي انظر: تاج الدين نصر عبد الوهاب بن علي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٣، صص: ١٤٢-١٤٨؛ وانظر:
A. S. Tritton, "Al-Baghdadi", EI2, Vol.I, 909.

الخليفة العباسي القادر بالله (٣٨١-٤٢٢هـ/٩٩١-١٠٣٢م) الحنبلي الهوى وصاحب الاعتقاد الذي عرف بأسمه وهو "الاعتقاد القادري"[١] والذي تم من خلاله الاعلان عن تمذهب الدولة العباسية سياسياً بموجب تبني اصول المذهب الحنبلي وتحريم الفرق الكلامية من معتزلة وشيعة واشاعرة حيث استتاب الخليفة القادر بالله من سمو بـ"المبتدعة" سنة ٤٠٤هـ/١٠١٧م، وتكرر الامر قبل وفاته بـ"تفضيل مذهب أهل السنة" في سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م[٢].

ولدينا ايضاً:

-**التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين**[٣] لابي المظفر الاسفراييني.

وهو في محتواه لا يختلف كثيراً عن كتاب عبد القاهر البغدادي، فالبغدادي استاذه وصهره[٤].

واشهر ما تم تصنيفه من الكتب في هذا المحتوى في الفترة قيد البحث لدينا:

-**كتاب الملل والنحل**[٥]، لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني. الذي على الرغم مما امتاز به الكتاب من امتاع وتفصيل، فإن فيه ما يدّعيه على الشيعة الامامية الاثني عشرية بالتقول عليهم، على الرغم ما ينفيه الشيعة عن انفسهم[٦].

---

[١] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص١٢٥.

[٢] المصدر نفسه، ج١٥، ص١٩٧.

[٣] شاهفور بن طاهر بن محمد الشافعي، ابو المظفر الاسفراييني (ت٤٧١هـ/١٠٧٨م) التبصير في الدين، وتمييز الفرق الناجية عن الهالكين، ط٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م).

[٤] انظر ترجمته في: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٣، ص٦٠.

[٥] محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر احمد الشهرستاني (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م) الملل والنحل، ط٢ (٢ج، بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٥م).

[٦] مثال على ذلك ما اورده عن الامامية الاثني عشرية انهم يدّعون للامام الثاني عشر "احكاماً الهية". انظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج٢، ص١٧٢.

٣-كتب التواريخ العامة والمحلية:

تعد كتب التواريخ العامة والمحلية بمثابة العمود الفقري لفصول الدراسة، وهي كثيرة بطبيعة الحال وتتضمن الاخبار والتراجم وبصورة حولية كرونولوجية، فضلاً عن بعض الوثائق المتخصصة باهل المذاهب.

ويأتي على رأس الكتب التي عولنا عليها للتجاذبات المذهبية هو مصنف عبد الرحمن بن الجوزي، المسمى بـ"المنتظم في تاريخ الملوك والامم"[١] لابي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي[٢].

---

[١] اعتمدنا الطبعة الكاملة وهي: ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، ط٢ (١٨ج+فهارس، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥). وكان الكتاب قد طبع بصورة غير كاملة في حيدر آباد الدكن. انظر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والامم (الاجزاء: ٥-١٠، حيدر آباد الدكن: مطبعة دائرة المعارف الاسلامية، ١٣٥٨هـ).

[٢] هو ابو الفرج جمال الدين بن الجوزي التيمي البكري البغدادي الحنبلي الواعظ، ينتهي نسبه الى محمد بن ابي بكر الصديق، صاحب التصانيف الكثيرة، ولد بحدود سنة ٥١٠هـ/١١١٦م في واسط، توفي ابوه وعمره ثلاث سنين، وكان اهله تجاراً في النحاس، ولقب الجوزي فيما يقال نسبةً الى مشرعة الجوز، او نسبة الى فرضة من فرض البصرة يقال لها جوزة، او الجوزة في دار جده بواسط. صنف في فنون كثيرة من علم وتفسير وحديث وفقه، وتاريخ وحديث واشتهر بمجالس الوعظ التي كان يعقدها في بغداد، حبس لنحو من خمس سنوات في اواخر ايامه في واسط ابان خلافة الخليفة الناصر لدين الله واطلق سراحه قبيل وفاته بعامين، توفي في (٥٩٧هـ/١٢٠٠م) للمزيد انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، ج٢٢، صص: ٩٣-١١٨؛ ابو العباس احمد بن محمد بن ابراهيم ابن خلكان (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) وفيات الاعيان وابناء ابناء الزمان، تحقيق: يوسف علي طويل ومريم قاسم طويل (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م) ج٣، صص: ١١٦-١١٩؛ شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) سير اعلام النبلاء، ج١٤، صص: ٣٨٣-٣٩٣؛ ابو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م) البداية والنهاية، تحقيق: عبد الحميد هنداوي (بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٥م) مـ٨، صص:٥٧٧-٥٧٩؛ زين الدين ابي الفرج عبد=

والمنتظم واحد من اهم كتب التواريخ التي صنفها ابن الجوزي وينتهي تاريخه الى العام ٥٧٤هـ/١١٧٨م[١] أي عند اواخر سنوات خلافة المستضيء بالله. ولا يخفى ان ابن الجوزي يظهر تحيزه للحنابلة خاصة في تعليقاته على مجمل التجاذبات المذهبية التي كانت تحصل للحنابلة البغداديين مع الشيعة الامامية الاثني عشرية، وربما كان ذلك احد الاسباب الظاهرية في سجنه ابان خلافة الناصر لدين الله[٢]. كما ان ابن الجوزي لم يخفِ في كتاباته الاخرى عن الامامية الذين ينبزهم بالرافضة وينسبهم الى الحمق[٣] وانه ملبس عليهم من ابليس[٤].

وثمة ملاحظة جديرة بالاهتمام وهي: ان صاحب الذيل على طبقات الحنابلة ابن رجب الحنبلي يورد كلاماً عن ابن الجوزي في "كثرة اغلاطه في تصانيفه" وينقل عن ابن الجوزي نفسه انه برر ذلك بقوله: "انا مرتب ولست بمصنف"[٥]. ويبدو ان

=الرحمن ابن شهاب الدين احمد بن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ/١٣٩٣م) الذيل على طبقات الحنابلة، تحقيق: ابو حازم اسامة بن حسن وابو الزهراء حازم علي بهجت (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م) ج١، صص: ٣٣٦-٣٦٣؛

H. Laoust, "Ibn Al-Djawzi", EI2, Vol.III, 751.

[١] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص٢٥٤؛ ووثق سبط ابن الجوزي ذلك في حوادث سنة ٥٧٤هـ/١١٧٨م بقوله "انتهى تاريخ جدي المسمى بالمنتظم في هذهِ السنة، وله تاريخ صغير سماه ((درة الاكليل)) ذيل فيه على هذهِ السنة الى ان حمل الى واسط سنة تسعين وخمسمائة". انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، ص٢٦١.

[٢] كان السبب الظاهر والمعلن لسجنه بقول حفيد سبط ابن الجوزي انه "ناصبي" المعتقد. انظر: مرآة الزمان، ج٢٢، ص٣١.

[٣] انظر: ابن الجوزي، اخبار الحمقى والمغفلين (بغداد: دار المدى، ٢٠٠٧م)، ص٦٠.

[٤] ابن الجوزي، تلبيس ابليس، تحقيق: محمد بن الحسن اسماعيل وسعد عبد الحميد السعدني، ط٣ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦م) صص: ١١٨-١٢٢.

[٥] انظر: الذيل على طبقات الحنابلة، ج١، ص٣٤٨.

هذا الكلام كان بسبب كثرة ما صنفه ابن الجوزي التي احصاها باحث محدث فكانت (٥١٩) كتاباً[١].

ويمكننا متابعة رأي باحث محدث وهو السوري شاكر مصطفى: "ان ابن الجوزي في كتابه المنتظم يبدو بغدادياً عراقياً، لا اسلامياً عالمياً"[٢] ذلك انه عني باحوال الخلافة العباسية في بغداد ووفيات اعيانها اكثر من ان يهتم بالاقاليم التي ترتبط بدولة الخلافة، ولكونه حنبلياً أهتم بايراد اخبار الحنابلة عموماً سواء كانوا بغداديين وعراقيين او غيرهم على نحو ما ذكره عن الحنبلي الصوفي ابو عبد الله الانصاري الهروي (ت٤٨١هـ/١٠٨٧م) ثم انه لا يخفي وجهة نظره المتحيزة تجاه الحنابلة ومدحهم[٣].

ونستطيع القول ان تاريخه عموماً يركز جهوده فيه على تاريخ بغداد بالذات ذاكراً حوادث كل سنة ووفيات الرجال فيها وهم بدورهم بغداديون في الاغلب. امر آخر جدير بالملاحظة وهو ان ابن الجوزي في تاريخه المنتظم في تاريخ الملوك والامم يحرص بشكل ملفت على ذكر التجاذبات المذهبية التي تحصل في بغداد ولذلك فأن تاريخه هذا يعد من اهم التواريخ التي اعتمدناها في دراستنا.

ثم لدينا كتاب:

---

[١] انظر: عبد الحميد العلوجي، مؤلفات ابن الجوزي (بغداد: دار الجمهورية للطباعة والنشر، ١٩٦٥م)، ص٢٠٣.

[٢] في: التاريخ العربي والمؤرخون، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م) ج٢، ص١٠٨.

[٣] يذكر ابن الجوزي مثوى الوفيات، ونلاحظ ان من يدفن بمقبرة باب حرب وحيث يرقد احمد بن حنبل، وهم حنابلة يصفهم بالصلاح او الثقة، وحسن الاعتقاد. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٨، وص٥٩، وص١٠٤، وص ١١٥...الخ.

-**الكامل في التاريخ**[1]، لعز الدين بن الاثير (٥٥٥-٦٣٠هـ/١١٦٠-١٢٣٣م)[2]

والكامل في التاريخ ، كتاب حولي في التاريخ العام، وفلسفة التاريخ، ويعد الكتاب مستوعباً لعموم التاريخ الاسلامي شرقاً وغرباً، كما وانه "افرد عناوين للاحداث التاريخية، فضلاً عن تفاصيل مهمة عن الموضوع الواحد، خاصة "بشأن الجماعات السياسية-العسكرية المختلفة وابتداء امرهم مثل السلاجقة، والصليبيين، الايوبيين واسيادهم الزنكيين وغيرهم".

---

[1] اعتمدنا: عز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) الكامل في التاريخ، تحقيق: خليل مأمون شيحا، ط٢ (٩ج، بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٧م).

[2] كان عز الدين اوسط اخوة ثلاثة هم: مجد الدين ابو السعادات المبارك بن محمد (٥٤٤-٦٠٦هـ/١١٤٩-١٢١٠م) الذي كرس حياته لدراسة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف؛ والثاني عز الدين ابو الحسن علي بن محمد وهو صاحب الكتاب "الكامل في التاريخ" وثالثهم الاخ الاصغر هو الوزير ضياء الدين ابو الفتح نصر الله (٥٥٨-٦٣٧هـ/١١٦٣-١٢٣٩م) صاحب كتاب: المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر. والثلاثة ينسبون لبيت اثير الدين احدى العوائل الفكرية المهمة في جزيرة ابن عمر، وعز الدين علي بن الاثير، ولد في جزيرة ابن عمر، ولذلك كان من القابه الجزري، ونشأ بها، ثم سار مع اخويه وابيه الى الموصل ايام الزنكيين، وتتلمذ بها، وارتحل الى الشام والقدس ثم عاد للموصل وانقطع للتصنيف. ويقول عنه ابن خلكان: كان بيته مجمعاً للفضلاء، وترجم له السبكي في طبقات الشافعية الكبرى، ويبدو ان يسر الحالة المادية للمؤرخ ابن الاثير جعلته بمنأى عن الوظائف الحكومية. للمزيد عن ابن الاثير انظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٣، صص: ٣٠٤-٣٠٦؛ الذهبي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) العبر في خبر من غبر، ج٥، ص١٢٠؛ تاج الدين ابي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٤، ص٤١١؛ محمد بن شنب، مقال ابن الاثير في "دائرة المعارف الاسلامية"، ترجمة: محمد ثابت الفندي وآخرون، ج١، صص: ٨٢-٨٤؛ رينولد ا. نيكلسون، تاريخ الادب العباسي، ترجمة وتحقيق: صفاء خلوصي (بغداد: المكتبة الاهلية، د.ت) ص١٥١ وما بعدها؛ كذلك :
F. Rosenthal, "Ibn Al-Athir", EI2, Vol.III, 723.

وكون ابن الاثير شافعياً فإننا لا نجد ذاك التحيز الذي نلمسه في كتابات ابن الجوزي في المنتظم للحنابلة في تجاذباتهم تجاه الشيعة الامامية الاثني عشرية، ونراه اكثر موضوعية في تغطية لتلك التجاذبات وربما لا يوليها ذلك الاهتمام الذي يوليه ابن الجوزي.

فيما يعد الكامل في التاريخ واحد من أهم كتب التاريخ العام لدراستنا، حيث توقف ابن الجوزي في المنتظم بسنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م فيما يستمر ابن الاثير بتاريخه لسنتين قبيل وفاته سنة (٦٣٠هـ/١٢٣٣م) أي السنة (٦٢٨هـ) [١].

ولنا أن نتبين ابن الأثير في حسه التاريخي الملهم باستراشفه لما تأول اليه الاحداث حينما يكتب عن التتار المغول وظهورهم وما اسماه بـ"نعي الاسلام والمسلمين"[٢] مع ان وفاته قد وقعت قبل أكثر من ربع قرن حينما اجتاح هولاكو بغداد، وصفّي البيت العباسي في صفر ٦٥٦هـ/١٢٥٨م.

اما ما يخص المصادر التي اعتمدها ابن الاثير في الكامل فإنه وللأسف لم يصرح بها سوى إشارات عامة في مقدمته[٣].

وفي هذا المحتوى لدينا كتاب:

---

[١] يذكر حاجي خليفة في كشف الظنون ان ابن الاثير انتهى بتاريخه الى سنة ٦٢٩هـ/١٢٣٢م. فيما لم نجد من المطبوع من الكتاب شيئاً بعد سنة ٦٢٨هـ/١٢٣١م.

انظر: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي الشهير بملا كاتب الجلبي والمعروف بحاجي خليفة (ت١٠٦٧هـ/١٦٥٦م) كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون (بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٧م) ج٢، ص٣٣٤.

[٢] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٦٨٠.

[٣] اجمل شاكر مصطفى (٣٢) مصدراً اعتمدها ابن الاثير في الكامل انظر: مصنفه: التاريخ والمؤرخون، ج٢، ص١١٣. وكذلك انظر: رضا رضا زاده لنكرودي في مقاله: ابن الاثير في دائرة المعارف الاسلامية الكبرى، اشراف كاظم الموسوي البجنوردي (طهران: مركز دائرة المعارف الاسلامية الكبرى، ١٩٩٥م) مـ٢، صص: ٣٥٧-٣٥٨.

-**مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**[1] لابي المظفر شمس الدين يوسف بن قزاوغلي بن عبد الله المعروف بسبط ابن الجوزي[2]

---

[1] طبع الجزء الثامن / القسم الثاني من الكتاب في حيدر آباد الدكن سنة ١٩٥٢م انظر: شمس الدين ابي المظفر يوسف بن قزاوغلي التركي الشهير بسبط ابن الجوزي (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م) مرآة الزمان في تاريخ الاعيان (حيدر آباد الدكن: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٩٥٢م. وهو يتناول وقائع السنين ما بين ٥٩٠-٦٥٤هـ/١١٩٤-١٢٥٦م. فيما طبع الجزء المتعلق بوقائع السنين ما بين ٤٤٨-٤٨٠هـ/١٠٥٦-١٠٨٧م سنة ١٩٦٨م. انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، عني بنشره: علي سويم (انقرة: مطبعة الجمعية التركية، ١٩٦٨م). وطبع الجزء المتعلق بوقائع السنين ٣٤٥-٤٤٧هـ/٩٥٦-١٠٥٥م في بغداد سنة ١٩٩٠م. انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، تحقيق: جنان محمد الهماوندي (بغداد: الدار الوطنية، ١٩٩٠م). فيما تم مؤخراً طبع الاجزاء كلها مع الفهارس بتحقيق عدد من الباحثين وهي الطبعة التي اعتمدناها انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، تحقيق: محمد بركات، كامل الخراط، عمار ريحاوي وآخرين (٢٣ج، بيروت: الرسالة العالمية، ٢٠١٣م).

[2] يوسف ابن الامير حسام الدين قزاوغلي (ومعناها ابن البنت) بن عبد الله التركي العوني الهبيري-البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي ثم الحنفي سبط المؤرخ الفقيه الواعظ البغدادي ابن الجوزي، كان والده من مماليك يحيى بن هبيرة الوزير، وامه رابعة احدى بنات ابن الجوزي، ولد سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م ببغداد، نشأ ببيت علم وفضل، اولاه جده لامه رعاية خاصة، وبذلك يمكن القول بأنه نشأ حنبلي المذهب. بعيد وفاة جده توجه في رحلة نحو الشام واخذ من شيوخ الموصل وحران ودمشق، حتى لقب بواعظ الشام اتصل بالسلطان الملك الكامل الايوبي باتابكية الشام والمعظم عيسى نائب السلطنة الايوبية والاشرف موسى والصالح اسماعيل من الملوك الايوبيين، مارس التدريس في مدارس دمشق، وكان ممن يحرض ويخرج مؤازراً لجهاد الصليبيين. توفي في دمشق سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦ ودفن فيها. للمزيد انظر: قطب الدين ابي الفتح موسى بن محمد بن احمد اليونيني البعلبكي الحنبلي (ت٧٢٦هـ/١٣٢٦م) ذيل مرآة الزمان (حيدر آباد الدكن: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٥٤م) مـ١، صص: ٣٩-٤٣؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٥، ص٣٤٦؛ صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م) الوافي بالوفيات، تحقيق: ابو عبد الله الاسيوطي (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٠م) ج٢٢، ص٤٧٢؛ ابو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، مـ٩، ص١٣٦؛ شهاب الدين ابي الفلاح عبد الحي بن احمد بن محمد ابن العماد الحنبلي=

وكتاب مرآة الزمان مهم بالنسبة لدراستنا لامور عدة منها ان سبط ابن الجوزي في مصنفه هذا اخذ من كتب مهمة لم تصلنا ابداً، ومن جملتها كتاب غرس النعمة ابو الحسن محمد بن هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابي متولي ديوان الانشاء في خلافة القائم بأمر الله (٤٢٢-٤٦٧هـ/١٠٣١-١٠٧٥م) والذي اتم به تاريخ ابيه "وزعم ان تاريخ اباه انتهى بسنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م"[(١)].

من ناحية ثانية، فإن سبط ابن الجوزي يعد مؤرخاً معاصراً للسنين الأخيرة من عمر الدولة العباسية وقد غطى تاريخياً لحقبة مهمة من تاريخ الايوبيين في الشام خاصة من سنة ٦٢٨هـ/١٢٣١م حيث توقف ابن الأثير الجزري في تدوين تاريخه "الكامل". فضلاً عن ذلك فإنه ربما نقل عن جده "ابن الجوزي" في تاريخه

=(ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م) شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م) ج٥، ص٣٩٨؛ حاجي خليفة، سلم الوصول الى طبقات الفحول، اشراف وتقديم: اكمل الدين احسان اوغلي، تحقيق: محمد عبد القادر الارناؤط (اسطنبول: منظمة المؤتمر الاسلامي، ٢٠٠٩م) مـ٣، ص٤٣٥.

(١) انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، ج١٨، ص٤٩٦. ويلاحظ ان سبط ابن الجوزي يشكك ان التاريخ لهلال الصابي، وتابعه على ذلك من المحدثين بروكلمان، فيذكر ان كتاب عيون التواريخ هو عنوان الكتاب الذي كتبه غرس النعمة، واكمل به تاريخ الطبري حتى سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م. انظر: كارل بروكلمان، تاريخ الادب العربي، ترجمة: السيد يعقوب بكر، ورمضان عبد التواب، ط٢ (قم: دار الكتاب الاسلامي، ٢٠٠٨م) مـ٣، ج٦، ص٣٨. الا ان سبط ابن الجوزي يذكر في موضع آخر ان غرس النعمة في عيون التواريخ "ذيله على تاريخ ابيه هلال الصابي الذي ذيل على تاريخ ثابت بن سنان وهذا الاخير ذيل على تاريخ الطبري". انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٤١٩. مع ملاحظة ان كاتب محدث ذكر: انه لم يجد من تطرق الى ذكر كتاب غرس النعمة "بصورة نظامية، وبشكل صريح مثلما هو الحال في كتاب (مرآة الزمان) لسبط ابن الجوزي" انظر:
George Makdisi, Ibn-Aqil (Dammas: Institute Francais de Damas, 1963), 17

ومن الجدير ذكره ان "عيون التواريخ" هو عنوان كتاب تاريخ آخر لفخر الدين محمد بن شاكر الكتبي (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م) انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢، ص١٨٥.

المسمى بـ"درة الأكليل" والذي ذيَّل فيه المنتظم من سنة ٥٧٤هـ/١١٧٨م الى أيام حمله الى واسط مسجوناً سنة ٥٩٠هـ/١١٩٤م، ويلاحظ ان اهتمام سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان بعد هذا التاريخ كان منصباً بدرجة رئيسة على الوقائع والاحداث الخاصة بالبيت الايوبي للايوبيين في بلاد الشام والسلطنة الايوبية في مصر[١]، لكننا نجد شذرات للوقائع والاحداث عن حاضرة الخلافة العباسية بغداد، وربما سبب ذلك يعود الى انتقال محل اقامته من بغداد الى دمشق بعد وفاة جده ابن الجوزي سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م وبقاءه في كنف نائب السلطنة الايوبية الملك المعظم عيسى في دمشق.

والجدير ذكره ان سبط ابن الجوزي، هنالك من ينسبه الى الرفض مثل الذهبي[٢] مع انه كان حنفياً في الاصول، والسبب في ذلك هو مؤلفه المشهور عند الشيعة "تذكرة الخواص" والذي يذكر فيه سيرة الأئمة الإثني عشر لدى الشيعة الامامية الاثني عشرية[٣]. بينما لا نجد في تاريخه "مرآة الزمان" ما يوحي بانه يتشيع فضلاً عن كونه رافضياً.

وقد حظي كتاب "مرآة الزمان" ثناء ممن الف في التاريخ[٤]، فيما يرى باحث متخصص مثل شاكر مصطفى ان قيمة "مصنف سبط ابن الجوزي

---

[١] انظر: محمد حلمي محمد احمد، "بعض الملاحظات حول اعمال التاريخ العربية خلال الفترتين الزنكية والايوبية (٥٢١هـ/١١٢٧م–٦٤٨/١٢٥٠م) في برنارد لويس، مؤرخو العرب والاسلام حتى العصر الحديث، ترجمة: سهيل زكار (دمشق: دار التكوين، ٢٠٠٨م) ص١٤٥.

[٢] انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، مـ٨، ص٣٠٤. مع ملاحظة ان اليونيني الذي ذيلَّ على مرآة الزمان يعتقد ان سبط ابن الجوزي تظاهر بالانتقال الى المذهب الحنفي وانه بقي حنبلياً. انظر: اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج١، ص٤١.

[٣] انظر: سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص (بيروت: دار العلوم، ٢٠٠٤م).

[٤] من ذلك ما ذكره اليونيني بان مرآة الزمان بانه "اجمعها مقصدا واعذبها موردا واحسنها بيانا واصحها رواية" انظر: اليونيني، الذي على مرآة الزمان، ج١، ص٤؛ وما ذكره ابن كثير الدمشقي بانه: "احسن التواريخ وابهاها" انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٩، ص١٣٦؛=

متفاوتة"[١] وهذا ما هو مصداق للأخبار والروايات التي ينفرد بها سبط ابن الجوزي فيما ينقله من مصادر مفقودة حالياً.

ولدينا ايضاً:

-**الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير**[٢] لابن الساعي[٣]، والجزء التاسع من هذا التاريخ الواسع هو الذي وصلنا من بين بقية الاجزاء التي يبدو انها فقدت، وهو يتناول السنين الممتدة من ٥٩٥هـ/١١٩٩م الى سنة ٦٠٦هـ/١٢٠٩م من خلافة الناصر لدين الله . والكتاب حولي على السنين ويذكر الاحداث لكل سنة ومن ثم الوفيات وهي الطريقة المعهودة عند مؤرخي الاسلام الوسيط، فضلاً عن ذلك ان كتاب ابن الساعي كثير التفصيل بالحوادث ويعطينا تصوراً جيداً عن الحال المجتمعي في بغداد آنذاك. ومع انه لا يذكر صراحة امر التجاذب المذهبي في

=وما ذكره ابن العماد الحنبلي عن سبط ابن الجوزي بانه "لو لم يكن له غير كتاب مرآة الزمان لكفى". انظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص٣٩٨.

[١] انظر: شاكر مصطفى، التاريخ والمؤرخون العرب، ج٢، ص٢٦١.

[٢] يذكر حاجي خليفة: الجامع المختصر في عنوان "التاريخ" وعيون السير للشيخ تاج الدين علي بن انجن ابن الساعي البغدادي، في خمس وعشرون مجلد، وهو تاريخ كبير بلغ فيه آخر سنة ٦٥٦. انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص٤٥٢؛ وما بقى من هذا التاريخ هو الجزء التاسع الذي حقق وطبع. انظر: تاج الدين علي بن انجب المعروف بابن الساعي (ت٦٧٤هـ/١٢٧٥م) الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، عني بطبعه: مصطفى جواد (بغداد: المطبعة السريانية الكاثولكية، ١٩٣٤)، ج٩.

[٣] الشيخ تاج الدين علي بن انجب بن عثمان بن الرحمن ابن الساعي البغدادي خازن كتب المدرسة المستنصرية، قيل كان شافعياً وقيل حنفياً، كان اماماً حافظاً صنف من الكتب الكثير، ومنها ما نال عليه الصلات والجوائز من الخلفاء المتأخرين وكبار الامراء على كتب صنفها، توفي في بغداد سنة ٦٧٤هـ/١٢٧٥م عن اثنان وثمانون عاماً. انظر ترجمته في: الذهبي، تذكرة الحفاظ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م) ج٢، ص١٧٣؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٦، ص٤١٨؛ ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، مـ٩، ص٢٠٧؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، مـ٥، ص٤٨٨؛ حاجي خليفة، سلم الوصول الى طبقات الفحول، مـ٢، ص٣٥٣.

بغداد الا ان ما يذكره من وقائع تسفر عن نفسها[1]. ثمة أمر آخر يبين لنا كيف أن هنالك فئة من المجتمع البغدادي تفتعل الفتن حتى تتهيأ لها أمور النهب والسرقة[2].

وينسب الى ابن الساعي كتاب آخر هو :

-مختصر اخبار الخلفاء[3]

واهتمامنا بالكتاب يأتي من الاخبار التي انفرد بها عن الخليفة القائم بأمر بالله وكيف اسند نقابة "الاشراف" بالبصرة الى السيد يحيى الرفاعي، "طمعاً في ازالة فتنة الرافضة على يديه"، وهم الامامية، وكيف ان الخليفة كتب له توقيع النقابة على الطالبيين بيده، ويورد نص التفويض بالنقابة[4].

---

[1] على نحو ما يذكر من امر مقتل اربعة من صعادي النخل من اهل الكرخ بعد ان وثب عليهم جماعة من اهل باب البصرة "وقويت الفتنة ودامت اياماً فقتل من الفريقين خلق كثير". انظر : ابن الساعي، جامع المختصر، حوادث سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٦م، ص٢٠٠.

[2] انظر: ابن الساعي، الجامع المختصر، ص١٤٧.

[3] وهو: علي بن انجب ابن الساعي، مختصر تاريخ الخلفاء (مصر: المطبعة الاميرية ببولاق، ١٣٠٩هـ). والكتاب لا يمكن الركون في نسبته الى ابن الساعي، لان في الكتاب اخباراً عن السلطان المغولي خدابنده (ت٧١٧هـ/١٣١٧م) وكذلك عن ابنه السلطان المغولي ابو سعيد (ت٧٣٦هـ/١٣٣٥م) وهذا لا يستقيم لان وفاة ابن الساعي كانت سنة ٦٧٤هـ/١٢٧٥م. ونبه الى ذلك المرحوم مصطفى جواد في معرض كلامه عن مؤلفات ابن الساعي في مقدمة التحقيق للجزء التاسع من كتاب الجامع المختصر، ورجح ان يكون الكتاب مختصراً من قبل احد ممن عاش بالقرن الثامن الهجري. انظر: الجامع المختصر، مقدمة التحقيق للدكتور مصطفى جواد، ص: ف. وهنالك بحث منشور يفند كاتبه اية صلة بين الكتاب وابن الساعي. انظر: يوسف مهدي الهادي، هل من صلة بين كتاب مختصر اخبار الخلفاء وابن الساعي (المملكة العربية السعودية: مجلة العرب، العددان ١ و٢، حزيران –تموز ٢٠١٠). او انظر الرابط:
http://almothaqaf.com/index.php/derasat/73715.html.

[4] انظر: ابن الساعي، مختصر تاريخ الخلفاء، ص٩٠ و٩١.

ومن التواريخ المفيدة لبحثنا:

مختصر التاريخ من اول الزمان الى منتهى دولة بني العباس[١] للكازروني[٢]، والكتاب ذو فائدة لدراستنا من حيث ضبط اسماء الخلفاء العباسيين السبعة وثلاثين خليفة وتسلسلهم ووزرائهم وقضاتهم فضلاً عن تواريخ ميلادهم ووفياتهم وتسنمهم لدست الخلافة، فضلاً عن بعض الشذرات عن حال الدولة العباسية قبيل الاجتياح المغولي لها سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م.

ثم لدينا: -**كتاب الشيخ قطب الدين ابي الفتح اليونيني الحنبلي**[٣] **والمطبوع من ذيل مرآة الزمان**

يتناول الاحداث والوقائع التاريخية، والوفيات من سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م، هي حيث انتهى سبط ابن الجوزي الى سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩م[٤] من سنوات السلطان

---

[١] ظهير الدين علي بن محمد البغدادي المعروف بابن الكازروني (ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م) مختصر التاريخ، تحقيق: مصطفى جواد (بغداد: المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، ١٩٧٠م).

[٢] هو ظهير الدين ابو الحسن علي بن محمد بن محمود بن ابي العز احمد بن اسحق بن ابراهيم البغدادي الكازروني نسبة الى كازرون. "فارسي الاصل عربي الثقافة اسلامي المشرب"، كان مؤرخاً شاعراً له في التاريخ سبعة وعشرون مجلداً، وقيل سبعة عشر، توفي سنة ٦٩٧هـ/١٢٩٧م وله ست وثمانون عاماً. انظر ترجمته في: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٧، ص٤٢٠؛ حاجي خليفة، سلم الوصول الى طبقات الفحول، مـ٢، ص٣٩٠؛ ابن الكازروني، مختصر التاريخ، مقدمة التحقيق، صص: ٣-٢٢.

[٣] ويعرّف بانه: الشيخ قطب الدين ابي الفتح موسى بن محمد بن احمد بن قطب الدين اليونيني البعلبكي الحنبلي، ولد في دمشق سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م، اختصر "مرآة الزمان" على نحو النصف، وذيل عليه، لقب بشيخ الاسلام في بعلبك بعد وفاة اخيه الشيخ شرف الدين، توفي سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٦م في بعلبك، ودفن فيها الى جنب اخيه. للمزيد انظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٦، ص٣٥٦؛ ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، مـ٩، ص٣٩٦؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص٢٣٢.

[٤] انظر: الشيخ قطب الدين ابي الفتح موسى بن محمد بن احمد قطب الدين اليونيني البعلبكي الحنبلي (ت٧٢٦هـ/١٣٢٦م)، ذيل مرآة الزمان (٢مـ، حيدر آباد الدكن: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٩٥٤).

الايلخاني اباقاخان (ت٦٨٠هـ/١٢٨٢م) واهمية الكتاب فيما يخص دراستنا تاتي للسنين التي تلت وفاة سبط ابن الجوزي (٦٥٤هـ/١٢٥٦م) وحتى دخول المغول بغداد وانهاء الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م وقيام دولة المغول الايلخانيين في كل من ايران والعراق والاناضول.

ومن المصنفات الاخرى لدينا:

كتاب باسم "**الحوادث**" لمؤلف مجهول[١]، والذي طبع لأول مرة بعنوان "**الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة**"، ونسب الى مؤرخ العراق ابن الفوطي[٢].

وفي الوقت الذي تدارك فيه العلامة المرحوم مصطفى جواد تسمية الكتاب ونسبته وبين ان الكتاب هو غير الكتاب الضائع لابن الفوطي والموسوم بـ"الحوادث الجامعة والتجارب النافعة" وتابعه على ذلك باحثون آخرون[٣].

---

[١] بهذا العنوان طبع الكتاب مؤخراً وهو ما اعتمدناه في البحث. انظر: مجهول، الحوادث، تحقيق: بشار عواد معروف، وعماد عبد السلام رؤوف (بيروت: دار الغرب الاسلامي، ١٩٩٧م).

[٢] انظر: كمال الدين ابو الفضل عبد الرزاق بن احمد الشيباني المرزوي الاصل البغدادي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، صححه: مصطفى جواد (بغداد: مطبعة الفرات، ١٣٥١هـ).

[٣] انظر: مقدمة التحقيق التي كتبها العلامة مصطفى جواد في: ابن الفوطي، معجم الاداب في معجم الالقاب (طهران: مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي، ١٤١٦هـ) صص: ٥٥-٥٨؛ مصطفى جواد، في التراث العربي (بغداد: مطبعة الشعب، د.ت) صص: ٤١٥-٦٠٥؛ وانظر: زكية حسن ابراهيم الدليمي، المؤرخ البغدادي ابن الفوطي وكتابه تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب، "رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب-جامعة بغداد، ١٩٩٠م، صص: ٤٩-٥١؛ وانظر كذلك مقدمة التحقيق في : مجهول، كتاب الحوادث، تحقيق: بشار عواد معروف وعبد السلام رؤوف، صص: ٥-١٠.

ولكن هنالك محققون آخرون مازالوا يعتقدون بنسبة الكتاب للمؤرخ ابن الفوطي[1] على الرغم من ما بينه المرحوم مصطفى جواد من حجج تبدو مقنعة بأن الكتاب هو ليس في حقيقته كتاب "الحوادث الجامعة" لابن الفوطي، ونحن بدورنا نرجح ما ذهب اليه المرحوم جواد في ان الكتاب هو ليس لابن الفوطي.

اما أهمية الكتاب فتتجلى في السنين التي يؤرخ لها المصنف (من بقايا سنة ٦٢٦هـ-٧٠٠هـ/١٢٢٩-١٣٠١م) أي قبيل نحو من ثلاثين عاماً قبيل الاجتياح المغولي لبغداد والى ايام حكم السلطان الايلخاني محمود قازان سنة ٧٠٠هـ/١٣٠١م. حيث يورد فيه اخباراً مهمة عن توجهات الدولة العباسية المذهبية في تأييد مواقف الحنابلة والشافعية الذين ينتسب اليهم الخلفاء العباسيون فقهياً[2] (بعد تحولهم من الحنفية في اواخر عصر الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٩م) ومن ثم ترك الاعتزال بتولي الخليفة المتوكل على الله (٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٧-٨٦١م) وتبنيه مذهب أهل الحديث[3].

فقد اورد صاحب كتاب الحوادث جملة من الاخبار في الحقبة التي يؤرخ لها تظهر فيها نوع من المحاباة من قبل الخليفة المستنصر ومن بعده ولده المستعصم بالله، تجاه أئمة ومساجد مذهب ما كالحنابلة والاشاعرة وربما حتى الامامية[4].

---

[1] انظر: محمد رضا الشبيبي، مؤرخ العراق ابن الفوطي (بغداد: مطبعة المجمع العلني العراقي، ١٩٥٨م)؛ وكذلك الطبعة الجديدة للكتاب: ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق: مهدي النجم (بيروت: دار الكتاب العلمية، ٢٠٠٢م) مقدمة التحقيق ص٣.

[2] مثال ذلك انظر: كتاب الحوادث، ص١٦، ٢٤، ٩٢، ١٠٠، ١٢١، ٣١٧.

[3] "لما افضت الخلافة الى المتوكل على الله، امر بترك النظر والمباحثة في الجدل، وامر شيوخ المحدثين بالتحديث واظهار السنة والجماعة" انظر: ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) مروج الذهب ومعادن الجوهر (بيروت: دار الاندلس، د.ت) ج٤، ص٣.

[4] مثال ذلك انظر: كتاب الحوادث، ص٣٢، ٢١، ١٢٤، ١٨١، ٢١٣، ٢١٥، ٢٣١، ٢٨٨.

كما ويغطي اهتمامات الخليفة نفسه بامر الفتوة التي "احياها" الخليفة الناصر لدين الله[١] وكذلك امر المدارس التي انشئت في بغداد ابان هذهِ الفترة من ايام الخلفاء العباسيين الاواخر[٢]، فضلاً عن اهتمامات رجالات الادارة العباسية من حنابلة وامامية بكل تلك الامور[٣]، وعن تغطية الفتن المذهبية في بغداد[٤]، ثم ظهور خطر المغول في المشرق الاسلامي وغاراتهم على تخوم العراق[٥]، فضلاً عن حالة الترف التي يعيشها اشخاص الخلفاء او متوليهم من اهل المراتب في الديوان[٦].

وتتجلى الاهمية الكبرى في دراستنا لكتاب الحوادث ايراده للتجاذبات المذهبية تجاه الشيعة الامامية في الكرخ قبيل الغزو المغولي خاصةً، وكذلك الحال المزرية التي عانت منها بغداد اثر الفيضانات المتعاقبة قبيل الغزو المغولي سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م، ثم ان صاحب كتاب الحوادث الجامعة صرح بما ينقله عن ابن الساعي في تاريخه الكبير وهو مالم يصلنا منه سوى الجزء التاسع وكذلك فأنه يصرح بما ينقله عن ابن الكازروني في تاريخه الاخر الذي لم يصلنا منه سوى المختصر.

ونزيد في هذا المحتوى مؤلفات شمس الدين الذهبي في التاريخ بموسوعته التاريخيه الضخمة "**تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام**"[٧].

---

[١] مثال ذلك انظر: كتاب الحوادث ، ص٢١، ١٢٠، ١٣٥، ١٥٩، ١٧٢.

[٢] انظر: المصدر نفسه ، ص٨٠، ١٠٥، ١٥٧.

[٣] انظر: المصدر نفسه ، ص٤٤، ٦٦، ٢٠٩، ٢٥٠، ٣٠٣، ٣٢٤.

[٤] وعلى نحو ذلك انظر: المصدر نفسه ، ص٥٣، ١٣١، ٢١٢، ٢٩٢.

[٥] على نحو ذلك انظر: المصدر نفسه ، ص١٢٧، ١٣٧، ٢٤٠، ٢٨٥، ٣٢٠، ٣٣١، ٣٣٩، ٣٤٧.

[٦] مثال ذلك انظر: المصدر نفسه ، ص١٢٥، ١٧٢، ٢١٩، ٢٢٠، ٣٠٢.

[٧] تم تحقيق هذا الكتاب من قبل اكثر من باحث فهنالك طبعة بتحقيق: عمر عبد السلام تدمري، واخرى بتحقيق: بشار عواد معروف، وثالثة التي اعتمدناها وهي بتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. انظر: الامام الحافظ ابي عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان قايماز التركماني الذهبي (٧٤٨هـ/١٣٧٤م) تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (١٥ج، بيروت: دار الكتاب العلمية، ٢٠٠٥م).

والذهبي[1] مصنف شامي كبير، شافعي المذهب لكنه ظاهري المعتقد، الف في مختلف علوم زمانه من عقائد، وحديث وغيرها، فضلاً عن ما الفه في التاريخ والتراجم.

ومؤلفه تاريخ الاسلام يبتدىء به من السيرة النبوية وحتى حوادث ووفيات سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م[2] وأهمية الذهبي تكمن في حفظه لنا عدداً من نصوص الكتب الضائعة[3] خاصة فيما يتعلق بالتجاذبات المذهبية التي يبدي آراءه تجاهها. وبذلك فإن الذهبي يؤخذ عليه بانه متعصب ضد مخالفي مذهبه، فهو شافعي في الفروع لكنه حنبلي ظاهري متشدد في المعتقد[4]، وهو كما يقول عنه تلميذه السبكي "شديد

---

[1] ولد الذهبي سنة ٦٧٣هـ/١٢٧٤م في دمشق، ونسبة الذهبي مردها الى اشتغال والده في صنعة الذهب المدقوق، وتلقى مختلف علوم عصره من نحو وادب، مغازي وسير، وتراجم فضلاً عن القراءات ومجالس الحديث وسماعه، رحل في طلب العلم في الديار الشامية، الاسكندرية، بلبيس، ومن شيوخ الحجاز، وكان قد اضر آخر عمره، توفي في دمشق ودفن بمقابر باب الصغير سنة ٧٤٨هـ/١٣٧٤م. للمزيد عن سيرته ومصنفاته انظر: صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي (ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م) نكت الهميان في نكت العميان، صص: ٢٢٧-٢٣٠؛ محمد بن شاكر الكتبي (ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م) فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: احسان عباس (بيروت: دار صادر ، ١٩٧٤م) صص: ٣١٥-٣١٧؛ تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٥، صص: ٦١-٧٢؛ ابو الفداء عماد الدين اسماعيل بن كثير الدمشقي، ص٤٨٥؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، صص: ٣٣٥-٣٣٨؛ عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي (ت٩٧٨هـ/١٥٧٠م) الدارس في تاريخ المدارس (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م) ج١، ص٥٩؛ حاجي خليفة، سلم الوصول الى طبقات الفحول، مـ٣، ص٨٣؛

Moh. Ben Cheneb (J, de Somogyi), "AL-DHAHAI", EI2, Vol.II, 214.

[2] فرغ الذهبي من تدوينه لتاريخ الاسلام سنة ٧١٤هـ/١٣١٤م. انظر: تاريخ الاسلام، مـ١٤، ص٩٤٠.

[3] انظر: شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ج٤، ص٥٦.

[4] المرجع نفسه، ج٤، ص٥٣.

الميل الى آراء الحنابلة"[1]، ربما بسبب ميله للحديث وعلاقته بالحنابلة بمجالس الحديث والسماع ومما لاشك فيه ان ميله هذا يبدو واضحاً سياسياً وبشكل ما في تأريخه من خلال تحامله على الشيعة الامامية، ونبزهم بالروافض[2].

ولا يفوتنا "**تاريخ ابن الفرات**"[3] للشيخ ناصر الدين محمد عبد الرحيم، المصري، والمشهور بابن الفرات الحنفي[4]، والكتاب قسم منه مفقود وما تم تحقيقه من قبل حسن محمد الشماع يتناول الاحداث ما بين السنين ٥٦٣-٥٦٧هـ[5]/١١٦٧-١١٧١م

---

[1] انظر: طبقات الشافعية الكبرى، ج٥، ص٦٣.

[2] حتى انه عزى الحريق الذي وقع بالمسجد النبوي الشريف سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م بشعر اورده الى ملامسة الروافض للجدران فطهرتها النار.

لم يحترق حرم الرسول لحادث

يخشى عليه ولا دهاه العار

لكنها ايدي الروافض لامست

ذاك الجدار فطهرته النار

انظر: الذهبي، تاريخ الاسلام، مـ١٤، ص١١.

[3] ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون "وسماه الطريق الواضح المسلوك" انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص٢٥٩. ويذكره ابن حجر العسقلاني في إنباه الغمر، ويبين انه "تاريخ ضخم" لكنه "لم يبيضه". انظر: العسقلاني، إنباه الغمر بأبناء العمر في التاريخ، ط٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م)، ج٥، ص٢٧٦.

[4] ولد ابن الفرات سنة ٧٣٥هـ/١٣٣٦م في مصر، ويعد من "اواسط الشيوخ" وأسمع وتكسب بحوانيت الشهود بظاهر القاهرة، وولي الخطابة وعقود الزواج لمدة من الزمن لكنه كان لهجاً بالتاريخ، توفي في مصر سنة ٨٠٧هـ/١٤٠٥م. للمزيد انظر: ابن حجر العسقلاني، انباه الغمر، ج٥، ص٢٧٦؛ شاكر مصطفى، التاريخ الغربي والمؤرخون، ج٣، صص: ١٢٨-١٣٠؛ ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات (ت٨٠٧هـ/١٤٠٥م)، تاريخ ابن الفرات، تحقيق: حسن محمد الشماع (البصرة: جامعة البصرة، د.ت) ج٤، ق١، مقدمة التحقيق؛ وانظر ايضاً:

Cl. Cahen, "Ibn Al-Furat", EI2, Vol.III, 768.

[5] انظر: ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج٤، ق١.

وما بين ٥٨٦-٥٩٩هـ[1]/١١٩٠-١٢٠٢م وما بين ٦٠٠-٦١٥هـ[2]/١٢٠٣-١٢١٨م وتاريخ ابن الفرات يُعنى بالدرجة الأولى، في جزئيه الرابع والخامس، بالحروب الصليبية وأخبار الأيوبيين، الا ان هنالك اشارات معينة بدت مهمة في بحثنا خاصة عن الخليفة المستنجد والمستضيء والناصر بها تتكامل تصوراتنا عن الوضع الذي ساد بغداد ابان خلافتهم على مستوى التجاذبات المذهبية التي كانت تتفاقم أيام العباسيين الأواخر.

ومن كتب التاريخ العام لدينا كتاب:

-البداية والنهاية[3]،

للحافظ والمحدث ابي الفداء عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير بن زرع القرشي الشافعي[4]، المؤرخ الشامي المحدث على طريقة الحنابلة، يحاكي شيخه في المعتقد شمس الدين الذهبي.

---

(1) انظر: المصدر نفسه ، ج٤، ق٢

(2) انظر: المصدر نفسه ، ج٥. وهنالك مجلد ما زال مخطوطاً لم يحقق موجود في مكتبة الفاتيكان تحت رقم ٧٢٦ ويمثل الفترة من سنة ٦٣٩-٦٥٩هـ/١٢٤١-١٢٦٠م. انظر: شاكر مصطفى، التاريخ الغربي والمؤرخون، ج٣، ص١٢٩.

(3) اعتمدنا: ابو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م) البداية والنهاية، اعتنى بطبعه: عبد الحميد الهنداوي (١١م، بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٥م).

(4) المولود سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م في "مجدل القرية" وهي في نواحي بصرى الشام حيث كان ابوه يعمل كخطيب المسجد الجامع فيها، قدم دمشق مع اخيه الاكبر عبد الوهاب الذي اخذ عنه مبادىء العلوم ويقال انه كان "حاد الذاكرة، حسن الفهم والاستحضار، مشاركاً في العربية والنظم" تتلمذ على شيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية الحراني الحنبلي (ت٧٢٨هـ/١٣٢٧م) الذي اتضح تاثيره عليه من آرائه ومنهجة"، وتتلمذ كذلك على برهان الدين بن الفركاح الفزاري الشافعي (ت٧٢٩هـ/١٣٢٨م) ومؤرخ الشام الكبير يوسف المزي (ت٧٤٢هـ/١٣٤١م) والذي صاهره لاحقاً، فيما اخذ عن شمس الدين الذهبي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) حيث شغل منصبه بتدريس الحديث ومن ثم في دار الحديث الاشرفية بعيد وفاة تاج الدين السبكي (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م) الف في التفسير، والسير والتراجم، والسيرة النبوية، واهم مصنفاته=

ومصنفه المهم البداية والنهاية مرتب حسب السنوات من بدء الخليقة[١] الى سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٥م من ايام المماليك البحرية وتتجلى أهميته في نقل ابن كثير لاقتباسات من كتب نادرة على نحو من كتب ابن الساعي والكازروني، فضلاً عن اسهاماته في توثيق احداث التجاذب المذهبي في دولة الخلافة، لكن تحامله على الشيعة الإمامية الأثني عشرية يبدو واضحاً فيما ينقله من خلال نبزهم بالرافضة، وانه يحمد الله على ما حل بهم اثر دخول السلاجقة الغز بغداد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م[٢].

ومن كتب الحوادث كذلك :

العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك[٣] العائد للملك الاشرف الغساني[٤]

=التاريخية "البداية والنهاية" عن التاريخ، توفي في دمشق سنة ٧٧٤هـ/١٣٧٥م، ودفن بجنب استاذه تقي الدين ابن تيمية الحراني. للمزيد انظر: ابن حجر العسقلاني، انباه الغمر بابناء العمر في التاريخ، مـ١، ج١، صص: ٤٥-٤٧؛ شمس الدين محمد عبد الرحمن السخاوي (ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م) وجيز الكلام في الذيل على تاريخ الاسلام، تحقيق: بشار عواد معروف وآخرين (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٥م) ج١، ص١٩٢؛ العماد الحنبلي، شذرات الذهب، مـ٦، ص٤٣٢؛ حاجي خليفة، سلم الوصول الى طبقات الفحول، مـ١، ص٣٢٢؛
H. Laoust, "Ibn Kathir", EI2, Vol.III, 817.

[١] وهذا ما درجت عليه غالب التواريخ الاسلامية مثل تاريخ الطبري (الرسل والملوك)، وابن الجوزي في المنتظم وغيرهما.

[٢] انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٨، ص٢٧٩.

[٣] ابو العباس اسماعيل بن العباس بن رسول الغساني (ت٨٠٣هـ/١٤٠٠م) العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق: شاكر محمود عبد المنعم (بغداد: دار البيان، ١٩٧٥).

[٤] افرد محقق الكتاب: الاستاذ شاكر محمود عبد المنعم مقدمة من نحو (١٦٥) صفحة لاثبات نسبة الكتاب الى الملك الاشرف الغساني، وكذلك في عنوانه. وهذهِ المقدمة اسماها: الملك الاشرف الغساني وكتابه العسجد. انظر: شاكر محمود عبد المنعم، الملك الاشرف الغساني وكتابه "العسجد" (بغداد: دار البيان، ١٩٧٥م). مع ملاحظة ان المرحوم مصطفى جواد ينسب المخطوطة المصورة في المجمع العلمي العراقي، التي يعتمدها في كتاباته، الى ابي الحسن=

وما يتوفر بين ايدينا من الكتاب المحقق يغطي حقبة مهمة من تاريخ الدولة العباسية حيث يبدأ بخلافة الناصر لدين الله العباسي سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م، وينتهي بزوال خلافة المستعصم بالله عن بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م واجتياح المغول المدينة، وتصفية البيت العباسي وقتئذ، وهي سنين مهمة لدراستنا.

وهو يورد اخباراً معينة عن التجاذبات المذهبية في بغداد تجاه الشيعة الإمامية الأثني عشرية[١] ابان خلافة الخلفاء الاربعة الاواخر لم نجدها فيما بين ايدينا من المصادر ويصف كذلك بشكل مسهب لحالات البذخ التي كان يحييها الخلفاء واصحاب الديوان[٢] في حين كانت الدولة باشد الحاجة الى صرف هذه الاموال، لتقوية وسائل الدفاع امام الخطر المغولي القادم من الشرق.

أَما في مجال **التواريخ المحلية** فلدينا:

=علي ابن الحسن الخزرجي (ت٨١٢هـ/١٤٠٩م). انظر: مصطفى جواد، في التراث العربي، قدم له واخرجه ونصصه وفهرسه: محمد جميل شلش وعبد الحميد العلوجي (بغداد: وزارة الاعلام، ١٩٧٥) ص: ١٣٣ و ١٣٤ و ٤٥٠ و ٤٥٣ و ٤٦١ و ٤٨١ و ٥٠٢... وغيرها.

[١] مثال ذلك: منع النياحة والانشاد وقراءة المقتل في عاشوراء سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م. انظر: العسجد المسبوك، ص٥٧٥؛ وتكرار الامر سنة ٦٥٠هـ/١٢٥٨م ولكن مع ملاحظة المنع يطال المشهد الكاظمي والكرخ. انظر: العسجد المسبوك، ص٥٨٥.

[٢] مثال ذلك: حفلات الختان لابناء الخليفة سنة ٤٣٠هـ/١٠٣٩م. انظر: العسجد المسبوك، ص٥٩٥؛ ما كانت تتحلى به جواري دار الخلافة. انظر: العسجد المسبوك، ص٥٨١.

مصنف كبير مهم عن عمران بغداد ورجالاتها هو **"تاريخ بغداد او مدينة السلام"**[(١)] **للحافظ الخطيب البغدادي**[(٢)].

وكتاب الخطيب البغدادي من أهم التواريخ المحلية لمدينة بغداد من خلال ترجمته لسائر العلماء والمشاهير الذين اقاموا في بغداد او زوارها، لغرض الدرس او التدريس او لنيل المراتب منذ ان بناها منشأها الخليفة ابو جعفر المنصور سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م وحتى عصر المصنف ايام خلافة القائم بأمر الله، وقد اعتمدنا على الخطيب البغدادي في تراجم كثير من الرجال الذين ورد اسمهم في الدراسة، على ان الخطيب اشعري متعصب على من هم من غير الأشاعرة من حنابلة وإمامية ومعتزلة، وثمة امر آخر هو: ان "تاريخ بغداد او مدينة السلام" تضمن فصلاً مهماً عن خطط مدينة بغداد وجوانبها العمرانية[(٣)]، وهو ما ساعدنا على اكتمال الصورة عن الوقائع التاريخية لدراستنا.

---

(١) اعتمدنا: الحافظ ابو بكر احمد بن علي الخطيب (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م) تاريخ بغداد او "مدينة السلام"، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط٢، (١٤ج، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م).

(٢) وهو ابو بكر احمد بن علي بن ثابت بن مهدي، ولد سنة ٣٩٢هـ/١٠٠٢م في درزيجان، وهي قريبة من جنوب بغداد، تكررت رحلاته الى المشرق والحجاز والشام لنيل العلم. خرج من بغداد مضطراً بعد القبض على الوزير ابو القاسم ابن المسلمة، وذلك في حركة البساسيري، فكان ان تعرض لمضايقات الحنابلة له بسبب الخصومة التي كانت تقع بين الاشاعرة والحنابلة، خاصةً بعد تحوله من الحنبلية الى الشافعية، وبسبب فقدانه لحاميه وسنده الوزير ابن المسلمة. عاد لبغداد قبيل عام من وفاته سنة ٤٦٣هـ/١٠٧٠م. عن سيرته ومصنفاته انظر: ياقوت، معجم الادباء، مـ٢، ج٤، صص: ١٣-٤٥؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، مـ١، صص: ١١١-١١٢؛ وانظر: كارل بروكلمان، تاريخ الادب العربي، مـ٣، ج٦، صص: ٥٦-٥٨؛

R. Sellheim, "Al-Khatib Al-Baghdadi", EI2, Vol.IV, 1111.

(٣) انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد او مدينة السلام، مـ١، صص: ٨٧-١٤١.

كما ان الخطيب البغدادي كان قد غادر بغداد في منتصف صفر سنة ٤٥١هـ/الخامس والعشرين من مارس ١٠٥٩م وهذا يعني انه بقي في بغداد لنحو من ثلاثة اشهر ونصف في بغداد والبساسيري هو الآمر الناهي فيها. فنقل لنا الأحداث بهذهِ المدة كشاهد عيان لسير الامور واخبارها، مثل ما جرى على الوزير ابن المسلمة، وتسيير الخليفة القائم بامر الله الى الحديثة وغيرها[١].

ومن التواريخ المحلية المهمة لدينا:

المصنف الغزنوي المسمى **بتاريخ البيهقي**[٢]، لابي الفضل البيهقي[٣].

والمصنف يتعرض بصورة مفصلة للتدافع الذي حصل بين قوى السلاجقة الناشئة امام الغزنويين والذي افضى الى بسط نفوذهم وسيطرتهم على مجمل خراسان وبلاد فارس خاصة بعد معركة دانقدان[٤] سنة ٤٣١هـ/١٠٤٠م.

---

[١] انظر: لما سطره الخطيب البغدادي عن مشاهداته في ترجمة الخليفة القائم بامر الله في : تاريخ بغداد، مـ٩، صص: ٤٠٦-٤٠٩.

[٢] اعتمدنا: ابو الفضل محمد بن حسين البيهقي (ت٤٧٠هـ/١٠٧٧م) تاريخ البيهقي، ترجمة: يحيى الخشاب وصادق نشأت (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٣م)

[٣] هو ابو الفضل محمد بن حسين البيهقي المولود في بيهق بحدود ٣٨٥هـ/٩٩٥م والمتوفي سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م. التحق بالعمل في ديوان الرسائل كتلميذ لرئيس الديوان ابي نصر مشكان ايام السلطان محمود الغزنوي (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م) بغزنة ومن بعده لابنه السلطان مسعود (ت٤٣٢هـ/١٠٤١م) عن سيرته انظر: تاريخ البيهقي، مقدمة التحقيق، ص٥ وما بعدها.

[٤] عن معركة دانقان بين السلاجقة والغزنويين بالقرب من صحراء سرخس انظر: ابو الفضل البيهقي، تاريخ البيهقي ، ص٦٦٣.

٤-كتب تواريخ آل سلجوق

حفلت حقبة السلاجقة ٤٤٧-٥٩٠هـ/١٠٥٥-١١٩٤م على عددٍ غير قليل من المصنفات التي تناولت سير السلاجقة ووقائعهم ومنازعات سلاطينهم ووزرائهم بعضها بالعربية متقدمة، وبعضها بالفارسية متأخرة في حوادثها الخاصة بايران[١].

على اننا لا نجد مؤرخين خلال فترة حكم السلاطين السلاجقة العظام نعول عليها باستثناء سياست نامة للوزير نظام الملك عن السلاطين الثلاثة الكبار كل من طغرل بك، والب ارسلان وولده ملكشاه[٢].

كما اننا سنلاحظ ان غالب من الف عن السلاجقة كتب بالفارسية ثم ترجمت ما بعد تأليفها الى العربية[٣]، او تمت ترجمتها بالعصر الحديث[٤] .

وقد لاحظ السير هملتون كب في عمل هذهِ المصنفات ان العالم والمحدث من الشيوخ قد تخليا للموظف في الديوان (الصدور) عن دورهما في تدوين التاريخ بحيث تحول التاريخ السياسي الى تاريخ مقتصر على الأُسر الحاكمة. "بل ان كتب التراجم خدمت غرضاً فنياً من النتاج الذي تميزت به هذه الفترة"[٥].

---

[١] ولا نلاحظ هذا العدد من المصنفات التاريخية عن البويهيين وامرائهم وملوكهم. وقد يعزى السبب في ذلك الى استمرار حكم السلاجقة الى مدة اطول من العصر البويهي، خاصة فيما يخص سلاجقة الشام ومن بعدهم الزنكيين والايوبيين والذين يعدون صنائع للسلاجقة وتنبه الى ذلك المستشرق الفرنسي كلود كاهن، الذي يذكر : :البويهيين" بالكاد لهم مؤرخون. انظر: كلود كاهن، اعمال التاريخ للعصر السلجوقي، ضمن: مؤرخو العرب والاسلام حتى العصر الحديث، ترجمة: سهيل زكار (دمشق: التكوين للتاليف والترجمة والنشر، ٢٠٠٨م)، ص١٠٠.

[٢] المرجع نفسه.

[٣] مثال ذلك مصنف: نصرة الفترة وعصرة الفطرة، الذي سنذكره لاحقاً.

[٤] مثال ذلك كما سنلاحظ لاحقاً ان كتاب راحة الصدور واية السرور للراوندي وغيره ترجمت بالعصر الحديث الى العربية.

[٥] هملتون كب، دراسات في حضارة الاسلام، ترجمة: احسان عباس (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٤م)، ص١٦٠.

وهذا من وجهة نظرنا قول صحيح وينطبق على غالب من كتب من معاصري الحقبة السلجوقية[١].

ويأتي على رأس هذه المصنفات ولأسباب كرونولوجية مصنف: **سير الملوك او سياست نامه**[٢]، لوزير السلطانين الب ارسلان وابنه ملكشاه الخواجة نظام الملك الطوسي[٣].

والكتاب وثيقة سلجوقية مهمة تعطينا تصوراً كاملاً عن دور الوزير المخضرم نظام الملك الطوسي واثره الكبير في توطيد حكم السلطان الب ارسلان ودوره الاهم ابان حكم السلطان ملكشاه خاصة في شأن تقريبه لاولاده وتسنمهم الصدور[٤]. وسياست نامه وضعه لوزير نظام الملك اساساً، ليطلع عليه السلطان ملكشاه، اذ ضم

---

[١] وهذا الامر يؤكد الدور الذي اضطلعت به ومن اجله اسست المدارس ومن اوائلها النظامية.

[٢] اعتمدنا: الحسن بن علي ابو علي نظام الملك الطوسي (ت٤٨٥هـ/١٠٩٢م)، سياست نامه، تصدير: غلام حسين يوسفي، ترجمة: يوسف بكار، ط٣ (بيروت: دار المناهل، ٢٠٠٧م)

[٣] الحسن بن علي بن اسحاق بن العباس، ابو علي الطوسي الوزير، والملقب بالخواجة، والذي وزر لأكثر من تسع وعشرين عاماً للسلطان عضد الدين الب ارسلان وولده السلطان جلال الدولة ملكشاه في نسق واحد، كان المتصرف فيها لدولة آل سلجوق حتى لقبه السلطان جلال الدولة ملكشاه "اتابك" وتعني الامير الوالد لكن وحشة حدثت بينه وبين السلطان ملكشاه قبل خمس وثلاثون يوماً من طعنه ووفاته في رمضان ٤٨٥هـ/تشرين الاول ١٠٩٢، وقبل ان احد الباطنية طعنه بخنجر توفي على اثر الضربة وله من العمر ست وسبعون سنة وعشرة اشهر . للمزيد عن ابي الحسن الطوسي انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، صص: ٣٠٢-٣٠٧؛ ابن الاثير، الكامل، ج٨، صص: ٣٤٨-٣٥٢؛ غلام حسين يوسفي، التصدير الذي كتبه في المطبوع من سياست نامه بعنوان : السياسي العجوز، صص: ١٧-٤٥؛
C.E. Bosworth, "Nizam Almulk", EI2, Vol.VIII, 69-73.

[٤] انظر:

Bosworth, "Nizam Almulk", EI2, Vol.VIII,70

وانظر ايضاً:

Murtadha H. Al-Naqib, Siyast-Nama Some Notes on Its Importance as a Source for Studying, An Articale Included the Rules of Investigation and Analysis in Historical Writings (Baghdad: College of Art, Baghdad University, 2010), 1-10.

عصارة افكاره وتجاربه في أُخريات حياته، وكذلك السياسة التي سارت عليها المؤسسات السلجوقية، وفي ما يتعلق بمواقفها ممن سماهم "ذوي المذاهب السيئة والمعتقدات الخبيثة"[١]. في اشارة واضحة الى الشيعة الفرس في ايران بما فيهم الباطنية[٢]، والذين "يُعتقد" انهم نجحوا في العام ٤٨٥هـ/١٠٩٢م في التآمر عليه وقتله. في اشارة واضحة الى الوزير من بلاد فارس تاج الملك.

كما انه يعطينا المبرر الحقيقي لانشاء النظاميات في معظم المدن الكبيرة وخاصة في بغداد حاضرة الخلافة العباسية[٣].

فضلاً عن ذلك فان سياست نامة يعطينا تصوراً حقيقياً للحياة الادارية والسياسية التي كان يتعاطاها سلاطين السلاجقة اثناء حكمهم لايران والعراق[٤].

ولدينا مصنف:

- **السلجوقية (سلجوق نامه)** [٥] لظهير الدين النيسابوري (ت٥٨٢هـ/١١٨٦م)

وهو مصنف بالفارسية باسم سلجوق نامه مع ملحق لابي حامد محمد بن ابراهيم (ت٥٩٩هـ/١٢٠٣م) والكتاب على اختصاره لتاريخ السلاطين السلاجقة فانه يمدنا

---

[١] انظر: سياست نامه، الفصل الحادي والاربعون، صص: ١٩٥-٢١٦. حتى انه يذكر "ان اغلب اهل الديلم والعراق لمن ذوي المذاهب والعقائد والاديان الخبيثة السيئة.

[٢] انظر: المصدر نفسه ، ص١٩٨.

[٣] انظر للقصة التي اوردها نظام الملك بعنوان "الب ارسلان واردم الرافضي" في : سياست نامه، ص١٩٧. ضمن الفصل الحادي والاربعون المعنون بـ"عدم أسناد عملين لشخص واحد، وفي تشغيل العاطلين، واسناد المناصب والاعمال الى المتدينين الحقيقيين الاصلاء وحرمان ذوي المذاهب السيئة والمعتقدات الخبيثة وابعادهم" صص: ١٩٦-٢١٦.

[٤] مثال على ذلك: الفصول الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر في سياست نامه، صص:١٢٤-١٢٧.

[٥] اعتمدنا الترجمة العربية غير المنشورة المقدمة من : محمد كاظم بريدي اللامي مشروع ترجمة لنيل درجة الدبلوم العالي، لكلية اللغات / جامعة بغداد سنة ١٩٩٩م. وهي ترجمة النص المطبوع بالفارسية، انظر: ظهير الدين النيسابوري (ت٥٨٢هـ/١١٨٦م) سلجوق نامه (ايران: منشورات كلاله خاور، د.ت).

بمعلومات فريدة عن هؤلاء السلاطين وسيرتهم ابتداءاً بالسلطان طغرل بك (ت٤٥٥هـ/١٠٦٣م) وانتهاءً بالسلطان طغرل الثالث بن ارسلان (ت٥٩٠هـ/١١٩٤م) ويعد سلجوق نامة لظهير الدين النيسابوري كأحد أهم المصادر التي اعتمد عليها اعداد من المصنفين الذين كتبوا عن تاريخ السلاجقة وسيرتهم خاصةً الراوندي في راحة الصدور وآية السرور[١]. على ان اهم الكتب بهذا المحتوى على الرغم من اختصار محتوياته، هو: - **كتاب نصرة الفترة وعصرة القطرة**[٢] في

---

[١] انظر: محمد بن علي بن سليمان الراوندي (ت بعد ٦٠٣هـ/١٢٠٦م)، راحة الصدور وآية السرور، ترجمة ابراهيم الشواربي وآخرون (القاهرة: المجلس الاعلى للثقافة، ٢٠٠٥م) مقدمة محمد اقبال، ص٢٣.

[٢] ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون. انظر: ج٢، ص٧٥٦. واعتمدنا: عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الاصفهاني (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م) اختصار الشيخ الامام الفتح بن علي بن محمد البنداري الاصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ط٢ (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٨م). والكتاب طبع مجدداً بتقديم يوازي عدد صفحات الكتاب نفسه. انظر: عماد الدين الاصفهاني (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م) تاريخ دولة آل سلجوق، قراءه وقدم له: يحيى مراد (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م). وهي الطبعة التي اعتمدناها.

اخبار الوزراء السلجقية لعماد الدين الاصفهاني[١] الذي اختصره الفتح بن علي بن محمد البنداري[٢] بعنوان زبدة النصرة ونخبة العصرة[٣].

ومما يذكر ان كتاب نفثة المصدور لانوشروان بن خالد، هو مختصر بالفارسية في تاريخ السلاجقة من اواسط عهد نظام الملك الى عهد طغرل الثاني فعرب الكتاب اولاً ثم زيد عليه عن بداية الحكم السلجوقي، حتى اوصله العماد الاصفهاني بهذا الكتاب، وذيله بما شاهده هو من تواريخهم، وعليه فهذا الكتاب هو

---

[١] هو ابو عبد الله محمد بن محمد بن حامد المعروف بالعماد الاصفهاني (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م) المولود في اصفهان سنة ٥١٩هـ/١١٠٧م، قدم بغداد شاباً وانتظم في سلك طلبة المدرسة النظامية، عاد لاصفهان ورجع ثانية لبغداد ليتصل بالوزير عون الدين يحيى بن هبيرة فولاه النظر بالبصرة ثم واسط وغادر الى الشام بعد وفاة الوزير وكانت له سابق معرفة بنجم الدين ايوب كبير الايوبيين، برز في الكتابة حتى زاحم القاضي الفاضل الذي انتقل من الفاطميين الى الايوبيين، ثم لازم صلاح الدين ينزل بنزوله ويركب بركوبه حتى اصبح مستشاراً له على نحو ما يدل مصنفه البرق الشامي، بعد وفاة صلاح الدين سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م . تفرغ للكتابة والتصنيف حتى وفاته سنة ٥٩٧هـ/١٢٠١م. للمزيد انظر ترجمته في: ياقوت، معجم الادباء، مـ١٠، ج١٩، صص: ١١–٢٨؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج١، ص٤٦.

[٢] الفتح بن علي بن محمد البنداري: اديب ضليع بالعربية والفارسية ولد سنة ٥٨٦هـ باصفهان ونشأ بها، انتقل الى دمشق سنة ٦١٤هـ وبقي فيها حتى وفاته سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٥م وهو مترجم الشاهنامه الى العربية. انظر: محسن الامين، اعيان الشيعة، مـ١٣، ص٥٦؛ وانظر صائب عبد الحميد، معجم مؤرخي الشيعة، (قم: مؤسسة دائرة معارف الفقه الاسلامي، ٢٠٠٤م) ج٢، ص١٥.

[٣] انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢، ص٩؛ ومما يذكر : "ان اكثر مطالب هذا الكتاب ماخوذ من "نفثة المصدور في فتور زمان الصدور وصدور زمان الفتور" وهو للوزير شرف الدين ابي نصر انوشروان بن محمد بن خالد ابن محمد الكاشاني الذي وزر للخليفة المسترشد سنة ٥٣٠هـ/١١٣٥م، توفي في ٥٣٢هـ/١١٣٧م . انظر: اغا بزرك الطهراني، الذريعة، ج٢٤، ص١٤٩. مع ملاحظة ان الوزير انو شروان بن خالد هو الذي طلب من قاسم بن علي الحريري ان يتمم مقاماته . انظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٣، ص٤٩٢؛ نيكلسون، تاريخ الادب العباسي، ص١١٥.

معرب كتاب نفثه المصدور مع مقدمة وذيل واضافات زادها العماد على المصنف الاصلي[1].

وكتاب زبدة النصرة يعد أحد المصادر المهمة عن السلاجقة وظهورهم وتنامي قوتهم، ولذلك فإنه يتعرض وبشكل واضح الى سلوك الأتراك السلاجقة وتعاملهم مع الناس في المدن التي اجتاحوها خاصة في اندفاعهم الأول نحو بغداد والمناطق التي تقع الى الغرب منهم في العالم الاسلامي بحيث رهبتهم أمراء وحكّام الوقت وارهبوا السكان بمختلف الأعمال[2].

فضلاً عن ذلك ان زبدة النصرة يركز على دور وزراء سلاطين السلاجقة ايام عمل سلاطينهم وغالبهم من الفرس، مع امراء السلاجقة اصحاب السيف في توطيد حكم السلطان السلجوقي وإدارته، لكن ما يتعرض له الكتاب ليس التجاذبات المذهبية التي كان يثيرها السلاجقة ضد الإمامية التي هي حالة قائمة طيلة حكم السلاجقة وانما تلك التجاذبات التي كانت تحصل بين الشافعية الاشعرية والمعتزلة الحنفية متمثلة بالتعاكس الذي كانت تظهره سياقات الوزير ابو نصر الكندري وغريمه الوزير نظام الملك، ثم ظهرت اخيراً بين تاج الملك ومنافسه نظام الملك. فضلاً عما عانته الشافعية من التعصب عليهم خاصة من الحنفية وهو مذهب السلاطين السلاجقة[3].

وفي هذا المحتوى لدينا كتاب:

---

(1) انظر: اغا بزرك، الذريعة، ج٢٤، ص١٤٩.

(2) يقول العماد: "لم يترك الترك ورداً الا شفهوه ولا حسناً الا شوهوه، ولا ناراً الا ارشوها، ولا داراً الا شعثوها، ولا عصمة الا رفعوها، ولا عصمة الا رفعوها، ولا وصمة الا وضعوها؛ واجفل الملوك من خوف اقدامهم، وتخلوا عن طريق ضرامهم. فما جاؤا الى بلدة الا ملكوا مالكها، وملاؤا مسالكها وارعبوا ساكنيها، واسكنوها الرعب، وغلبوا ولاتها وولوها الغلب، وازوروا الى الزوراء، واشاعوا مد اليد بالغارة الشعواء" انظر: العماد الاصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص١٨٧.

(3) انظر: العماد الاصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص١٨٧.

-**راحة الصدور وآية السرور**[١] ، في تاريخ الدولة السلجوقية لمؤلفه محمد بن علي بن سليمان الراوندي[٢]، ويرى محمد اقبال في التمهيد الذي كتبه لراحة الصدور: ان أهميته تتجلى في عصر "الاضمحلال والسقوط الذي حصل بين السنوات ٥٥٢-٥٩٠هـ/١١٥٧-١١٩٤م لان المؤلف واخواله كانوا من ذوي الحظوة لدى امراء السلاجقة، فتيسر لهم وللمؤلف الوقوف على المعلومات ومصادرها الموثوقة في كل شأن يتعلق باحداث السلطنة ووقائعها[٣].

اما عن مذهب المؤلف، فهو حنفي المعتقد لكنه يمتدح المذهب الشافعي وصاحب المذهب بالذات[٤] فضلاً عن كونه متعصب للعنصر التركي[٥]، ويغالي في مدح السلاطين السلاجقة ولاسيما سلاجقة الروم، والسلطان الذي صنف له الكتاب

---

[١] نشر الكتاب في اصله الفارسي مجموعة من الباحثين، كبيرهم ادورد براون الذي وفق في العثور على المخطوطة الاصلية، وتولى تصحيحه العلامة محمد اقبال بمساعدة محمد عبد الوهاب القزويني، وكان قد طبع في كمبرج سنة ١٩٢١. فيما تمت ترجمة الكتاب لاول مرة وطبع سنة ١٩٦٠، واعتمدنا الطبعة الثانية وهي: محمد بن علي بن سليمان الراوندي (ت بعد ٦٠٣هـ/١٢٠٦م) راحة الصدور وآية السرور، ترجمة: ابراهيم امين الشواربي وعبد المنعم محمد حسنين، وفؤاد عبد المعطي الصياد، مراجعة: ابراهيم امين الشواربي، ط٢ (القاهرة: المجلس الاعلى للثقافة، ٢٠٠٥م).

[٢] هو ابو بكر نجم الدين محمد بن علي بن سليمان بن محمد بن احمد بن الحسين بن هبة الراوندي، من بلدة راوند من اعمال كاشان، كفله خاله بعد وفاة ابيه وهو صغير، زار جميع مدن العراق الكبرى مع خاله. وكان من ذوي الحظوة عند السلطان طغرل (ت٥٩٠هـ/١١٩٤م) فاتجه الى السلطان ركن الدين سليمان شاه احد سلاطين آسيا الصغرى آنذاك لاهداء كتابه لكن السلطان توفي سنة ٦٠١هـ/١٢٠٤م فعدل الاهداء الى اخيه الاكبر غياث الدين كيخسرو. للمزيد انظر: التمهيد الذي كتبه الاستاذ محمد اقبال في: الراوندي، راحة الصدور، صص: ٥-٢٠.

[٣] انظر: التمهيد الذي كتبه محمد اقبال في: راحة الصدور، ص٨.

[٤] انظر للقصيدة التي نضمها في: راحة الصدور، ص٥٠، وكذلك ما اورده في ص٥١.

[٥] مثال ذلك ما ذكره: لقد صنعت بسيفك الحاد مالم يصنعه حيدر (علي) في صفين، ولا رستم في توران.... الخ. انظر: راحة الصدور، ص٦٥.

ليهديه الى السلطان السلجوقي كيخسرو بن قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان بن سليمان بن غازي بن قتلمش بن اسرائيل بن سلجوق[١].

وايضاً لدينا بهذا المحتوى:

-**زبدة التواريخ**[٢] "أخبار الأمراء والملوك السلجوقية" لصدر الدين علي بن ناصر الحسيني[٣]، الذي يتناول اصل السلاجقة ونشأة دولتهم وتعاقب سلاطينهم حتى انتهاء الحقبة السلجوقية في المشرق والعراق في سنة ٥٩٠هـ/١١٩٤م، ثم يذكر بعد ذلك تاريخ الاتابكة حتى سنة ٦٢٠هـ/١١٩٤م وهو كتاب مهم لمن يكتب في تاريخ السلاجقة خاصة القسم المتعلق بخراسان لكن اهتماماته الدينية غائبة ولم يلتفت الى التجاذبات المذهبية التي كانت تدور في بغداد قبل طرد الخلفاء العباسيين لسلاطينهم.

وفي نفس السياق لدينا:

العراضة في الحكاية السلجوقية لمصنفه ابن النظام الحسيني[٤] (ت٧٤٣هـ/١٣٤٢م) وهو كتاب يكرر لوقائع السلاجقة، وما كان يدور بين سلاطينها من منازعات مع بعض الاشعار والاقوال المأثورة بينهما.

والخلاصة: ان مصنفات السلالة السلجوقية تهتم بحوادث السلاجقة الغز ووقائع سلاطينها وما يخص الحروب التي كانت تقوم بين الاولاد الذكور من افراد البيت

---

[١] انظر: الراوندي، راحة الصدور، ص٥٨.

[٢] لم يذكره حاجي خليفة في كشف الظنون. ولنا وقفة مع العنوان حيث يذكر عبارة "الملوك السلجوقية" وكما هو معلوم فأن السلاجقة سموا حكامهم بالسلاطين. واعتمدنا: صدر الدين علي بن ناصر الحسيني (كان حياً سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م) زبدة التواريخ "اخبار الامراء والملوك السلجوقية"، تحقيق: محمد نور الدين (بيروت: دار اقرأ، ١٩٨٦م).

[٣] صدر الدين ابو الحسن علي بن السيد الامام الشاهد ابي الفوارس ناصر بن علي الحسيني. انظر: بروكلمان، تاريخ الادب العربي، مـ٣، ج٦، ص٣٠.

[٤] الوزير محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله ابن النظام الحسيني اليزدي (ت٧٤٣هـ/١٣٤٢م) العراضة في الحكاية السلجوقية، ترجمة وتحقيق: عبد المنعم حسنين وحسين امين (بغداد: مطبعة جامعة بغداد، ١٩٧٩م).

السلجوقي الحاكم او منافسيهم من اولاد قتلمش مع الاشارة الى المنازعات الدينية التي كانت تحصل بينهم بسبب منازعات الفريقين من الشافعية والاشعرية والحنفية المعتزلة، وقلما تهتم بما كان يدور من تجاذبات مذهبية في مركز دولة الخلافة ببغداد.

نعم قد نجد اخباراً عن مكافحة السلاجقة عموماً للاسماعيلية في قلاعهم في شرق العالم الاسلامي. وهذا كان ياتي في باب الحرب على الباطنية والملاحدة.

٥-كتب الطبقات والوفيات، والموسوعات وموسوعات التراجم

ان من ابرز كتب الطبقات التي عولنا عليها في هذه الدراسة:

-**كتاب طبقات الحنابلة** للقاضي الحنبلي ابو الحسين محمد بن محمد بن الحسين بن ابي يعلى[١] (ت٥٢٦هـ/١١٣٢م) الذي يتضمن تراجم كبار الحنابلة ومقدميهم، ابتداءً من مؤسس المذهب الامام احمد بن حنبل (ت٢٤١هـ/٨٥٥م) وحتى رجالات مطلع القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي.

ان كتاب طبقات الحنابلة وذيله الذي صنفه ابن رجب (ت٧٩٥هـ/١٣٩٣م) وهو زين الدين ابي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين احمد الحنبلي، يتضمن تراجم رجالات ومقدمي الحنابلة البارزين في بغداد ابان العصرين البويهي والسلجوقي. ومواقفهم تجاه بقية الفرق والمذاهب الإسلامية ولاسيما الشيعة "الرافضة" والمعتزلة على الخصوص.

-**كتاب طبقات الشافعية الكبرى** لتاج الدين السبكي[٢]

والكتاب يتناول كل طبقة من الطبقات الشافعية ابتداءً ممن جلسوا لصاحب المذهب محمد بن ادريس الشافعي (ت٢٠٤هـ/٨١٩م)، ويبدأ بالأحمدين والمحمدين، ثم بعد ذلك لبقية المترجمين حتى الطبقة السابعة وهم المتوفون بعد المائة السابعة. لكل قرن منها طبقة من الشافعية.

---

[١] انظر: القاضي ابو الحسين محمد بن محمد بن ابي يعلى الحنبلي (ت٥٢٦هـ/١١٣٢م) طبقات الحنابلة، شرح احاديثه ووضع حواشيه: ابا حازم اسامة بن حسن، وابو زهراء حازم علي بهجت (٢ج، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧)؛ ابو الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ/١٣٩٣م) الذيل على طبقات الحنابلة، شرح احاديثه ووضع حواشيه: ابو حازم اسامة بن حسن، وابو الزهراء حازم علي بهجت (٢ج، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م). والكتابان مطبوعان بنسق واحد باربعة اجزاء بعنوان طبقات الحنابلة والذيل عليها.

[٢] اعتمدنا: تاج الدين ابي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م) طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (٥ج+جزء فهارس، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٢م).

كما ان السبكي ضمن كتابه بمقدمة طويلة "شملت مناقشة بعض مسائل الحديث والرجال وسرد بعض الأشعار، وطبقات الرواة الذين أخذ عنهم وأسند عنهم"[١].

وفي الحقيقة ان السبكي هو شافعي اشعري متحيز للاشاعرة وينتقص الإمامية، بسبب معتقداتهم الكلامية.

فضلاً عن ذلك فان الكتاب ذو فائدة لا تنكر في دراستنا لتراجم الرجال الذين تعرضنا لهم من رجالات أهل المذاهب سواء ممن كانوا ينتسبون الى أهل خراسان او بغداد، فضلاً عن ذلك فأن السبكي نفسه جاء باخبار مختصرة مفيدة عن الغزو المغولي ضمنها كتابه[٢]، وبطبيعة الحال تبدو منحازة للعباسيين والخليفة العباسي.

ومن موسوعات التراجم لدينا:

-**معجم الادباء لياقوت**[٣]، الذي رتبه على حروف الهجاء واسماه المصنف نفسه بـ"إرشاد الأريب الى معرفة الأديب"[٤] فيما اشتهر بـ"معجم الأدباء".

---

[١] انظر: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ص٦ من مقدمة التحقيق.

[٢] انظر: المصدر نفسه ، ج١، صص: ٢٢٩-٢٣٤.

[٣] هو ياقوت بن عبد الله شهاب الدين الرومي الحموي البغدادي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م) ابتاعه وهو صغير عسكر الحموي التاجر في بغداد، فهو منتسب اليه، كان من الاذكياء، قرأ النحو والادب، وشارك في اسفار للتجارة، كاد الناس يقتلونه في دمشق بعدما استنقص الامام علي (ع)، هرب لحلب ثم استقر به الحال في مرو ثم دخل خوارزم، بعدها هرب من وجه التتار واستقر به الحال بالموصل ثم حلب. له معجم الادباء، معجم البلدان، معجم الشعراء وغير ذلك. للمزيد انظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٥، صص: ١٠٣-١١٣؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، مـ١٣، صص: ٢٨٨-٢٩٠؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، جـ٥، ص٢٢١؛ وانظر: اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي، تاريخ الادب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، ط٢ (تونس: دار الغرب الاسلامي، ٢٠٠٨م) صص: ٣٥٩-٣٦١.

[٤] اعتمدنا: ياقوت بن عبد اله الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م) معجم الادباء، ط٣ (١٠مـ، ٢٠ج، بيروت: دار الفكر، ١٩٨٠م). وقد ذكر المصنف نفسه اسم الكتاب بـ ارشاد الاريب الى=

وايضاً لدينا:

-وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان[1]

لشمس الدين ابن خلكان[2] والذي سار على منوال ياقوت الحموي في التراجم على حروف الهجاء، وترجم لكثير من رجالات الشيعة ايام البويهيين والسلاجقة، على الرغم من تحامله عليهم في التراجم التي يقدمها بنعتهم بالرافضي والرافضي الخبيث، وغير ذلك من النعوت الواردة في هذا المصنف المهم.

=معرفة الاديب. انظر: ياقوت، مـ١، ج١، ص٦٥. فيما ذكره حاجي خليفة باسم "ارشاد الالباء الى معرفة الادباء". انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص١١١.

[1] اعتمدنا: ابو العباس احمد بن محمد بن ابراهيم (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) وفيات الاعيان وابناء انباء الزمان، تحقيق: يوسف علي طويل ومريم قاسم طويل (٦ج، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م).

[2] ابن خلكان هو قاضي القضاة شمس الدين ابو العباس احمد بن محمد بن ابراهيم بن ابي بكر بن خلكان الهكاري الاربلي البرمكي الشافعي الاشعري. يقال ان نسبه يرجع الى يحيى بن خلكان البرمكي وهو من هكار بأربل لكنه استوطن القاهرة ثم الشام حيث عمل قاضٍ للقضاة . الف وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان الذي ذيله الصفدي بالوافي بالوفيات، وتممه ابن تغري بردي بـ المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي. (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) في دمشق. للمزيد عن ترجمته انظر: تاريخ الاسلام، ج١٤، صص: ٥٤١-٥٤٢؛ الخونساري، روضات الجنات، ج١، صص: ٣٢٠-٣٢٥؛

J.W. Fuck, IBN Khallikan, EI2, Vol.III, 832.

ومن كتب التراجم المهمة لدينا:

-مصنف مجمع الآداب في معجم الالقاب[1] :

للمؤرخ البغدادي ابن الفوطي[2] الذي يعد بمثابة أكبر كتاب في الألقاب كان قد صنف في التاريخ الاسلامي، والمجلدات الخمسة التي وصلتنا منه هي من تحقيق المرحوم مصطفى جواد. واعيد طبعها مؤخراً بتحقيق: محمد الكاظم مع الإبقاء على تعليقات المرحوم مصطفى جواد.

ولا ننسى:

-سير اعلام النبلاء[3]

لشمس الدين الذهبي[4]، الظاهري المذهب والحنبلي الولاء، والذي ضمن كتابه السير بمعلومات مهمة ولاسيما في ترجمته للخلفاء العباسيين والسلاطين السلاجقة

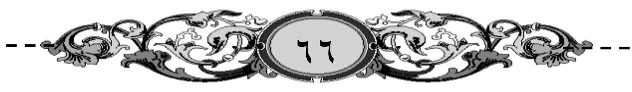
---

[1] اعتمدنا الطبعة الجديدة التي ابقت على غالب هوامش المحقق الاول مصطفى جواد مع اضافات بسيطة. انظر: كمال الدين ابو الفضل عبد الرزاق بن احمد المعروف بابن الفوطي الشيباني (ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م) مجمع الاداب في معجم الالقاب، تحقيق: محمد الكاظم (٥مـ+فهارس، طهران: وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي، ١٤١٦هـ).

[2] كمال الدين ابي الفضل عبد الرزاق بن احمد المعروف بابن الفوطي البغدادي الحنبلي، اسر في بغداد اثر غزو المغول واحتلالهم لبغداد لكن نصير الدين الطوسي خلصه من الاسر، فلازمه واخذ عنه علوم الاوائل. اقام بمراغة في اذربيجان مدة، ثم عاد لبغداد وولي خزانة كتب المستنصرية فبقي عليها الى ان مات. عمل تاريخاً لم يبيضه، ثم عمل آخر دونه في خمسين مجلد سماه "مجمع الاداب في معجم الاسماء على معجم الالقاب". اصابه فالج آخر عمره قبيل وفاته باشهر. توفي ببغداد سنة (٧٢٣هـ/١٣٢٣م). للمزيد عن ابن الفوطي انظر: ابن رجب الحنبلي، الذيل على طبقات الحنابلة، ج٢، صص: ٣٠٩-٣١١؛ ابن الفوطي، معجم الاداب، مقدمة التحقيق لـ مصطفى جواد، مـ١، صص: ١١-٥٩؛
F. Rosenthal, "Ibn Al-Fawti", EI2, Vol.III, 770.

[3] اعتمدنا في استخدامنا للذهبي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) سير اعلام النبلاء، تحقيق: شاكر مصطفى (١٦ج، بيروت: دار احياء التراث العربي، ٢٠٠٦م).

[4] تقدمت ترجمته.



ووزرائهم ابان الفترة قيد الدرس، فضلاً عن الإشارات التي يذكرها لمواطن الفتن التي تحصل اثناء وقوع التجاذبات المذهبية فيها.

ولا يفوتنا ان نذكر من كتب التراجم:

-مصنف حاجي خليفة[١] المسمى "سلم الوصول الى طبقات الفحول"

والذي تناول فيه تراجم رجال الدولة البارزين من العباسيين وخلفائهم، وتراجم الشخصيات العلمية والادبية المهمة في تاريخ الاسلام، فضلاً عن معلومات في الأنساب، والكنى، والألقاب، ودلالات بعض الاماكن والفرق والمذاهب المختلفة[٢].

---

[١] هو: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بكاتب جلبي وبحاجي خليفة، وكاتب جلبي هي شهرته بين الناس آنذاك، وحاجي خليفة هي شهرته بين أهل الديوان وكانت "خليفة" في المصطلح العثماني تعني آمر القلم ورئيسه. قسطنطيني المولد والمقام. شارك في حملات عسكرية عدة منها حملة على بغداد سنة ١٠٣٥هـ/١٦٢٥-١٦٢٦م. تفرغ للكتابة بعد رحلته الى حلب ومنها للحج حيث عاد لاسطنبول والف غالب كتبه بالتركية عدا: كشف الظنون في اسامي الكتب والفنون، وسلم الوصول، وفذلكة اقوال الاخبار في علم التاريخ والاخبار، ودور منتشرة وغير منتشرة وغيرها كثير بالتركية (ت١٠٦٧هـ/١٦٥٧م). واعتمدنا: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بحاجي خليفة وكاتب جلبي، سلم الوصول الى طبقات الفحول، اشراف وتقديم: اكمل الدين احسان اوغلو، تحقيق: محمود عبد القادر الارناؤط. (٥مـ+فهارس، اسطنبول: ارسيكا، ٢٠١٠م) للمزيد عن المؤلف: انظر تقديم خالد ارن في سلم الوصول، صص: ١١-٢٥.

[٢] انظر ما قدمه اكمل الدين احسان اوغلو في سلم الوصول، ص٣٠.

٦-مصنفات معاجم اللغة والاصطلاحات:

وهي معاجم متنوعة، ومهمة في فهم المعنى اللغوي والاصطلاحي لبعض التعابير اللغوية والابستمولوجية التي ترد في فصول الاطروحة منها:

-**المفردات في غريب القرآن الكريم**، للراغب الاصفهاني[١].

-**ومصنف النهاية في غريب الحديث والاثر**[٢]، لمجد الدين ابن الاثير، وهو اكبر الاخوة الثلاثة من بيت اثير الدين.

-**ثم شرح المواقف**[٣]، للقاضي عضد الدين عبد الرحمن الايجي تأليف علي بن محمد الجرجاني (ت٨١٦هـ/١٤١٣م).

-وكذلك **كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون**[٤]، لمصطفى عبد الله القسطنطيني، الشهير بالملا كاتب الجلبي والمعروف بحاجي خليفة.

ولدينا اخيراً: **كشاف اصطلاحات الفنون**[٥]، لمحمد علي التهاوني وفي عنوانه دلالة على محتواه.

فيما اخترنا من معاجم اللغة:

---

[١] ابو القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الاصفهاني (ت٥٠٢هـ/١١٠٨م) المفردات في غريب القرآن الكريم، تحقيق: محمد سيد كيلاني (طهران: المكتبة الرضوية، د.ت).

[٢] مجد الدين المبارك بن محمد الجزري ابن الاثير (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م) النهاية في غريب الحديث والاثر، تحقيق: عبد الحميد هنداوي (٥ج، بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٨م).

[٣] القاضي عضد الدين عبد الرحمن الايجي (ت٧٥٦هـ/١٣٥٥م) المواقف، شرح علي بن محمد الجرجاني (ت٨١٦هـ/١٤١٣م) (٤مـ، ٨ج، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م).

[٤] طبع هذا الكتاب مراراً منها: في سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م باعتناء "فلوغل غوستاف" وكذلك في بولاق والاستانة. واعتمدنا الطبعة الحديثة. انظر مقدمة الطبعة التي اعتمدتها والتي كتبها السيد شهاب الدين المرعشي النجفي في: المولى مصطفى عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي الشهير بالملا كاتب الجلبي، المعروف بحاجي خليفة (ت١٠٦٧هـ/١٦٥٦م) كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون (٥ج، بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٧م).

[٥] محمد علي بن علي بن محمد التهاوني الحنفي (ت بعد ١١٥٨هـ/١٧٤٥م) كشاف اصطلاحات الفنون، ط٢ (٤ج، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦م).

-**لسان العرب**[1]، لإبن منظور الأفريقي.
-**المصباح المنير في غريب الشرح الكبير** للرافعي[2]، لاحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي.
-**تاج العروس من جواهر القاموس**[3]، لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي.
ومن كتب الاخبار والمقالات والادبيات: مصنف
-**جهار مقالة او (المقالات الاربع) في الكتابة والشعر والنجوم والطب**، لـ النظامي العروضي السمرقندي[4]، الذي الف الكتاب بحدود سنة ٥٥٠هـ/١١٥٥م[5].
والكتاب يعطينا بعض العبارات التي لهاا دلالات سياسية وادبية معينة في الدراسة[6].
الدراسة[6].
ولدينا كتاب:

---

[1] ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي (ت٧١١هـ/١٣١١م) لسان العرب (٧ج، بيروت: دار صادر، ١٩٩٧م)

[2] احمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت٧٧٠هـ/١٣٦٨م) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م).

[3] محمد بن محمد بن محمد بن محمد عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، الشهير بـ محمد مرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) تاج العروس في جواهر القاموس، تحقيق: عبد الستار احمد فراج.

[4] انظر: احمد بن عمر بن علي النظامي العروضي السمرقندي (ت بعد ٥٥٠هـ/١١٥٥م) جهار مقاله (المقالات الاربع) في الكتابة والشعر والنجوم والطب، حواشي: محمد عبد الوهاب القزويني، ترجمة: عبد الوهاب عزام، ويحيى الخشاب (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٩م).

[5] يذكر صاحب الكتاب السلطان السلجوقي سنجر (ت ٥٥٢هـ/١١٥٧م) ويردف القول "اطال الله بقاءه وادام الى المعالي ارتقاءه" وهذا دليل على ان الكتاب صنف بحدود ٥٥٠هـ/١١٥٥م وكذلك يؤشر لنا ذلك وفاته بعد (٥٥٠هـ/١١٥٥م) انظر: جهار مقاله، ص٤٨.

[6] مثال ذلك قول الخليفة العباسي المسترشد بالله في شكواه من السلاجقة: "فوضنا امورنا الى آل آل سلجوق فبغوا علينا"، "فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون" انظر: جهار مقالة، ص٣١. او قوله: لما جاء السلاجقة بعده (أي بعد السلطان يمين الدولة محمود الغزنوي) وكانوا بداة لا علم عندهم بأخبار الملوك. انظر: جهار مقالة، ص٣٢.

-**الفتوة**[١] لمصنفه ابن المعمار البغدادي الحنبلي

والكتاب حقيقة يتناول معلومات عن الفتوة وتسميتها واصلها ومنشأها ومراسمها التي طبعت في عهد الخليفة الناصر لدين الله العباسي. ولما كان موضوع الفتوة له أهمية في دراستنا، كونها تعطينا تصوراً عن المجتمع البغدادي الذي كان يقف على رأسه الخليفة، بحيث صار متنفساً للفتيان في الامتثال والتلون في اخلاق محمودة تشغلهم عن التحزب المذهبي السائد وقتذاك بشكل ملفت للنظر.

ومن الكتب التي تتناول امر الفتوة:

-**كتاب الفتوة** لابي عبد الرحمن السلمي[٢] (ت٤١٢/١٠٢١)

الذي يتحدث عن مكارم الاخلاق التي يتصف بها الفتيان من وجهة نظر صوفية، وصنف قبل نحو من قرنين من تبني الخليفة الناصر لدين الله العباسي امر الفتوة ومراسمها في دولة الخلافة العباسية.

اما ما يخص كتب الرحلات فلهذهِ المصنفات أهمية خاصة في دراستنا، كون المصنف صاحب الرحلة ينظر بعين فاحصة في المدن التي يزورها لامور، ربما يعدها من يعايشها من أهل المدن اموراً عادية لا تستحق التدوين، ولاسيما فيما يتعلق بالاسواق والمحلات والعادات التي درج عليها السكان المحليون للمدن.

ومن أهم كتب الرحلات لدينا:

-رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك والمعروفة بـ:رحلة ابن جبير.

---

[١] طبع الكتاب حديثاً، وضم مقدمة قيمة من ٩٣ صفحة كتبها المرحوم مصطفى جواد. انظر: ابي عبد الله محمد بن ابي المكارم المعروف بأبن المعمار البغدادي الحنبلي (ت٦٤٢هـ/١٢٤٤م) كتاب الفتوة، تحقيق: مصطفى جواد، محمد تقي الهلالي، عبد الحليم النجار، احمد ناجي القيسي (بيروت: الوراق للنشر المحدودة، ٢٠١٢م).

[٢] انظر: محمد بن الحسين السلمي (ت٤١٢هـ/١٠٢١م) الفتوة، تحقيق: احمد فريد المزيدي (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م).

فقد ذكر ابن جبير مشاهداته لمدينة بغداد، ووصف بعض من مجالس الوعظ فيها ومحالها واسواقها وقصور دار الخلافة، وحماماتها ومساجدها ومدارسها[1]، وهي امور لها أهمية خاصة في دراستنا.

واوفى كتب البلدان وأهمها لدراستنا:

-معجم البلدان لياقوت[2].

الذي لا غنى لكل باحث عنه في دراسة المدن والبلدان في دار الاسلام، فهو يذكر البلد، ومن انجبته من علماء وادباء ورجال سياسة مشهورين فضلاً عما اشتهرت به من نحله او مذهب يدينون به او يتبعونه.

---

[1] انظر: ابو الحسن محمد بن احمد بن جبير (ت٦١٤هـ/١٢١٧م) رسالة اعتبار الناسك في ذكر الاثار الكريمة والمناسك المعروفة بـ رحلة ابن جبير (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨١م) صص: ١٧١-١٨٤.

[2] اعتمدنا: ياقوت، معجم البلدان (٤مـ، ٨ج، بيروت: دار احياء التراث العربي، ٢٠٠٨م).

المراجع الحديثة:

ان المراجع الحديثة ذات فائدة عظيمة لدراستنا، فبهذهِ المراجع نسترشد لمصادر البحث وأهم ما كتب عنها وما قدم من أهتمامات وتفسيرات بشأنها.

ونخص من هذهِ المراجع الموسوعات:

ومنها:

-دائرة المعارف الاسلامية والمعروفة اختصاراً EI2[١]

ودائرة المعارف الاسلامية هذهِ تحتوي على مقالات مهمة عن البويهيين والسلاجقة، وسلاطينهم، واشهر وزرائهم كنظام الملك، وتاج الملك.

ونخص بالذكر ما كتبه Ch. Cahen عن البويهيين

وما كتبه C.E. Bosworth عن نظام الملك الطوسي

وما كتبه H. laoust عن : ابن الجوزي، وابن كثير الدمشقي

وما كتبه F. Rosenthal عن ابن الاثير

وغير ذلك مما رجعنا اليه في طيات الدراسة

-دائرة المعارف الاسلامية الكبرى

وهي في ثمانية مجلدات صدرت منها الى الآن وفيها مقالات مسهبة تخص دراستنا وربما تمثل بنحو ما بعض الدراسات الاسلامية من وجهة النظر الايرانية

أما ما كتبه جورج مقدسي في كتابه المطبوع بالفرنسية IBN AQIL ، وهو كتاب مهم لما ضمنه من دراسة معمقة عن الأوضاع التي عاشها المؤرخ الموسوعي

---

[١] وهي :

The Encyclopedia of Islam , New Edition
Pre Pared by A Number of Leading Orientalists
Edited by
B. Lewis, V.L. Menge, Ch. Pellat, J. Schacht (12Vol., leiden: E.J. Brill, 1986-2004).

البغدادي ابو الوفا ابن عقيل (ت٥١٣هـ/١١١٩م) ايام السلاجقة وكذلك عن ما اسماه بـ الصحوة الاسلامية السنية اواخر العصر البويهي.

-**وفي تاريخ كمبرج لايران كتابات تفصيلية**

قدمها كل من بوزورث Bosworth، وآن لامبتون A. Lambton وهنري لاووست (H. Laoust).

وهي الأهم عن التاريخ السياسي السلجوقي ونظم الاقطاع وشبكة المدارس التعليمية، لكنها قيد المراجعة والمداولة.

-**ما كتبه المستشرق الانكليزي استانلي لين بول** في كتابه "طبقات سلاطين الاسلام" الذي ترجم وطبع، معتمداً على طريقة التوثيق في التواريخ مستندة على المسكوكات لضبط السلاطين والحكام لدست الحكم.

-**وما صنفه عموماً المستشرق الالماني كارل بروكلمان** بكتابه الاشهر "تاريخ الادب العربي" الذي ترجم وطبع والذي كان له اثر مهم في التوثيق الهيستوغرافي في دراستنا.

فضلاً عن ما استأنسنا به من كتب في الدراسات الحديثة من قبل عرب ومشارقة مثل :

-**كتاب عباس اقبال**، الوزارة في العصر السلجوقي.

-**كتاب العراق وايران في العصر السلجوقي**، لعبد المنعم حسنين.

-**كتاب العراق في العصر السلجوقي** لحسين امين.

-ما كتبه المرحوم جعفر خصباك عن الدولة العباسية في عصورها المتأخرة في كتابه: **العراق في العهد الايلخاني**.

فضلاً عن بعض رسائل الماجستير والدكتوراه سواء المطبوع منها مثل رسالة الماجستير لمنصور حسين هادي التجاذب المذهبي في العصر البويهي (مواقف الحنابلة من الشيعة الإمامية الاثني عشرية ٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٥-١٠٥٥م) وغيرها من رسائل واطاريح تلامس موضوع دراستنا.

الاشكالات المنهجية التي تخص المفاهيم والتعابير Terminology المستعملة في مجريات الاطروحة

يجدر بنا التعاطي مع هذهِ التعابير والمفاهيم في ضوء متطلبات البحث، فمثلاً: علينا التعرف على مصطلح الشيعة، والشيعة الإمامية الاثني عشرية في بداية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، وتطور هذا المفهوم لدى حكام الوقت من الخلفاء العباسيين ومتغلبيهم السلاجقة من أهل السلطنة، دون أن نتناول منشأ الشيعة والمراحل التي مرّوا بها، ومقارنة هذا المصطلح عند باقي الفرق الاسلامية من المخالفين لهؤلاء الامامية، والأمر نفسه يجري على بقية المفاهيم التي ترد في الأطروحة مثل الحنفية، الشافعية، الحنابلة، وكذلك مفاهيم تعكس الغلبة في الحكم مثل السلاجقة الغز، والسلطنة، او المؤسسات التعليمية التي نمت وتطورت أيامهم مثل المدرسة وسابقتها المسجد والجامع، وكذلك بعض ما استحدث في مؤسسات الخلافة في اواخر عصورها عند أصحاب المراتب مثل نيابة الوزارة، استاذ دار الخلافة، وصاحب المخزن، فضلاً عن مفاهيم مثل الفتوة، الاعتقاد القادري– القائمي، أو مفاهيم استعملت حديثاً لتفسير وقائع حدثت أبان الفترة قيد الدرس مثل: الصحوة العباسية والقطيعة التاريخية Rupture.

الشيعة[١]:

يعد العراق منذ ايام خلافة الامام علي (ع) عموماً موطن الشيعة[٢]، وما يهمنا بهذهِ الدراسة هو التعريف بهم من خلال تسميتهم او مناطق تمركزهم وانتشارهم في عهدي البويهيين والسلاجقة كالقول "أهل الكرخ"، ببغداد او من خلال طقوسهم الاحتفالية، كاحتفالاتهم بيوم عاشوراء ويوم الغدير، او من خلال ما امتازوا به عن بقية أهل السنة خاصةً بالقول بحي على خير العمل في الآذان والإقامة، او من خلال الدفن في مدافنهم الخاصة في مشهد علي، او مقابر قريش وحتى من خلال شكل قبورهم بالتسطيح في قبال تسنيم القبور لأهل السنة.

-أما تسميتهم :

فقد عرف الشيعة الامامية الاثني عشرية في غالب كتب مخالفيهم من أهل المذاهب والفرق، وكتب المؤرخون وكتب التراجم الذين تناولوا الفترة التي قيد الدرس بـ"الرافضة"[٣] وهو الاسم الذي عادةً ما ينبز به الشيعة عموماً والامامية منهم خاصةً.

---

(١) تناولنا المفهوم اللغوي والاصطلاحي، فضلاً عن نشأة الشيعة والفرق الشيعية الرئيسة من الامامية الاثني عشرية، والزيدية، والاسماعيلية بتفرعاتها في: دراستنا عن مواقف الحنابلة من الشيعة الامامية الاثني عشرية في بغداد ٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٥-١٠٥٥م (بغداد: مكتبة العين، ٢٠١٤م) صص: ٣٧-٤١.

(٢) كان التوزيع الديمغرافي للشيعة بالعراق في أوائل القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي وحتى الغزو المغولي للعراق ٦٥٦هـ/١٢٥٨م: "الحلة كانت تاتي بعد بغداد في الاهمية، ثم كربلاء والنجف والكوفة والبصرة التي يحتمل أن غالبيتها كانت منهم، ثم واسط التي كانت تنقسم بين قوى المسلمين من أهل السنية والشيعة. انظر: جعفر خصباك، العراق في عهد المغول الايلخانيين، (بغداد: مطبعة العاني، ١٩٦٨م) صص: ١٧٨-١٨٢.

(٣) صار هذا الاصطلاح يخص من يعتقد ان الامام علي (ع) قد نُصَّ عليه بالخلافة من بعد الرسول الاكرم (ص). انظر: ابو الحسن علي بن إسماعيل الاشعري (ت٣٢١هـ/٩٤٢م) مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: نواف الجراح (بيروت: دار صادر، ٢٠٠٦م) ص١٩؛ محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر احمد الشهرستاني (ت٤٥٨هـ/١٠٦٦م) الملل والنحل، ج١، ص١٤٦؛ ابو الفضل عباس بن منصور السكسكي الحنبلي، البرهان في معرفة عقائد أهل=

- مراكز تواجد الشيعة في مدينة بغداد ومحالها:

ينتشر الشيعة في الكرخ(١) وعند مشهد باب التبن(٢) من بغداد الغربية، والمختارة(٣) خاصةً من بغداد الشرقية.

ويلاحظ ان غالب التجاذبات المذهبية التي كانت تجري في بغداد في العصر البويهي والسلجوقي كان الكرخ هو ميدانها، فيما نلاحظ ان الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٨٠-١٢٠٥م) جعل مشهد موسى بن جعفر في سنة ٥٨٠هـ/١١٨٥م آمناً لمن لاذ به، فالتجأ اليه خلق كثير(٤).

وبذلك يمكننا عد سنة ٥٨٠هـ/١١٨٥م هي بداية تكاثر الشيعة عند مقابر قريش. كما ان "تعمير" سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس الاسدي للحلة سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م(٥) ادى الى استقطاب الشيعة الامامية الى هذهِ المدينة ولاسيما من

=الأديان، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م) ص٣٥. وعن الرافضة ومنشأ تسميتها، انظر: منصور حسين هادي، مواقف الحنابلة، صص: ٤٤-٤٦.

(١) يذكر ياقوت ان أهل الكرخ كلهم شيعة امامية "ولا يوجد فيهم سنيّ البته"، وما بين شرق الكرخ والقبلة محلة باب البصرة "وأهلها كلهم سنية حنابلة" والى الجنوب منها نهر القلائين وبينهما محلة باب البصرة "وأهلها سنية ايضاً"، وعن يسار قبلتها محلة تعرف بباب محول "وأهلها سنية". انظر: معجم البلدان، مـ٤، ج٧، ص١٢٨.

(٢) مشهد باب التبن: والمقصود به مشهد الامام موسى بن جعفر الكاظم وحفيده الامام محمد بن علي الجواد، سابع وتاسع أئمة الشيعة الامامية الاثني عشرية، يذكر ياقوت (في ايامه) انها "الان محلة عامرة ذات سور مفردة" انظر: معجم البلدان، مـ١، ج٢، ص٢٤٥.

(٣) المختارة: من محلات الجانب الشرقي من بغداد، ويعين موضعها العلامة مصطفى جواد واحمد سوسة بإنها تقع بالشمال الغربي لمنطقة قنبر اغا الحالية. انظر: دليل خارطة بغداد قديماً وحديثاً، (بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٨م) ص١٧٦.

(٤) انظر: الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١٢، ص٢٣؛ جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي، تاريخ الخلفاء، (بيروت: دار صادر، ١٩٩٧م) ص٥٣٥؛ محسن الامين، اعيان الشيعة، مـ٤، ص١٥.

(٥) انظر: ياقوت، معجم البلدان، مـ٢، ج١، ص١٧٦؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٤٥١.



بغداد على اثر حالات التجاذب المذهبي فيها، خاصة تلك التي حدثت في بغداد سنة ٤٨٢هـ/١٠٨٩م، حيث قريء منشور على أهل الكرخ ببغداد من الخليفة المقتدي بأمر الله (٤٦٧-٤٨٧هـ/١٠٧٥-١٠٩٤م) فيه تهديد ووعيد "بأخذ علمائهم على ايدي سفهائهم" وان يدينوا "بمذهب المسلمين من أهل السنة"[١].

- مناسبات الاحتفال عند الشيعة الإمامية :

يعد يوم العاشر من محرم (يوم عاشوراء) [٢] ويوم الثامن عشر من ذي الحجة (يوم الغدير، او عيد الغدير) وهما أهم مناسبتين كان الشيعة الامامية الاثني عشرية يحتفلون بهما على مدى السنين.

يوم عاشوراء :

يحيى الشيعة الإمامية هذا اليوم في بغداد بالحزن والنوح، وفرش الرماد في الاسواق، واغلاق الأسواق وعدم ممارسة الاعمال، فيما يعد ما يقرأ في هذا اليوم من أدعية وزيارات هي أحد أهم الذرائع التي تساق لمنع الشيعة الامامية في بغداد من الإحتفال بهذهِ المناسبة[٣]، ونلاحظ في وقت لاحق كذلك ان قراءة قصة استشهاد الحسين بن علي (ع) قد منعت ايضاً للذريعة نفسها[٤].

---

[١] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٢٨٢.

[٢] كان بدء الاحتفال العلني الرسمي ليوم عاشوراء في بغداد سنة ٣٥٢هـ/٩٦٣م. ايام معز الدولة البويهي انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤، ص١٥٠؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص١٣ و ١٤.

[٣] انظر لزيارة الحسين يوم عاشوراء في: ابو جعفر الطوسي، مصباح المتجهد، ص٥٥؛ رضي الدين ابو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس، اقبال الاعمال (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٩٩٦م)، صص: ٤٤-٥٢.

[٤] انظر: مجهول، كتاب الحوادث، ص٢١٢، ص٢٩٢؛ الملك الاشرف الغساني، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك، ص٥٧٥.

يوم الغدير:

وهو يوم الثامن عشر من ذي الحجة، كانت الشيعة الإمامية في بغداد تحتفل بهذا اليوم احياءً لما روي في كتبهم وكتب مخالفيهم عن حديث الغدير في ١٨ ذي الحجة سنة ١٠هـ[١]، ولئن كانت مناسبة عاشوراء يحييها الشيعة الإمامية ببغداد حزناً فإن مناسبة الغدير يحيونها فرحاً.

- أهم ما امتاز به الامامية وعروفوا به عن غيرهم من بقية المسلمين من أهل السنة[٢] فهو:

الاذان بحي على خير العمل[٣]:

عرف الشيعة عموماً بالآذان بـ"حي على خير العمل" بعد الحي على الأولى والثانية في الآذان والاقامة، حتى صارت من شعارات الشيعة عموماً والشيعة الامامية الاثني عشرية خصوصاً، حتى انه في فتنة عام ٤٤٣هـ/١٠٥١م طولب أهل الكرخ من قبل الحنابلة بسوق القلائين، برفع "حي على خير العمل" من

---

(١) انظر الى واقعة الغدير ورواة حديثه، والمؤلفون في حديث الغدير في : عبد الحسين احمد الاميني النجفي، الغدير في الكتاب والسنة والادب، ج١، صص: ٩-١٥٨؛ وفي حقيقة الامر الواقع فأن احتفالات الشيعة الامامية بيوم الغدير هو تكريس لاعتقاداتهم بعدم شرعية متولي امرة المؤمنين (الخلافة الاسلامية) بعد الرسول الاكرم محمد (ص) وهذا ما ينكره عليهم مخالفيهم، وربما كان هذا احد الاسباب التي حدت بمخالفي الشيعة الى انكار حديث الغدير. انظر: علي بن احمد المعروف بأبن حزم الاندلسي (ت٤٥٦هـ/١٠٦٤م) الفصل في الملل والاهواء والنحل، ط٣ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م)، ج٣، ص٧١.

(٢) يورد ابن الجوزي في المنتظم جملة من الامور التعبدية والفقهية التي تنسب الى الشريف المرتضى (ت٤٣٦هـ/١٠٤٤م) وعدّها "مذاهب عجيبة تخرق الاجماع" وهي في حقيقتها ما يختلف به الشيعة الامامية عن أهل السنة وقتئذ وحتى الآن. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٢٩٤.

(٣) عن الاذان بـ حي على خير العمل. انظر: علي الشهرستاني، حي على خير العمل الشرعية والشعارية، ط٥ (بيروت: دار الرافدين، ٢٠١٠م).

الآذان[1]، وتطور الأمر سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م وبعد دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م فطلب الخليفة القائم بأمر الله نفسه من أهل الكرخ والمشهد (مشهد موسى بن جعفر) بترك الاذان بـ"حي على خير العمل، ففعلوا ما امرهم به خوفاً من السلطنة وقوتها"[2].

وعند دخول البساسيري بغداد سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٩م فإن الآذان بـ"حي على خير العمل" لم يقتصر على مساجد الشيعة ببغداد بل تعداه الى كل المؤسسات غير الشيعية الاخرى كالمساجد والجوامع ومنها جامع المنصور، فيما لم يشمل ذلك مسجد الخليفة وهو مسجد دار الخلافة[3]، الى غير ذلك من حوادث التأكيد على "حي على خير العمل" في الآذان من قبل الشيعة وانكارها من مخالفيهم حتى عرفت بأنها من شعارات الشيعة عموماً.

تسطيح القبور:

عمد المسلمون من أهل السنة عموماً الى مخالفة الشيعة حتى في شكل قبورهم، فالبيهقي (ت٤٥٨هـ/١٠٦٦م) يذكر ان تسطيح القبور "أصح واولى" ولكن "بعض أهل العلم من اصحابنا استحب التسنيم في هذا الزمان لكونه جائزاً بالاجماع وان التسطيح صار شعاراً لاهل البدع"[4]، ولذلك فإن الحنابلة، يظاهرهم العامة من

---

[1] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٣٣٠.

[2] انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٧، ص١٧٦.

[3] انظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٤٩٣. ويذكر سبط ابن الجوزي ان البساسيري ضرب دنانير ببغداد سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٩م على احد وجهيها "لا اله الا الله محمد رسول الله علي ولي الله". انظر: مرآة الزمان، ج١٩، ص٧١.

[4] انظر: ابو بكر احمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت٤٥٨هـ/١٠٦٦م) السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القار عطا، ط٤ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٠م) ج٤، ص٥. وانظر ايضاً: رضي الدين ابو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت٦٦٤هـ/١٢٦٦م) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، تحقيق: علي عاشور (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٩٩٩م) ج٢، صص: ٢٨٧-٢٨٩.

أهل السنة عمدو الى تسنيم القبور في مشهد موسى بن جعفر في سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م[١] ومنها قبر موسى بن جعفر نفسه وبعد حوادث التجاذب المذهبي التي انتابت بغداد على اثر دخزل طغرل بك بغداد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م.

واجمالاً نحن لسنا بصدد ايراد كل الأمور التي امتازت بها الشيعة الامامية في بغداد، ولكن يعد ما اوردناه ابرز تلك الأمور التي عرف ممارسوها بانهم شيعة إمامية اثني عشرية.

الطموح السياسي لدى الشيعة الإمامية الأثني عشرية:

ركنت الشيعة الامامية الى مبدأ التقية[٢] بعد استشهاد الامام الحسين بن علي (ع) [٣] في كربلاء سنة ٦١هـ/٦٨٠م. فلم تكن اي من ثورات العلويين في الحقب التي تلت ذلك وحتى قيام ما يطلق عليه عصر الغيبة، نقول لم تكن اي من تلك الثورات ذات طابع شيعي على الخط الاثني عشري. وفي الحقيقة فأن الامر ولدَّ لدى الكثيرين من الشيعة الامامية الاثني عشرية نوعاً من الاحباط، وكان ذلك أحد الاسباب الرئيسية في تحول عدد من رجالات الشيعة الامامية الاثني عشرية الى

---

[١] انظر: سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٧.

[٢] والقرآن الكريم ذكر بآيات كريمة حالات اجيزت بها التقية اختياراً او تحت الاكراه، انظر: قوله تعالى في سورة غافر / الاية ٢٨ **((وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ))** او قوله تعالى : **((مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ)) النحل / ١٠٦**. وانها نزلت في الصحابي عمار بن ياسر انظر: علي بن ابراهيم القمي، تفسير القمي، ص٣٦٤؛ الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٦، ص٢٠٣.

[٣] انظر للاحاديث الخاصة بمبدأ التقية في باب افرد له: ابو جعفر احمد بن محمد بن خالد البرقي (ت٢٧٤ او ٢٨٠هـ/٨٨٧ او ٨٩١م) كتاب المحاسن (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٨م) ج١، صص: ١٧٢-١٧٥.

الخط الاسماعيلي الذي كان له طموح سياسي في تسنم خلافة المسلمين[1]، فضلاً عن ذلك فأن الشيعة الامامية الاثني عشرية يتميزون في ما يطلقون عليه عصر الغيبة الكبرى بعد سنة ٣٢٩هـ/٩٤٠م، وانهم بعصر غيبة امامهم الثاني عشر.

اثبتت الوقائع التاريخية وابان العصر البويهي (٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٥-١٠٥٥م) ان مرجعياتهم الدينية او الناشطين منهم سياسياً لم تطلب بأحلال خليفة شيعي اثني عشري محل الخليفة العباسي القرشي السني المذهب، وان جل التجاذبات المذهبية التي كانت تجري في بغداد تجاه الشيعة الإمامية الأثني عشرية كانت تحصل بين قوى الحنابلة خاصةً من معتنقي المذهب من أهل السنة، ولأسباب لا تتعدى مسائل الاحتفالات بمناسبات الشيعة الإمامية الأثني عشرية، وما كانت تطلب بخليفة شيعي اثني عشري ابداً. وحتى ابان حقبة الخليفة القادر الذي عمل على تمذهب الدولة من خلال ما عرف بالاعتقاد القادري فأن قوى الشيعة عموماً لم يجرؤ في المطالبة على الاعتراف بمذهبهم مذهباً خاصاً يتعبد به شطر مهم من رعايا الدولة العباسية.

اما في العصر السلجوقي فأن أهم ناشط سياسي شيعي كان يتمثل بالامير المزيدي دبيس بن صدقة (ت٥٢٩هـ/١١٣٥م) فأنه في حربه مع الخليفة المسترشد بالله (ت٥٢٩هـ/١١٣٥م) لم ينل اي تأييد او غطاء شرعي شيعي اثني عشري من اي من مراجع او علماء الشيعة الاثني عشرية، ولا يفوتنا ان نذكر كذلك ان الامير البساسيري التركي الاصل بدوره لم ينل بدوره ذلك التأييد ابداً من قوى الشيعة الامامية الاثني عشرية.

اما في عصر الخليفة الناصر لدين الله فأن سياسة احتواء الشيعة الإمامية الأثني عشرية وتسنمهم المراتب المهمة في دواوين الدولة وعلى رأسها الوزارة فإن ذلك لم يولد طموحاً سياسياً لدى القوى الامامية الناشطة سياسياً.

---

[1] انظر عن قصة تحول الحسن بن فرج بن حوشب صاحب دعوة اليمن من الاثني عشرية الى الاسماهيلية زمن الغيبة الصغرى في: القاضي النعمان بن حيون المغربي التميمي (ت٣٦٢هـ/٩٧٢م) افتتاح الدعوة (بيروت: دار الاضواء، ١٩٩٦م) ص١٦ وما بعدها.

وبناء على ما تقدم فإن الشيعة الإمامية التزمت بشكل معين بما روي عن أئمتهم بأن دولة الشيعة الامامية الاثني عشرية هي آخر الدول[1]، وانهم في زمن الغيبة الكبرى للامام الثاني عشر، وان افضل الاعمال هو انتظار ظهوره وانهم يثابون لقاء هذا الانتظار[2] ليملء الأرض قسطاً وعدلاً بعد ان ملئت ظلماً. وبذلك يتضح ان الشيعة الامامية الاثني عشرية لم يكن لهم طموح سياسي في تسنم خلافة او حكم ابان الفترة قيد الدرس، وان اقصى ما كان يريده الشيعة الإمامية في بغداد لا يعدو عن تمتعهم بحرية اقامة طقوسهم العبادية والمراسمية. الا ان ذلك قد لا يشمل بعض الناشطين من الامامية في المجتمع البغدادي في تولي المراتب في ديوان الخلافة خدمة لقواعدهم الشعبية.

الاسماعيلية:

وهي الفرقة الشيعية التي ساقت الامامة الى اسماعيل الابن الاكبر للامام جعفر بن محمد الصادق والذي قيل انه توفي سنة ١٣٨هـ/٧٥٥م في حياة ابيه الذي توفي سنة ١٤٨هـ/٧٦٥م[3]، واستطاعت هذهِ الفرقة من تأسيس دولة لها في غرب شمال افريقيا سنة ٢٩٧هـ/٩١٠م عرفت تاريخياً بالدولة الفاطمية فيما اسماها الفاطميون انفسهم بالدولة الهادية وما لبث ان انتقلت الى مصر بعد بناء حاضرة جديدة لها هي القاهرة وذلك سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م وبذلك صارت هذهِ الدولة على تماس مباشر مع ممتلكات ونفوذ الدولة العباسية والمنافسة لها على الزعامة والملك في دار الاسلام.

---

[1] انظر: الطوسي، كتاب الغيبة، ص٢٨٢.

[2] انظر: ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ/٩٩١م) كمال الدين وتمام النعمة (بيروت: منشورات الفجر، ٢٠٠٩م) صص: ٤٤٩-٤٥٢.

[3] انظر: مسعود حبيبي مظاهري، مقال: اسماعيل بن جعفر في دائرة المعارف الاسلامية الكبرى، مـ٧، صص: ٦٧٤-٦٧٨.

وفي دور الازدهار والقوة للبويهيين ابان امارة الاستيلاء لعضد الدولة البويهي (ت٣٧٢هـ/٩٨٣م) كانت له مراسلات كثيرة مع الخليفة الفاطمي العزيز بالله (ت٣٨٦هـ/٩٩٥م) [١] وبذلك يمكننا تفهم استشعار الخليفة القادر بالله للخطر المحدق بالدولة العباسية غرباً واجراءاته في التشكيك بالنسب الفاطمي[٢]، فضلاً عن الاعلان الرسمي لمذهب الدولة العباسية، وسعيه الى احلال قوة بديلة عن البويهيين الشيعة تحل محلهم في بغداد. تكون متوافقة مذهبياً مع مذهب الدولة العباسية ذو الاصول الشافعية.

فضلاً عن ذلك فأن السلطان طغرل بك في قدومه الى بغداد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م كان احد الاسباب المعلنة لذلك هو قتال "اهل الشام ومصر"[٣] والمقصود بهم الفاطميين الذين عدوا خارجين عن الاسلام "هراطقة".

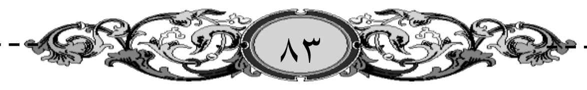
وعانت الاسماعيلية في وقت لاحق وعقب وفاة المستنصر الفاطمي (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م) انشقاقاً الى مستعلية ونزارية، والظاهر ان هذا الانشقاق كان بأثر سياسي بفعل أختيار الافضل الجمالي ابن امير الجيوش بدر الجمالي لابن

---

[١] انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٧، ص١٢٦. والعزيز بالله هو: نزار بن منصور بن المعز لدين الله ثاني الخلفاء الفاطميين بمصر تولى الخلافة الفاطمية سنة ٣٦٥هـ/٩٧٨م. وكان "القائم بتدبير مملكته مولى ابيه جوهر الصقلي" توفي في ٣٨٦هـ/٩٩٥م. للمزيد عن سيرته وترجمته انظر: جمال الدين ابو المحاسن يوسف الاتابكي ابن تغري بردي (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠م) مـ٢، ج٤، ص١١٢.

[٢] انظر الى المحضر الذي كتب عن ديوان الخلافة في ٤٠٢هـ/١٠١١م حول الخلفاء الفاطميين بمصر في : ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، صص: ٨٢ و ٨٣؛ وكذلك انظر: ابن الاثير، الكامل ، ج٧، ص٣٠٣؛ الذهبي، دول الاسلام، تحقيق: حسن اسماعيل مروة (بيروت: دار صادر، ١٩٩٩م) ج١، ص٣٥٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٨، صص: ٢٠٣ و ٢٠٤.

[٣] انظر للرسالة التي ارسلها طغرل بك الى الخليفة القائم في: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٨، ص٤٩٢.



المستنصر ابو القاسم احمد ولقبه بالمستعلي[١]، فيما صار مصير ولي العهد نزار مجهولاً بعد معارك دارت بينه وبين الافضل الجمالي، وقيل أنه قتل ببناء جدار عليه[٢]، وبذلك فقد استمرت الاسماعيلية المستعلية في مصر واليمن، فيما صار اتباع نزار وهم النزارية لهم حكم ونفوذ في القلاع الحصينة في ايران وبزعامة كبير الدعاة حسن الصباح[٣].

كان للنزارية والذين نبزوا، وبشكل اوسع مقارنة بالمستعلية، بالباطنية[٤] دور فاعل وتأثير كبير في مجمل الاحداث التي مرت بدولة السلاجقة في العراق وايران، وكذلك في بلاد الشام[٥].

فغالباً ما كانت عمليات الاغتيال التي طالت الوزراء والصدور تلصق بالباطنية، فقد اتهم الباطنية باغتيال الوزير الاشهر نظام الملك الطوسي وكذلك

---

[١] انظر: برنارد لويس، الدعوة الاسماعيلية الجديدة (فرقة الحشاشين) ترجمة: الياس فرحات (بيروت: دار البيضاء، د.ت) ص٤٩؛ هاشم عثمان، الاسماعيلية بين الحقائق والاباطيل (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات).

[٢] انظر: هاشم عثمان، الاسماعيلية بين الحقائق والاباطيل ، ص٢٢٤ و ٢٢٥.

[٣] انظر: فرهاد دفتري، مختصر تاريخ الاسماعيلية (دمشق: دار المدى، ٢٠٠١م) ص١٩٧.

[٤] الباطنية: نبزت غالب الفرق الشيعية الاسماعيلية بانها باطنية، وهي الفرق التي ترى ان هنالك تفسير ظاهر وآخر باطن للقرآن الكريم انظر: B. Carra de vaux، مقال الباطنية في: دائرة المعارف الاسلامية، مـ٣، ص٢٩٠؛ وقد صنف ابو حامد الغزالي، محمد بن محمد بن محمد الطوسي (ت٥٠٥هـ/١١١١م) كتاب المستظهري في الرد على الباطنية او "فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية" رداً على النشاط المحموم الذي يضطلع به الدعاة الفاطميون في ايران ابان خلافة الخليفة المستظهر بالله (ت٥١٢هـ/١١١٨م). انظر: ابو حامد الغزالي، فضائح الباطنية، تحقيق: عبد الرحمن بدوي (القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٤م)

[٥] وعموماً ينظر الى الاسماعيلية الى انهم باطنية. انظر: محمد بن احمد بن يوسف الخوارزمي الكاتب (ت٣٨٧هـ/٩٩٧م) مفاتيح العلوم، تحقيق: نهى النجار (بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٩٣م) ص٨٨؛ عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص٥٣.

الخليفتين المسترشد بالله (ت٥٢٩هـ/١١٣٥م) والراشد بالله (ت٥٣٢هـ/١١٣٨م)، كما ان قلاعهم ظلت صامدة حتى تم تهديمها على اثر الغزو المغولي لوسط ايران[١].

المسلمون من أهل السنة:

عرف لشطر الاكبر من المسلمين عامةً ومن خلال الواقع التاريخي بانهم "أهل السنة" او "أهل السنة والجماعة"، فالسنية كانت "على الدوام مذهب معظم الشعوب الاسلامية"[٢]، وعلى الرغم من أن أهل السنة كان ابتداءً اصطلاحاً على "أهل الحديث"[٣] وهم في الحقيقة من الحنابلة الاوائل، ولذلك فإن الخليفة العباسي المتوكل على الله (٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٧-٨٦١م) عدّه المؤرخون "مظهر السنة"[٤] و"محيي السنة"[٥]، الا ان الاصطلاح توسع في مفهومه ليشمل المسلمين الاشاعرة[٦]

---

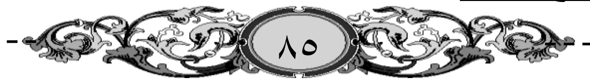
[١] انظر: دفتري، مختصر تاريخ الاسماعيلية، ص٢٧١.

[٢] انظر: كلود كاهن، الاسلام منذ نشوءه حتى ظهور السلطنة العثمانية، ترجمة: حسين جواد قبيسي (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٠م) ص٣١٥.

[٣] كانت التسمية ابتداءً هي اصطلاح لمن تمسك بالسنة المروية عن الرسول محمد (ص) من دون التعرض الى علم الكلام، والخوض في ما لم يصرح به بنص نبوي. انظر: دي لاسي اوليري، الفكر الغربي ومركزه في التاريخ، ترجمة: اسماعيل البيطار (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٢م) ص١٧٩ وما بعدها.

[٤] انظر: المسعودي، مروج الذهب، ج٤، ص٣.

[٥] انظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٤٠٧.



الاشاعرة[١] "بل ان الآراء الاشعرية صارت جزءً من مذهب أهل السنة"[٢]، وعلى الرغم من استقباحها من الاقليات التي عدتها خروج عن السنة و "بدعة"[٣].

أما التطور الملفت للنظر فهو ما حدث ابان القرن الخامس الهجري / الحادي عشر ميلادي ايام صحوة أهل السنة من خلال ما عرف بالاعتقاد القادري الذي عرف بانحيازه الواضح الى قوى الحنابلة، على الرغم من اشتماله على جميع قناعات واقرارات مذاهب أهل السنة المعروفة. وبذلك يمكننا أن نبلور لمفهوم عام لأهل السنة والجماعة بأنهم: يعدّون الواقع التاريخي التسلسلي في تولية الخلافة الراشدة هو الواقع الشرعي وهذا ما نظر اليه اقضى القضاة الماوردي الشافعي في كتابه الاشهر "الأحكام السلطانية"[٤]، ووافقه القاضي ابو يعلى الفراء الحنبلي في كتابه الذي يحمل نفس الاسم[٥].

البدعة:

---

[١] انظر: احمد الكاتب، تطور الفكر السياسي السني نحو خلافة ديمقراطية (بيروت: الانتشار العربي، ٢٠٠٨م) ص٨٩.

[٢] انظر: اغناتس غولاتسيهر، العقيدة والشريعة في الاسلام، تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الديانة الاسلامية، ترجمة: محمد يوسف موسى (بيروت، بغداد: منشورات الجمل، ٢٠٠٩م) ص٣٤١.

[٣] نفسه.

[٤] انظر: ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماورجي (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م) الاحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: احمد جاد (القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٦م) ص١٧ وما بعدها.

[٥] انظر: ابو يعلى محمد بن الحسين الفراء (ت٤٥٨هـ/١٠٦٥م) الاحكام السلطانية، صححه وعلق وعلق عليه: محمد حامد الفقي، ط٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦م) ص١٩ وما بعدها.

عدَّ اصحاب الحديث من الحنابلة عامةً كل مستحدثات الأمور من ممارسات وافعال وعلم كلام بدعة[١]، لكن الأمر تعدى الى تقسيمها الى بدعة حسنة واخرى غير حسنة[٢]. وغني عن البيان ان الأحاديث التي لا توردها ولا تؤمن بصحتها فرقة من فرق المسلمين دون اخرى فانها تعدها بدعة[٣]. فمراسم واحتفالات الشيعة الإمامية الأثني عشرية في عاشوراء ويوم الغدير وغيرها من المناسبات التي يحتفي بها الإمامية ينظر اليها من مخالفيهم بأنها من البدع[٤]، فيما تروي كثير من

---

[١] في المعنى اللغوي للبدعة يذكر الفراهيدي: هو احداث شيء لم يكن له من قبل خلق ولا ذكر ولا معرفة. انظر: ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ/٧٨٦م) كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، ط٢ (ايران: مؤسسة دار الهجرة، ١٤٠٩هـ) ج٢،= =ص٥٤؛ او انها انشاء صفة بلا احتذاء ولا اقتداء. انظر: الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص٣٨؛ وابتدع الشيء اي انشأه وبدأه. انظر: اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار (بيروت: دار العلم للملايين، د.ت) ج٣، ص١١٨٣.

[٢] انظر: جعفر الباقري، البدعة (بيروت: دار الثقلين، ١٩٩٥م) صص: ١٤١-١٨٣ فصل عن تقسيم البدعة.

[٣] واستناداً الى الحديث المروي عن الرسول (ص) "كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار". انظر: ابو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري (ت٣٢٩هـ/٩٤٠م) كتاب السنة، شرح: صالح بن فوزان عبد الله الفوزان (القاهرة: دار ابن حزم، ٢٠٠٨م) ص١٨.

[٤] يفرد جلال الدين السيوطي فصلاً عن "الاحداث المنكرة لما يفعله بعض أهل الاهواء (والمقصود بهم الشيعة دون شك) في يوم عاشوراء من التعطش والحزن والتفجع" ويصفها من البدع. انظر: جلال الدين السيوطي، حقيقة السنة والبدعة او الامر بالاتباع والنهي عن الابتداع، تحقيق: خليل ابراهيم (بيروت: دار الفكر اللبناني، ١٩٩٢م) ص٦٢ وما بعدها. فيما تُشرعن الشيعة عموماً للنوح والبكاء في عاشوراء من خلال الروايات التي تذكر ان الرسول الاكرم (ص) كان قد بكى ودمعت عيناه لما اتاه جبريل (ع) يخبره بان الحسين (ع) يقتل بكربلاء في العراق. انظر: الشيخ المفيد، الارشاد (بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ٢٠٠٨م) ص٢٤٠؛ ابو المؤيد الموفق بن احمد المكي اخطب خوارزم (ت٥٦٨هـ/١١٧٢م) مقتل الحسين (بيروت: دار الحوراء، ٢٠٠٩م) ج١، ص٢٣٢؛ عماد الدين ابي جعفر محمد بن ابي قاسم الطبري (من اعلام القرن

المصادر الشيعية ثوابات عظيمة لاظهار علامات الحزن والبكاء في يوم عاشوراء، فضلاً عن زيارة مرقده في كربلاء[1]، وصنفت كثير من الكتب في آداب ومراسم الزيارة لمرقد الحسين بن علي بن ابي طالب[2].

المعتزلة :

وهي احدى الفرق الكلامية التي نشأت ابتداءً بالبصرة اعطت للعقل القسط الأوفر في تقديراتها، وتنسب ابتداءً الى ابي حذيفة واصل بن عطاء الغزال (ت١٣١هـ/٧٤٨م) تلميذ الحسن البصري (ت١١٠هـ/٧٢٨م) [3]، والذي قيل انه اعتزل عن استاذه الى اسطوانه من اسطوانات المسجد فقال الحسن البصري اعتزل

السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، تحقيق: جواد الفيومي (بيروت: دار الحوراء، ٢٠٠٧م) ص٣٣٢؛ علي بن محمد بن احمد المالكي المكي الشهير بابن الصباغ (ت٨٥٥هـ/١٤٥١م) الفصول المهمة في معرفة الائمة، تحقيق: سامي الغريري (قم: دار الحديث للطباعة والنشر، ١٤٢٢هـ) مـ٢، صص: ٧٦٠-٧٦٢؛ فيما يورد كاتب محدث استناداً الى ما اورده مخالفي الشيعة الامامية في مسانيدهم، اخباراً عن ستة عشرة مرة بكى فيها= =رسول الله (ص) في مجالس (يسميها المصنف مآتم) لأمهات المؤمنين او بعض الصحابة، بعد ان اخبره الامين جبرائيل (ع) بمقتل سبطه الحسين (ع). انظر: الشيخ عبد الحسين الاميني النجفي، سيرتنا وسنتنا، ط٢ (بيروت: المجمع العالمي لأهل البيت (ع)، ٢٠١٢م) صص: ٩٦-٣١٨؛ وكذلك ستة مرات بكى فيها الامام علي بن ابي طالب، منها اثناء مروره بارض كربلاء عند مسيره الى حرب معاوية في صفين. انظر: الاميني، سيرتنا وسنتنا، صص: ٣١٩-٣٤٣. وقد افرد الذهبي فصلاً خاصاً في مصنفه "الكبائر" عن النياحة ومظاهر الحزن. انظر: الذهبي، الكبائر (دار الكتب العلنية، ٢٠٠١م) صص: ١٨٩-٢٠٣.

[1] انظر: ابن بابويه القمي، الشيخ الصدوق، ثواب الاعمال وعقاب الاعمال، ط٥ (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٦م) صص: ١١٠-١٢٦.

[2] اوردنا ذكر عدد منها في كشف وتحليل المصادر.

[3] انظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج١، ص٤٦.

عنا واصل فسمي هو واصحابه معتزلة[(١)]، مع ملاحظة تسميتهم باسماء اخرى، منها ما سموا به أنفسهم او ما نبزهم به خصومهم، واهم ما اشتهر به المعتزلة هو القول بخلق القرآن، ولذلك فقد وصفوا من قبل خصومهم[(٢)]، وخاصة من الحنابلة بأنهم مبتدعة كفرة[(٣)]، ومن لم يكفرهم فهو كافر. ففي الوقت الذي يعد المعتزلة من اصحاب الكلام الذين وظفوا علم الكلام والحجاج في العقائد "بقصد الدفاع غن اصول العقيدة الاسلامية، وتثبيتها، وهدم ادلة كل من يحاول التشكيك فيها او النيل منها"[(٤)]. فإن اصحاب الحديث عامة عدّوا حتى الاطلاع على مباحث المعتزلة في هذا المجال خطيئة ومروق عن الدين يستحق صاحبها العقوبة في الدنيا قبل الآخرة[(٥)]. فضلاً عن ذلك فإن الخليفة القادر بالله (ت٤٢٢هـ/١٠٣٢م) كان قد

[(١)] وسبب اعتزال ابن عطاء القول بالمنزلة بين المنزلتين. انظر: ابو القاسم علي بن الطاهر ابو احمد الحسين المعروف بالشريف المرتضى (ت٤٣٦هـ/١٠٤٤م) امالي السيد المرتضى (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م) مـ١، ج١، ص١١٤؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ج١، ص٤٨.

[(٢)] من الاسماء التي سموا به انفسهم: العدلية، اهل الحق، الموحدة (العدل والتوحيد). اما الاسماء التي ينبزون بها من خصومهم فهي: القدرية، الثنوية، المعطلة، الجهمية، المغنية، اللفظية. انظر: جعفر السبحاني، المذاهب الاسلامية، صص: ٩٣-٩٥؛ زهدي جار الله، المعتزلة (القدس: د.ذكر المطبعة، ١٩٤٧)، صص:٢-١١.

[(٣)] انظر: ابن ابي يعلى الفراء، طبقات الحنابلة، ص٣٣.

[(٤)] انظر: جعفر شمس الدين، دراسات في العقيدة الاسلامية (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٧م)، ص١٩.

[(٥)] نستحضر هنا ما يمكن ان نسميه بمحنة ابو الوفاء ابن عقيل (ت٥١٣هـ/١١١٩م) حينما اضطر الى الاختباء من الحنابلة اصحابه خوفاً منهم سنة ٤٦١هـ/١٠٦٩م حتى سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٤م باعلان توبته امام مقدم الحنابلة وقتئذ الشريف ابو جعفر الهاشمي (ت٤٧٠هـ/١٠٧٨م) انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص١٤٣ و١١٣ و١٩٠؛ وهنالك من افرد مصنفاً في الرد على ابن عقيل. انظر: موفق الدين عبد الله بن احمد بن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م) الرد على ابن عقيل الحنبلي، تحقيق: احمد فريد المزيدي (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م).

استتاب "المبتدعة" "فتبرأوا من الاعتزال"[1] وذلك سنة ٤٠٨هـ/١٠١٧م وهذا ما تم التأكيد عليه فيما عرف بالاعتقاد القادري–القائمي[2].

الاشاعرة:

ينسب الأشاعرة الى ابي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري (ت٣٣٠هـ/٩٤٢م) [3] فقد كان الاشعري ابتداءً معتزلياً ولكنه انقلب عن الاعتزال على اثر المناظرة التي جرت مع استاذه ابي علي الجبائي[4]، فيما يضفي اصحابه على هذا الانقلاب صفة قدسية من خلال حلم رآه الاشعري، رسول الله (ص) يأمره بان يفصح عن المذهب الحق بالرجوع الى "سنتي"[5]، ويروي ابن ابي يعلى في طبقات الحنابلة ان الأشعري عرض على مقدم الحنابلة الحسن بن علي بن خلف البربهاري امره في رجوعه عن الاعتزال، فلم يقبل منه البربهاري متمسكاً بما قاله

---

[1] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص١٢٥.

[2] انظر لنص الاعتقاد القادري–القائمي في الملحق رقم (٤).

[3] والاشعري ينسب الى جده ابو موسى الاشعري. انظر ترجمته في: ابو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني (ت٥٦٢هـ/١١٦٧م) الانساب (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م) ج١، ص١٧٤؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٣، ص٢٤٩؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٢، صص: ٢٥١-٣١٣.

[4] وهو محمد بن عبد الوهاب الجبائي، صاحب مقالات المعتزلة، ولد (٢٥٣هـ/٨٦٧م)، وهو من معتزلة البصرة، توفي سنة (٣٠٣هـ/٩١٥م). للمزيد عن سيرته انظر: السمعاني، الانساب، ج٢، ص٣٦؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٢، ص١٣١؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٣، ص١٨٠. والمناظرة يوردها السبكي في: طبقات الشافعية الكبرى، ج٢، ص٢٥٨؛ وانظر ايضاً: محمد جعفر شمس الدين، دراسات في العقيدة الاسلامية، ص٤٩.

[5] انظر: ابو القاسم علي بن الحسن هبة الله ابن عساكر الدمشقي (ت٥٧١هـ/١١٧٦م) تبيين كذب المفتري فيما نسب الى الامام ابي الحسن الاشعري (دمشق: مطبعة التوفيق، ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م) ص٣٩.

احمد بن حنبل صاحب مذهب الحنابلة[١] وبذلك يظهر لنا ان الحنابلة متمثلين بمقدمهم البربهاري استشعروا من الاشعري، ولم يرغبوا أن يكون الأشعري صاحب فضل عليهم متمسكين بصاحب مذهبهم الاول احمد بن حنبل.

وينظر الى الاشعري كمعتزلي مرتد في تركه أهل الأعتزال والالتحاق بأصحاب الحديث محاولة منه لأصلاح مذهب أهل الحديث في قرارة نفسه، الا ان أهل الحديث لم يقبلوا منه ذلك.

علم الكلام :

يُعتقد ان علم الكلام اخذ نطاقه المعروف في الاسلام بعد الترجمات التي حصلت للعلوم الفلسفية الاغريقية عندما تم استعمال هذهِ العلوم و "اخضاع البرهان المنطقي، والدليل العقلي لما يعتقد انه حق وصواب"[٢] وفي المرحلة اللاحقة تم توظيف علم الكلام في اثبات رؤية المعتزلة انفسهم تجاه مخالفيهم ممن يتمسكون بالنص الحديثي للرسول (ص) من غير الاكتراث الى علم المنطق والكلام، ولذلك يعد علم الكلام احد وسائل الاثبات للفرق الكلامية في صحة اعتقاداتهم في قبال اصحاب الحديث، ولأن اصحاب الحديث لايمكنهم الوثوق بما ستؤول اليه نتائج الخوض في غمار علم الكلام، فقد فسقوا الخائضين في الجدل والتجاذب الكلامي بامور تخص الذات الالهية، والتشبيه والصفات وقضية كلام الله[٣]، قديم او محدث، بل وتجاوز الامر الى منع الخوض في وقائع التجاذبات التي حصلت في صدر الاسلام، واختلاف الصحابة عامة في امور الخلافة والحروب والفتن التي حصلت

---

[١] انظر: ابن ابي يعلى، طبقات الحنابلة، ج٢، ص١٦؛ ابن عساكر، تبيين كذب المفتري، ص٣٩١.

[٢] انظر: محمد جعفر شمس الدين، دراسات في العقيدة الاسلامية، ص١٩.

[٣] ان الكلام في الله تعالى محدث، وهو بدعة وظلالة. انظر: ابن ابي يعلى، طبقات الحنابلة، ص١٧؛ وان الامام احمد بن حنبل كان يكره الكلام، ويمنع منه ويغضب لسماعه. انظر: المصدر نفسه، ص٢٣١.

ابان الخلافة الراشدة[١]، فضلاً عن ذلك فأن ابا الحسن الاشعري لما حاول التقرب الى اصحاب الحديث وجلهم من الحنابلة وتأليفه كتاب الإبانة فإن اصحاب الحديث من الحنابلة لم يقبلوا منه ذلك[٢]، وبذلك يتضح لنا ان الحنابلة عموماً في بغداد امسكوا عن علم الكلام والخوض فيه مع مخالفيهم لكنهم في واقع الأمر كانوا لا يتوانون عن استعمال القوة والعنف ضدهم من خلال وقائع التجاذب المذهبي التي كانت تجري مع مخالفيهم من المعتزلة والأشاعرة، والشيعة الامامية، بل وحتى الشافعية كما سيتضح لنا من خلال دراستنا هذهِ.

النقلة الاهم في تطور غايات علم الكلام كانت بين اصحاب علم الكلام المنتمين الى مذاهب وفرق مختلفة، وتجلى ذلك كما تتجلى سابقاً في مناظرات كبير متكلمي الامامية الشريف المرتضى مع نظيره من المعتزلة عبد الجبار الهمداني، وغني عن البيان ان هكذا مناظرات ما كانت لتتم الا في اجواء من الحرية في الكلام وطرح الافكار ومناقشتها وهذهِ كانت سمة العصر البويهي، كما ان الامر تكرر بنحو ما ابان خلافة الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٨٠-١٢٢٥م) الخليفة العباسي الرابع والثلاثون وبنحو مشابه ابان خلافة حفيده المستنصر بالله (٦٢٣-٦٤٠هـ/١٢٢٦-١٢٤٢م) حيث حفلت هذهِ الحقبة بتأليف جملة من الكتب في علم الكلام نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما كتبه الطبرسي وهو من الامامية (من اعلام القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) في كتابه الاحتجاج[٣]،

---

[١] انظر: ابن ابي يعلى، طبقات الحنابلة، ج٢، ص٢٩.

[٢] المصدر نفسه، ص١٦.

[٣] انظر: احمد بن علي بن ابي طالب الطبرسي، الاحتجاج، ط٣ (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٠م)؛ جمال الدين ابو الفضائل احمد بن موسى بن طاووس (ت٦٧٣هـ/١٢٧٤م) بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية (بيروت: مؤسسة آل البيت لأحياء التراث، ٢٠١٣م).

وما كتبه رضي الدين علي بن طاووس وهو الآخر من الامامية من كتب في تهذيب النفس وترويضها وهي من طرف خفي تصدح هذهِ سجايانا في تهذيب شيعتنا[١].

المذاهب الأربعة :

عدّت المذاهب الاربعة المعروفة (الحنفي، المالكي، الشافعي، الحنبلي) المذاهب الرئيسية التي تمثل المسلمون من أهل السنة خاصة بعد تقدم الخليفة العباسي القادر بالله (ت٤٢٢هـ/١٠٣١م) الى اربعة من الأئمة في المذاهب هذهِ ليضع كل واحد منهم كتاباً مختصراً في الفقه[٢].

وبذلك أضفى على هذهِ المذاهب الأربعة الصفة والصبغة الرسمية، فضلاً عن ذلك فأن الخليفة القادر نفسه مالبث ان اخرج كتاباً قريء بدار الخلافة سنة ٤٠٩هـ/١٠١٨م "بمذهب أهل السنة"[٣]، وتجدد الأمر ولثلاث دفعات في سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م[٤]. ومضمون الكتاب عرف بالاعتقاد القادري، وتم التركيز عليه في سنوات لاحقة ابان خلافة الخليفة القائم بأمر الله (ت٤٦٧هـ/١٠٧٥م) وعرف بالاعتقاد القادري-القائمي، وهو في حقيقته يتضمن مجمل اعتقادات المسلمين من أهل السنة بخصوص صفات الله وكلام الله، وموقفهم من الخلفاء الراشدين والصحابة وانكارهم ما تعتقده المعتزلة والشيعة[٥].

---

[١] مثال ذلك: رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت٦٦٤هـ/١٢٦٦م) اقبال الاعمال (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٩٩٦م)؛ ابن طاووس، مهج الدعوات (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٩٩٤م)؛ مجد الدين علي بن الحسين بن باقي القرشي الحلي (من اعلام القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي) اختيار المصباح الكبير (٢ج، قم: مطبعة عمران، ١٤٣٢هـ).

[٢] انظر : الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٧، ص٣١٩.

[٣] انظر : ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص١٢٨.

[٤] انظر : نفسه، صص: ١٩٧-١٩٨.

[٥] انظر لنص الاعتقاد القادري في الملحق رقم (٤)

الحدث المفصلي المهم كان ابان خلافة الخليفة المستنصر بالله (٦٢٣-٦٤٠هـ/١٢٢٦-١٢٤٢م) اثر انشاء المدرسة المستنصرية في بغداد وافتتاحها سنة ٦٣١هـ/١٢٣٤م واقتصارها في التدريس على المذاهب الاربعة: الحنفية، المالكية، الشافعية، الحنبلية[١]، وبذلك ترسخت فكرة ان مذهب أهل السنة هي هذهِ المذاهب الأربعة على الرغم من وجود مذاهب سنية أخرى لكنها اضمحلت ولم يكتب لها البقاء او إنها انضوت تحت احد المذاهب الاربعة[٢].

الحنفية:

ينسب المذهب الحنفي الى النعمان بن ثابت مولى بني تميم بن ثعلبة[٣]، وهو امام اصحاب الرأي، وفقيه أهل العراق وهو من أهل الكوفة، نقله الخليفة ابو جعفر المنصور الى بغداد فأقام بها حتى وفاته سنة ١٥٠هـ/٧٦٧م حيث دفن بمقبرة الخيزران[٤].

وينظر الى ابي يوسف الانصاري[٥]، وهو اول من دعي بقاضي القضاة في الاسلام، بأن الفضل يعود اليه في بث مذهب ابي حنيفة النعمان والعمل على

---

(١) انظر: مجهول، كتاب الحوادث، صص: ٨٠-٨٤.

(٢) انظر: عارف تامر، معجم الفرق الاسلامية (بيروت: دار المسيرة، ١٩٩٠م) ص٩.

(٣) انظر: الحافظ ابو عبد الله محمد بن اسماعيل ابن ابراهيم البخاري (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م) التاريخ الكبير، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م) ج٧، ص٣٨٥، الترجمة رقم ٢٢٥٣. ويذكر ابن النديم ان ثابت بن زوطي وان زوطي من أهل كابل، انظر: الفهرست (بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٨م) ص٢٨٤. وانظر ايضاً: احمد امين، ضحى الاسلام، ط٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م)، ج٢، ص١٣٧.

(٤) انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد او مدينة السلام، ج١٣، ص٣٢٥.

(٥) وهو : يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن سعد بن حبته الانصاري، سكن ببغداد، وولاه الخليفة الهادي (ت١٧٠هـ/٧٨٦م) القضاء، واقره الرشيد، ثم ان ابا يوسف استخلف ابنه يوسف على الجانب الغربي من بغداد فاقره الرشيد على ذلك، وما لبث ان ولاه قضاء القضاة بعد وفاة ابيه ابي يوسف، وأشتهر عنه التماس ما عرف بالحيل الشرعية خاصة للخليفة هارون الرشيد، توفي ابي يوسف سنة ١٨٢هـ/٧٩٨م، ودفن في بغداد، للمزيد عن سيرته انظر: محمد بن خلف بن حيان

انتشاره، فضلاً عما بذله تلميذ ابي يوسف محمد بن الحسن الشيباني[١] مولاهم (ت١٨٩هـ/٨٠٤م) وكذلك زفر الهذلي[٢]، والحسن بن زياد ابو علي اللؤلؤي[٣] ومن الملاحظ ان هؤلاء الذين نشروا مذهب ابي حنيفة كانوا ممن تولى امر القضاء، خاصة ابي يوسف الأنصاري الذي يعد أول قاضٍ للقضاة في الاسلام حيث "لم يتقلد ببلاد العراق وخراسان والشام ومصر إلا من اشار به القاضي ابو يوسف"[٤]. ونلاحظ اثر ذلك جلياً في الاقاليم الشرقية الاسلامية وقتئذ وشاهدنا على

(ت٣٠٦هـ/٩١٨م) اخبار القضاة (بيروت: عالم الكتب، ٢٠٠١م) صص: ٦٥٠-٦٥٧؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، صص: ٢٤٢-٢٦٢؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، صص:٧١-٨٠؛ ابراهيم بن علي بن يوسف ابو اسحق الشيرازي (ت٤٧٦هـ/١٠٨٤م) طبقات الفقهاء، تحقيق: احسان عباس (بيروت: دار صادر، ١٩٨١م) ص: ١٣٤.

[١] محمد بن الحسن بن فرقد، ابو عبد الله الشيباني مولاهم، صاحب ابي حنيفة، اصله من دمشق، ونشأ بالكوفة، وسكن بغداد وتولى قضاء الرقة، ثم عزل عن القضاء، صاحب الخليفة الرشيد للري، حيث توفي سنة ١٨٩هـ/٨٠٤م. للمزيد انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٢،= =صص: ٢٧٢-٢٨٢؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص١٧١؛ ابو اسحق الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص١٣٥.

[٢] وهو ابو الهذيل زفر بن الهذيل بن قيس من بني العنبر توفي بالبصرة سنة ١٥٨هـ/٧٧٥م، تفقه وغلب عليه الرأي. انظر: ابن النديم، الفهرست، ص٢٨٥.

[٣] وهو احد اصحاب ابي حنيفة ممن اخذ عنه وسمع منه، وولي القضاء، يزعم مخالفيه بالمذهب من حنابلة "قلة دراية في القضاء واحكامه" توفي سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م. للمزيد عن ترجمته وسيرته انظر: ابن النديم، الفهرست، ص٢٨٨؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٧، ص٣٤١؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٣٢؛ ابو اسحق الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص١٣٥.

[٤] انظر: تقي الدين ابي العباس احمد بن علي بن عبد القادر المقريزي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، المعروف بالخطط المقريزية (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م) ج٤، ص١٤٩.

ذلك ان اقليم ما وراء النهر ظهر فيه الماتريدي[١] "متقلداً رأي ابي حنيفة في الفقه" بموازاة ابو الحسن الاشعري المتقلد للمذهب الشافعي في بغداد.

وبذلك يمكننا ان نتفهم اعتناق السلاجقة للمذهب الحنفي، ولأن بلاد ما وراء النهر كانت ينتشر فيها هذا المذهب، فضلاً عن ظهور وتبلور الحنفية الماتريديه بها، كما وان المذهب الحنفي يوصف بأنه مذهب أصحاب الرأي والقياس مقابل مذهب اصحاب الحديث ممن يوصفون بالحشويه الذين يلتمسون لكل فعل حديث، فضلاً عن ما يفسره البعض من تساهل في المذهب الحنفي تجاه بعض عادات السلاجقة[٢].

الشافعية:

يعد الشافعية اتباع المذهب الفقهي الذين ينتسبون الى ابي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي[٣] (ت٢٠٤هـ/٨٢٠م).

---

[١] هو: ابو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي المنسوب الى ماتريد من توابع سمرقند ينتهي نسبه الى ابي ايوب الانصاري (خالد بن زيد بن كليب الانصاري) توفي سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤م. للمزيد عن ابي منصور الماتريدي والماتريدية انظر: محمد ابو زهرة، تاريخ المذاهب الاسلامية (القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠٠٩م) صص: ١٨٢-١٩٥؛ جعفر السبحاني، المذاهب الاسلامية (بيروت: دار الولاء، ٢٠١٣م) صص: ٦١-٧٢.

[٢] مثال ذلك ما ذكره الراوندي في راحة الصدور، وافرد له فصلاً خاصاً اسماه "فصل في الشراب". انظر: الراوندي، راحة الصدور وآية السرور في اخبار الدولة السلجوقية، صص: ٥٧٨-٥٩١.

[٣] ابو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي، واورد الخطيب البغدادي نسبه بصيغة: محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف. ولد في غزة وقيل باليمن سنة ١٥٠هـ/٧٦٧م نشأ بمكة ودرس على مالك ابن أنس بالمدينة، وزار بغداد مرتين، وتوثقت صلته بالفقيه الحنفي المشهور محمد بن الحسن الشيباني (ت١٨٩هـ/٨٠٥م) بعدها رحل الى مصر ثم عاد لبغداد سنة ١٩٨هـ/٨١٤م، واخيراً عاد لمصر سنة ٢٠٠هـ/٨١٦م ليستقر بها ويتوفى سنة ٢٠٤هـ/٨٢٠م. للمزيد عن سيرته وترجمته انظر:

ويلاحظ ان انتشار المذهب الشافعي في العالم الاسلامي كان على حساب المذهب الحنفي، ولذلك فإن الحنابلة في بغداد عّدو الشافعية من منافسيهم الاقوياء، لان الشافعية صاروا "بنهاية القرن الثالث الهجري / العاشر الميلادي" "بتزايد عددهم شيئاً فشيئاً"[1]، حيث جرت بين الحنابلة والشافعية تجاذبات مذهبية في بغداد ولمرات متعددة[2].

النقلة الأكبر قي انتشار المذهب الشافعي كانت على اثر انشاء شبكة المدارس النظامية التي اسسها الوزير السلجوقي نظام الملك الطوسي والتي اقتصر فيها التدريس على وفق المذهب الشافعي، وبذلك يتضح الأثر السياسي في انتشار المذهب الشافعي.

الحنابلة:

الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٢، صص: ٥٤-٧٥؛ محمد ابو زهرة، الامام الشافعي، حياته وعصره وآراءه الفقهية (القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠١٢م) صص: ٦-٤٦؛ وانظر: ايضاً Heffening، مقالة الشافعي في دائرة المعارف الاسلامية (الاصدار الاول المترجم)، مـ٣، صص: ٧٢-٧٧.

[1] انظر: Heffening، مقال الشافعية، دائرة المعارف الاسلامية، الاصدار الاول المترجم، مـ٣، ص٧٥.

[2] مثال ذلك ما يذكره ابن الاثير بحوادث سنة ٣٢٣هـ/٩٣٤م حينما اهرج الحنابلة بغداد واغروا العميان الذين يأوون للمساجد بضرب كل شافعي يمر بهم. انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٤١٣ وكذلك الفتنة بين الاثنين (الحنابلة والشافعية) التي اتهم فيها الشافعية بتسميم مقدم الحنابلة ابو جعفر الهاشمي سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٧م. انظر لتداعيات ذلك في: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، صص: ١٨١-١٨٣؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، صص: ٣٢٦-٣٣٠.

ينسب الحنابلة الى صاحب المذهب الامام احمد بن حنبل الشيباني المرزوي[١] (١٦٤-٢٤١هـ/٧٨٠-٨٥٥م) والذي كان يعد من المحدثين الرواة. وكانت شوكة الحنابلة في بغداد قد قويت ابتداءً من تولي الخليفة المتوكل العباسي عاشر الخلفاء العباسيين الخلافة، بل وتنامت في فترة لاحقة حتى قيل أنهم "ارهجوا بغداد"[٢] ابان خلافة الراضي بالله الخليفة العباسي العشرون، ثم ان الحنابلة الذين كانوا يتمركزون في محلتي باب البصرة وباب الشعير والقلائين وهي المحلات المجاورة للكرخ حيث يتواجد الشيعة الامامية، فكانوا على احتكاك دائم معهم وبسبب ذلك اثيرت الكثير من الفتن والتجاذبات المذهبية بين الطرفين ابان العصر البويهي (٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٥-١٠٥٥م) وازدادت وتيرة ذلك على أثر استيزار الخليفة القائم بالله لرئيس الرؤساء ابن المسُلمة فكان للحنابلة دوراً كبيراً في شدة الفتن والتجاذبات في بغداد مع الشيعة الامامية بل وحتى مع الشافعية ايضاً، وقبيل دخول السلاجقة بغداد وتعاظم هذا الدور بعيد دخول السلطان طغرل بك للمرة الاولى سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م، ومن بعد ذلك على اثر اعادة الخليفة القائم بالله من المنفى سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م.

وينظر الى الاعتقاد القادري-القائمي بانه يتضمن غالب ما تعتقده الحنابلة في أمور الذات الالهية، والقرآن الكريم، والرسول محمد والصحابة الكرام[٣]، ولذلك فأن

---

[١] عن احمد بن حنبل ترجمته وسيرته ومناقبه انظر: ابو نعيم الاصفهاني (ت٤٣٠هـ/١٠٣٩م) حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، تحقيق: عبد الله المنشاوي وآخرين (المنصورة: مكتبة الابحاث، ٢٠٠٧م) ج٩، صص: ١٥٣-٢١٩؛ ابن الجوزي، مناقب الامام احمد بن حنبل (القاهرة: مطبعة الخانجي، ١٩٧٩م)؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ط٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م) مـ١، ج٢، صص: ١٥ و١٦؛ محمد ابو زهرة، احمد بن حنبل (القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠٠٦م).

[٢] انظر ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٤١٣.

[٣] انظر الى نص الاعتقاد القادري-القائمي في: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، صص: ٢٧٩-٢٨٢.

أحد كبار الحنابلة ومقدميهم المسمى بـ أبو جعفر الهاشمي[1]، كان ممن طالب باعادة قراءته في مساجد بغداد لتجديد التأكيد على بنوده[2]، كما ان الحنابلة عموماً

---

[1] وهو عبد الخالق بن عيسى بن احمد بن محمد بن عيسى المعروف بالشريف ابو جعفر بن ابي موسى العباسي الهاشمي، من كبار رجالات الحنابلة في وقته، توفي في بغداد سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م واتهم الشافعية الاشعرية بتسميمه. للمزيد عن ترجمته وسيرته انظر: ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج١، صص: ١٣-٢٢؛ مجير الدين ابو اليمن عبد الرحمن بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (ت٩٢٨هـ/١٥٢٢م) المنهج الاحمد في تراجم اصحاب الامام احمد، تحقيق: عبد القادر الارنؤط وآخرين (بيروت: دار صادر، ١٩٩٧م)، ج٢، صص: ٣٨٨-٣٩٩.

[2] انظر: ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، مـ٨، ص٣٠٦.

كانوا يزدادون نشاطاً ونفوذاً في كل مرة يتولى فيه أمر الديوان (الوزارة) احد رجالاتهم وهذا ما سيتضح لنا في طيات البحث.

التصوف:

ينسب التصوف ابتداءً الى لبس الصوف[١]، وهو كناية عن الزهد في الملبس والمأكل[٢]، ورفض الترف "في العيش" على انه بدعة[٣].

عدَّ المتصوفة الاول من الشيعة[٤]، الا ان التصوف كان قد اتخذ مسارات متعددة خاصة ابان الفترة التي نتناولها بالبحث، تراوحت بين ادعاء الوجد والحلول، وجلسات السماع، وممارسات يستقبحها الحنابلة خاصةً[٥]، وعلى الرغم من ذلك نرى ان الخليفة المستنجد بالله (٥٥٥-٥٦٦هـ/١١٦٠-١١٧٠م) مالبث ان مال الى مجالس الصوفية التي كانت تعقد في الدار الجديدة التي بناها بباب الغربة ويحضرها

---

[١] انظر: لويس ماسنيون، مقال "التصوف" في دائرة المعارف الاسلامية، مـ٥، ص٢٦٥.

[٢] انظر: للحديث الذي اورده المصوفة والمروي عن ابي هريره عن الرسول محمد (ص): "البسوا الصوف، وشمروا وكلوا في انصاف البطون تدخلوا في ملكوت السماء".

انظر: محمد بن علي بن عطية الحارثي، المشهور بابي طالب المكي (ت٢٨٦هـ/٨٩٩م)، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد الى مقام التوحيد، ط٣ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م) ج٢، ص٢٨٢. وهناك من ينسب لبس الصوف الى الرسول محمد (ص). انظر: زكي مبارك، التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق (القاهرة: طبعة الرسالة، ١٩٣٨م)، ج١، ص٥٥.

[٣] انظر: دي لاسي اوليري، الفكر العربي ومركزه في التاريخ، ص١٥٧.

[٤] انظر: ماسينيون، التصوف، دائرة المعارف الاسلامية، مـ٥، ص٢٦٦. وانظر ايضاً: كامل مصطفى الشيبي، الصلة بين التصوف والتشيع (بيروت-بغداد: دار الجمل، ٢٠١١م) ج١ الخاص بـ"العناصر الشيعية في التصوف".

[٥] افرد ابن الجوزي في مصنفه "تلبيس ابليس" باباً كاملاً عن ممارسات الصوفية في زمانه. انظر: ابن الجوزي، تلبيس ابليس، صص: ١٧٥-٣٥٤.

ارباب الصوفية ويبيت فيها قوم على السماع[1]. وبذلك قد ينظر الى اجراءات الخليفة المستنجد بالله في الميل الى الحنابلة وعقده مجالس السماع للصوفية هي محاولة من الخليفة العباسي في ايجاد حشد موازٍ من الحنابلة والصوفية تجاه الشيعة الامامية، خاصة في احتفالاتهم بيوم الغدير وعاشوراء.

السلاجقة :

ينتسب السلاجقة الغز الى زعيمهم سلجوق بن دقاق[2]، والسلاجقة دخلوا الأسلام[3] وعلى وفق المذهب الحنفي متأثرين على ما يبدو بالسامانيين، والذين كانوا يستقطبون "أفضل الرجال وأعلمهم من فقهاء المذهب الحنفي ليحكم في القضايا الهامة" التي تعرض لهم في بخارى[4].

وبدخول السلاجقة الى خراسان وعبورهم نهر جيحون واعتناقهم الاسلام أُتيح لهم الدخول في منافسات القوة في المشرق الاسلامي، فأستشعر منهم الغزنويين ودخلوا معهم في حروب انتهت بانتصار السلاجقة الحاسم والكبير والنهائي في معركة داتدقان في رمضان ٤٣١هـ/مايس ١٠٤٠م[5]، حيث ظهروا كقوة عسكرية سياسية فتية متدفقة في غاية عنفوانها في المشرق الاسلامي، وهو ما ساعد على

---

[1] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص١٥٩، ١٦٣، ١٧٤.

[2] ودقاق، او تقاق او بقاق يعني القوس الحديد. انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٤٧؛ صدر الدين الحسيني، زبدة التواريخ، ص٢٣.

[3] "يذهب بعض علماء الروس ان السلاجقة دخلوا في الاسلام بعد ان اعتنقوا المسيحية" ويستدلون على ذلك باسماءهم الدينية المسيحية وهي: ميكائيل، موسى، اسرائيل. انظر: Cl Haurt، السلاجقة، دائرة المعارف الاسلامية، مـ١٢، ص٢٥.

[4] انظر: امير حسن صديقي، الخلافة والملكية في ايران في العصر الوسيط، ترجمة: احسان ذنون الثامري (كولونيا، منشورات الجمل، ٢٠٠٧م) ص١٠٣.

[5] انظر: صدر الدين الحسيني، زبدة التواريخ، ص٤٥؛ وعن تفاصيل مجريات معركة داندافان انظر: ابو الفضل محمد بن حسين البيهقي (ت٤٧٠هـ/١٠٧٧م) تاريخ البيهقي، ترجمة: يحيى الخشاب وصادق نشأت (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٢م)، صص: ٦٨٤-٦٩٠.

انتعاش الآمال عند الخليفة العباسي القائم بأمر الله وذلك بأن يستقوي بهم للحلول محل البويهيين الشيعة الذين اضطربت أحوال الامراء عندهم خاصة وان السلاجقة كانوا حديثي العهد بالاسلام، "وانهم كانوا متمسكين بالمذهب السني"[١].

تعاظم نفوذ السلاجقة في المشرق الاسلامي بعد معركة دانداقان ٤٣١هـ/١٠٤٠م حيث عزز طغرل بك بن ميكائيل بن سلجوق سيطرة السلاجقة على الاقاليم الشرقية باستيلاءه على جرجان وطبرستان سنة ٤٣٣هـ/١٠٤٢م[٢]، وفي سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٣م دخل طغرل بك الري وطبس ونيسابور وخوارزم[٣]، وبذلك كان هذا التمدد على حساب الممتلكات التي كانت خاضعة لسيطرة البويهيين الشيعة.

وتعززت مكانة السلاجقة عندما ارسل الخليفة العباسي اقضى القضاة ابا الحسن الماوردي (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م) الى طغرل بك سنة ٤٣٥هـ/١٠٤٤م حيث "تلقاه طغرل بك على أربعة فراسخ اجلالاً لرسالة الخليفة" على الرغم مما ابداه الخليفة القائم للممارسات الغير منظبطة من قبل العسكر السلجوقي تجاه الرعية في تلك النواحي[٤].

وبدخول طغرل بك بغداد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م صار ينظر اليه كمنقذ للخلافة العباسية من نفوذ البويهيين الشيعة وايذاناً بحصول قطيعة تاريخية مهمة في تاريخ الدولة العباسية في بغداد يتمثل بنهاية حرية الممارسات المذهبية بحاضرة الخلافة العباسية، فضلاً عن الايذان بفرض حالة من الترويج لمذهب أهل السنة

---

[١] انظر: امير حسين صديقي، الخلافة والملكية في ايران، ص١٢٧.

[٢] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٦٦؛ عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر (بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٩م) مـ١، ص٩٩٤.

[٣] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٧٣؛ ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، مـ٨، ص٢٥٩.

[٤] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٢٨٩.

والجماعة توجت لاحقاً بانشاء معاهد علمية دينية خاصة بمذاهب أهل السنة من حنفية وشافعية وحنبلية وكذلك بتجديد الاعلان بما عرف بالاعتقاد القادري القائمي، وعلى الرغم مما ينظر اليه نحو السلاجقة كناصرين للسنة امام الشيعة سواء زيدية متمثلين بالبويهيين او إسماعيلية متمثلين بالدولة الفاطمية في مصر او اثني عشرية في بغداد نفسها فأن هذا كله لم يمنع السلاجقة وسلطانهم في السعي لمكاسب شخصية تشريفية بالزواج من بنت الخليفة القائم بأمر الله، لكن يبدو ان هذا الزواج الذي تم بعد مناكفات طويلة، كان نذير شؤم على السلطان الذي توفي بعد نحو من ستة اشهر من اتمامه، وبعد ذلك لم يفكر أحد من السلاطين السلاجقة بالوصلة من البيت العباسي.

كان للحروب التي خاضها السلاجقة تجاه الدولة البيزنطية الاثر الكبير في نفوس عامة المسلمين خاصة بعد الانتصار الحاسم في معركة ملاذ كرد سنة ٤٦٣هـ/١٠٧٠م، لكن الامر الاهم بالنسبة لمؤسسة الخلافة العباسية ببغداد كان إعادة الخليفة القائم بأمر الله الى قاعدة حكمه ببغداد بعد نفيه لمدة عام كامل عن المدينة على اثر ما عرف بفتنة البساسيري، وعلى الرغم مما روج له ان السلاجقة بقدومهم لبغداد لغرض ازالة الخطر المتمثل بالفاطميين، فأن انهاء الخلافة الفاطمية عن مصر والشام لم يتم إلا على يد صلاح الدين يوسف الأيوبي (ت٥٨٩هـ/١١٩٣م) والذي يعد صنيعة للزنكيين الذين كانوا بدورهم صنيعة السلاجقة الغز.

أثبتت الوقائع التأريخية ان السلاجقة كانوا أكبر خطراً على الخلافة العباسية في بغداد عمن سواهم من بويهيين حتى إن أثنين من الخلفاء العباسيين وهما المسترشد (ت٥٢٩هـ/١١٣٥م) وابنه الراشد (ت٥٣٢هـ/١١٣٧م) قاتلا السلاجقة واغتيلا فيما اتهمت الباطنية باغتيالهما [1].

---

[1] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٧١٤ وص٧٤٣؛ وكان الخليفة المسترشد بالله قد استشعر من السلاجقة وخطرهم حتى انه يروى انه قال فيهم: فوضنا امورنا الى آل=

عدَّ عهد السلطان السلجوقي ملك شاه (ت٤٨٥هـ/١٠٩٢م) عهد الازدهار الذهبي للسلطنة السلجوقية، وبعد وفاة السلطان الشاب ملك شاه، آلت السلطنة السلجوقية الى الجيل الثالث من الامراء الذين تشاغلوا بالتنافس على تخت السلطنة، وانتهى العهد الامبراطوري للسلطنة السلجوقية بواقع جديد تمخض عن انقسام مناطقي لما عرف بسلاجقة العراق وايران، وسلاجقة الشام، وسلاجقة الروم.

وببروز قوة جديدة بالمشرق الاسلامي هم الخوارزمشاهيون اخذت مكان السلاجقة، وتسنم خليفة اعاد للخلافة شيء من قوتها هو الناصر لدين الله العباسي (ت٦٢٢هـ/١٢٢٥م) الذي هدم دار السلطنة السلجوقية عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م[١] أنتهى النفوذ السلجوقي في العراق وايران[٢].

الفتنة:

عرَّفَ غالب المؤرخون الأحداث التي تمخضت عن استيلاء قائد العسكر البويهي ارسلان البساسيري على بغداد لنحو من سنة كاملة من ٤٥٠-٤٥١هـ/١٠٥٨-١٠٥٩م بـ فتنة البساسيري. والفتنة لغةً مأخوذة من القول: "فتنت الفضة والذهب اذ اذبتهما بالنار لتمييز الرديء من الجيد"[٣]، ومن هذا المعنى أخذ المعنى الاصطلاحي بأنه: "ما يتبين به حال الأنسان من الخير والشر"[٤]، واننا آثرنا ان نطلق على الاحداث والوقائع التي حدثت وتمخضت عنها استيلاء البساسيري

=سلجوق، فبغوا علينا، فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون. انظر: النظامي العروضي السمرقندي، جهار مقالة، ص٣١.

[١] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٤٠٦؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، ج٢١، ص٣٤٥؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٤، ص٢٤٨.

[٢] انظر الى الملحق رقم (٣) لشجرة الاسرة السلجوقية وتفرعاتها الى السلاجقة ، العراق وايران وسلاجقة الشام وسلاجقة الروم. والمقتبس من : الراوندي، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ص١٤٢.

[٣] انظر: ابن منظور الافريقي، لسان العرب، مـ٥، ص٨٩.

[٤] انظر: التهاوني، كشاف اصطلاحات الفنون، مـ٣، ص٤٧٧.

على بغداد لنحو من سنة كاملة بأنها "حركة"[١] وليست فتنة وذلك للأمور التي نوهنا عنها بأن ما حدث ربما لا يكون اختباراً او ابتلاءً لأهل بغداد بل هو حركة انتفض بها البساسيري لنفسه كقائد للجند البويهي ولاقطاعاته التي فقدها على أثر دخول العسكر السلجوقي بغداد، وحفزه على ذلك العمل ما أصاب أهل بغداد والسواد المحيط بها من أعمال اوجزها العماد الاصفهاني واجاد في أنشاءها[٢].

لكننا نقول ان معنى الفتن قد ينطبق على التجاذبات المذهبية التي جرت في بغداد، ايام القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي كما نوه عنها ابن منظور بأنها اختلاف الناس في الآراء[٣].

المدرسة:

كان تلقي العلوم وخاصة الدينية منها قبيل أنشاء المدارس مقتصراً الحلقات العلمية في المساجد او تلك التي تعقد في دور العلماء خاصةً، وقد سبق المشرق الاسلامي في إنشاء دور علم خاصة بالعلوم الدينية قبل إنشاء شبكة المدارس النظامية[٤] التي اضطلع بها وزير السلاجقة الأشهر نظام الملك السلجوقي،

---

(١) اطلق كاتب محدث عن حركة البساسيري اسم "ثورة" انظر: حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي، الديني، الثقافي، الاجتماعي (بيروت: دار الجيل، ٢٠٠٩م) ج٤، ص١٧؛ وانظر ايضاً: التقديم الذي كتبه يحيى مراد على الطبعة الجديدة لمصنف العماد الاصفهاني "تاريخ دولة آل سلجوق"، ص٣٧.

(٢) يقول العماد الاصفهاني: لم يترك الترك ورداً الاشفهوه، ولا حسناً الا شوهوه، ولا ناراً الا أرّشوها، ولا داراً الا شعثوها، ولا عصمة الا رفعوها، ولا وصمة الا وضعوها. وأجفل الملوك من الخوف اقدامهم، وتنحوا عن طريق ضرامهم، فما جاؤا الى بلدة الا ملكوا مالكها، وملأوا مسالكها، وارعبوا ساكنيها واسكنوا الرعب، وغلبوا ولاتها وولوها الغلب، وازورُّوا الى الزوراء، واشاعوا مد اليد بالغاره الشعواء. انظر: العماد الاصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص١٨٧.

(٣) انظر: ابن منظور، لسان العرب، مـ٥، ص٨٩.

(٤) يعدد السبكي في طبقاته اربعة مدارس في نيسابور قبيل انشاء النظاميات. انظر: طبقات الشافعية الكبرى، ج٣، ص٦ و٧.

الملاحظة الجديرة بالاهتمام ان الوزير نظام الملك أراد بهذا العمل امور عدة منها اعداد كوادر ادارية كفوءة يعتمد عليها في دواوين الوزارة مثقفة مذهبياً على وفق المذهب الشافعي الذي ينتمي اليه الوزير نفسه، فضلاً عن توسيع القاعدة المذهبية للمذهب الاشعري، والأمر الأهم ان الوزير ربما أراد إيجاد مؤسسة تعليمية مذهبية منفصلة عن المسجد الذي هو بيت الله للجميع، فصارت المدرسة كبيت تعليمي تثقيفي بحثي للمذهب واتباعه، ولذلك نرى حرص بقية الناشطين مذهبياً من حنفية وحنابلة في إنشاء مدارس خاصة بمذاهبهم التي ينتمون اليها[١]، فإن شرف الملك ابو سعد المستوفي الخوارزمي (ت٤٩٤هـ/١١٠١م) بادر الى إنشاء مدرسة لأصحاب أبي حنيفة النعمان وإفتتاحها قبل نحو من تسعة شهور[٢] من إفتتاح المدرسة النظامية في بغداد[٣]. التطور المهم والابرز كان في إنشاء المدرسة المستنصرية وإفتتاحها سنة ٦٣١هـ/١٢٣٣م وإشتمالها في التدريس على المذاهب السنية الاربعة المعروفة، فضلاً عن تدريس الطب والفروض والحساب[٤].

---

[١] والملاحظ انه لم يتم انشاء اية مدرسة خاصة بالمذهب المالكي في بغداد، وقد يعزى ذلك الى قلة ابقاع هذا المذهب في بغداد وحتى في المشرق الاسلامي.

[٢] عن مدرسة ابي حنيفة، تأسيسها ومراحل تطورها وتراجم شيوخها حتى العصر الحديث. انظر: وليد الاعظمي، مدرسة الامام ابي حنيفة (٤٥٩-١٤٠٠هـ/١٠٦٧-١٩٨٠م) (بغداد: دار آفاق عربية، ١٩٨٠م).

[٣] افتتحت المدرسة النظامية في ذي القعدة سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٧م. انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص١٩٦.

[٤] انظر: مجهول، كتاب الحوادث، صص: ٨٠-٨٦؛ الملك الاشرف الغساني، العسجد المسبوك، ص٤٥٧ و٤٥٨.

الفتوة:

الفتوة لغة هي صفة مشتقة من الفتى كالرجولة من الرجل، والفتى هو الشاب الحدث[١]. أما أصطلاحاً فقد صارت كناية للأخلاق الحميدة والايمان الحق[٢]، فهي "كف الاذى، وبذل الندى، وترك الشكوى"[٣].

ويبدو أن هذا المعنى هو الذي حدى بالخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٨٠-١٢٢٥م) الى تبني أمر الفتوة غايةً منه في تهذيب النفس واخلاقها، وتوجيهها بالوجهة التي تخدم المجتمع اولاً، والاستعانة من عنفوان اندفاع الشباب الذين يلبسون سراويلها ويشربون كأسها (الماء المملح) ليكونوا قوة رديفة لعسكر مؤسسة الخلافة العباسية ثانياً، حتى تشغلهم عن العبارة والشطارة[٤] خاصة وأن

---

[١] جاء في المفردات من غريب القرآن: فتى الطري من الشاب والانثى. انظر: الراغب الاصفهاني، ٣٧٢؛ وانظر: التهاوني، كشاف اصطلاح الفنون، مـ٣، ص٤٧٧؛ وانظر ايضاً البحث الذي قدمه مصطفى جواد كمقدمة للمطبوع من : ابن المعمار الحنبلي، الفتوة، ص١٣.

[٢] قال تعالى: ((قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم)) الانبياء: ٦٠؛ وقال تعالى: ((انهم فتية آمنوا بربهم)) الكهف: ١٣. وانظر ايضاً: محمد بن الحسين السلمي، كتاب الفتوة، صص: ١٣-١٧.

[٣] انظر: التهاوني، كشاف اصطلاح الفنون، مـ٣، ص٤٧٧.

[٤] يروى عن جعفر بن محمد الصادق (ع) انه قال: اتظنون ان الفتوة بالفسق والفجور ؟ ، كلا ان الفتوة والمروءة طعام موضوع، ومال مبذول، واصطناع المعروف، واذى مكفوف، فأما تلك فشطارة وفسق. انظر: ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى ابن بابويه القمي (ت٣٨١هـ/٩٩١م) الامالي (بيروت: دار احياء التراث العربي، ٢٠٠٩م)، ص٤٢١؛ ابن بابويه القمي، معاني الاخبار، تحقيق: علي اكبر الغفاري (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٩٩٠م) ص١١٩.

هؤلاء الشطار والعيارين كان لهم دور مهم ومؤثر في غالب حالات الاضطرابات الامنية التي حصلت في بغداد بعهودها المختلفة[١].

أما ما يخص ما استحدث من مناصب في مؤسسة الخلافة العباسية بعصورها المتأخرة مثل:

نيابة الوزارة:

استحدث هذا المنصب في العصور العباسية المتأخرة[٢] والظاهر ان هذا المنصب استحدث لأمرين إما أن ينتدب أحد الصدور لنيابة الوزارة ريثما يتم أختيار وزير كفوء لهذا المنصب[٣]، أو ان متولي نيابة الوزارة يرقى كوزير بعد أن يثبت جدارته في تمشية المكنة الادارية في الدولة[٤].

---

[١] مثال على ذلك دورهم المؤثر والحاسم الى جانب الخليفة المقتفي بالله (ت٥٥٥هـ/١١٦٠م) في القتال الذي دار في بغداد مع السلطان محمد شاه السلجوقي سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، صص: ١١١-١١٨.

[٢] انظر: مصطفى جواد، في التراث العربي، ج١، ص١٨.

[٣] وتم هذا الامر لمحمد ابن الوزير يحيى بن هبيرة حين تولى نيابة الوزارة بعد وفاة ابيه سنة ٥٦٠هـ/١١٦٥م. ومن ثم تم القبض عليه وعلى اخيه بعد ان استوزر الخليفة المستنجد بالله الوزير ابن البلدي (ت٥٦٦هـ/١١٧٠م) انظر: ابن الطقطقا، الفخري في الآداب السلطانية، ص٣١٦.

[٤] وقد حصل هذا الامر لكل من:

- جلال الدين ابو المظفر عبد الله بن يونس (ت٥٩٣هـ/١١٩٧م).
- ابو المعالي معز الدولة سعيد بن علي بن احمد بن الحسن بن حديدة الانصاري (ت٦١٠هـ/١٢١٣م).
- مؤيد الدين ابو الفضل محمد بن القصاب (ت٥٩٢هـ/١١٩٦م).
- نصير الدين ابو الحسين ناصر بن مهدي العلوي (ت٦١٧هـ/١٢٢٠م).

انظر: الملك الاشرف اغساني، العسجد المسبوك، ص٤٠٨ و٤٠٩.

استاذ الدار:

اورد ظهير الدين الكازروني تعريفاً شافياً لاستاذ الدار فيقول: "وله منصب شريف بها، يتولى أمور الأمراء، وديوان الأبنية، وأبواب الخلفاء، وخزائن السلاح، وأمر نوابها، ورجال الأبواب، وما يتعلق بها، وخزائن الفرش للأستعمال، واليه في الكل المرجع والمآل"[١]، وقد يعبر عن هذِهِ الوظيفة بأيامنا برئيس أو صاحب البلاط، أو منصب Mayor of Palace في الامبراطورية الميروفنجية، وبذلك ندرك أن القلقشندي قد جانب الصواب بأن حصر هذا المنصب بالأمور المالية للخلافة[٢].

ويبدو أن القلقشندي ركن الى هذا التفسير، لأن استاذ الدار ترد بالفاظ منها استاذ دار واستادار واستدار "والصورة الاخيرة هي التي دفعت القلقشندي الى ان يعدّه تركيباً فارسياً خالصاً مركب من أستد اي الاخذ ودار ويعني ذا او صاحب"[٣].

كان لمتولي منصب الاستاد دار في بعض الأحيان سطوة وهيمنة واضحة في مؤسسة الخلافة العباسية، حتى ان ابن الصاحب استاذ الدار للخليفة المستضيء بأمر الله ومن ثمة لأبنه الخليفة الناصر لدين الله، صار يولي ويعزل، فكثرت السعايات وبطر بطراً شديداً، فاستدعي لدار الخلافة وقتل بالدهليز سنة (٥٨٣هـ/١١٨٧م) [٤].

---

[١] انظر: ظهير الدين الكازروني (ت٦٩٧هـ/١٢٩٨م) مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية، تحقيق: كوركيس عواد وميخائيل عواد (بغداد: مطبعة الارشاد، ١٩٦٢م)، ص٢٢.

[٢] احمد ابن علي القلقشندي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م) صبح الاعشا في صناعة الانشا، تحقيق: محمد شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م)، ج٥، ص٤٢٩.

[٣] انظر: صادق سجادي، مقال "استاذ دار" في دائرة المعارف الاسلامية الكبرى، مـ٧، صص: ١٤٧–١٥١؛ والاستاذ: كلمة ليست بعربية يقولون للماهر بصنعته "استاذ". انظر: ابو منصور موهوب بن احمد بن محمد بن الخضر الجواليقي (ت٥٤٠–هـ/١١٤٨م) المعرب من الكلام الاعجمي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م) ص١٩.

[٤] الملك الاشرف الغساني، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، ص٢٠٢.

صاحب المخزن:

يعرف ابن الكازروني صاحب المخزن: "وهو احد الصدور المنصوص عليه وصاحب الرأي المشار اليه، يتولى اعمال المخزن ونواحيه"[١].

وعليه فإن صاحب المخزن ممن ينص عليه من الخليفة، ويتولى وظيفة اعمال المخزن التي تشمل: خزانة الدولة المالية وهي في حقيقتها ما كان يطلق عليه ببيت المال في العصور الاسلامية الاولى[٢]، ليشمل وبصورة اوسع الاموال النقدية والاقمشة وما يرد للدولة من غلال، فضلاً عن خزانة السلاح والذخائر[٣].

---

[١] انظر: ابن الكازروني، مقامة بغداد، ص٢٢.

[٢] انظر: خولة شاكر محمد الدجيلي، "بيت المال نشأته وتطوره من القرن الاول حتى القرن الرابع الهجري"، رسالة ماجستير غير منشورة، (بغداد: كلية الاداب، ١٩٧٤م).

[٣] انظر: حسام قوام السامرائي، المؤسسات الادارية في الدولة العباسية (٢٤٧-٣٣٤هـ/٨٦١-٩٤٥م)، (دمشق: مكتبة دار الفتح، ١٩٧١م)، ص٢٤٤.

الباب الأول

الفصل الثاني:

فصل تمهيدي عن الأحوال السياسية والدينية (المذهبية) وحالات التجاذب المذهبي ومحاورها لحاضرة الخلافة العباسية "بغداد" قبل دخول السلطان السلجوقي طغرل بك بغداد.

تمهيد:

دامت إمارة الأستيلاء البويهية في بغداد لنحو قرن وثلاثة عشر سنة هجرية، منذ دخول معز الدولة احمد بن بويه بغداد في جمادي الأولى ٣٣٤هـ/كانون الاول ٩٤٥م[١] وحتى دخول طغرل بك بغداد في رمضان ٤٤٧هـ/كانون الاول ١٠٥٥م[٢].

ونلاحظ ان امارة الاستيلاء البويهية هذه اعترتها عوامل عدة فتت في تماسكها وقوتها بعد انقضاء عهد القوة والازدهار للأخوة الثلاث متولي الامارة البويهية الكبيرة، كل من عماد الدولة علي (ت٣٣٨هـ/٩٤٩م)، واخيه ركن الدولة حسن (ت٣٦٦هـ/٩٧٦م)، والأخ الاصغر معز الدولة احمد (ت٣٥٦هـ/٩٦٧م)، وكذلك في عهد ابن اخيه عضد الدولة بن ركن الدولة (ت٣٧٢هـ/٩٨٣م).

وأهم هذه العوامل:

- انغماس الجيل الثاني والثالث في نزاعات التنافس والهيمنة على الامارة والملك خاصةً في مركز الخلافة العباسية بغداد.

---

[١] انظر: يحيى بن سعيد بن يحيى الانطاكي (ت٤٥٨هـ/١٠٦٦م) تاريخ الانطاكي، المعروف بصلة تاريخ اوتيخا، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري (طرابلس–لبنان: جروس برس، ١٩٩٠) ص٥٣؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٥١٢؛ وانظر:
Claud cahen "Buwayhids", EI2, Vol.I, 1350.
فيما ذكر مسكويه ان دخول معز الدولة البويهي كان في جمادي الاخرة سنة ٣٣٤هـ وهو ما يوافق كانون الثاني ٩٤٦م، ووافقه على ذلك عبد العزيز الدوري واستاذه Minorosky انظر: ابو علي بن احمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م) تجارب الامم وتعاقب الهمم، تحقيق: سيد كسروي حسن (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م) ج٥، ص٢٧٥؛ عبد العزيز الدوري، دراسات في العصور العباسية المتأخرة (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٧م) ص١٨٣.

[٢] انظر: الراوندي، راحة الصدور، ص١٦٩؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٥٩.

- النقص الحاد في التمويل المادي[١] خاصة في دفع الرواتب للعسكر البويهي من الديلم الرجالة، والاتراك الفرسان. وايضاً في
- تولي دست الخلافة العباسية في بغداد، خليفة ذا حنكة عركته الحياة وقاسى من ملماتها، خاصةً انه نفي الى البطيحة قبيل توليه دست الخلافة، ولم يكن شاباً غضاً يريد ان ينهل من الحياة وملذاتها، ونقصد به الخليفة العباسي احمد القادر بالله (٣٨١-٤٢٢هـ/٩٩١-١٠٣٢م) وهو الخليفة الخامس والعشرون من خلفاء البيت العباسي في بغداد.

وفي هذا المحتوى سنبدأ هذا الفصل التمهيدي بتولي الخليفة القادر دست الخلافة، والظروف والارهاصات التي صاحبت مدة تصديه لأمور مؤسسة الخلافة العباسية في بغداد سواء كان ذلك على الصعيد المحلي "الداخلي" والمذهبي مع الملك البويهي ببغداد من جهة، او على صعيد الظروف الخارجية التي تمثلت ببروز حكم السلاطين الغزنويين في المشرق الاسلامي، وتمدد نفوذ وحكم الخلفاء الفاطميين نحو الشام في غرب حاضرة الخلافة العباسية بغداد.

وبتولي الخليفة العباسي عبد الله القائم بأمر الله (٤٢٢-٤٦٧هـ/٩٩١-١٠٧٤م) الخليفة العباسي السادس والعشرون الذي يمكن أن يعد عهده متمماً لعهد ابيه الخليفة القادر بالله خاصة في تبنيه ما عرف بالإعتقاد القادري والقائمي[٢]، وتحقيق ما كان يطمح اليه في احلال قوة بديلة عن البويهيين، الذين يعدهم مخالفون هراطقة، وتكون موافقة عقائدياً لمذهب الخلافة العباسية متمثلة بالقوة الجديدة التي برزت في المشرق الإسلامي وهي في عنفوانها الا وهي السلطنة السلجوقية.

---

[١] يعزو المستشرق الفرنسي كلود كاهن النقص الحاصل في الاموال لدى البويهيين في اواخر القرن الخامس الهجري / العاشر الميلادي الى سبب مهم، هو تحول طرق التجارة الدولية آنذاك من الهند الى طريق البحر الاحمر–مصر بدلاً من الطريق الاول الذي يمر بالخليج العربي–سيراف–العراق. انظر:

Cl. Cahen, "Bawayhids", EI2, Vol.I, 1353.

[٢] عن الاعتقاد القادري والقائمي انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، صص: ٢٧٩-٢٨٢؛ وعن نص الاعتقاد القادري والقائمي كاملاً انظر الملحق رقم (٤).

عهد الخليفة القادر بالله[1]

شهد العام ٣٨١هـ/٩٩١م حدثاً هاماً ومفصلياً في تاريخ الحكم البويهي في بغداد وذلك بمبايعة الامير احمد ابو العباس بالخلافة على اثر القبض على الخليفة عبد الكريم الطائع لله من قبل امير الاستيلاء بهاء الدولة بن عضد الدولة البويهي.

ومن المفارقات العجيبة ان بهاء الدولة اراد بهذا الفعل "أن يولي خليفة من قبله وطوع يده" فضلاً عن ما تنامى اليه من ضخامة الاموال التي بحوزة الخليفة الطائع فطمع في قبضها الى جانب اسباب شخصية اخرى يوردها سبط ابن الجوزي[2]، لكن الذي حصل ان قادم الايام وما اسفرت عنه عكس ما كان يرجوه امير الإستيلاء بهاء الدولة البويهي.

فما أن ارتقى الخليفة القادر بالله دست الخلافة ولاربعة عقود من حكم العباسيين فَقَدَ في ايامه امير الاستيلاء البويهي كثيراً من منزلته السياسية والإدارية والمناطقية، وبالمقابل فإن مؤسسة الخلافة قد نفضت شيئاً من ضعفها، وصارت تأخذ دوراً ادارياً في هذا المحتوى كان قبل وقتئذ شبه معدوم تحت ظل سابقيهم من امراء الاستيلاء البويهيين. وما ان انقضى عهد الخليفة القادر بالله اثر وفاته سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٢م حتى كان من نتاج خلافته أن أُعلن عن تمذهب دولة الخلافة العباسية بما عرف بالإعتقاد القادري، وهو في حقيقته معتقد إداري ديني يعترف بفضل الحنابلة في تأييد الخلافة العباسية وتحريم ما دون ذلك من المذاهب من الأشعرية والمعتزلة والإمامية. وفضلاً عن ذلك فقد نظمت محاضر للتشكيك بل

---

(١) انظر لتفاصيل عهد الخليفة احمد القادر بالله في: منصور حسين هادي، التجاذب المذهبي ببغداد في العصر البويهي متمثلاً بمواقف الحنابلة من الشيعة الامامية الاثني عشرية ٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٥-١٠٥٥م (بغداد: مكتبة العين، ٢٠١٤م) صص: ١٩٤-٢٤٧.

(٢) يذكر سبط بن الجوزي ان الخليفة الطائع لله لم يحضر مجلس العزاء الذي اقيم لوفاة إبنة بهاء الدولة، وكذلك فأن صاحب البطيحة (مهذب الدولة) وهو صهر بهاء الدولة، ومافتيء يقرض بهاء الدولة الاموال في حال احتياجه لها قد كتب في شأن الامير احمد (الخليفة القادر بالله لاحقاً). انظر: سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٨، ص٤٩.

الطعن الصريح في نسب متولي الخلافة الفاطمية بمصر وعدّهم "ادعياء خوارج" و "كفار فساق" الى غير ذلك من النعوتات الشنيعة التي الصقت بالفاطميين وخلفائهم[1].

ثم ان الخليفة القادر بالله نفسه حاول ايجاد بديل عن البويهيين يتوافق معه مذهبياً، وهم السلاطين الغزنويين متمثلاً بالسلطان يمين الدولة محمود سبكتكين الغزنوي تحديداً، ولكن السلطان محمود هذا ما لبث أن توفي في ربيع الآخرة ٤٢١هـ/نيسان ١٠٣٢م أي قبل وفاة الخليفة القادر بالله نفسه بنحو من عشرين شهراً، ولذلك لم يتهيأ هذا البديل من المشرق إلا ابان خلافة ابن الخليفة القادر وولي عهده القائم بامر الله عند دعوته لميكائيل طغرل بك للمجيء الى بغداد، وتصفية حكم البويهين.

على اننا لا نتفق مع ما ذهب اليه واصطلح عليه جورج المقدسي بالصحوة السنية من خلال اجراءات الخليفة العباسي القادر بالله المتمثلة بالإعتقاد القادري وتحقيقها من خلال احضار قوة سنية متوافقة مذهبياً مع مذهب الخليفة العباسي ببغداد[2]. نعم قد تكون صحوة للخليفة العباسي امام التهميش والضعف الذي اصاب مؤسسة الخلافة ايام العقود الخمسة الاولى من العصر البويهي.

وسنرى ان صحوة الخلافة هذهِ ستتأكد من خلال خلافة القائم بأمر الله.

---

[1] ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٨٢. وانظر لنص المحضر في الطعن في نسب الفاطميين بمصر في الملحق رقم (٥).

[2] انظر:

G. Makdisi, Ibn AQIL, 299-302.

عهد الخليفة القائم بأمر الله ايام البويهيين (٤٢٢-٤٤٧هـ/١٠٣٢-١٠٥٥م) [(١)]

الذي استمرت في ايامه حالة الضعف والتهاون من امراء الاستيلاء البويهيين، والتي كان من نتائجها وقوع الخلل في المجتمع البغدادي متمثلاً ببروز حالات التجاذب المذهبي وبصورة اشد مما كانت عليه سابقاً، وما صاحب ذلك من دخول فئات الشطار والعيارين في التحزب المذهبي لتلك الفرق والمذاهب وما كانت ستؤول اليه من حالات الفوضى داخل حاضرة الخلافة العباسية بغداد مع استمرار حالات التمرد والشغب من لدن الجند الاتراك وجشع فرسانهم في طلب الاموال.

في هذا المحتوى نلاحظ ان الخليفة القائم بأمر الله ازداد موقفه قوة امام ازدياد تخلخل وضعف أمير الإستيلاء البويهي، فكان له دور في إدارة الدولة دينياً وسياسياً، وظهر كخليفة عباسي اكثر مما هو حاكم ورمز روحي محلي تحت سيطرة الامير البويهي. وتمثل ذلك كذلك من خلال تأكيده على مذهب الدولة العباسية في المعتقد بابراز الاعتقاد القادري، وتعاظم هذا الدور بشكل متزايد بعد أن عين وزيره ابو القاسم ابن المُسلمة الذي صار يحضى برعاية سيده الخليفة في كل مناسبة، ولا ننسى أن الخلفاء العباسيين طيلة العصر البويهي قبيل عهد الخليفة القادر بالله لم يكونوا يحضون بأكثر من كاتب يدير شؤونهم المالية واقطاعاتهم ضمن ممتلكات دار الخلافة وحاضرتها[(٢)].

---

(١) انظر لتفاصيل عهد الخليفة القائم بامر الله في: منصور حسين هادي، التجاذبات المذهبية، صص: ٢٤٨-٢٨٣.

(٢) "استمر منصب الوزارة في فترة امرة الامراء ولم يلغ نهائياً ولكنه اصبح شكلياً لا نفوذ ولا سلطة لصاحبه" لكن هذا المنصب اختفى في العصر البويهي حتى تولي الخليفة القادر بالله دست الخلافة الذي حرص على اتخاذ وزيراً له في سني خلافته الاخيرة حيث اتخذ الخليفة القادر بالله وزيراً يذكره خواندمير في دستور الوزراء، ان وزير الخليفة القادر هو ابو الفضل حاجب النعمان، فيما يذكر الكازروني ان الخليفة القائم بالله اتخذ وزير ابيه القادر بالله وزيراً وهو: ابو طالب محمد بن ايوب، لكن الوزارة اتخذت مداها الواسع ابان استيزار الخليفة القائم لابي القاسم ابن المُسلمة وزيراً له سنة ٤٣٧هـ/١٠٤٥م. انظر: غياث الدين بن همام الدين، المعروف بخواندمير، دستور الوزراء (طهران: جابخانه اقبال، ١٣١٧هـ ش) ص٨٢؛ وعن=

نزاع القوى والارادات المذهبية والادارية في بغداد في عهد الخليفة القائم بأمر الله:

مع ضعف او غياب لأي دور مؤثر لأُمراء الاستيلاء البويهيين، خاصة الملك الرحيم في عهد الخليفة القائم بأمر الله، برزت مع بدايات سني عهد هذا الخليفة من العصر البويهي قوتين كان لهما الأثر المهم والكبير في تسيير الاحداث، واثرت بشكل فعال في نزاع الارادات في بغداد، وهاتان القوتان متمثلتين بوزير الخليفة ابو القاسم ابن المُسلمة الذي عينه القائم بأمر الله كرئيس رؤساء لإدراته، ثم تحولت ولايته بشكل مدهش الى وزارة كما كانت في ايام ما قبل البويهيين واستحداث منصب امير الامراء، بل صار ينظر الى رئيس الرؤساء ابن المُسلمة بانه هو الذي يمثل الخليفة وتوجهاته ببغداد أمام البويهيين فيما كانت القوة الثانية متمثلة بقائد العسكر التركي في بغداد ابو الحارث ارسلان البساسيري (قتل سنة ٤٥١هـ/١٠٥٨م).

مع ملاحظة الدور الخامل والمغلوب على امره لأمير الاستيلاء البويهي الملك الرحيم امام حالات شغب الجند من اتراك وديالمة بطلب الأموال وبشراهة، فضلاً عن سطوة العيارين في نوبات متعددة، من الوقائع الداخلية التي عرفتها بغداد.

=وزارة ابو طالب محمد بن ايوب انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٢١٨؛ ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص٢٠٩؛ وعن وزارة ابن المُسلمة انظر: المنتظم، ج١٥، ص٣٠٢؛ وعن الوزارة في عصر امرة الامراء انظر: تقي الدين عارف الدوري، عصر امرة الامراء (٣٢٤-٣٣٤هـ/٩٣٦-٩٤٦م) (بغداد: مطبعة سعد، ١٩٧٥م) صص: ١٨٢-١٩٦.

رئيس الرؤساء الوزير القاسم بن المُسلمة:

وبأختصار نقول ان ارتقاء ابن المُسلمة[١] لسلم الوزارة كان تأكيداً لازدياد قوة ونفوذ الخليفة العباسي القائم بأمر الله في العصر البويهي، ذلك ان الخليفة القائم، بعد توجيهه الدعوة للسلاجقة بالمجيء الى بغداد كان قد اتخذ من ابن المُسلمة وزيراً له في ربيع الآخرة ٤٣٧هـ/تشرين الاول ١٠٤٥م خلفاً للوزير عميد الرؤساء محمد بن ايوب بن سليمان[٢] والظاهر ان ابن المُسلمة كان إدارياً حريصاً ومتحمساً مخلصاً لتوجهات الخليفة القائم، لأنها كانت تتوافق مع هواه المذهبي سياسياً وإدارياً[٣]، والذي

---

[١] هو رئيس الرؤساء الحسن بن احمد بن محمد بن عمرو بن خالد بن الرفيل ابو القاسم، الوزير المعروف بـ ابن المُسلمة. والرفيل على ما ذكر من اولاد كسرى ابرويز، اسلم الرفيل زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رض)، والمُسلمة جدته من قبل الام، وسميت بالمُسلمة لانها اسلمت في وقت متأخر في سنة ٣٦٣هـ/٩٧٤م. كان الوزير احد الشهود العدول المبدئين ببغداد ثم استكتبه الخليفة القائم بامر الله واستوزره ولقبه برئيس الرؤساء، وزاد في القابه "شرف الوزراء، جمال الوزراء" كان مولده سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م. شهَّر به البساسيري وطاف به بغداد وصلب في اواخر ذي الحجة سنة ٤٥١هـ/كانون الاول ١٠٦٠م. للمزيد انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مـ١١، ص٣٩؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، صص: ٧٥-٧٧؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٢، ص٤٠١؛ خواندمير، دستور الوزراء، ص٨٢.

[٢] وهو عميد الرؤساء ابو طالب محمد بن ايوب بن سليمان البغدادي الوزير. كان كاتباً للخليفة القادر بالله، ينتمي مذهبياً للحنابلة، رتب للوزارة سنة ٤٢٢هـ/١٠٣١م قبيل وفاة القادر، وعند تولي القائم بامر الله الخلافة اقره على الوزارة حتى وقت عزله برئيس الرؤساء، كان فاضلاً بليغاً، وصنف كتاباً في الخراج. توفي في محرم ٤٤٨هـ/آذار ١٠٥٦م عن ثمان وسبعون عاماً. للمزيد من المعلومات عن عميد الرؤساء. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص١١؛ ابن الفوطي، مجمع الآداب في معجم الالقاب، مـ٢، ص٢٤٠.

[٣] كان ابن المُسلمة في حالات التجاذب المذهبي تجاه الشيعة الامامية يميل الى الحنابلة ويتبنى مواقفهم. انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص١٣٠. وكان لا يخفي انتصاره لمقدم الحنابلة: محمد بن الحسين الفراء. انظر: العليمي، المنهج الاحمد، ج٢، ص٣٦١.

يتمثل بمذهب الحنابلة البغداديين، بل كان يتعصب على اهل الكرخ "الشيعة"[١] في بغداد.

ولنا وقفة مع اللقب الذي اضفاه الخليفة القائم على وزيره ابن المُسلمة "رئيس الرؤساء"[٢] فلعل الخليفة اراد المحاكاة للقب "أمير الأمراء" لما قبل البويهيين مع الفارق كون اعمال الوزير كانت مهمات إدارية مدنية دون القيام بالمهام العسكرية لـ امير الامراء. او لعل الخليفة أراد بطريقة ما مظاهاة لقب ملك الملوك "شاهنشاه" الذي صار من القاب أمير الإستيلاء البويهي[٣].

ويلاحظ ان مكانة الوزير ابن المُسلمة ارتفعت ايام عهد الخليفة القائم بأمر الله، حتى انه كان هو الذي يجلس للعزاء نيابة "عن الخليفة نفسه، وذلك لوفاة زوج الخليفة[٤]، بل يقال انه "استولى على اعمال العراق وانبسطت يده"[٥]، ثم ان الخليفة زاد في القابه، على نحو من "جمال الورى، شرف الوزراء" في سنة ٤٤٣هـ/١٠٥١م[٦]، ويقول ابن كثير: كانت له "منزلة عالية" عند الخليفة القائم بأمر الله[٧].

---

[١] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٨٥.

[٢] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٣٠٢؛ ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص٩٢؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٨، ص٤٥٩.

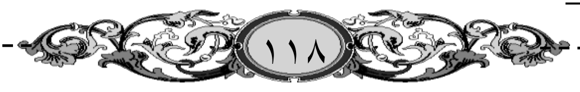
[٣] في رمضان سنة ٤٢٩هـ/حزيران ١٠٣٨، "استقر" ان يزاد في القاب امير الاستيلاء البويهي جلال الدولة: "شاهنشاه الاعظم ملك الملوك" وامر الخليفة القائم بذلك. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٢٦٤.

[٤] توفيت زوج الخليفة القائم بامر الله في ربيع الاول سنة ٤٤٠هـ/ايلول ١٠٤٨م، وهي اخت الامير ابي نصر الملقب بالملك الرحيم بعدئذ. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٣١٣؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٨، ص٤٦٣.

[٥] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٨، ص٤٦٣.

[٦] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٣٣١.

[٧] انظر: البداية والنهاية، مـ٨، ص٢٦٣.



قد ينظر الى الامعان في التجاذب المذهبي للحنابلة تجاه الشيعة الإمامية الاثني عشرية في السنين الاخيرة من العصر البويهي، خاصة ما حصل في بغداد ابتداءً من صفر ٤٤٣هـ/حزيران ١٠٥١م من منع حمل الماء من دجلة ورواضعه الى الكرخ، ومن ثم حرق مشهد باب التبن او "مقابر قريش" واحراق قبتي الساج على ضريحي موسى بن جعفر وحفيده محمد بن علي الجواد ومحاولة نبش قبريهما لنقل جثمانيهما، لغرض دفنهما عند قبر احمد بن حنبل في مقبرة باب حرب[١]، وما تبع ذلك في ربيع الآخرة / آب من نفس العام، من اسقاط حي على خير العمل من اهم مساجد الشيعة في بغداد، نعني به "جامع براثا" نقول قد ينظر الى ذلك كله كسياسة ادارية ممنهجة حرص على تنفيذها رئيس الرؤساء ابن المُسلمة لاغراق بغداد بالفتن (ونجح في ذلك من خلال غض الطرف في تطويق تطورها، واخمادها) بهدف تأكيد عجز سلطة الامارة البويهية في ضبط الأمن المجتمعي في بغداد من جهة، وحتى يقنع الناس من طرفي التجاذب المذهبي بأي قوة قادمة غير البويهية لها سطوة وقدرة على فرض نوع من عدم الاحتراب المذهبي وبسط استتباب الامن في بغداد، حتى وان كانت هذهِ القوة تتصف بالقسوة والبداوة متمثلة بالسلاجقة من أهل السنة من اجل منع تطلعات الشيعة الإمامية الأثني عشرية في ممارسة الإحتفالات بعاشوراء ويوم الغدير.

ولذلك نرى أن الخليفة القائم بأمر الله وامعاناً في الرضى عما حققه وزيره ابن المُسلمة فانه نال تلك الألقاب والتشريفات التي نوهنا عنها مثل:

---

[١] انظر الى مجمل هذهِ التجاذبات في: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٣٣٠؛ ويلاحظ دور رئيس الرؤساء في "تشدده على الشيعة" انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص١٣٠؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٨، ص٤٨٠.

"جمال الورى وشرف الوزراء" فضلاً عن لقبه الاول "رئيس الرؤساء" للكتاب العباسيين العاملين بادارة الخليفة ببغداد، وذلك بعد معالجته للفتن المذهبية المتفاقمة التي توالت على بغداد ووقوفه الواضح الى جانب الحنابلة سنة ٤٤٣هـ/١٠٥١م وما تلاها في سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م.

وتوجساً من ممارسات الفاطميين تجاه العباسيين، اعيدت محاضر في الديوان تظهر القدح في نسب الفاطميين بمصر، ونسبه كل منقصة، وفسق وكفر بحقهم[١].

وفي العام ٤٤٥هـ/١٠٥٣م قصد سلطان السلاجقة الغز طغرل بك اطراف العراق، فاضطربت بغداد لذلك، ثم انكفأ جنوده راجعين بعد أن نهاهم طغرل عن قصد بغداد[٢].

وربما ينظر الى هذهِ الواقعة وبهذا التاريخ على انها زمن تأكيد الدعوة من قبل رئيس الرؤساء ابن المُسلمة حيث ضمن لهذا السلطان ثلاثمائة الف دينار ووعده بها اذا قدم العراق، والظاهر ان الوزير رئيس الرؤساء أراد إغراء السلطان طغرل بك بمنافع مادية في دخوله لمدينة بغداد، فضلاً عن ما كان يعلنه السلطان من مبررات في اداء فريضة الحج عن طريق بغداد، والتشرف بخدمة "أمير المؤمنين" الخليفة العباسي القائم بأمر الله ومحاربة المارقين الكفرة "الفاطميين" بتوجه عسكره صوب الشام ومصر وانهاء دولتهم.

الملاحظ ان ابن المُسلمة لم يوفِ بعدئذ بهذا الوعد كاملاً من الاموال اذ لم يتسنى له الوفاء الا بـ١٨٠ الفاً منها، وعندما ارسل طغرل بك، لاحقاً وزيره عميد الملك الكندري مطالباً بالباقي بعد دخوله بغداد بمدة لم تسدد له إدارة الخليفة إلا

---

[١] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٣٣٦؛ ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص١٤٢؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٨، ص٤٨٢.

[٢] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٣٤٠؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٨، ص٤٨٥.

عشرون الفاً عسف الناس في تحصيلها، وتذرع رئيس الرؤساء بعدم دفعها بهروب البساسيري، قائلاً "إنما كنت احصلها من اموال البساسيري واصحابه، وقد ذهبت"[١]

نجح ابن المُسلمة فيما كان يريد ويحلم به هو بتهيئة الظروف المواتية التي تمهد لـ"اتفاق يمكن للخليفة بموجبه أن يستعيد بعض صلاحياته ولو بوصاية، لابد وانها على مذهب أهل السنة، لكنها اكثر قدرة على حفظ الأمن من الأمير البويهي"[٢].

ولذلك فان ابن المُسلمة نال حضوة كبيرة عند سيده، "فخلع عليه الخليفة خلعة حسنة وكتب له درجاً قرأه قائماً (يمدح الوير ومآثره) في جمادي الاولى ٤٤٦هـ/ايلول ١٠٥٤م[٣].

---

[١] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٨، ص٥٠١.

[٢] كلود كاهن، الاسلام منذ نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية، ترجمة: حسين جواد قبيسي (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠١٠م) ص٤١٥.

[٣] ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٣٤٤. ولم يبين ابن الجوزي محتواه (الدرج).

امير العسكر ابو الحارث ارسلان البساسيري[١]

اما بشأن البساسيري، فكانت له مرتبة مقدم الاتراك في بغداد زمن الخليفة القائم بأمر الله ، وهو تركي الجنس والارومة، وولائه الأول كان لسيده بهاء الدولة بن عضد الدولة (ت٤٠٣هـ/١٠١٣م) وان أول إشارة لعمل انيط لأرسلان البساسيري كقائد يوردها ابن الأثير في احداث سنة ٤٢٥هـ/١٠٣٤م حيث "استخلف البساسيري في حماية الجانب الغربي من بغداد"[٢] عندما "تفاقم امر العيارين وكثر شرهم وفسادهم"[٣]، وهذا التكليف جاء بسبب "كفايته ونهضته بعد أن عجز نواب "السلطان" عن ذلك"[٤] ومنذ وقتئذ صار البساسيري احد القوى التي يستعين بها بعض أمراء

---

[١] ارسلان ابو الحارث البساسيري التركي: قيل انه كان مملوكاً لبهاء الدولة بن عضد الدولة البويهي، ونسبته الى بسا او فسا جاءت من التاجر الذي باعه فهو من مدينة بسا من بلاد فارس. ترقت به الحال كأحد امراء الجند الاتراك في العصر البويهي وصارت له مكانة مرموقة عند امير الاستيلاء البويهي جلال الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة البويهي. وعلت مكانته بين الجند البويهي حيث صارت له اقطاعات واسعة بل ازداد شأنه وخطب له على المنابر في البصرة وواسط بعد امير الاستيلاء البويهي، بل اتخذ كاتباً وربما اطلق على كاتبه صفة وزير، فارق بغداد قبيل دخول طغرل بك لمدينة بغداد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م وعاد اليها بعد ان غادرها طغرل بك سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٥م وخطب للمستنصر الفاطمي بعد ان انتقم من غريمه الوزير ابو القاسم ابن المُسلمة فصلبه ونفى الخليفة القائم الى الحديثة، ثم ما لبث طغرل بك ان اعاد الخليفة الى بغداد وارسل في تتبع البساسيري الذي قتل وحمل رأسه الى بغداد حيث علق على باب النوبة سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م للمزيد انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٥٦؛ ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص١٨٨؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج١، ص١٩٩؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، جـ١٢، ص٣٦٥؛
M. Canard, "Al-Basasiri", EI2, Vol.I, 1073-1075.

[٢] انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص١٧.

[٣] انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٨، ص٢٤٦.

[٤] انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص١٧. وانظر ايضاً لافعال العيارين في الجانب الغربي من بغداد بما اورده ابن الجوزي في: المنتظم، ج١٥، صص٢٣٩-٢٤٢.

الأطراف حول تحصيل اقطاعاتهم[١]، فضلاً عن ذلك فأن البساسيري بولائه لأمير الاستيلاء البويهي كونه من مماليك ابيه نراه يساند جلال الدولة بإزاء مواقف واجراءات الخليفة القادر بالله الذي كان يساند احد قادة الجند الأتراك الآخرين المسمى بارسطاغان الذي كان احد امراء العسكر ايام جلال الدولة البويهي ويلقب بـ حاجب الحجاب[٢].

ويبدو ان مقتل بارسطغان عززت مكانة البساسيري لأن يكون هو كبير أُمراء الجند الأتراك في بغداد، وصار يعتمد عليه جلال الدولة اكثر واكثر[٣].

وبعيد وفاة جلال الدولة وتسنم ابي كاليجار إمارة الإستيلاء البويهية سنة ٤٣٥هـ/١٠٤٣م فإن الحاكم الجديد خلع على ثلاثٍ من اصحاب الجيوش احدهم البساسيري[٤]. والظاهر ان ابا كاليجار الذي يقع مقر حكمه في شيراز قبل القدوم لبغداد كان يعتمد على الاتراك الشيرازيين دون الاتراك البغداديين حتى انه عندما قدم بغداد جاء معه نحو مائة من الفرسان حتى "لا تخافه الأتراك"[٥] من اجل هذا لم نر ذكر للبساسيري ابان امارة ابي كاليجار التي امتدت حتى سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م، ولكن نلاحظ ورود ذكر لاقطاعات البساسيري[٦]، وانه صار شبه مستقلاً في تحركاته تحركاته العسكرية[٧]، حتى انه تسلم البصرة من الملك الرحيم[٨] سنة ٤٤٠هـ/١٠٥٢م كإقطاع لدفع رواتب جنده، ويرد اسم البساسيري كذلك في مسيرته

---

[١] انظر لاحداث سنة ٤٢٥هـ/١٠٣٤م في: ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص١٦.

[٢] انظر: لاحداث سنة ٤٢٨هـ/١٠٣٥م في : المصدر نفسه، ج٨، ص٣١.

[٣] من ذلك ارسال جلال الدولة للبساسيري للقبض على احد نواب قرواش بن المقلد بالسندية. انظر: ابن الاثير: الكامل، ج٨، ص٦١.

[٤] انظر: المصدر نفسه ، ج٨، ص٨٨.

[٥] انظر: المصدر نفسه ، ج٨، ص٨٧.

[٦] انظر: المصدر نفسه ، ج٨، ص١١٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٨، ص٢٧٠.

[٧] انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص١١٤.

[٨] المصدر نفسه ، ج٨، ص١٤٠.

لإصلاح الطرق من المفسدين وقطاع الطرق وناهبي القرى[1] وذلك سنة ٤٤٥هـ/١٠٥٣م وبذلك يمكننا ان نلتمس بروز شخصية البساسيري كقوة عسكرية كبيرة في بغداد يمكنها ان تعكر ما خطط له وحلم به الوزير ابن المُسلمة، وسيده الخليفة القائم بامر الله وهو ما يوضح بدايات توجس ابن المسلمة من البساسيري ومن اقطاعاته مما كان سيؤول مصيرها الى المصادرة والتصفية بعد دخول الاتراك السلاجقة الى بغداد، ويعتقد أن هذا هو احد الاسباب المهمة التي دعت البساسيري الى رفع شعار الفاطميين لاحقاً.

وتأكيداً على ما ذهبنا اليه بأن السياسة الممنهجة التي حرص على تنفيذها الوزير ابن المُسلمة في ترك الاوضاع على عواهنها في حاضرة الخلافة العباسية. ان البساسيري نجح في ضبط الكرخ في فتنة العيارين سنة ٤٢٥هـ/١٠٣٤م لكنه لم يُكلف بعمل مشابه مرة ثانية على الرغم من كثرة الفتن في بغداد وما كان يصاحبها من حالة انعدام الأمن المجتمعي في حاضرة الخلافة العباسية بغداد[2].

او في حالات شغب الجند الأتراك انفسهم[3] والشيء ذاته يقال عن الفتن المذهبية التي عصفت بالكرخ، وهي كثيرة وتحدث بصورة شبه مستمرة[4]، فإن الخليفة كان قد بالغ في تهيئة الأمور لمقدم السلاجقة من خلال المراسلات التي كانت تتبادل بحالة شبه متواصلة بين الخليفة القائم بأمر الله وسلطان السلاجقة الغز

---

(١) انظر: ابن الاثير، ج٨، ص١٤٦؛ ابن كثير، مـ٨، ص٢٧٥.

(٢) مثال ذلك ما حدث سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٦م، وما حدث سنة ٤٣١هـ/١٠٣٩م، او ما حدث سنة ٤٤١هـ/١٠٤٩م وغيرها من السنين انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٢٤٦، وص٢٥٣، وص٣٢١.

(٣) مثال ذلك ما حدث سنة ٤٢٨هـ/١٠٣٧م، وسنة ٤٣١هـ/١٠٣٩م او غيرها من السنين. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٢٥٦، وص٢٧٣.

(٤) مثال ذلك ما حدث في السنين ٤٣٢هـ/١٠٤٠م، او سنة ٤٣٧هـ/١٠٤٦م، او سنة ٤٣٩هـ/١٠٤٧م، او سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م، او سنة ٤٤١هـ/١٠٤٩م، او سنة ٤٤٣هـ/١٠٥١م، وغيرها من السنين. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٢٧٧، ص٣٠٢، ص٣٠٨، ص٣١٣، ص٣١٩، ص٣٢٩.

طغرل بك والتي بدأت بإرسال الاخوين جغري بك وطغرل بك وعمهما موسى بن سلجوق رسالة الى الخليفة القائم بأمر الله بعد انتصارهم في سرخس سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٨م[١] ثم وصول رسل الخليفة فخلعوا على الرسل "وتباهوا برسالة الخليفة "[٢] وفي سنة ٤٣٧هـ/١٠٤٥م ارسل الخليفة القائم بأمر الله الى طغرل بك رسولاً معه "هبة الله بن محمد المأمون وزوده بالرسائل الطيبة، "وامره أن يتقرب الى طغرل بك حتى يحضره الى بغداد لتتشرف دار الخلافة بحضوره"[٣]، ويبدو ان الاتصالات بقيت مستمرة بين الخليفة والسلاجقة، اما بصورة مباشرة مع الخليفة القائم او من خلال وزيره رئيس الرؤساء ابن المُسلمة[٤].

مع ملاحظة ان البساسيري في حال ارتفاع مكانته كأكبر امراء الجند التركي في بغداد، كان بالإمكان أن تخدمه الظروف حتى يقوم بالدور الذي قام به سبكتكين الحاجب في إمارة عز الدولة بختيار (ابن معز الدولة البويهي) سنة ٣٦٣هـ/٩٧٤م في محاولته للاستحواذ على إمارة الإستيلاء في بغداد، والتي افشلت بالتدخل الحاسم لعضد الدولة في نصرة ابن عمه عز الدولة[٥].

على ان الأمور سارت بشكل متسارع في الجهر بالعداء من قبل ديوان الخلافة متمثلاً بالوزير ابن المُسلمة، وتبني امر السلاجقة، وهو مؤشر كبير على دق ناقوس الخطر على البساسيري بعد اقتراب الأمراء السلاجقة من بغداد، ففي

---

[١] انظر: الراوندي، راحة الصدور، ص١٦٦.

[٢] انظر: العماد الاصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص١٨٥؛ وانظر ايضاً: ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص٣٥.

[٣] انظر: الراوندي، راحة الصدور، ص١٦٧.

[٤] انظر: الى ما كتبه جورج مقدسي حول المراسلات بين طغرل بك والخليفة القائم في: Iben Aqil, 87

[٥] انظر الى ارهاصات محاولة سبكتكين الحاجب في: منصور حسين هادي، التجاذبات المذهبية، صص: ١٣٩ وما بعدها.

٤٤٥هـ/١٠٥٣م وردت الاخبار بأن الغز قد جاوؤا الى حلوان[(١)] وانهم على قصد العراق[(٢)]، ويبدو من الخبر الذي ذكره سبط ابن الجوزي ان طغرل بك هو الذي نهى الجنود (الغز) عن قصد بغداد[(٣)]، وان طغرل ربما اراد طرق ابواب العراق دون التوجه لبغداد لتبيان قدرته، واقتناص الفرص المناسبة اولاً، او لجس النبض من ردة الفعل هناك، ومن الجند البويهي ثانياً، ورسالة عملية لابن المُسلمة بتهيئة الظروف الانسب لقدوم السلاجقة الغز ثالثاً.

وفي الوقت نفسه شهدت بغداد حالة من الإغراق في الفتن المذهبية وتحميل أهل الكرخ وزرها بحيث استوجب احضار ابن النسوي[(٤)] صاحب الشرطة لمعالجتها، "فضرب خيمه بين باب الشعير[(٥)]، وسوق الطعام[(١)]، فقتل ونقض ما كتب عليه

[(١)] تعد حلوان اول العراق وآخر الجبل. انظر: ابي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م) معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، تحقيق: جمال طلبه= =(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م) مـ١، ج٢، ص٩٦. وحلوان تقع اسفل الدرب المؤدي الى جبال ايران. انظر: كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد (بغداد: مطبعة الرابطة، ١٩٥٤) ص٢٣.

[(٢)] ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٣٤٠.

[(٣)] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٨، ص٤٨٥.

[(٤)] وهو ابو محمد بن النسوي، يذكر ابن الجوزي، وكذلك سبط ابن الجوزي، والذهبي ان ابن النسوي هذا كان قد صُرفِ سَنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م، لانه كان يتبع "الغرباء والعجم من ارباب البضائع فيقبض عليهم ليلاً وياخذ اموالهم ويقتلهم" ويفعل ذلك ايضاً مع "الصيارف، ومن يعرف انه معه مالاً" بل "وقتل ثلاث هاشميين" فحبس وادى دية الثلاثة واخرج ولم يقاد، على الرغم من العثور على رمم (بقايا اجساد) المغدور بهم في "دوُرِهِ" او في "آبار وحفر معروفة المكان" انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٣٠٥؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٨، ص٤٦١؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٩، ص٥٧٩.

[(٥)] باب الشعير يذكر ياقوت بانها محلة كبيرة فوق مدينة المنصور، وهي في زمن ياقوت صارت صارت بعيدة عن دجلة فيما كانت سابقاً ترفأ اليها سفن الموصل والبصرة. انظر: شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان ، مـ١، ج٢، ص٢٤٦.

"محمد وعلي خير البشر وطرحت النار في الكرخ بالليل والنهار". ويلاحظ ان ابن النسوي على الرغم من ماضيه الاجرامي، الا انه احضر وعمل اعماله هذهِ لإرهاب الناس في الكرخ[٢].

وفي العام ٤٤٦هـ/١٠٥٤م شغب الأتراك على عادتهم في موضوع المعاشات، ولكن هذهِ المرة كان شغبهم موجه الى اصحاب البساسيري ربما لكونه قائد العسكر لدى البويهيين فنهبوا دور ابي الحسن بن عبيد الله كاتب البساسيري[٣]، وتفاقم الأمر الى ان نهبوا "كل من ورد الى بغداد" من الاطراف، ويعلق ابن الأثير على حالة الخوف والذعر في بغداد هذه بقوله "فازداد خوف الناس من العامة والأتراك، وعظم انحلال السلطنة بالكلية"[٤].

ويبدو ان البساسيري كان قد جاء في نجدة الامير نور الدولة دبيس بن صدقة[٥] بمواجهة بني خفاجه، فلما ورد بغداد، "لم يُلِمْ بدار الخليفة على رسمه، وتاخر عن الخدمة"[٦]، "وبانت منه آثار النفرة" على قول ابن الجوزي[٧]، وهذا يبرر القول على ان البساسيري لا يبريء ابن المُسلمة مما اصاب دور كاتبه واصحابه من

---

(١) سوق الطعام: احد اسواق الجانب الغربي الى الشرق من الطريق العام الخارج من باب البصرة. انظر: حمدان عبد المجيد الكبيسي، اسواق بغداد (بغداد: دار الكتب العلمية، ٢٠١٣م) ص١٨٩.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٣٤٠.

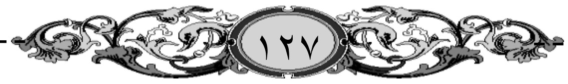
(٣) المصدر نفسه ، ص٣٤٣.

(٤) انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص١٤٩.

(٥) الامير نور الدولة ابو الاغر دبيس بن علي بن ابي الحسن علي بن مزيد الاسدي، وهو اول امراء بني مزيد الاسديين وكانوا ينزلون "البيوت العربية" ثم بنى حفيده سيف الدولة صدقه بن منصور بن دبيس الحلة سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م. توفي دبيس في شوال ٤٧٤هـ/آذار ١٠٨٢م عن ثمانين عاماً. للزيد انظر: محسن الامين، اعيان الشيعة، تحقيق: حسن الامين (بيروت: دار التعارف، ٢٠٠٠م) مـ١٠، ص٢٠٠ وما بعدها.

(٦) انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٨، ص٤٨٨.

(٧) انظر: المنتظم، ج١٥، ص٣٤٤.



حرق ونهب لاموالهم، ليخرج بعدها من بغداد الى الدجيل[١]. ولكي يؤكد ضلوع رئيس الرؤساء الوزير ابن المُسلمة فيما جرى لكاتبه واصحابه فإن البساسيري طالب سفينة منحدرة الى بغداد لرئيس الرؤساء بالضريبة، نكاية به، وهذا مما كثَّر عليه "دواعي الوحشة"، ومع ذلك فإن الخليفة، وكمبادرة منه لتخفيف وتهدئة الأمور على الارجح، مع البساسيري وكسباً للوقت انتظاراً لمقدم السلاجقة الغز بقيادة طغرل دخول بغداد لحسم الامر، فأن الخليفة القائم بامر الله اقدم على مراسلة البساسيري "بما طيب قلبه" لكن البساسيري وزيادة في تبيان موقفه المعادي من الوزير رئيس الرؤساء ابن المُسلمة، رد على رسالة الخليفة بالقول : "لا اشكو إلا من النائب في الديوان ويقصد به ابن المُسلمة، ويبدو ان البساسيري اراد وبطريقته أن يبين اتفاق الخليفة مع وزيره ازاء نواياه تجاهه، ولذلك فإنه خرج الى طريق خراسان، وثقل على ضياع الديوان" بقول ابن الجوزي[٢] فضلاً عن ذلك فإن مما زاد "الوحشة بين الخليفة والبساسيري" ان اثنين من اصحاب قريش بن بدران[٣]، وكانا على خلاف مع البساسيري، وصلا الى

---

[١] دجيل وهو تصغير لـ دجلة، نهر مخرجه بين بغداد وتكريت ودون سامراء يسقي اوانا، وعكبرا، والحظيرة، وصيرفين، ومسكن ويصب فضلته في دجلة ايضاً. انظر: ياقوت، معجم البلدان، مـ٢، ج٤، ص٢٩١.

[٢] انظر: المنتظم، ج١٥، ص٣٤٤.

[٣] قريش بن بدران بن المقلد بن المسيب ابو المعالي الامير العقيلي: صاحب الموصل وليها عشر سنين ومات بالطاعون سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م وله احدى وخمسون سنة، ويذكر انه كان "داهية بخيلاً سفاكاً للدماء، بعيد الغور غداراً" وهو الذي دخل مع البساسيري بغداد سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م للمزيد انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٨، ص٤٣٨.

بغداد سراً، فامتعض البساسيري "لأنهما[1] وصاحبهم كانوا قد كبسوا حلل اصحابي ونهبوا وفتحوا البثوق، واسرفوا في هلاك الناس" "واراد اخذهم فلم يمكن"[2].

وهذا الخبر بحد ذاته يعطينا مؤشراً عن اهمية الإقطاعات بالنسبة للبساسيري، والتي ستكون عرضة للمصادرة واعادة اقطاعها للسلاجقة حال دخولهم بغداد. ان ما قام به ابنا المحلبان، وهما من اتباع الخليفة، كان من وراءه الديوان وابن المُسلمة، والا لماذا لم يمكَّن البساسيري من اخذهما من دور الخليفة، وعلى الرغم من ذلك فإن البساسيري قد أَسَرَ ابا الغنائم ابن المحلبان لاحقاً وشهَّر به وأراد صلبه، إلا ان الامير نور الدولة دبيس سأله تاجيل ذلك، فأجّل، ولم يصلب[3].

وفي هذا السياق زادت وتيرة التنابز بالأعمال العدائية بين ابي الحارث البساسيري والوزير ابن المُسلمة. ففي ربيع الثاني سنة ٤٤٧هـ/تموز ١٠٥٥م وقبيل دخول السلطان طغرل بك بنحو من اربعة اشهر، وكما يورده ابن الاثير فإن كاتب البساسيري ابا سعد النصراني كان قد حمَّل ستمائة جرة خمرا ليحدرها الى البساسيري في واسط الا ان جماعة يعبر عنهم ابن الأثير بـ"جماعة من اهل السنة" اظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حضروا للديوان وطلبوا ان يؤذن لهم في ذلك، فأذن لهم وان يتقدم اصحاب الديوان بمساعدتهم، فاجيبوا الى ذلك نكايةً بالبساسيري والا فلماذا لم يظهروا هذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قبل ذلك، "وحدث من ذلك شر كثير"[4].

---

[1] وهما ابنا محمد بن علي بن المحلبان ابو الغنائم، اللذي صارت له مكانة عالية عند الخليفة القائم بامر الله على اثر حفظه لولي عهد الخليفة وامه في نوبة البساسيري وتسييرها الى الجزيرة. للمزيد عن ابن المحلبان. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٦١، وصص: ٧٢-٧٥، ص١٦٤.

[2] انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص١٥١.

[3] لتفاصيل الواقعة التي يوردها ابن الاثير انظر: الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٥١ وما بعدها.

[4] انظر : الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٥٧. وموضوع الامر بالمعروف اذ ظهر تركه والنهي عن المنكر اذا ظهر فعله. هو في حقيقته من واجبات المحتسب. انظر: ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م) ، الاحكام السلطانية والولايات الدينية،

وبتحريض ومؤازرة هؤلاء العامة "حضر حاجب المراتب، وابن سكرة الهاشمي وغيره من الاعيان" وتبعهم العامة، وكسروا الجرار واراقوا ما فيها، وبدوره فإن البساسيري لما بلغه نبأ هذا العمل نسبه بدوره الى تدبير رئيس الرؤساء ابن المُسلمة.

فيما "وضع رئيس الرؤساء الأتراك البغداديين على ثلب البساسيري وتقبيحه، وما يجري عليهم من نقص اليه" حتى وصل الأمر بينهما الى طريق اللاعودة خاصةً بعد ان اطلق الوزير ابن المُسلمة لسانه في البساسيري وذمه، ونسبه الى مكاتبة الخليفة الفاطمي المستنصر بالله، وهي تهمة لا يمكن التغاضي عنها وتعد خيانة عظمى للخليفة العباسي والدولة العباسية، ولذلك فقد اذن الوزير ابن المُسلمة للاتراك البغداديين في قصد دور البساسيري ونهبها، فقصدوها ونهبوها، واحرقوها، وليس هذا فحسب بل نكلوا بنسائه واهله ونوابه[1].

وينفرد سبط ابن الجوزي بذكر خبر مفاده ان البساسيري كتب لصاحب مصر وهو المستنصر بالله الفاطمي يطلب منه شفاعةً الى الخليفة القائم بامر الله العباسي، ويردف القول: إن الكتاب الذي وصل الى الخليفة القائم بامر الله، استنكره الخليفة شخصياً، وكتب على راس الكتاب "وبخطه من انتم من انتم، خبرونا من انتم"[2] وهذا الجواب بدوره سبب حنق صاحب مصر على قول سبط ابن الجوزي ولو صح هذا الخبر، وربما يكون غير مستبعداً على اساس ان الحكام لهم مسلكاً في ذلك لانه يفتح بينهم نوعاً من التواصل في العلاقات فانها قد تكون محاولة من البساسيري كتبها في لحظة يأس لاصلاح امره مع الخليفة العباسي القائم بأمر الله، بل ربما

تحقيق: احمد جاد (القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٦م) ص٣٤٩. ومما لاشك فيه ان المحتسب تجب عليه شروط منها الا يكون قوله مخالفاً لفعله، وان يكون عالماً بالاحكام فقيهاً، عارفاً باحكام الشريعة. انظر: عبد الرحمن بن نصر الشيرزي (ت٥٨٩هـ/١١٩٣م) نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: السيد الباز العريني (بيروت: دار الثقافة، د.ت) ص٤.

[1] ومجمل هذهِ الاحداث نجدها في : ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٣٤٧؛ ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص١٥٧؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٨، ص٤٩١.

[2] وعن مجمل الخبر انظر: مرآة الزمان، ج١٨، ص٤٩١.

كانت مبطنة بتذكير الخليفة القائم بامر الله بإمكانية لجوء البساسيري الى صاحب مصر او طلب العون والنصرة منه.

لكن التعليق المستهجن للخليفة القائم بأمر الله على الكتاب يفصح لنا عن امرين الاول هو ثقة الخليفة وقناعته بقرب قدوم السلاجقة واستقوائه بهم وتذكير بالمحاضر التي كتبت في الديوان العباسي عن ذم نسب الخلفاء الفاطميين في مصر في عهد الخليفة القائم بامر الله نفسه ومن قبل في عهد ابيه القادر بالله.

وهكذا كانت حال بغداد، فضلاً عن ما كانت تعانيه من تجاذب مذهبي اشتد آوارها في اواخر الحقبة البويهية فإن القوى الفاعلة والمتحكمة في السلطة عانت بدورها من تجاذبات الارادة السياسية لدوافع مادية متمثلة بامتلاك الاقطاعات الخاصة بالبساسيري وضياع الديوان، ودوافع الهيمنة والنفوذ المذهبي.

وهذا ما دعى الديوان العباسي متمثلاً بالوزير رئيس الرؤساء ابن المُسلمة الى إتهام قائد الجند التركي البساسيري في مبايعة الخلافة الفاطمية مع ملاحظة ان مثل هذا الإتهام حقيقةً جاء من ابن المُسلمة[1] حتى قبل ان يصرح البساسيري نفسه بذلك لاحقاً. وهذا ما يدعونا الى ان يتبادر الى الذهن، فيما اذا كان البساسيثري هو حقاً قائداً تركياً ذو ميول شيعية او ان دعواه كانت قائمة من اجل التخلص من منافسيه السلاجقة الغز الذين جاؤا للحلول محله في اقطاعاته الكبيرة التي يشغلها بغض النظر عن علاقة الفاطميين بالمسألة.

ويمكن لنا ان نطرح السؤال بصيغة اخرى:

هل كان للتمذهب اثر في العداء بين رئيس الرؤساء الوزير ابن المُسلمة وقائد الجند ابو الحارث البساسيري ؟

لا تذكر الادبيات المتوفرة لدينا سواء كانت عباسية او فاطمية ان البساسيري كان اميراً شيعياً او انه كانت له ميول شيعية مع إننا نعرف ان الأمراء الأتراك بشكل عام كانوا سنة حنفية ويعارضون الشيعة الامامية قلباً وقالباً، ولكن البساسيري كان مملوكاً لامير الاستيلاء البويهي بهاء الدولة ابن عضد الدولة. فضلاً عن ذلك فأن

---

[1] للتفاصيل انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٣٤٧.

البساسيري نفسه له صلات وثيقة مع الامير نور الدولة دبيس بن صدقة الاسدي وهو معروف بتشيعه، حتى ان دبيس كان مع البساسيري في الوقعة التي قتل فيها البساسيري وتم أسر ثلاثة من اولاد نور الدولة دبيس[١].

كما ان ابن الجوزي يذكر ان البساسيري بعيد استحواذه على بغداد ونفي الخليفة العباسي القائم الى الحديثة اوفى بنذر نذره في اجراء نهر العلقمي للمشهد الحسيني في الحائر[٢].

فهل يعزز كل هذا فرضية كون البساسيري كانت له ميول شيعية ؟ ام لا

لا يمكننا الجزم حقيقة بأن البساسيري كانت له ميول تجاه أي مذهب لكونه رجل عسكر وقائداً للجند التركي ببغداد قبل كل شيء، وربما كان يعد نفسه ليكون المتصرف الاول في حاضرة دولة الخلافة[٣]، ومما يعزز هذا الرأي هو حقيقة سلوكه عند دخوله بغداد، فإن ابن الأثير يذكر انه بعد ان استحوذ على بغداد سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م فإنه "لم يتعصب لمذهب" "واجرى الجرايات على المتفقهة"[٤]، ولا يخفى ان غالب هؤلاء آنذاك كانوا من اهل السنة خاصة بعد أن هرب مرجع الشيعة الإمامية الاثني عشرية الى المشهد سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م[٥]. متحرزاً على حياته على اثر دخول السلاجقة بغداد.

ولذلك "لا يمكننا افتراض ان البساسيري كانت له توجهات شيعية"[٦] يجهر بها على الاقل ولا باس بذكر رأي لـ جورج مقدسي الذي ينبه الى قضية مهمة مفادها اننا

---

(١) ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص١٨٩.

(٢) انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٤٥.

(٣) يذكر ابن العمراني في خبر ينفرد به: ان البساسيري صار اميراً للامراء وجرت بينه وبين الوزير ابن المُسلمة منافسة" انظر: محمد بن علي بن محمد العمراني، الانباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي (القاهرة: دار الآفاق العربية، ٢٠٠١م)، ص١٨٨.

(٤) ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص١٨٥.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٨.

(٦) انظر: M. Canard, "Al-Basasiri", EI2

"نجد هناك امير سني تركي تحت امرة الفاطميين الشيعة، وإننا قد نجد ايضاً أمير شيعي موالٍ للعباسيين السنة"[١].

ومع كل ذلك هناك من المراجع التاريخية الشيعية من تنسب البساسيري الى التشيع حتى ان محسن الامين يذكره في موسوعته "أعيان الشيعة" وينقل عن مصادره الى ان البساسيري هو الذي "بنى القبة على مشهد الإمامين العسكريين في سامراء سنة ٤٣٩هـ/١٠٤٨م[٢]. إلا ان هذا لا يعطي غطاءً للعداء السياسي الذي كان قائماً بين رئيس الرؤساء الوزير ابن المُسلمة وقائد الجند التركي البساسيري.

عوامل اخرى اسهمت في التعجيل بانهاء العصر البويهي:

ان التعجيل الذي حصل باستبدال إمارة الإستيلاء البويهية في بغداد ذات التوجه الشيعي المعروف بالسلطنة السلجوقية الحنفية المذهب في بغداد كان وراؤه عدة عوامل منها:-

- ان السلاجقة في تحركاتهم العسكرية، ومنذ ظهورهم بالمشرق الإسلامي كانوا يعمدون الى النهب والحرق وارتكاب جميع الانتهاكات بحق اهل المدن التي كانوا يستبيحونها[٣]. حتى ان الخليفة القائم بأمر الله نفسه كان قد ارسل

---

[١] انظر: Ibn AQIL, 92

[٢] انظر: مجهول، كتاب الحوادث، صص: ١٨١-١٨٤؛ الملك الاشرف الغساني، العسجد المبوك والجوهر المحكوك، ص٥٠٦؛ وانظر ايضاً: محسن الامين، اعيان الشيعة، ضمن مقال بعنوان البساسيري، مـ٤، صص: ٦٥٣-٦٥٨. وانظر ايضاً: محمد سعيد الطريحي، ضمن مقال بعنوان: القائد التركي ارسلان البساسيري: في مجلة الموسم، هولندا، العددان ٧٩-٨٠، صص: ٢٥١-٢٥٣.

[٣] مثال ذلك: في سنة ٤٣٥هـ/١٠٤٥م دخل الغز الموصل، واخذوا حرم قرواش، وافسدوا فيها. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٢٩٠.

اقضى القضاة ابا الحسين علي بن محمد بن حبيب الماوردي[١] الى طغرل سنة ٤٣٥هـ/١٠٤٣م، برسالة تتضمن[٢] "تقبيح ما فعل في البلاد ويأمره بالاحسان الى الرعية" وينظر الى هذهِ الاعمال المستقبحة التي كان يقوم بها السلاجقة والتي كانت قد تنامت اخبارها بشكل او بآخر الى مسامع الخلفاء العباسيين في بغداد مؤكدةً قوة وضراوة القادمين الجدد في النهب والسلب والعقوبة على تخليص الأموال، وهو ما افضى الى الرهبة في قلوب مناوئيهم والاستكانة عن مقاومتهم[٣].

- عامل آخر مهم في ما يسمى الصحوة السنية والمبادرة الى الدعوة في مجيء السلاجقة هو ان : الخلافة العباسية كانت بحق بحاجة الى هذهِ الدماء المتحفزة للقتال (الجهاد) مدفوعين بحلم الحصول على المزيد من الغنائم ممن سبق وكفرهم خليفة بغداد ألا وهم "الهراطقة" الفاطميين خاصةً بعد ان وصل نفوذ هؤلاء الفاطميين الى المشرق الإسلامي من خلال ما كان يرسلونه الى العراق من اموال حتى ان ابن الأثير يذكر أن الخليفة العباسي القائم منع التداول والتعامل بالدنانير المغربية[٤] وذلك سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٥م.

وسبق لـ"صاحب مصر" والمقصود به الخليفة الفاطمي المستنصر بالله[٥]، ان بعث مالاً لينفقه على نهر الكوفة، فجاء اهل الكوفة يستأذنون الخليفة، فأفتى بأن هذا

---

[١] الفقيه الشافعي، صاحب التصانيف الكثير، واشهرها الاحكام السلطانية والولايات الدينية (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م) توفي عن ستٍ وثمانون عاماً. انظر ترجمته في: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٣، ص٢٣٢ وما بعدها.

[٢] ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٢٨٩.

[٣] يفطن كاتب محدث الى التشابه في تصرفات المغول لاحقاً بتصرفات السلاجقة قبلهم. انظر: عباس اقبال، الوزارة في عهد السلاجقة، ص٣٧؛ كما وان كلود كاهن يذكر: ان الغز السلاجقة ممن درجوا "على عادة السلب والنهب الموروثة عن الاجداد" انظر: الاسلام، ص٤١٥.

[٤] ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص٢٩.

[٥] ابو تميم معد الملقب بالمستنصر بالله بن الظاهر لاعزاز دين الله بن الحاكم بامر الله الفاطمي، ولي الخلافة بعد وفاة ابيه في النصف من شعبان سنة ٤٢٧هـ/١٣ حزيران ١٠٣٦م

المال من فيء المسلمين، فأذن لهم[1] ويلاحظ ان عمل الخليفة المستنصر هذا في وقت مبكر من خلافته اراد به كسب ود أهل الكوفة المعروفون بميلهم الى التشبع، كما يلاحظ ان افتاء الفقهاء جاء على انه فيأً وهذا بحد ذاته فيه دلالة على ان هذهِ الأموال حصلت من غير المسلمين ومن غير قتال[2]، ويعد هذا تأكيداً من لدن الفقهاء ومن ورائهم الخليفة القائم بأنهم هم الذين وضعوا خطوطهم في الطعن بالنسب الفاطمي وبأنهم "كفرة، يهود، ديصانيين" ولا ننسى ان توجس الخلفاء العباسيين من الفاطميين يعود الى ايام الخليفة المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٨-٩٣٢م) عندما هدم مسجد براثا وسوي بالأرض واحرق باقيه وحولت ارضه الى مقبرة سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م بعد ان وجد فيه "خواتيم من طين ابيض مدون عليها: محمد بن اسماعيل ولي الله"[3]، وعلى الرغم من اخفاق الدعوة الفاطمية في العراق في ايجاد

وكان عمره يوم ولي الخلافة سبع سنين وهو اطول الخلفاء بقاءً في دست الخلافة طراً، اذا قام في الخلافة ستين سنة واربعة اشهر وثلاثة ايام. للمزيد انظر: ابو العباس تقي الدين احمد بن علي المقريزي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م) اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: محمد عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م) ج٢، ص٤٥؛ جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، مـ٣، ج٥، صص: ١-٤.

[1] ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٢٥٦.

[2] قال تعالى: ((**وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ**)) سورة الحشر، الاية ٦. وذكر الداودي: فكان من سبيل ما جلى عنه اهله من اهل الكفر بغير قتال. انظر: ابو جعفر احمد بن نصر الداودي (ت٤٠٢هـ/١٠١١م) كتاب الاموال، تحقيق: رضا محمد سالم شحاذة (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م) ص٨. او بتعبير آخر اورده محقق معاصر يذكر: "الفيء هو كل مال وصل من غير المسلمين عفواً دون قتال، ولا بايجاف خيل ولا ركاب" انظر: حمدان عبد المجيد الكبيسي وعواد مجيد الاعظمي، دراسات في تاريخ الاقتصاد الاسلامي (بغداد: مطبعة التعليم العالي، ١٩٨٨م) ص١٧٣.

[3] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣، صص: ٢٤٧-٢٤٨.

مساحة انتشار لها امام انتشار الامامية الاثني عشرية في شيعة العراق فإن بعض الشيعة لم يتوانوا عن رفع شعار الخلفاء الفاطميين في حالات معينة اشتدت بها التجاذبات المذهبية في بغداد[١].

عامل آخر مهم لابد من ذكره في هذه الصيرورة، وهو ان ركن من اركان الاسلام وهو الحج كان شبه معطلاً من العراق ولغالب السنين في خلافة القائم بامر الله. وذلك بسبب هيمنة ونفوذ الخلفاء الفاطميين او الولاء والخطبة لهم بمكة المشرفة والمدينة المنورة وهذا ما كان لا يقره الخلفاء العباسيون في بغداد، وبسبب انعدام الأمن بطريق الحج وذلك لانتشار الاتاوات الباهضة التي يفرضها ألاعراب في طريق الحج من العراق بحجة خفارة الحجيج او لأعمال السلب والنهب التي كانت تطال الحجيج[٢].

ولهذا نجد أن من الأهداف المعلنة لقدوم السلطان طغرل الى العراق هو "اصلاح طريق الحج" ومما لاشك فيه ان هكذا اعلان يرق له قلوب المؤمنين التواقين لزيارة بيت الله الحرام وقبر نبيه.

من مجمل ما تقدم نلاحظ الأثر السياسي والمادي (اموال منقولة، او اقطاعات) في الاصطفاف والتعصب المذهبي لمجمل التجاذبات المذهبية التي عصفت ببغداد خاصةً في أواخر العصر البويهي، ومع هذا كله فإن النصف الأول من القرن الخامس الهجري يعد من اخصب الفترات التي حفلت بنوع آخر من

---

[١] حدث مثل هذا عندما صاح احداث الكرخ بشعار الخليفة الفاطمي آنذاك ابو عبد الله منصور الحاكم بامر الله (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٠٢م) وكان الشعار: "حاكم يا منصور" في فتنة سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٨م انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٥٩.

[٢] انقطع الحج في السنين: ٤٢٨هـ/١٠٣٧م، ١٠٣٩/٤٣٠م، ٤٣٣هـ/١٠٤٢م، ٤٣٤هـ/١٠٤٣م، ٤٣٦هـ/١٠٤٥م، ٤٣٧هـ/١٠٤٦م، ٤٣٩هـ/١٠٤٨م، ٤٤٠هـ/١٠٤٩م، ٤٤١هـ/١٠٥٠م، ٤٤٢هـ/١٠٥١م، ٤٤٦هـ/١٠٥٥م، ٤٤٧هـ/١٠٥٦م. انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٨، صص: ٢٥٠-٢٧٨. ويورد ابن كثير: ان الاعراب من بني خفاجة هم: "اكثر من يصد الحجيج عن بيت الله الحرام" انظر: البداية والنهاية، مـ٨، ص٢٦٥.

التجاذب المذهبي المستند الى الحجة والحجة المقابلة وهذا النوع من التجاذب في حقيقته قد يعد محموداً في نظرنا، لأنه يمثل في حقيقته الامر الواقع شكلاً من اشكال التحاور والتناظر غايته العلم بغية التوصل الى الحقيقة، وترجيح الرأي الاصوب من اجل الإهتداء الى الصواب، لا القدح والشتيمة وسفك الدماء بل لا ينبغي للفكر أن يكون من مصادر هذا الخطر الشنيع.

من اجل هذا نقول: إن العصر البويهي كان عصر الحرية الفكرية، خاصة ايام عضد الدولة البويهي في بغداد (٣٦٧-٣٧٢هـ/٩٧٨-٩٨٣م) الذي ظل يشغل النخبة من اهل بغداد ومن اسماهم مسكويه بـ"اهل الخصوص" بمناقشات واجتماعات بعيدين عن من اسماهم بـ"السفهاء ورعاع العامة"[١].

وما تلى ايام عضد الدولة فإن الحرية الفكرية استمرت على حالها، وكان روادها من العلماء والاعلام.

ولكن هذهِ المرة دون رعاية من امير او حاكم، ولذلك ربما كانت تشوبها تدخلات من اسماهم مسكويه بـ"السفهاء ورعاع الأمة" فكانت تثار الفتن، فيعمد متنفذو الامر الى نفي مرجع الشيعة الإمامية الأثني عشرية وقتئذ الشيخ المفيد (ت رمضان ٤١٣هـ/تشرين ثاني ١٠٢٢م) [٢]، الذي كان له مجلس نظر "يحضره كافة العلماء[٣]، والذي كان الشغل الشاغل بمجالس بغداد في المناظرة والجدل"، فكان حسن اللسان، والجدل، صبور على الخصم، كثير الحيلة ظنين السر، جميل

---

[١] انظر: مسكويه، تجارب الامم، ج٥، ص٤٤٩.

[٢] انظر ترجمته في: ابن النديم، الفهرست، ص٢٥٢ وص٢٧٩؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مـ٣، ص٤٤٩؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص١٥٧؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٨، ص٣٠٨؛ الخونساري، روضات الجنات، ج٦، صص: ١٥٣-١٧٨؛ الشيخ عباس القمي (ت١٣٥٩هـ/١٩٤٠م) الكنى والالقاب، ط٢ (قم: مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤٢٩هـ) ج٢، صص: ٦٦٤-٦٦٦.

[٣] ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص١٥٧.

العلانية"[1]، لكن الخطر الجسيم الذي كان ينتاب هذا التحاور والتناظر هو التعصب الذي كانت العامة من الفريقين يصابون به، وهذا ما كان يحدث غالباً بينهم حتى ادى الى نفي الشيخ المفيد من بغداد لثلاث نوبات[2].

والحقيقة ان وقع مجالس ومناظرات الشيخ المفيد كانت غير هينة، على مخالفيه حتى من بعض العلماء انفسهم، اذ يذكر ابن الجوزي ان هنالك من جلس للتهنئة في موت ابن المعلم الشيخ المفيد "شيخ الرافضة"[3]، وهذا الخبر بحد ذاته يعطينا دلالة واضحة على أن هنالك شيوخ من العلماء عندما يعجز عن الرد بحجة مقنعة على مخالفيه فإنه يتشفى بموتهم.

مثال آخر اغنى الفكر التحاوري ومشوقاته واعني به الشريف المرتضى[4] (ت٤٣٦هـ/١٠٤٤م) تلميذ الشيخ المفيد وكبيرهم، والشيخ المفيد كان قد جعل من داره دار علم، وقدرها للمناظرة[5]، حتى ان العلماء ومن شتى الطوائف كانوا يحضرون مجلسه[6]، فقد كان هذا الطالبي من الأذكياء[7]، وكان له دور في وأد كثير من الفتن التي كانت تجري في بغداد[8]، ولكن الدور الاهم الذي كان يضطلع

---

[1] انظر: ابو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي (ت في حدود ٤٠٠هـ/١٠٠٩م) الامتناع والمؤانسة، تحقيق: محمد حسن اسماعيل (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م) ص١٢٥.

[2] انظر: هادي ، التجاذبات المذهبية، ص٢٢٣.

[3] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص١٦٦.

[4] تقدمت ترجمته.

[5] انظر: احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) لسان الميزان (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٢م) مـ٤، ص٢٥٧.

[6] يذكر ابن خلكان عن ابن بسام الاندلسي فيقول: كان هذا الشريف إمام من أئمة العراق بين الاختلاف والاتفاق، اليه فرغ عظماؤها، صاحب مد ارسها، وجماع شاردها وآنسها. انظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، مـ٣، ص٢٧٤.

[7] انظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٢، ص٢٦٨.

[8] مثال ذلك دوره في استتابة العيارين سنة ٤٢٥هـ/١٠٣٣م. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٢٤١.

فيه هو محاولته تحويل التجاذب المذهبي من ميدان الفتنة والاقتتال وإراقة الدماء الى ميدان الكتب وإراقة الحبر على الورق، مثلما تمثل ذلك برده على قاضي القضاة المعتزلي عبد الجبار الهمداني[١] (ت٤١٥هـ/١٠٢٤م) الذي الف في ابواب التوحيد والعدل، وكان الجزء العشرون منه خاصاً بالإمامة، وهو ما دعى الشريف المرتضى الى تصنيف كتاب الشافي في الإمامة في الرد على قاضي القضاة عبد الجبار الهمداني "بروح علمية وادب التعبير".

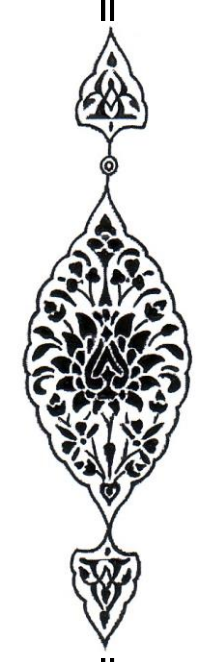
الملاحظة الجديرة بالاهتمام ان هكذا حوار مذهبي اسدل عليه الستار لأمد غير قصير عقب وفاة رواده كالقاضي عبد الجبار الهمداني والشريف المرتضى، خاصة بعد ان حسم الحال بدخول السلاجقة بغداد في ٤٤٧هـ/١٠٥٥م وفرض مراسم وممارسات احادية المذهب عدت "صحوة مذهبية" لحاضرة الخلافة العباسية بغداد وهو ما سنبينه بالفصل القادم من الأُطروحة.

---

[١] تقدمت ترجمته.



الباب الثاني



بغداد ابان عهود السلاطين السلاجقة العظام

يشتمل هذا الباب على فصلين :

- **الفصل الأول**:
  - تداعيات دخول السلطان طغرل بك بغداد
  - حركة البساسيري
  - بغداد ابان حكم السلطان طغرل بك–بعد القضاء على البساسيري–والتجاذبات المذهبية تجاه الشيعة الإمامية الاثني عشرية.
- **الفصل الثاني**:
  - بغداد ابان حكم السلطان الب ارسلان، والتجاذبات المذهبية تجاه الشيعة الإمامية الأثني عشرية.
  - وولده السلطان ملك شاه، والتجاذبات المذهبية تجاه الشيعة الإمامية الاثني عشرية

الفصل الأول:

- **تداعيات دخول السلطان السلجوقي طغرل بك بغداد (رمضان ٤٤٧هـ/تشرين الثاني ١٠٥٥م)**
- **مواقف قائد الجند البويهي ابو الحارث ارسلان البساسيري (٤٤٧-٤٤٨هـ/١٠٥٥-١٠٥٦م) من غزو السلاجقة لبغداد.**
- **بغداد ابان حكم السلطان السلجوقي طغرل بك بعد مقتل البساسيري (٤٥١-٤٥٥هـ/١٠٥٩-١٠٦٣م)**

تداعيات دخول السلطان طغرل بك بغداد

بحلول رمضان سنة ٤٤٧هـ/٢٤ تشرين الثاني ١٠٥٥م، تحقق ما كان يتوق اليه الخليفة القائم بأمر الله، ومن قبله ابيه الخليفة القادر بالله بقدوم قوة تزيح البويهيين الشيعة عن الهيمنة والنفوذ على مقدرات الخلافة العباسية في الحاضرة العباسية بغداد واطرافها، في قبال الخلافة العباسية الشافعية المذهب، عندما تأكد اقتراب طغرل بك[1] من المدينة بوصوله الى حلوان "وانتشار اصحابه في طريق خراسان"[2]، "فانزعج الناس وخافوا"[3].

---

[1] السلطان طغرل بك محمد بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق (نقاق على وجه آخر) الملقب بـ يمين امير المؤمنين، اعلن عن نفسه كأول سلاطين السلاجقة "العظام" في نيسابور (سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٨م)، واتخذ حاجبا ووزيرا ، دخل بغداد ٤٤٧هـ/١٠٥٥م وتصاهر مع الخليفة القائم بامر الله. توفي بالري في ٨ رمضان ٤٥٥هـ/٥ ايلول ١٠٦٣ عن سبعون عاماً. للمزيد انظر ترجمته في: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٨٤؛ محمد بن علي بن سليمان بن محمد بن احمد الراوندي (ت بعد ٦٠٣هـ/١٢٠٧م) راحة الصدور وآية السرور، ص١٥٩ وما بعدها؛ ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص٢٠٩؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص١٥٦ وما بعدها.

[2] انظر : ابن الاثير، الكامل في التاريخ،ج٨، ص١٥٨. وطريق خراسان: هو الطريق الممتد من بغداد–النهروان–دير بارسا–الدسكرة–جلولاء خانقين–قصر شيرين–حلوان، وحلوان تعد اول العراق من المشرق. ويذكر ان خرداذبة ان طول الطريق من بغداد وحتى حلوان واحد واربعون فرسخا أي نحو من مائتين وخمسين كيلو متراً على التقريب. انظر: ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبة (ت بحدود ٣٠٠هـ/٩١٢م) المسالك والممالك (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٨٩م)، ص١٨ و ١٩. وعن الفرسخ، انظر: محمود الجليلي، المكاييل والاوزان والنقود العربية (بيروت: دار الغرب الاسلامي، ٢٠٠٥م) ص٥٣.

[3] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٨، ص٤٩٢. وابن الجوزي يعبر عن ذلك بـ"انزعج الناس وشملهم الخوف" انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ث٣٤٨.

ففي الوقت الذي دخل فيه اهل السواد الى الحريم[1] اجفل اناس الى غربي بغداد[2]. والظاهر ان السلطان طغرل بك بادر الى تطمين أهل بغداد ومن لجأ اليها من السواد في طريق خراسان من خلال رسالة كتبها للخليفة القائم بأمر الله وهو بطريقه لبغداد وقبيل دخوله اليها واشيع مضمونها بين أهل بغداد وفحواها: "انما قصد العبد الخدمة الشريفة يتبرك بها ويسير للحج، وعمارة الطريق، ثم يتوجه الى قتال اهل الشام ومصر"[3].

في خضم هذا الإضطراب في مدينة بغداد أخرج الأتراك البغداديون خيمهم الى ظاهر المدينة، واصعد من البويهيين الملك الرحيم خسرو فيروز من واسط مبدياً خضوعاً وخنوعاً جلياً استجابةً لشرط الخليفة القائم بأمر الله بمفارقته لقائد العسكر البويهي البساسيري الذي اتهم بمكاتبة الاعداء الفاطميين وخلع الطاعة، فيما سار البساسيري الى بلد نور الدولة دبيس بن مزيد لمصاهرة بينهما.

وهنا لابد من الإشارة الى أن الملك الرحيم صار بلا حول ولا قوة بعد ان افترق عن قائد الجند التركي "البساسيري" امتثالاً لأمر وشروط الخليفة القائم بامر الله.

---

[1] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٣٤٨. والسواد: قلب العراق. انظر: ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص٥؛ والسواد: جماعة النخل والشجر لخضرته واسوداده. انظر: ابن منظور الافريقي، لسان العرب، مـ٣، ص٣٦٢. وعليه فأن اهل السود هم اهل البساتين التي كانت تحيط بحاضرة الخلافة العباسية بغداد. اما الحريم: "اصله البئر وغيرها ومرافقها، ثم اتسع فقيل لكل ما يتحرم به ويمنع منه: حريم، ومما لاشك فيه ان المقصود به هنا هو: حريم دار الخلافة ببغداد، ويكون بمقدار ثلث بغداد من الجانب الشرقي، وهو في وسطها ودور العامة محيط به، وله سور يتميز به ابتداؤه من دجلة وانتهاؤه الى دجلة ايضاً كهيئة نصف دائرة. انظر: ياقوت، معجم البلدان، مـ٢، ج٢، ص١٤٢. ويبدو ان اهل السواد التجأوا الى الحريم لاعتقادهم بحرمة المكان من المعتدين.

[2] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٥٨.

[3] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٨، ص٤٩٢. والملاحظ استعمال تعبير "اهل الشام ومصر" كنايةً عن الدولة الفاطمية.

وامام هذه الحالة ارسل طغرل بك الى الخليفة القائم بامر الله رسولاً يبالغ في اظهار "الطاعة والعبودية".

وبنفس الوقت يطمن الاتراك البغداديين "ويعدهم الجميل والإحسان" ومع ذلك فأن الأتراك البغداديين من اتباع البويهيين لم يطمأنوا لقدوم طغرل بك متذرعين بوعد من الخليفة القائم "بابعاد هذا الخصم عنا"، واننا "فعلنا بالبساسيري ما فعلنا، وهو كبيرنا ومقدمنا" وطالبوا التقدم الى طغرل بك بالعودة، "فغولطوا في الجواب" ويبدو ان المغالطة اتت من رئيس الرؤساء الذي كان "يؤثر مجيء طغرل بك ويختار إنقراض الدولة الديلمية"، فيما تم تسوية أمر الأتراك البغداديين بإدخال خيمهم الى الحريم، مع وعد من طغرل بك بالاحسان اليهم[١].

وبوصول طغرل بك الى النهروان خرج اليه رئيس الرؤساء الوزير ابن المُسلمة، مع "ارباب الدولة كافة" بما فيهم امير الإستيلاء البويهي الملك الرحيم خسرو فيروز، عدا الخليفة القائم بأمر الله[٢]، وقيل ان وزيري الخليفة والسلطان تعانقا راكبين[٣]، ووصل رئيس الرؤساء للسلطان "فأكرمه"[٤] وسلم عليه عن القائم، فأومأ السلطان الى تقبيل الأرض قائلاً: "ما وردتُ إلا امتثالاً للمراسم العالية ومتميزاً عن ملوك خراسان بالقرب من السدة الشريفة، منتقماً من اعدائها"[٥]، ومكرراً مضمون

---

[١] انظر الى مجمل هذه الارهاصات في: ابن الاثير، الكامل، ج٨، صص: ١٥٨-١٥٩.

[٢] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٨، ص٤٩٢.

[٣] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٣٤٩؛ ومن طريف ما يذكره ابن العمراني: ان رئيس الرؤساء لم يترجل لعميد الملك الكندري الذي ترجل لرئيس الرؤساء، فلجأ عميد الملك الى حيلة بأن قدم له مركوباً قال له ان السلطان ارسله حتى يركبه ابن المُسلمة، فترجل عن فرسه ليرى من حضر ان وزير الخليفة ترجل ايضاً لوزير السلطان. انظر: ابن العمراني، الانباء في تاريخ الخلفاء، ص١٨٩.

[٤] لم يذكر سبط ابن الجوزي نوع التكريم بمال او هدية. انظر: مرآة الزمان، ج١٨، ص٤٩٢.

[٥] انظر: المصدر نفسه.

رسالته للخليفة في أمور خدمة الخليفة، والحج الى بيت الله تعالى، وانتزاع مصر من يد "الخارج الذي بها"[١].

مصير الملك الرحيم:

كان الملك الرحيم خسرو فيروز قد آثر المسالمة بعد ان فارقه قائد جنده البساسيري، واصعد من واسط الى بغداد. ويذكر ابن الجوزي: انه خطب لطغرل بك ثم "للمسمى" بالملك الرحيم من بعده، وذلك عند اقتراب السلطان طغرل بك من بغداد وانتشار عسكره في طريق خراسان، وان رئيس الرؤساء الوزير ابن المُسلمة سأل السلطان بشأن الملك الرحيم وان يجريه مجرى اولاده، فاعطاه يده ثم استأسره بعد ذلك[٢]. فما لبث ان قطعت خطبته بعد ايام، وحمل الى القلعة، وذلك بعد وثوب "العامة" ببغداد بعسكر طغرل بك في باب الازج[٣].

حادثة باب الازج وردة فعل العامة ببغداد تجاه العسكر السلطاني والقبض على الملك الرحيم:

كان رد الفعل الاولي للعامة من اهل بغداد هو التوجس من عسكر طغرل بك وتمثل ذلك من خلال ما اورده ابن الأثير ويبينه بأن "جاء بعض العسكر الى باب الازج[٤]، واخذ واحداً من اهله ليطلب تبناً وهو لا يفهم ما يريدون، فاستغاث عليهم"،

---

[١] انظر: ابن العمراني، الابناء في تاريخ الخلفاء، ص١٨٩.

[٢] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٣٤٩.

[٣] انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص١٥٩.

[٤] وباب الازج اعطى اسمه للمحلة المحيطة به وعليه فالمقصود هو محلة باب الازج. انظر: غي لسترانج Guy Lestrange، بغداد في عهد الخلافة العباسية ، ط٢، (بغداد: دار ميزوبوتاميا، ٢٠١٣م) ص١٩٩؛ وموضعها الان هو محلة باب الشيخ على ما حققه مصنفا دليل خارطة بغداد. انظر: مصطفى جواد واحمد سوسة، دليل خارطة بغداد، ص١٧٦.

فهاجت العامة ورجموهم وهجموا عليهم، وظنوا ان الملك الرحيم وعسكره عزموا على قتال طغرل بك، وصارت العامة "تقتل من الغز من وجدوا في محال بغداد".

لكن المفارقة ان أهل الكرخ وهم من الشيعة لم يتعرضوا الى الغز بل حموهم وحفظوهم، ولذلك فإن طغرل بك امر بداية الامر بإحسان معاملتهم، فأرسل وزيره عميد الملك الكندري الى عدنان بن الشريف الرضي نقيب العلويين بالحضور، فحضر وشكره عن السلطان، وعين له من يحميه ويحمي محلته.

اما العامة فانهم لم يكتفوا بقتل الغز داخل اسوار بغداد، بل خرجوا الى ظاهر بغداد مع بعض العسكر البغدادي لمقاتلة "العسكر السلطاني".

ويعلق ابن الاثير على هذهِ الحادثة فيقول: "فلو تبعهم الملك الرحيم وعسكره لبلغوا ما ارادوا" لكن المسالمة التي ركن اليها الملك الرحيم ومحاولة اعيان اصحابه نفي التهمة عن انفسهم بلجوئهم الى دار الخلافة "ظناً منهم أن ذلك ينفعهم".

وبخروج العامة لمقاتلة العسكر السلجوقي فإن النتيجة كانت محسومة لانها كانت معركة غير متكافئة وعلى جميع الاصعدة، فالعامة، بطبيعة الحال كانوا غير منظبطين ولا منظمين وهم في غالبهم من اهل السوق "المنتفضين" تجاه الغز وقد فهموا ان الغز يرومون أخذ ما يحتاجونه دون دفع الثمن خاصة ولابد وان ما عملوه بطريق خراسان من نهب وسلب قد تنامت اخباره الى اهالي بغداد.

فضلاً عن من انضم الى اولئك ممن يخافون من طيات الوضع الجديد الذي بدى لهم مجهولاً وان كان موافقاً لهم مذهبياً كون الغز من اهل السنة، فإن السلاجقة كانوا على المذهب الحنفي مع ان غالب اهل السنة من عامة بغداد كانوا من الحنابلة وهما طرفي الطيف الواسع من اهل السنة، ثم ان اهل السنة في بغداد لم يعانوا تمييزاً او تحيزاً او اضطهاداً بسبب انتمائهم المذهبي ابان العصر البويهي.

وانجلت الامور بهزيمة العامة امام العسكر السلجوقي المحترف، وقتل واسر وجرح منهم[١] وبذلك بدت الفرصة مواتية للسلاجقة الغز في السلب والنهب داخل

---

[١] انظر: الى مجمل حادثة باب الازج في: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، صص: ١٥٩-١٥٩-١٦١.

مدينة بغداد[1] التي استباحوها، فتم نهب الرصافة كلها ودرب يحيى ودرب سليم حيث دور رئيس الرؤساء ودور اهله[2].

ولأن اهل بغداد عامةً (الناس) كانت تعتقد ان ترب الخلفاء محترمة ولا يجري عليها اعتداء في حالات الفتن والازمات والحروب فانهم كانوا ينقلون اليها اموالهم، لكنها نهبت جميعاً "فاشتد البلاء على الناس وعظم الخوف"، ونقل الناس اموالهم الى ابواب دار الخلافة[3].

المفارقة ان السلطان طغرل بك ارسل الى الخليفة يعتب، وينسب ما جرى الى الملك الرحيم واجناده، طالباً حضورهم حتى يتيقن من برائتهم، ولكن ما ان حضروا، بعد ان ارسل السلطان اماناً للملك الرحيم واصحابه، حتى قام عسكر السلطان "الغز" بنهبهم ونهب دوابهم وشمل النهب رسل الخليفة ايضاً، وتم القبض على الملك الرحيم آخر امير استيلاء بويهي في بغداد وحبس هو واصحابه، فيما تم ارسال الملك الرحيم بعد ذلك الى قلعة سيروان[4].

على ان ما قام به طغرل بك في حقيقته هو تعريض حتى بالخليفة نفسه، وان ما كان يظهره الاول من احترام بالإيماء الى تقبيل الأرض عند ذكر اسم الخليفة[5] وما يشيعه بانه يروم التبرك بالمشاهدة اي "مشاهدة الخليفة" فإن ذلك لا يعني عنده شيئاً عند تعرضه او عساكره لأي خطر. ويؤيد ما ذهبنا اليه ما اورده ابن الاثير بما كتبه الخليفة القائم الى السلطان بتهديده بمفارقة بغداد إن لم يطلق سراح الملك الرحيم

---

(1) يورد ابن الجوزي خبر مقتضب عن الحادثة فيقول: "ثارت بين العوام والاتراك فتنة ادت الى قتل واسر فنهب الجانب الشرقي باسره وذهبت اموال الناس. انظر: المنتظم، ج١٥، ص٣٤٩.

(2) وهذا يعطينا مؤشراً بأن الحنابلة كان لهم دوراً محورياً في الاحداث ومقاتلة الغز.

(3) انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص١٦٠.

(4) سيروان: بلد او كورة بالجبل. انظر: ياقوت، معجم البلدان، مـ٣، ج٥، ص١٠٤.

(5) انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٣٤٩.

وجماعته[1]. فلم يتم الإستجابة لطلب الخليفة الا باطلاق البعض إلا الملك الرحيم، فيما تم الاستيلاء على جميع اقطاعات عسكر الملك الرحيم، "وامرهم في السعي في ارزاق يحصلونها لأنفسهم" وبذلك التحق من اطلق سراحه من اصحاب الملك الرحيم بالبساسيري ولزموه، وفي خطوة لاحقة امر طغرل بك باخذ اموال الاتراك البغداديين[2].

وفتحت حاثة السوق في باب الازج شهية العسكر السلجوقي، فنهبوا الجانب الغربي من نهر دجلة من النيل الى تكريت، ومن الجانب الشرقي من نهر دجلة من النهروانات الى اسافل الاعمال واسرفوا في ذلك وخرب السواد، واجلي عنه اهله.

ويلاحظ ان ما ينهبه الغز السلاجقة كانوا يبادرون الى قبض ثمنه بالبيع، لأنهم ليسوا في موطنهم، ولا يمكن حمل المنهوبات معهم. ولذلك فإن ابن الجوزي يورد اثمان المنهوبات باسعارها البخسة[3].

اما السلطان نفسه فإنه بعد نحو من شهرين من دخوله بغداد، فإنه بعد الجلوس للعزاء بوفاة ذخيرة الدين ابو العباس محمد ابن الخليفة القائم في ذي القعدة ٤٤٧هـ/كانون الثاني ١٠٥٦م، طلب من الخليفة مالاً، لتمشية اموره وامور عسكره، ولما صحح البعض من "الولاة" الأمر بأن المطلوب هو اطلاق يد السلطان في الحريم، فامتنع الخليفة، ولكنه طلب "الرفق فيما يفعل" بعد أن عاوده في الطلب[4].

---

(١) يورد ابن الاثير ان الخليفة القائم كتب الى طغرل بك بشأن الملك الرحيم واصحابه فيقول: "انهم انما خرجوا اليك بأمري واماني، فان اطلقتهم، والا فأنا افارق بغداد، فأني انما اخترتك اعتقاداً مني ان تعظيم الاوامر الشريفة تزداد، وحرمة الحريم تعظم، وارى الامر بالضد". انظر: الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٦١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الثور: خمسة الى عشرة قراريط، الحمار: بقيراطين الى خمسة. انظر: المنتظم، ج١٥، ص٣٥٠؛ وانظر ايضاً: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٦١.

(٤) انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٣٥٠.

واطلاق اليد هو في حقيقته أن يأخذ ويصادر ما يشاء من حريم دار الخلافة، وكما ذكرنا فأن "اهل السواد" كانوا قد لجأوا الى الحريم هاربين فزعين من السلاجقة حين قدومهم من خلال طريق خراسان.

وفي سعي طغرل بك للمزيد من الأموال فإنه عقد ضمان البصرة والاهواز بـ ثلاثمائة وستين الف ديناراً "لتاج الملوك هزارسب بن بنكير بن عياض الكردي لسنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م. واطلقت يده في جميع الإقطاعات والمعاملات بالبصرة وخورستان[١].

ادت الأعمال العسكرية التي قام بها السلاجقة الغز واعمال النهب التي مارسوها سواء في مسيرهم الى بغداد او في تحركاتهم اللاحقة الى الموصل الى نتائج كارثية تمثلت بهجرة المزارعين لاراضيهم الزراعية فضلاً عن تعطل الزراعة التي كانت هي عصب الإقتصاد آنذاك وهذا ادى بدوره الى موجة غلاء غير مسبوقة في المواد الغذائية وهو ما سبب مجاعات واوبئة انتابت حاضرة الخلافة العباسية بغداد، فضلاً عن اضطراب حبل الامن في الطرق المؤدية الى مدينة بغداد فصارت الخفارات التي تبذل لنقل الغذاء والبضائع تزيد من كلفتها وهذا بدوره يزيد من نسبة الغلاء.

---

[١] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٨، ص٤٩٦. وكان الملك الرحيم فيروز كيخسرو قد اقطع البصرة للبساسيري سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م. انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٤٠.

وهذا ما وقــع فعــلاً فــي السنين ٤٤٨[١]، ٤٤٩[٢]، ٤٥٠هـ[٣]/١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨م.

ومما لاشك فيه ان قائد العسكر من السلاجقة كان يسعى دائماً الى ارضاء عسكره وذلك باطلاق ايديهم فيما يعملون حتى يكونوا طوع امره مع معاقبة من يحاول او يفكر في مخالفة امره[٤]، ومن ناحية اخرى فإن تحصيله للأموال وبكل الوسائل والطرق الممكنة تارة من الخليفة نفسه واخرى من رئيس الرؤساء[٥] وثالثة عن طريق المصالحة بدل القتل والنهب[٦]، فإنه كان يوفر احتياجاته التي تبقيه بأبهة ومباهاة خاصة ما عمله من جهاز ابنة اخيه ارسلان خاتون بنت الأمير جغري والي خراسان التي كانت قد سميت للذخيرة ابن الخليفة القائم بأمر الله، ومن ثم زفت للخليفة نفسه

---

[١] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٥؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٧٥؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٨، ص٤٩٨؛ ابو الفرج جمال الدين ابن العبري (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) تاريخ الزمان، ترجمة: اسحق ارملة (بيروت: دار المشرق، ١٩٨٦) ص١٠٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٨، ص٢٧٩.

[٢] من ذلك ما ذكره ابن الجوزي انه أكلت الكلاب والميتات، وشويت صبية واكلت. انظر: المنتظم، ج١٦، ص١٦؛ او ما ذكره ابن الاثير: ان الناس عجزوا عن دفن الموتى فكانوا يجعلون الجماعة بالحفرة. انظر: الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٧٩؛ وانظر ايضاً: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٥؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، مـ٩، ص٦٦٤.

[٣] بل زاد الطين بلة هذه السنة هلاك الغلات بالبرد. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٢٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٨، ص٢٨٩.

[٤] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٨، ص٥٠٠.

[٥] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٣٥٠؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٨، ص٥٠١.

[٦] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٨، ص٥١٠.

بعد وفاة ولي العهد الشاب، فكانت من نصيب الخليفة وهو في نهاية العقد السادس من عمره[١].

نزول عسكر السلاجقة دور الناس في بغداد

قدم سلطان السلاجقة طغرل بك بغداد بعسكره البالغ خمسين الف فارس[٢] او قيل ستون الفاً[٣] على روايتين وكان في عسكره ثمانية فيلة[٤]، وفي الوقت الذي ضرب السلطان خيامه خارج بغداد اول الامر فقد دخل جنوده بغداد بعيد حادثة باب الازج ونهبت بغداد على اثر ذلك، واراد السلطان أن ينزل داراً تليق بمقامه كسلطان للسلاجقة وقائد للعسكر السلجوقي، والظاهر انه نزل اول امره في دار مؤنس المظفر[٥] وربما نزل لبرهة "عند مسناة عز الدولة "البويهي" على دجلة"[٦].

---

[١] ولد الخليفة العباسي القائم بامر الله سنة ٣٩١هـ/١٠٠١م وزفت اليه عروسه بنت اخي طغرل بك سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٦م وبذلك يكون عمره نحو من ثمانٍ وخمسون عاماً. انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مـ٩، ص٤٠٦ وعن ضخامة جهاز العروس الذي جهزه بها طغرل بك انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٨، ص٤٩٧.

[٢] انظر: ابن العمراني، الابناء في تاريخ الخلفاء، ص١٨٩.

[٣] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٨، ص٤٩٣؛ فيما يبالغ العماد الاصفهاني في عدد جنود طغرل بك فيقول: ان الارض ضاقت بجنوده. انظر: تاريخ دولة آل سلجوق، ص١٨٧.

[٤] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٣٤٩.

[٥] انظر: ابن العمراني، الابناء في تاريخ الخلفاء، ص١٩٠. وعن دار مؤنس المظفر: "في اوائل اوائل القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي اقام الامير مؤنس المظفر "الخادم" داراً فخمة عظيمة على دجلة في شمال قصور الخلفاء، وفي قسم من هذهِ الدار نشأت فيما بعد المدرسة النظامية على عهد السلاطين السلاجقة، وفي اعلى هذهِ الارض انشئت المدرسة المستنصرية. انظر: مصطفى جواد واحمد سوسة، دليل خارطة بغداد، ص١٢٨. وعن مؤنس المظفر انظر:
Murtada H Al-Naqib, The Amir Munis Al-Muzaffar and His Political and Militarity During Al-Muqtadir Caliphate, :Un Published M.A. Thesis, (Mc Geil University, 1969).

[٦] انظر: العماد الاصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص١٨٧. ومسناه عز الدولة: هي المسناة المسناة التي انشأها معز الدولة البويهي للدار التي عرفت باسمه (الدار المعزية) سنة

لكن رأي السلطان استقر اخيراً على اعمار دار المملكة البويهية التي انشأها عضد الدولة البويهي، "فعمرت وزيد فيها وانتقل اليها في شوال سنة ٤٤٧هـ[١]/كانون الثاني سنة ١٠٥٦م ويظهر ان طغرل ربما فكر ن يشتي في بغداد او يتخذها مقراً للسلطنة السلجوقية، ولذلك فأنه شرع في بناء ما اسماه العماد الاصفهاني بـ مدينة في شمال بغداد على ساحل نهر دجلة[٢]، بل وبدء السلطان ببناء "سور عريض ادخل فيه قطع كثيرة من المخرم، وعزم على بناء دار فيها". وعمل على تجديد دار المملكة العضدية وتوسعته [٣]وبذلك انتقل من الخيام بظاهر بغداد الى دار المملكة في داخل بغداد.

٣٥١هـ/٩٦٢م= =وموقعها في شمال شرق بغداد، عند باب الشماسية، والشماسية تقع شمال محلة الرصافة ومحلة ابي حنيفة واليها ينسب باب الشماسية. انظر: مصطفى جواد، دليل خارطة بغداد، ص١٠٩ وص ١٣٨.

[١] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٣٤٩؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٨، ص٤٩٣. ودار المملكة البويهية: هي الدار التي انشأها عضد الدولة البويهي (٣٦٧-٣٧٢هـ/٩٧٨-٩٨٣م) على انقاض دار سبكتكين المعزي الذي كان قد انشأ "دار واسعة الارجاء كثيرة المرافق في ارض المخرم". ودار المملكة هذهِ انفق عليها عضد الدولة اموالاً ضخمة واستخدم الفيلة في دك ارضيتها ونقض دوراً مجاورة ابتاعها لتكون الدار واسعة الارجاء واستقدم المياه لها من نهر الخالص. وموضع هذهِ الدار بتحقيق مصطفى جواد واحمد سوسة هو ارض الصرافية بين الجسر الحديد والعيواضية. انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مـ١، صص: ١٢٠-١٢١؛ دليل خارطة بغداد، صص: ١٣٩-١٤٠.

[٢] انظر: العماد الاصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص١٨٨.

[٣] يذكر ابن الجوزي: جمع الصناع لتجديد دار المملكة العضدية، وخربت الدور والمحال والاسواق بالجانب الشرقي وجميع ما يقارب الدار واخذت آلاتها للاستعمال ونقضت دور الاتراك، وسلت اخشابها بالجانب الغربي. انظر: المنتظم، ج١٦، ص٤.

اما فيما يخص العسكر السلجوقي فإنهم نزلوا بادىء ذي بدء في دور الأتراك البغداديين[١] الذين التحق كبارهم بالبساسيري وربما في اوقات متفاوتة[٢]، الا ان تقض دور الاتراك البغداديين في الجانب الغربي كما ذكرنا آنفاً، وكثرة اعداد العسكر السلجوقي الذي جاء صحبة سيده هو الذي جعل العسكر السلجوقي يقاسم العامة من اهل بغداد السكن في دورهم[٣]. وفي الحقيقة ان هذهِ سابقة لم تكن لتحدث في حواضر المسلمين قبلئذ، فلا يوجد مسوغ شرعي اسلامي لهذا العمل، والسابقة الوحيدة المشابهة بنوع ما هي التي حدثت في صدر الاسلام في المصالحة على الجزية مع اهل الذمة ومن اهل السواد لا اهل المدن، بضيافة المسلمين لمدة ثلاثة ايام لا اكثر مع ملاحظة الفرق الواضح في كل النواحي. ان المضيفين آنذاك كانوا من غير المسلمين (اهل الذمة) واحتساب الضيافة حساب الجزية، وانهم من اهل السواد لا المدن، واقتصار المدة على ثلاثة ايام لا أكثر[٤].

وعلى اثر استمرار الجند السلجوقي في مقاسمة اهل بغداد السكن والقوت، "وارتكابهم كل محظور" فإن الخليفة القائم بأمر الله طلب من وزيره رئيس الرؤساء استحضار عميد الملك الكندري وزير السلطان طغرل بك توقيع الخليفة الى السلطان

---

[١] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٣٤٩.

[٢] يبدو ان الكثيرين منهم غادروا بغداد وتركوا دورهم، من ذلك ما يشير اليه سبط ابن الجوزي بأن جماعة من "الغلمان البغدادية" وشي بهم "غمز عليهم". فكمن لهم خمارتكين الطغرلبي خادم السلطان ومعه جماعة بامر رئيس الرؤساء فقتلوهم وكانوا اكثر من عشرين من الاعيان والمقدمين، فلم يفلت منهم الا القليل، ولم يتجاسر احد من ذوي المقتلين بقربهم خوفاً من رئيس الرؤساء، فغسلوا في سقاية باب الازج ودفنوا . انظر: مرآة الزمان، ج١٨، ص٤٩٦.

[٣] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٨، ص٤٩٣.

[٤] يذكر الماوردي بجواز المصالحة على الجزية من اهل الذمة بضيافة من مر بهم من المسلمين ولمدة ثلاثة ايام، ولا يزداد عليها، كما صالح عمر بن الخطاب نصارى الشام على ضيافة من مر بهم من المسلمين ثلاثة ايام مما ياكلون، وتبيت دوابهم من غير شعير، وجعل ذلك على اهل السواد دون المدن. انظر: الاحكام السلطانية، ص٢٢٥. كذلك انظر نصاً مشابهاً في : ابو يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي، الاحكام السلطانية، ص١٥٦.

فيه المواعظ، وتهديد الخليفة "بالانتزاح من بغداد حتى يبعد عن المنكرات". لكن رد السلطان السلجوقي طغرل بك جاء بالاعتذار "بكثرة العسكر وعجزه عن تهذيبهم وضبطهم"[١].

المثير في الأمر ان الحل جاء اخيراً لعامة اهل بغداد من خلال ما يذكره ابن الاثير: أن حلم رآه السلطان ركن الدين طغرل بك ابي شجاع محمد بن ميكائيل بن سلجق بهذا التوقيت فقط وهو يوم مخاطبته برسالة الخليفة القائم بامر الله، وفحوى ومضمون الحلم معلوم بأن الرسول محمد (ص) يعاتبه غاضباً على ما جرى من جنده تجاه العامة[٢].

والعجيب ان هذا الحلم لم يحلم به السلطان السلجوقي إلا بعد نحو عام كامل من دخول السلاجقة الى بغداد وحلول العسكر السلجوقي في بيوت العوام من اهل بغداد.

ومن التحليل الأولي للحلم نرى انه من شقين، الاول يتعلق بالتفويض الذي منحه الله عز وجل للسلطان السلجوقي، وحَكَّمهُ في بلاده وعباده، والثاني العتب والغضب بإمهاله الجور على اهل بغداد وسوء معاملتهم.

والاكيد في الامر إن الإدعاء بهذا الحلم جاء بعد أن كان البساسيري ومعه نور الدولة دبيس بن مزيد كان لهم وقعة مع قريش بن بدران صاحب الموصل ومعه قتلمش بن اسرائيل بن سلجق وهو ابن عم السلطان طغرل بك في سنجار وذلك في شوال ٤٤٨هـ/كانون الأول ١٠٥٦م فاقتتلوا وانهزم فريش وقتلمش بعد مقتل الكثير من اصحابهم، وبالغ اهل سنجار في اذية ابن عم السلطان واصحابه.

---

[١] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٧٢.

[٢] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٤؛ ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص١٧٢. والنص الذي يورده ابن الاثير عن الحلم هو: فلما كان تلك الليلة رأى السلطان في منامه النبي (ص) عند الكعبة وكأنه يسلم على النبي وهو معرض عنه فلم يلتفت اليه وقال له: يحكمك الله في بلاده وعباده فلا تراقبه فيهم ولا تستحي من جلاله عز وجل في سوء معاملتهم، وتغتر بامهاله عند الجور عليهم. فاستيقظ فزعاً.

وبعد هذا الانتصار الذي حققه البساسيري، جيء بقريش بن بدران مجروحاً للبساسيري، فألبسه خلعة من التي نفذت اليه من مصر وصار من جملتهم، وساروا جميعاً الى الموصل وخطبوا لصاحب مصر الخليفة المستنصر بالله الفاطمي[١] فأراد السلطان المسير الى الموصل وسنجار لإبعاد خطر البساسيري ومن معه ممن بايعوا للخليفة الفاطمي فضلاً عن الانتقام من أهل سنجار لما فعلوه باصحاب ابن عمه قتلمش.

وبذلك عبأ السلطان طغرل بك جنده وسار بهم الى الموصل، وليسيروا على نفس النهج الذي اعتادوا في مسيرهم لبغداد فنهبوا اوانا[٢] وعكبرا[٣] وجميع البلاد وسبوا نساءها ونهبت تكريت وحوصرت القلعة[٤] وصولحت على مال يدفعونه للسلطان[٥].

---

[١] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٧١. وينقل العماد الاصفهاني ان اهل سنجار مثلوا بالسلاجقة القتلى من اصحاب قتلمش، وتركوهم بالعراء. انظر: العماد الاصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص١٨٩.

[٢] اوانا: بليدة كثيرة البساتين والشجر، نزهة من نواحي دجيل بغداد بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من جهة تكريت. انظر: ياقوت، معجم البلدان، مـ١، ج١، ص٢١٩.

[٣] عكبرا: بليدة من نواحي دجيل قرب اوانا وصيرفين. انظر: ياقوت، معجم البلدان، مـ٣، ج٦، ص٣٤٢.

[٤] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٨.

[٥] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٧٣.

القطيعة التاريخية Historical Rupture فيما يتعلق بالجانب المذهبي على اثر دخول لسلطان طغرل بك بغداد.

تعد التجاذبات المذهبية بمثابة المحور الرئيس في القطيعة التاريخية التي حدثت في بغداد.

فباديء ذي بدء فإن التبريرات التي قدمت من قبل السلطان السلجوقي لزحفه باتجاه بغداد ودخولها في رمضان ٤٤٧هـ/كانون الأول ١٠٥٥م نقول ان تلك التبريرات الثلاثة[١] كانت ذا توجه مذهبي واضح.

فالتبرير الاول كان "ما وردت الا امتثالاً للمراسيم العالية" و "انما قصد العبد الخدمة الشريفة ليتبرك بها"

واننا نوهنا بالفصل التمهيدي الى ما كان يخطط له الخليفة القادر بالله ومن بعده ابنه الخليفة القائم بأمر الله في احلال قوة متوافقة مع مذهب الخليفة لتحل محل البويهيين المعروفين بتوجهاتهم الشيعية والتي فسرت وبنحو ما بـ"الصحوة السنية".

اما التبرير الثاني: فكان المسير للحج وعمارة الطريق وقد اثبت الواقع التاريخي ان طغرل بك او أيٍّ من سلاطين السلاجقة لم يؤدِ فريضة الحج، بل ولا أي احد من الخلفاء العباسيين بعد الخليفة الخامس هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٧-٨٠٩م) وحتى انقضاء عمر آخر الخلفاء العباسيين سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م.

فضلاً عن ذلك فإن الخطبة في مكة المكرمة حوّلت من الخليفة العباسي القائم بأمر الله الى صاحب مصر الخليفة الفاطمي المستنصر بالله وذلك سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م بعد أن استولى علي بن محمد الصليحي على اليمن[٢]. ولم يخطب

---

[١] انظر لرسالة طغرل بك الى الخليفة القائم في: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٨، ص٤٩٢.

[٢] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٨، ص٤٩٤. ويلاحظ ان هذا الامر تم سنة دخول طغرل بك بغداد ووعده بازالة الفاطميين عن الشام ومصر.

للخليفة العباسي بعد ذلك الا سنة ٤٥٨هـ[١]/١٠٦٦م (او سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٧م[٢]، او سنة ٤٦٢هـ/١٠٧٢م)[٣] ومما يجدر ذكره ان صاحب مكة محمد بن ابي هاشم اتى للسلطان السلجوقي الب ارسلان يخبره باقامة الخطبة للخليفة القائم بامر الله وللسلطان بمكة واسقاط خطبة العلوي وترك "حي على خير العمل" في الاذان، فانعم عليه بثلاثين الف دينار وخلعاً نفيسة، واجرى له كل سنة عشرة الاف دينار، ووعد صاحب المدينة "مهنا" كذلك بعشرين الفا وكل سنة خمسة آلاف دينار اذا فعل مثل ذلك[٤].

وفي هذا الخبر الذي ينقله ابن الأثير يتبين أن في الخطبة لخليفة بغداد وسلطان السلاجقة كان من وراءه سبب مادي لانقطاعه عن مصر بسبب الحالة الاقتصادية التي كانت تمر بها الدولة الفاطمية على ما يبدو.

التبرير الثالث

وهو قتال اهل الشام ومصر

وهذا مالم يحققه طغرل بك ابداً فالشام بقيت بيد الفاطميين حتى تبلور قوة الاتابكة الزنكيين وسلاجقة الشام في وقت لاحق، اما مصر فانها استمرت تحت حكم الفاطميين حتى وفاة آخر خليفة فاطمي منهم هو الخليفة العاضد سنة ٥٦٧هـ[٥]/١١٧١م. حيث عمل صلاح الدين يوسف بن ايوب على قطع الخطبة له

---

[١] انظر: الحافظ ابي الطيب محمد بن احمد بن علي الفاسي المكي المالكي (ت ٨٣٢هـ/١٤٢٩م) شفاء الغرام باخبار البلد الحرام (القاهرة: دار احياء الكتب العربية، ١٩٥٦م) ج٢، ص٢٢٧.

[٢] انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٨، ص٣٠٦.

[٣] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٣٦.

[٤] انظر: المصدر نفسه ، ص٢٣٦ و ٢٣٧.

[٥] انظر: ابو محمد عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان اليافعي (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م) ج٣، ص٢٨٥.

قبيل ايام من وفاته، وخطب للخليفة العباسي الحسن المستضيء بأمر الله[١] الخليفة العباسي الثالث والثلاثون (ت٥٧٥هـ/١١٧٩م).

من مجمل التبريرات الثلاث يبدو جلياً الاثر المذهبي لاستدعاء سلطان السلاجقة ومقدمه الى بغداد. فما هي الاجراءات التي اتخذت ازاء الشيعة الامامية الاثني عشرية على اثر هذا التغيير الجوهري في دولة الخلافة العباسية ببغداد والذي تمثل بوجود قوة عسكرية جبارة تتمثل بالسلاجقة المتحمسين بشكل او آخر لبني العباس التي ما فتأت تعلنها ومن خلال ما سمي بالاعتقاد القادري القائمي في انها خلافة تتبنى عقيدة سنية المذهب شافعية الاصول تنحوا نحو اصحاب الحديث وتتبنى بنوع ما توجهات الحنابلة في الفروع خاصة فيما يخص المخالفين لها، من الشيعة الامامية الاثني عشرية والمعتزلة كافة.

ان الإجراء الاول الذي اتخذه السلطان طغرل بك حال دخوله بغداد في اواخر رمضان ٤٤٧هـ/كانون الاول ١٠٥٥م يتحدث عنه ابن الاثير بخصوص الامر الذي صدر من السلطان، بأن يؤذن سحراً في مساجد اهل الكرخ بـ"الصلاة خير من النوم"[٢] وهذا الامر حقيقةً اول بادرة تصدر من طغرل بك حول شؤون الشيعة الامامية وتعبداتهم وفق المذهب الامامي الاثني عشري لكن الملاحظ من الخبر الذي اورده ابن الاثير ان التثويب بـ"الصلاة خير من النوم" ان يؤذن بها سحراً لا فجراً وربما لم يعَّد هذا زيادة في الاذان كما لا يجوزه الشيعة الامامية[٣].

---

[١] انظر: ترجمته في: ابن الكازروني، مختصر التاريخ، صص: ٢٣٧-٢٤١؛ جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي، تاريخ الخلفاء، صص: ٥٢٥-٥٢٩.

[٢] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٦١.

[٣] ورد في كتاب النهاية في مجرد الفقه والفتاوي لمرجع الشيعة وقتئذ ابو جعفر الطوسي انه "لا يجوز التثويب في الاذان، و"لا يجوز قول: الصلاة خير من النوم في الاذان، فمن فعل ذلك كان مبتدعاً". انظر: ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٨م) النهاية في مجرد الفقه والفتاوي (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٧٠م) ص٦٧.

لكن الأمر تطور مع حلول سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م. حيث اقيم الاذان في المشهد بمقابر قريش، ومشهد العتيقة[١]، ومساجد الكرخ بـ"الصلاة خير من النوم". ولم يذكر ابن الجوزي ان هذا الاجراء جاء بامر من الخليفة القائم بأمر الله نفسه ولا من السلطان طغرل كما ذكر ذلك ابن الاثير، وانما امتثلوا لذلك خوفاً من السلطنة وقوتها[٢].

وامتثال امر الخليفة من الشيعة الامامية الاثني عشرية جاء وفق مبدأ التقية التي يؤمن بها الشيعة عادةً. والا لبقي الامتثال قائماً الى يومنا الحاضر.

ويضيف ابن الجوزي عن الاذان: "ازيل ما كان يستعملونه في الاذان "حي على خير العمل"، وقلع جميع ما كان على ابواب الدور والدروب من "محمد وعلي خير البشر"، ودخل منشدوا اهل السنة من باب البصرة فانشدوا الاشعار في مدح الصحابة"[٣]، والملاحظة الجديرة بالاهتمام ان مجمل التجاذبات المذهبية التي كانت تجري بين أهل الكرخ ومخالفيهم من باب البصرة او باب الشعير في العصر البويهي بسبب النوح في عاشوراء او الفرح بيوم الغدير كانت تصاحبها اعمال قتل وجرح او ما يطلق عليه الان بـ"اعمال عنف" ولكن مع تغير الحال بهذهِ القطيعة التاريخية فإن اهل الكرخ من الشيعة لم يثيروا العنف تجاه هذهِ الأعمال، بل اكثر من ذلك ان شيخ البزازين ابي عبد الله الجلاب قتل وصلب على باب دكانه في باب الطاق، لما كان يتظاهر به من الغلو في الرفض، فقتل وصلب على باب دكانه، و"هرب" ابو جعفر

---

[١] مشهد العتيقة: يذكر مصطفى جواد واحمد سوسة في دليل خارطة بغداد ان مشهد العتيقة هو في الحقيقة ما يعرف الآن بجامع براثا، ذلك ان جامع براثا قد خرب ودرست ارضه، وكلا الموضعين تعظمه الشيعة، وهذا رأي جدير بالتأمل والبحث. انظر: دليل خارطة بغداد قديماً وحديثاً، ص٨٥.

[٢] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٧٦.

[٣] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٧؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٨، ص٥١٠.

الطوسي ونهبت داره[1]. وكان رئيس الرؤساء الوزير ابن المُسلمة هو الذي اوعز الى ابن النسوي صاحب الشرطة بصلب شيخ البزازين، ومما لاشك فيه ان هذهِ التجاذبات ربما كانت تصاحبها تعنيف وربما قتل البعض من عامة أهل الكرخ، ذلك ان رئيس الرؤساء كان قد تقدم بان تنصب اعلام سود في الكرخ وذلك في يوم الاربعاء الثاني عشر من صفر ٤٤٨هـ/الأول من مايس ١٠٥٦م "فانزعج اهلها" وكان الوزير ابن المُسلمة "يجتهد في ايذاء اهل الكرخ إلا ان وزير السلطان عميد الملك الكندري كان يدفع عنهم الأذى[2].

وعلى ما يبدو ان هذا التجاذب المذهبي تجاه الشيعة الامامية الاثني عشرية قد استمر وبوتيرة شبه متواصلة، حتى ان ابن الجوزي يذكر ان الذعار في محرم سنة ٤٤٩هـ/آذار ١٠٥٧م "كانوا يفتحون في اسواق الكرخ" عدة دكاكين من نهر الدجاج، ونهر طابق[3]، والعطارين"[4] ويأخذون ما فيها وان ابن النسوي صاحب الشرطة استعفى فاعفي[5]، ربما لأنه كان لا يستطيع منعهم وقد ينظر الى هذهِ الحوادث بسبب الغلاء والقحط الذي حل بحاضرة الخلافة العباسية بغداد وقتئذ ولكن استهداف

---

[1] ويضيف ابن الجوزي، ان شيخ البزازين الذي تم صلبه كان يسب الصحابة على زعمه، انظر: المنتظم، ج١٦، ص٧؛ ويذكر سبط ابن الجوزي الخبر بنصه، انظر: مرآة الزمان، ج١٨، ص٥١٠. ولم يذكر ابن كثير خبر سب الصحابة، انظر: البداية والنهاية، مـ٨، ص٢٧٩. ويلاحظ ارتياح ابن كثير وفرحه بهذهِ الاعمال.

[2] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٦؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٨، ص٤٤٩.

[3] عن نهر الدجاج ونهر طابق، انظر: حمدان عبد المجيد الكبيسي، اسواق بغداد (بغداد: دار الكتب العلمية، ٢٠١٣م) ص٨٤ و ٨٥.

[4] وهنالك سوقين للعطارين واحد بالكرخ وآخر بالرصافة، ونحن نرجح ان يكون المقصود وهو الذي في الكرخ لاستقامة الخبر الذي يورده ابن الجوزي عن سوق العطارين في الكرخ، انظر: الكبيسي، اسواق بغداد، ص١٦٩، وعن سوق العطارين بالرصافة، انظر: الكبيسي، اسواق بغداد، ص١٠٦.

[5] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص١٦؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٥.

اسواق الكرخ بعينها قد بنظر اليها بعين التجاذب المذهبي الذي يستهدف فئة دون اخرى.

والظاهر ان المخالفين للشيعة الإمامية الأثني عشرية في بغداد ومن الحنابلة خصوصاً اخذتهم نشوة التغيير الذي حصل في السلطة المتنفذة في حاضرة الخلافة العباسية والمتمثلة في السلاجقة، ورئيس الرؤساء وزير الخليفة ابن المُسلمة. ولذلك فانهم قاموا في صفر سنة ٤٤٩هـ/نيسان ١٠٥٧م بكبس دار مرجع الشيعة الامامية الاثني عشرية الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي[١] "واخذ ما وجد منها من دفاتر، وكرسي كان يجلس عليه للكلام واخرج كل ذلك الى سوق الكرخ، واضيفت اليه ثلاث مجانيق بيض كان الزوار من اهل الكرخ قديماً يحملونها معهم اذا قصدوا زيارة الكوفة، فأحرق الجميع"[٢].

ويلاحظ ان الحرق تم في سوق الكرخ حتى يكون على مرأى الجميع على ما يبدو.

وبذلك يمكننا القول ان ما جرى تجاه الشيعة الامامية كان المحرك الرئيس له هو رئيس الرؤساء ابن المُسلمة والأداة التي نفذت من خلال صاحب الشرطة ابن النسوي الذي كما اوضحنا سلفاً بان له ماضٍ سيء وربما كان ماضياً اجرامياً في اخذ اموال الموسرين وتصفيتهم[٣]، على الرغم من استعفائه عند تعقد الامور، اما مادتها الاساسية فهم على قول ابن الجوزي فهم "الذعار" وربما انضم اليهم ممن نقموا على الوضع في العصر البويهي ممن ناله حيف ابان التجاذبات المذهبية التي كانت تجري في الكرخ.

فضلاً عن من يورد ذكرهما سبط ابن الجوزي وهما: الزهيري وابن اليدن، وكانا فاتكين، فكانا متحمسين للسب والشتم، وعرضوا بأهل الكرخ واتهموهم بانهم

---

[١] تقدمت ترجمته.

[٢] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص١٦؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٨٠؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، ج١٩، ص٧.

[٣] راجع ص١٦١، الهامش رقم ٣

اعداء الخليفة، وانهم لم يبدوا "قبيحاً تجاه من شهر به واجتاز بالكرخ[1]، فضلاً عن كل هذا فإن رئيس الرؤساء وزير الخليفة ابن المُسلمة لم يكتم حقده وتعصبه على اهل الكرخ "واطلق لسانه في الإمامية، وتهددهم بالقتل والصلب[2].

وتطور الامر نحو مزيد من الإحتقان المذهبي، فقصد الزهيري وابن اليدن وجماعات من محلات معينة يذكرها سبط ابن الجوزي وهي: جماعة من اهل باب البصرة، والحربية، ونهر طابق، ودرب الشعير والقلائين وهم من اهل السنة، ففي مستهل ربيع الآخر سنة ٤٤٩هـ/حزيران ١٠٥٧م قصدوا جميعاً مشهد موسى بن جعفر "ومعهم النوائح بقصائد في حريق المشهد، وسنموا قبور المشهد"، ويذكر سبط ابن الجوزي : "انهم فعلوا كل قبيح"، فانتقل العلويون من المشهد، ولم يبق فيه الا القليل. واشعلوا النيران في المشهد بمقابر قريش[3]، وبعد اسبوع ما لبث الجمع أن

[1] والمقصود به "سعد بن ابي الفرج محمد بن جعفر ابو الغنائم علاء الدين بن فساجنس، الذي كان قد وزر للملك ابي نصر ابي كاليجار، ونظر بواسط اول قدوم طغرل بك، ثم عصى وخطب للمصريين بواسط"، قتل ورميت جثته للكلاب وطيف برأسه ببغداد سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص١٦؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٦، و ص٥٥.

[2] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٧.

[3] انظر: المصدر نفسه. ويورد ابياتاً مما كانوا ينشدون ومنها:

يا موقد النيران في المشهد
بورك في كفيك من موقد
طهرت ارضا كل سكانها
ما بين زنديق الى ملحد
لا حافظا للذكر فيهم ولا مقدس يركع في مسجد
من كل بدعي له مذهب متخذا للرفض بالمسند
لا تابع للدين فيهم ولا معتقد للبعث من مرقد

ومن يقرأ الابيات يعرف ما يدعونه من ان الشيعة الامامية (الروافض) هم زناديق، ملاحدة، غير حافظين للذكر، لا راكعين او ساجدين، رافضة، لا يعتقدون المبعث.

عاد مع الزهيري وابن اليدن، وسنموا ضريح موسى بن جعفر ومحمد الجواد، وجميع القبور[١]، وصاروا كل سبت يقصدون المشهد ومعهم النوائح، فينوحون[٢] ويعلنون الرافضة "وكذا يعملون في جميع مشاهد الشيعة"، وكانوا يدخلون الكرخ فينهبون ويقولون "اسلموا يا كفار" وجعلوا المشهد طريقاً للحربية، وطريقاً للسابلة والملاحظ ان هذهِ الاعمال كان المتقدم بها رئيس الرؤساء ابن المُسلمة[٣].

هنالك جملة من الأمور الاخرى والتي من خلالها يمكننا القول ان عملية القطع التاريخي التي حصلت بدخول السلاجقة بغداد كان تأثيرها تأثيراً طاغياً على مجمل الوقائع التاريخية في الحقبة اللاحقة، خاصة ابان حكم السلطان طغرل بك السلجوقي.

من هذهِ الأمور ما حرص عليه الخليفة القائم بأمر الله العباسي في احاطة مقام خلافته بشيء من التعظيم بل وربما حتى الاستعلاء، مثال ذلك ما يروى انه في ذي القعدة سنة ٤٤٩هـ/كانون الثاني ١٠٥٨م. أذنَ للسلطان السلجوقي طغرل بك بمقابلة الخليفة القائم بامر الله، فتوجه اليه السلطان في موكب نهري يحف به موكب على شاطيء نهر دجلة يتقدمه فيلان، ولما دخل دار الخلافة وقف طويلاً حتى لقى الخليفة الذي كان يجلس على كرسي ارتفاعه سبعة اذرع، فاستدعي الخليفة السلطان وافاض عليه سبع خلع[٤]

---

[١] كانت سمة قبور الشيعة الامامية هو تسطيحها، وسمة قبور اهل السنة تسنيمها.

[٢] وربما هذا تعريض بما درجت عليه الامامية من النوح على مقتل أئمتهم وخاصة الامام الحسين بن علي بن ابي طالب (ع) في كربلاء.

[٣] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٨.

[٤] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٢٠. وقد ينظر الى علو وارتفاع الكرسي بسبعة اذرع وهو ما يوازي اكثر من اربعة امتار على انه احتراز من الخليفة العباسي مما قد يجري عليه ما جرى للخليفة المستكفي بالله في ٢٧ جمادي الاخرة سنة ٣٣٤هـ/٢٩ كانون الثاني ٩٤٦م عند استقباله لمعز الدولة البويهي، فضلاً عن اظهار نوع من المهابة على مجلسه. عن تصرف معز الدولة البويهي مع الخليفة المستكفي انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤، ص٤٥.

وتوج وسور وطوق وخاطبه الخليفة بملك المشرق والمغرب، ورام تقبيل الأرض فلم يستطع[١].

ومن مجمل هذهِ الاخبار نستخلص ان الخليفة العباسي القائم بأمر الله وكذلك السلطان السلجوقي كانا في وادٍ والرعية في حاضرة الخلافة في وادٍ ثان، ذلك ان اهل بغداد كانوا يعانون من آثار الغلاء والجوع والوباء الذي كان يعصف ببغداد في ٤٤٨ و ٤٤٩هـ/١٠٥٧ و ١٠٥٨م. وهذا ما ذكرناه سابقاً.

امر آخر فإن بغداد التي خلت من كثير من ساكنيها، بسبب توالي النوائب عليها في السنتين اللتين تليا دخول السلطان طغرل بك بغداد حتى ان مجلس العزاء الذي اقيم لوفاة اخت الخليفة القائم بأمر الله حضره "عدد لا يتجاوز الأربعين لخلو البلد وانقراض الناس بالموت والفقر"[٢].

ومثال آخر على انشغال السلطان بأمور العسكر واشياء تخصه دون اهالي بغداد. ان الناس "جمعوا من الطرقات للعمل في دار المملكة، وفيهم الهاشميون، والقضاة، والشهود والتجار، فكانوا يحملون اللبن على اكتافهم وايديهم عدة اسابيع"[٣] فكان "القضاة يعملون، والطيالس عليهم ينقلون فيها الآجر والتراب"[٤] والظاهر ان تشغيل كل هؤلاء سخرةً بسبب خلو بغداد من الناس للأسباب التي ذكرناها كذلك.

---

[١] يذكر ابن العمراني ان طغرل بك كان شيخاً ناهز السبعين من عمره، وقد اثقله الطوق والسواران، "وكان يعانيهما بجد جهيد"، وانه كان "أقرع"، وهذا يعني انه لم يطيق وضع التاج على راسه. انظر: ابن العمراني، الانباء في تاريخ الخلفاء، ص١٩٢. فيما يذكر سبط ابن الجوزي: ان التاج هو الذي منعه من تقبيل الارض. انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٢١.

[٢] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص١١.

[٣] انظر: المصدر نفسه، ج١٦، ص١٨.

[٤] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص١٦.

حركة البساسيري:

كان اقتراب السلطان طغرل بك السلجوقي من بغداد في مستهل رمضان ٤٤٧هـ/تشرين الثاني ١٠٥٥م بمثابة مؤشراً لتحقق الاستقواء بقوة الجند السلاجقة وحسما لصراع القوى في حاضرة الخلافة العباسية لصالح الخليفة العباسي القائم بأمر الله ورئيس الرؤساء الوزير ابن المُسلمة، امام هذا الوضع، ورغبة من الأمير البويهي الملك الرحيم في المسالمة وتسليماً لأمر الخليفة القائم بامر الله، فقد فارق البساسيري الذي كان يشغل قائداً لقوة الفرسان الاتراك الذين يعدون جمرة الجند البويهي، وذلك امتثالاً لشروط الخليفة القائم في مفارقة البساسيري واصعاد الملك الرحيم من واسط الى بغداد، قائلاً "نحن لأوامر الديوان متبعون وعنه منفصلون"[١].

وكان هذا بمثابة استسلام من الملك الرحيم ورضى بما سيؤول مصيره من الاعتقال والنفي والموت بعد ذلك، والحقيقة ان تصفية امر الملك الرحيم كان ضرورياً، وذلك لانهاء حقبة ما يمكن ان نطلق عليه الصحوة الشيعية وابتداء حقبة الصحوة السنية التالية لها في بغداد، ولذلك فان الخطبة في بغداد قد تقررت بادىء ذي بدء لطغرل بك ومن ثم للملك الرحيم[٢]، ولكن ما أن استيقن طغرل بك ضعف الملك البويهي بمفارقة قائد جنده البساسيري، فإن السلطان قبض على الملك الرحيم بعد ان اتهمه بأنه كان وراء حادثة التبن في باب الازج، على الرغم من الامان الذي كتبه له السلطان لاسباب سياسية-عسكرية واضحة.

امر آخر رأى فيه السلطان السلجوقي ضرورة تحييد الملك الرحيم، ومن ثم القبض عليه هو امر اقطاعات الجند البويهي. فقد صادر طغرل بك جميع "اقطاعات عسكر الرحيم"[٣]، وبذلك تفرد السلطان بالخطبة ببغداد بعد الخليفة القائم بامر الله لضمان الموارد المالية له ولارزاق جنده.

---

[١] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٥٨.

[٢] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٣٤٨.

[٣] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٦١. ويلاحظ ان ابن الاثير عند سرد الاحداث التي وقعت بعد القبض على الملك الرحيم فأنه يذكره دون اسم "الملك".

ثم ان طغرل بك ضمّن البصرة والاهواز لهزارسب والتي كانت تعد من اقطاعات البساسيري.

اما البساسيري فأنه لما فارق الملك الرحيم سار الى "بلد" نور الدولة دبيس بن مزيد لمصاهرة بينهما[١]. لكن طغرل بك كتب الى نور الدولة "يأمره بابعاد البساسيري عن حاضرته" ففعل وسار البساسيري الى رحبة مالك[٢] بالشام وكاتب المستنصر صاحب مصر، بالدخول بطاعته، وبذلك خطب نور الدولة لطغرل بك، وكذلك فعل قريش بن بدران[٣]، ولذلك تراوحت الولاءات بين بعض امراء القبائل العربية في العراق بين الخوف من سطوة وقوة ونفوذ السلاجقة فأذعنوا لهم، وبين من ادرك ذلك كله وحاول الاستقواء عليهم من خلال الخطبة لصاحب مصر المستنصر الفاطمي. وربما تناوب الامر بين هذا وذاك.

ولذلك فإن قريش بن بدران قد خالف اخاه مقبل، وكان يكاتب السلطان طغرل بك باخبار البساسيري الذي ما لبث أن انضم اليه دبيس بن صدقة، وكذلك "امراء العرب" الذين فرق عليهم البساسيري الأموال والخلع التي وردت اليه من صاحب مصر[٤] والمراد بهم بطبيعة الحال الخلفاء الفاطميين في مصر.

---

[١] ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٦١.

[٢] رحبة الشام: وهي الرحبة المنسوبة الى مالك بن طوق التغلبي احد قواد الخليفة العباسي هارون الرشيد، وهو اول من عمرها. وهي مدينة على الفرات بين الرقة وعنه. انظر: عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمود ابن عمر شاهنشاه بن ايوب (ت٧٣٢هـ/١٣٣٢م) تقويم البلدان (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٦م) ص٣٢٤.

[٣] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٨، ص٤٩٩. ويبرر سبط ابن الجوزي ذلك فيقول: طمعاً في حراسة بلادهما من النهب. وكان قريش بن بدران قد عانى نفسه من السلب اثناء القبض على الملك الرحيم في رمضان ٤٤٧هـ/كانون الاول ١٠٥٥م فاحتمى بخيمة بدر بن المهلهل والقوا "الزلالي عليه" انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص١٦١.

[٤] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٨، ص٥٠٧.

وكان البساسيري قد سار في شوال ٤٤٨هـ/كانون الثاني ١٠٥٦م لقتال قريش الذي انجده السلطان طغرل بك بابن عمه قتلمش، فكانت الهزيمة لقريش وابن عم السلطان، ودخل البساسيري الموصل وخطب "لصاحب مصر"[١].

وهذا الامر شجع ابا الغنائم بن فسانجس ومن معه من الترك البغداديين والديلم الى العودة لواسط ليخطبوا للفاطميين[٢] مجدداً ونهبوا قرية من ضياع الخليفة وقتلوا من فيها واخذوا سفناً فيها متاع للخليفة[٣].

بعد كل هذهِ الوقائع صارت غالب المدن في العراق يخطب بها للفاطميين، بعد ان خطب "لصاحب مصر" في الكوفة، وفُرّقِ في المشهدين[٤] مالاً للعلويين، وقيل ان من فعل ذلك بدر بن علي اخو دبيس، وقيل محمود بن الاخرم الخفاجي[٥] الذي خطب في الكوفة وشفاثة[٦] وعين التمر "للمصري" بعد رجوعه من مصر ومعه ومعه مال، وكذلك فعل شداد بن اسد في النيل[٧]، وسورا[٨]، ولم يتبق غير حاضرة الخلافة العباسية بغداد وفيها الخليفة العباسي نفسه والسلطان السلجوقي.

---

[١] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٨، ص٥٠٧..

[٢] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٨.

[٣] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٨، ص٥٠٩.

[٤] المقصود بهما المشهد بالحائر الحسيني (بكربلاء)، ومشهد علي بالكوفة (بالنجف).

[٥] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٨، ص٥٠٩.

[٦] شفاثة او عين التمر: وهو موضع قرب الكوفة. انظر: ياقوت، معجم البلدان، مـ٣، ج٦، ص٣٦٨، مادة: عين التمر.

[٧] النيل: بلدة في سواد الكوفة، قرب حلة بني مزيد يخترقها نهر ينبلج من الفرات، شفه الحجاج وسماه النيل، انظر: صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت٧٢٩هـ/١٣٢٩م) مراصد الاطلاع عن اسماء الامكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢م) مـ٣، ص١٤١٣.

[٨] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٨. سورا: موضع بالعراق من ارض بابل، انظر: ياقوت، معجم البلدان، مـ٣، ج٥، ص٩٠.

امام هذا الوضع الذي آلت اليه الامور سار السلطان طغرل بك بنفسه الى الموصل لمواجهة البساسيري لكن البساسيري وجماعته انسحبوا من الموصل تحاشياً من مواجهته، فبادر السلطان الى تسليم الموصل الى اخيه غير الشقيق ابراهيم أينال، وعاد لبغداد ليطلب الاجتماع بالخليفة فأذن له في ذلك في ذي القعدة سنة ٤٤٩هـ/كانون الثاني ١٠٥٨م. وخلع عليه، وخاطب الخليفة السلطان بملك المشرق والمغرب وتبودلت الهدايا[١].

لكن الملاحظ ان تذبذب الولاء بالنسبة للامراء العرب، وكونهم في كل مرة مع من يبدو النصر حليفه، ذلك ان كل من دبيس بن علي بن مزيد الاسدي، ومحمود بن الاخرم الخفاجي قد اصلحا حالهما مع السلطان طغرل بك وعاد دبيس الى "بلده" فوجدها خراباً "لكثرة من مات بها من الوباء الجارف ليس بها احد"[٢].

اركان حركة البساسيري في مسيرة الى بغداد:

استند البساسيري في تحركه الى بغداد على عدة امور مهمة منها:

ابراهيم أينال[٣]:

يعد ابراهيم اينال احد الامراء الغز الذين قامت الدولة السلجوقية على اكتافهم، ولذلك فأن حصته ابتداءً هي قهستان وجرجان من مجمل البلاد التي استولوا عليها من الغزنويين[٤]، لكن ابراهيم اينال كان قد نشط في الاستيلاء على الري سنة

---

[١] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٧٧ وما بعدها.

[٢] انظر: المصدر نفسه، ج٨، ص١٨٠.

[٣] ابراهيم ينال: وهو ابراهيم بن ينال بن سلجق وهو اخ غير شقيق وابن عم لطغرل بك، وينال يرد بعدة صيغ مثل: ينال ونيال واينال، وينقل محمد اقبال رأي المستشرق هونسما ان الصيغة الصحيحة هي اينال، ومعناها بالتركية "رئيس القبيلة" انظر حاشية محقق النص في: الراوندي، راحة الصدور، ص١٦٨. الحاشية رقم (١).

[٤] انظر: العماد الاصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص١٨٦.

٤٣٣هـ[١]/١٠٤٢م وسار عنها، وملك مناطق الجبال المجاورة لها ثم انتقل الى بروجرد فملكها سنة ٤٣٤هـ[٢]/١٠٤٣م وعاود المسير الى بلاد الجبل سنة ٤٣٧هـ/١٠٤٥م، ويعقب ابن الاثير بالقول فحينئذ قوي طمع "ينال" اينال في البلاد[٣].

وكانت له تحركات عسكرية تجاه العراق وطريق خراسان حتى اشيع سنة ٤٣٩هـ/١٠٤٨م انه على قصد بغداد. وكان وراء كل تلك التحركات السلب والنهب فيما يبدو على عادة السلاجقة الغز في تحركاتهم العسكرية، وكذلك زيادة في طاعة جنده له فيما يوفره لهم في اطلاق يدهم في الاموال والسبي والنساء[٤].

اما النقلة الاهم في تحركات ابراهيم اينال كانت في مسيره وغزوته الى الروم، فظفر وغنم، وكان قد قَدِمَ "خلقاً كثيراً من الغز من وراء النهر" وهؤلاء في عنفوان اندفاعهم فوجههم الى بلاد الروم و "يجاهدوا في سبيل الله"، وبذلك فقد قتل وغنم واسر، وممن اسر ملك الابخاز ويقال ان غنائمه حملت على عشرة آلاف عجلة، وسبى مائة الف رأس[٥].

وربما كانت هذهِ الغنائم التي حصل عليها ابراهيم ورغبة السلطان طغرل بك في الاستحواذ عليها هي من الاسباب المهمة التي ادت بالوحشة بين الاخوين غير الشقيقين[٦].

---

[١] انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص٦٦.

[٢] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٢٨٦؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٧٥.

[٣] انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص٩٠.

[٤] انظر: ابن الاثير، المصدر نفسه، ج٨، صص: ٩٨-٩٩.

[٥] انظر: المصدر نفسه ، صص: ١٠٤-١٠٥؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، مـ٩، ص٥٨٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٩، ص٢٦٨. ويلاحظ ان ابن الاثير والذهبي يذكرون المائة الف سبايا، وابن كثير يعدها غنائم (أي انها رؤوس لدواب وليست رؤوس بشر سبايا).

[٦] ينقل ابن الاثير خبراً له مغزاه وهو ان الب ارسلان بن جغري بك داود وهو ابن اخ طغرل بك بك سار من مدينة مرو بخراسان قاصداً مدينة فسا، فقتل الفاً من الديلم وكثيراً من العامة، "ونهبوا ما قدره الف الف دينار، واسروا ثلاثة الاف انسان"، ولكنهم سارعوا الى العودة لخراسان

فضلاً عن ذلك فإن ما حققه اينال من انجازات ربما قد اثارت حسد "ومن نوع ما" اخاه غير الشقيق طغرل بك وصار يفكر فيه كمنافس له من بعض الأوجه ولذلك فإنه طالبه بتسليم همدان سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٩م فيما رفض ابراهيم اينال ذلك عندها عمد "الاخ" طغرل بك الى معاقبته وذلك بسمل احدى عينيه وقطع شفتيه وبعد ان ضرب بحضرة السلطان نفسه، امام هذا الإذلال الذي صدر من طغرل بك تجاه اخيه ابراهيم اينال فإن الأخير "سار عن طغرل بك وجمع جمعاً من عسكره والتقيا" فكانت الدائرة على اينال. لكن طغرل بك "عفى عنه"[١] ومما لاشك فيه ان تشويه وجه ابراهيم اينال وسمل احدى عينيه قد جعله يحمل الضغينة على السلطان بشكل او بآخر منتهزاً الفرصة لاخذ الحيف والإنتقام منه ولو بعد حين، ويبدو ان هذا ما عمل عليه البساسيري، فمما لاشك فيه ان مخالفة ابراهيم اينال للسلطان السلجوقي طغرل بك ومفارقته الموصل متوجهاً الى همدان قد نسبها زعيم السلاجقة الى العصيان عليه، حتى قصدها (الموصل) البساسيري ودخلها بنفس اليوم، ولكن الملاحظ ان ابراهيم اينال عاد الى بغداد بعد أن ارسل اليه السلطان طغرل بك رسولاً يستدعيه ومعه "فرجية" كان الخليفة القائم قد خلعها عليه، وسار السلطان هذهِ المرة الى الموصل ثانيةً ومعه ابراهيم اينال الذي ما لبث أن فارقه ثانيةً الى همدان التي وصلها في رمضان ٤٥٠هـ[٢]/تشرين الثاني ١٠٥٨م.

خوفاً= =من ان "يرسل اليهم (طغرل بك) وياخذ ما غنموه منهم" وذلك سنة ٤٤٢هـ/١٠٥١م انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص١٢١. وهذا يعني ان طغرل بك كان يعّد هو سلطان السلاجقة وكان يحتم على بقية الامراء احضار المنهوبات "الغنائم" بين يديه وربما يستحوذ على القسط الاوفى منها.

[١] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١١٣؛ عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن علي بن محمود ابن عمر بن شاهنشاه الايوبي (ت٧٣٢هـ/١٣٣٢م) المختصر في اخبار البشر (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م) ج١، ص٥٢٤؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، مـ٩، ص٥٨٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٨، ص٢٧٠.

[٢] انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص١٨٢.

وبذلك يمكننا القول انه في المرة الاولى كان اينال متردداً في عزمه على مفارقة اخيه، على عكس المرة الثانية التي صار فيها متيقن من قلة من بقي مع طغرل بك بعد تفرق عسكره في النوروز[1] فبادر الى مفارقته الى همدان، وبذلك يكون ابراهيم اينال على كل الاحوال "طالباً للملك"[2] او ان البساسيري قد كاتبه "يعده بالسلطنة"[3] بل وقيل ان "المصريين كاتبوه" فضلاً عن استمالة البساسيري له واغراءه بزعامة السلاجقة الغز التي صار يتطلع اليها[4].

وبهذا يكون البساسيري قد نجح في تشتيت، ولو مؤقتاً القوة الرئيسة للغز السلاجقة المنضوية تحت سلطنة طغرل بك، وتكون النتيجة بكل الأحوال في صالحه خاصة بعد ان جد السلطان طغرل بك بالمسير الى همدان مسرعاً، وبمعونة بقية امراء البيت السلجوقي استطاع القبض على ابراهيم اينال وخنقه بوتر قوسه[5].

من كل ما سبق نرى اثر المعاملة القاسية التي عامل بها السلطان طغرل بك اخاه غير الشقيق بسبب ما كان قد حققه من اسلاب ومنهوبات دون استأثار السلطان بها على ما يبدو ولا يمكن الاعتقاد بان هذا العمل تم بموافقة الخليفة العباسي على الأرجح، ولا يمكن إغفال أمر عامل الحسد، والتوجس منه كندٍ منافسٍ له مستقبلاً في السلطنة، وتأكد هذا الأمر لما فطن الى ذلك البساسيري فأنفتحت شهية ابراهيم أينال في نيل السلطنة، لكن الأمور سارت بشكل ثانٍ نتيجة سرعة

---

(1) انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص١٨٢.

(2) انظر: الراوندي، ص١٧١، ان ابراهيم ينال فارق السلطان "طالباً الملك"

(3) انظر: الذهبي، دول الاسلام، ج١، ص٣٨٦.

(4) انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص١٨٢.

(5) انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، ج١٩، ص٨٢. ويذكر ابن النظام اليزدي ان البساسيري سعد وطرب لقتل ابراهيم اينال. انظر: محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله ابن النظام الحسيني اليزدي (ت٧٤٢هـ/١٣٤٢م) العراضة في الحكاية السلجوقية، ترجمة وتحقيق: عبد المنعم محمد حسنين، وحسين امين (بغداد: مطبعة جامعة بغداد، ١٩٧٩م) ص٤٠. ومن عادة السلاجقة الخنق بوتر القوس للذكور من بيت البيت السلجوقي وعدم اراقة الدم بالسيف.

تحرك السلطان وحزمه ومعاونة بقية البيت السلجوقي للسلطان[١] في الوقت الذي كان فيه الخليفة العباسي حريصاً على وحدة البيت السلجوقي من خلال محاولته الاصلاح ما بين طغرل بك واخيه غير الشقيق ابراهيم اينال.

الامر الثاني الذي ركن اليه البساسيري في حركته هو:

قريش بن بدران العقيلي:[٢]

صاحب الموصل الذي كان أمير عقيل، القبيلة العربية المعروفة في الجزيرة والموصل وحلب والذي سبق وان خطب لطغرل بك قبيل وروده بغداد وذلك سنة ٤٤٦هـ/١٠٥٤م[٣].

ويستفاد من مجمل سيرته السياسية تذبذبه في الولاءات والتحالفات فمرة يستحوذ "وينهب ما كان للبساسيري" في الأنبار "وينهب حلل اصحابه، ويفتح البثوق في الخالص"[٤] والتي كانت اقطاعاً للبساسيري ويدخل ثانيةً في مجمل التفاهمات التي عقدها مع البساسيري في مسيرته الى بغداد ويخطب "لصاحب مصر"[٥] ويلبس ويلبس خلعه، وكان الخليفة الفاطمي المستنصر بالله "مائلاً الى قريش، وهو كاره له"[٦].

---

[١] هرع الى معاونة طغرل بك اولاد اخيه داود كل من قاورت، وياقوتي، والب ارسلان. انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٨٢.

[٢] وهو قريش بن بدران بن المقلد بن المسيب ابو المعالي، علم الدين الامير العقيلي، ولي الموصل، وتوفي في نصيبين وله احدى وخمسين سنة وذلك سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م. عن سيرته انظر: الذهبي، العبر، ج٣، ص٢٣٢؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، مـ١٨، ص٤٣٨؛ وذكره ايضاً: محسن الامين، اعيان الشيعة، مـ١٣، ص١٣٥.

[٣] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٥٠.

[٤] انظر: ابن الاثير، المصدر نفسه.

[٥] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٨، ص٥٠٩.

[٦] المصدر نفسه، ص٥٠٠.

فيما كان الوزير اليازوري[1]، الفاطمي "يكاتبه ويستعطفه"[2] على ان ولايته على الموصل ربما كان وراء هذا التذبذب، لانها تعد على خط التماس او الحدود بين الخلافتين المتنافستين العباسية والفاطمية[3] بحيث يتغير الولاء حسب معادلات القوة والضعف بين الدولتين، فضلاً عما عرف به الأمير قريش بن بدران من بخل وشحة في صرف الأموال، وعادة تكون للأموال وقع واهمية في سلوك البخلاء، وبذلك يتضح ان موافقته للبساسيري ودخوله بغداد لم يكن وراءه مبدأ او اعتقاد مذهبي بقدر ما هو واقع سياسي يقتضيه تحرك العساكر المتحالفة لاغراض ودوافع مادية فضلاً عن الدافع السياسي وهو بهذا المحتوى لا يختلف عن البساسيري نفسه الذي فقد اقطاعته الشخصية واقطاعات أُمراءه وجنوده فضلاً عن تحكمه في امور العراق.

ومن الامور المهمة التي عول عليها البساسيري في حركته:

– حالة الاستياء والغضب التي انتابت عامة اهل بغداد على اثر اعمال السلب والحرق والنهب التي مارسها عسكر السلاجقة المنتشرين في محال بغداد وارياضها فضلاً عما انتهكوه من حرمة البيوت من خلال مشاركتهم لأهالي بغداد في

---

(1) الوزير ابو محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمن اليازوري قاضي القضاة وداعي الدعاة: كان ابوه من اهل يازور من اعمال الرملة، وكان من ذوي اليسار، وكان اخوه في خدمة ام المستنصر الفاطمي استوزر في السابع من محرم ٤٤٢هـ/الاول من حزيران ١٠٥٠م، اتهم باختلاس الامول، وتعويله للهرب الى بغداد فقبض عليه سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م وسير الى تنيس فقتل. للمزيد انظر: ابو القاسم علي بن منجب بن سليمان الشهير بأبن الصيرفي المصري (ت٥٤٢هـ/١١٤٧م) الاشارة الى من نال الوزارة، تحقيق: عبد الله مخلص (القاهرة: مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، ١٩٢٤م) صص: ٤٠–٤٥؛ ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص١٧٩.

(2) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٨، ص٥٠٠.

(3) عرف هذا التذبذب ايضاً عن عمه ابو المنيع قرواش بن المقلد معتمد الدولة (ت٤١١هـ/١٠١٨م) الذي خطب للحاكم بامر الله (صاحب مصر) سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م ثم ما لبث ان رجع بعد ذلك وخطب ثانية للخليفة القادر بالله. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٧٤–٧٧.

المسكن والغذاء، وكذلك ما عانوه عامة اهل بغداد من تأثير القحط والوباء الذي كان ينتاب حاضرة الخلافة العباسية بعد دخول طغرل بك المدينة في دفعته الأولى، ولا ننسى ما عانت منه جموع الشيعة الإمامية في بغداد من خلال حالات التجاذب المذهبي التي افضت الى فرض مراسيم وممارسات مخالفة لما كانوا قد درجوا عليه في مركز تواجدهم في مشهد باب التبن ومشهد العتيقة وبقية مساجدهم بالكرخ، وتشريد مرجعهم الشيخ الطوسي وحرق داره بعد نهبها.

اما بشأن الخلافة العباسية وديوان الخلافة فكان، الخليفة القائم بأمر الله حريصاً ايام تلك الظروف على ابقاء السلطان طغرل بك في بغداد لاعتقاده الجازم بأن وجود السلطان هناك يعد بمثابة حماية له وللخلافة العباسية بشكل عام لاسباب منها ثقة الخليفة واطمأنانه الى وجود السلطان الى جنبه ولأفتقار مؤسسة الخلافة وقتئذ الى عسكر مستقل خاص بها وموارد مالية تعتمد عليها في تمشية شؤونها.

ومع ذلك فان طغرل بك عزم على المسير الى الموصل بعد أن حصرها البساسيري في مستهل رجب سنة ٤٥٠هـ/ايلول ١٠٥٨م على الرغم من "اشارة الخليفة عليه بعدم الخروج" الا ان طغرل بك اعترض قائلاً: "كنت قد قلت اول الامر، فمُنعت فجرى على عسكري ما جرى" وهو يعني بذلك منع السلطان من الخروج لمناجزة البساسيري، كما ان السلطان طلب مالاً من الخليفة، وهو عاجز تماماً عن ذلك، وما يتوفر من الاموال موجود لدى ادارة الديوان المتمثل بشخص رئيس الرؤساء ابن المُسلمة وخواصه من اهل الديوان وعدد ميسور من تجار الحنابلة، ومع ذلك، يقال ان الخليفة انفذ اليه مقدار من المال سراً لا يعلم مقداره[١].

وبذلك يتبين لنا ان بغداد كانت غير مشحونة بجندٍ كافٍ لحمايتها من البساسيري، خاصة بعد ان كتب السلطان طغرل بك الى وزيره عميد الملك الكندري ببغداد وخاتون (زوج السلطان) بالاسراع اليه والعسكر الذين معه ليتقوى بهم في قتاله لاخيه الذي خالفه جهراً ابراهيم اينال.

---

[١] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، صص: ٥٩-٦٠. وهو بطبيعة الحال ينقل عن غرس النعمة محمد بن هلال الصابي–متولي ديوان الانشاء ايام الخليفة القائم بامر الله.

لكن الاوضاع السياسية بدت لوزير السلطان عميد الملك الكندري انها ليست في صالح طغرل بك، فعزم على ترتيب امر ابن زوج السلطان المدعو انو شروان للامارة والملك، لكن الغز في بغداد لم يستسيغوا الامر، وهذا ما ادى الى مفارقة الخاتون بغداد مع باقي الجند السلجوقي ببغداد نجدةً للسلطان في همدان. فيما غادر الوزير عميد الملك الكندري وغلمانه الى الاهواز، حتى ان بغداد خلت تماما من الغز، وكان رئيس الرؤساء قد بعث الى ابي الاغر دبيس بن علي بن مزيد يستحثه على القدوم لبغداد خوفاً مما آلت اليه الأمور ولملء الفراغ الذي حصل على اثر مغادرة اركان السلطنة السلجوقية حاضرة الخلافة.

الا ان دبيس غادر بغداد الى ديالى بعد أن رفض الخليفة القائم نصيحة دبيس له بمغادرة بغداد الى البلاد "السفلية" والمقصود بها واسط او الاهواز وما جاورهما. ولذلك جمع الخليفة اليه من بقي في بغداد، فكانوا نحو من مائة فارس والف راجل، وامر الزهيري وابن اليدن وابن المُذْهِب وهم من يسميهم سبط ابن الجوزي بـ رؤوس الفتن[1]، بالعبور الى الجانب الشرقي حيث الحريم ودور الخلافة[2]، الخلافة[2]، لحراستها وهذا يعني ان بغداد صارت معّرضة لعبث العابثين من العيارين وغيرهم، حتى ان رئيس الرؤساء كان قد عين من "يحفظ الدروب، ورمى الناس اقمشتهم في الآبار"[3] بغية الحفاظ عليها. وكان من غادر بغداد سواء من الغز الذين

---

[1] وهؤلاء من الحنابلة الذين كان لهم دور بارز في الاغراق بفتن الاعوام ٤٤٣هـ/١٠٥١م انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص١٣٠؛ وكذلك حادثة كسر واراقة الجرار المحملة الى واسط وقيل انها للبساسيري محملة خمراً سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٣٤٧؛ وكذلك حادثة حرق المشهد بباب التبن سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م. انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٧.

[2] انظر الى مجمل هذهِ الحوادث في ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، صص: ٣٠-٣١؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٦٠-٦٤؛ ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص١٨٣.

[3] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٦٣، ورمي الناس اقمشتهم يعني اموالهم، في الآبار وهذا يعني انهم طموها واخفوها.

صاحبوا خاتون زوج السلطان او غيرهم من افراد العساكر ينهبون ما تصل اليه ايديهم من "العين، والثياب والسلاح وغير ذلك من صنوف الاموال"[١].

ويتابع الخطيب البغدادي تحركات البساسيري فيقول: "في يوم الجمعة السادس من ذي القعدة سنة ٤٥٠هـ/الخامس والعشرون من كانون الأول سنة ١٠٥٨م) تحقق كون البساسيري في الأنبار" ولذلك اضطرب الناس، ولما صعد المؤذن لمأذنة جامع المنصور اخبرهم برؤية عسكر البساسيري صوب بغداد، ويقول: فبادرت الى ابواب الجامع فرأيت الأتراك البغداديين اصحاب البساسيري نفراً يسيراً يسكنّون الناس، ويغدون الى الكرخ[٢].

ويكمل روايته عن البساسيري بشيء جديد هو انه في يوم الأحد الثامن من ذي القعدة سنة ٤٥٠هـ/السابع والعشرون من كانون الأول سنة ١٠٥٨م دخل البساسيري ومعه "الرايات المصرية"، فضرب مضاربه على شاطيء دجلة، ونزل هناك والعسكر معه[٣]، وهذا اعتراف اولي بالدعوة للفاطميين في بغداد، ويلاحظ ان البساسيري دخل بغداد في عدة وعدد يسير من الفرسان[٤]، فيما دخل قريش بن بدران العقيلي ومعه نحو من مئتي فارس في مشرعة لباب البصرة في بني عقيل[٥]، ولم

---

[١] انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٩، ص٤٠٨. ويعد الخطيب البغدادي شاهد العيان الوحيد الذي وصلتنا كتاباته عن دخول البساسيري الى بغداد.

[٢] انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٩، ص٤٠٨.

[٣] انظر: المصدر نفسه.

[٤] يذكر ابن الجوزي: ان البساسيري ورد بغداد في نحو مئتي فارس، فيما يذكر ابن الاثير: ان البساسيري وصل بغداد ومعه اربعمائة غلام في غاية الضر والفقر. انظر: المنتظم، ج١٦، ص٣٢؛ الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٨٣. وبذلك يتضح ان ما تذكره بعض المصادر عن ضخامة الاموال والسلاح الذي ارسل اليه من مصر امر مبالغ فيه كثيراً. حتى قيل انه ارسل اليه بالرحبة خمسمائة الف دينار، ومن الثياب ما قيمته مثل ذلك، وخمسمائة فرس وعشرة الاف قوس ومن السيوف والرماح شيء كثير. انظر: الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٩، ص٦٦٩؛ وانظر ايضاً: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مـ٣، ج٥، صص: ١١-١٢.

[٥] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٦٥.

يطل الامر لأكثر من عشرين يوماً من قتال في دجلة، وقتال في الجانب الشرقي افضت الى استظهار الخبرة التي كان يتمتع بها البساسيري على تدبير الوزير رئيس الرؤساء، وطلب رئيس الرؤساء من قريش بن بدران الذمام للخليفة، فأذمه ابن بدران والقتال جارٍ في دور الخلافة، والملاحظ ان قريش بن بدران نفسه كان قد قبل الارض على دفعات دفعات، ويبدو ان هذهِ الواقعة بحد ذاتها تؤكد تذبذب ابن بدران وما يصطلح عليه في ايامنا "بالانتهازية" ومن جانب آخر تبين رسوخ الاخلاق العربية البدوية في الذمام والجوار. لكن هذا العمل ادى الى نوع من الامتعاض من حليفه ابو الحارث البساسيري، وهما قد تحالفا أن لا ينفرد احدهما بأمر دون الآخر، واخيراً استقر الرأي على أن يكون رسم الخليفة من حصة ابن بدران، اما رئيس الرؤساء ابن المُسلمة فيسلم الى غريمه البساسيري[1].

اجراءات ابا الحارث البساسيري وحالات التجاذب المذهبي عند دخوله بغداد في مستهل ذي القعدة ٤٥٠هـ/اواخر كانون الاول ١٠٥٨م:

تأرجحت اجراءات البساسيري بين تصفية المناوئين السياسيين للبساسيري والدعوة للنفوذ الفاطمي في بغداد. فقد استغل البساسيري عنفوان لهفة وتلهف العامة في بغداد، على اثر ما اصابهم من الجند السلجوقي باقتسام السكن والغذاء، وحالات النهب والسلب التي ارتكبت في أسواق بغداد ومحالها، فضلاً عن ما ابتليت به حاضرة الخلافة العباسية من نوبات المجاعة والقحط والوباء، استغل البساسيري كل ذلك لمساندة حركته وذلك عبر توجيه العوام، والعيارون، واطمعهم في نهب دور الخليفة والحريم[2]، اما اهل الكرخ فإنه استغل معاناتهم بمنعهم من اداء مراسمهم في الاذان والصلاة لنفس الغرض[3]. ثم جاء دخوله الى بغداد لإقرار النظام، ومعه

[1] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٣.

[2] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٦٦.

[3] يذكر ابن الاثير: ان العامة كانت تميل الى البساسيري اما الشيعة فللمذهب، واما السنية فلما فعل بهم الاتراك انظر: الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٨٣.

الرايات "المصرية" وهو بهذا العمل صار من وجهة نظره الشخصية نداً لطغرل بك وامراءه الغز وعلى قدر من المساواة معه(١)، فهو تحت رايات الفاطميين البيضاء بخلاف ما كان يخفق على أهل الديوان من رايات العباسيين السوداء.

وكان البساسيري قد دخل بغداد من جانبها الغربي قادماً من الانبار باتجاه اهل الكرخ الذين خرجوا اليه رغبةً منهم ان يجتاز عندهم، ولينثروا عليه الدنانير والدراهم فرحاً بمقدمه للمدينة، فيما استغل البعض من هؤلاء العوام هذهِ الحالة فقاموا بنهب دور بعض الاشخاص الموالين للسلاجقة على نحو من نهب دار قاضي قضاة الحنفية "ابي عبد الله الدامغاني وكذلك دور المتعلقين على الخليفة (العباسي) والعجم" والدور الخالية التي هجرها سكانها، ومع ذلك فإن البساسيري نفسه اوصى اصحابه (الغلمان) بعدم المشاركة في النهب، وان يحسنوا العشرة مع الناس(٢).

وفي الوقت الذي عبر فيه اكثر اهل محلة باب البصرة وهم من الحنابلة الى دار الخليفة مؤازرة للخليفة العباسي وليقاتلوا دونه، فإن اهل الكرخ "اظهروا ما في قلوبهم"(٣) وعم السرور بينهم، وان النهب الذي طال باب البصرة، على قول ابن الجوزي، بأيدي اهل الكرخ تشفياً بالمذهب(٤). فنهبت واحرقت دورهم وخرج من تبقى منهم، عراة حفاه على قارعة الطريق" فتكفل البرد في القضاء عليهم(٥)، وما أن حلت اول يوم جمعة في بغداد بعد ورود البساسيري اليها (في الثالث عشر من ذي القعدة ٤٥٠هـ/الاول من كانون الاول ١٠٥٩م) عندما دعي "لصاحب مصر" في الخطبة في جامع المنصور. ونال الخطيب من الخليفة العباسي ومن رئيس الرؤساء(٦)، وزيد

---

(١) انظر:

Makdisi George, Ibn Aqil, p.91

(٢) انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٦٥.

(٣) انظر: نفسه.

(٤) انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٢.

(٥) انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٦٦.

(٦) انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٦٦؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٩، ص٦٦٦.

في الاذان "حي على خير العمل"[١]، وكان اهل الكرخ قد اعادوا العمل بذلك الى الاذان في مساجدهم حال ورود البساسيري الى مدينتهم[٢].

وفي الجمعة التالية تواصلت الخطبة في جامع الرصافة "لصاحب مصر"[٣] ايضاً بالجانب الشرقي من بغداد. ويلاحظ الاثر المذهبي في مساندة اهل الجانب الغربي من بغداد عامةً ومن اهل الكرخ خاصةً الذين "نهض بهم البساسيري الى حرب الخليفة"[٤].

وفي هذهِ الحالة جرت عمليات نهب مصاحبة لهذهِ الأعمال العسكرية وهي اعمال كانت العامة تشترك بها حتى ان بعض اصحاب البساسيري نفسه لما رأوا العامة اشتغلوا بالنهب بباب الازج شرعوا هم ايضاً بالنهب، وتركوا القتال. فنادى البساسيري: من نهب حل دمه[٥]، ولكن دون جدوى وواصلت العامة عمليات النهب فتم نهب "نهر المعلى، وديوان الخاص"، واحرقوا الاسواق[٦]، وغني عن البيان ان الحرق يتم بعد النهب.

وفي يوم الثلاثاء مع حلول شهر ذي الحجة سنة ٤٥٠هـ/التاسع عشر من كانون الثاني سنة ١٠٥٩م. صار الخليفة العباسي القائم بأمر الله بحيازة قريش بن بدران وتحت ذمامه[٧]. لكن المفارقة ان قطبي الحركة لم يطلبا من الخليفة العباسي التنازل عن الخلافة او الدخول معهما في مبايعة الخليفة الفاطمي "صاحب مصر"،

---

(١) انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٩، ص٤٠٩.

(٢) انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٢.

(٣) انظر: ابن الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٩، ص٤٠٩؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٢؛ ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص١٨٣.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٩، ص٤٠٩.

(٥) انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٦٧.

(٦) انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٣.

(٧) انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٩، ص٤٠٩.

قد يعد هذا عدم حزم من كليهما، نعم كان الذمام في حفظ مهجة الخليفة لا اكثر[١]، وهذا يعني ان كل شيء في دور الخلافة صار مباحاً لعامة الناس ودليلنا ان دور الخلافة وحريمهما قد نهبت اياماً[٢] على قول ابن الأثير.

وفي يوم الجمعة الرابع عشر من ذي الحجة ٤٥٠هـ/الثاني والعشرون من كانون الثاني سنة ١٠٥٩م خطب في جميع جوامع بغداد "لصاحب مصر"[٣] وكان العوام من الكرخ قد "صعدوا الى دار الخلافة، وفتحوا ابوابها ونهبوها" من "اموال، وثياب، والجواهر، والاواني، والياقوت، والمصاغ وجميع الاشياء ما لا تحصر قيمته"[٤].

ثم ان البساسيري رفع النهب بعد ذلك من دار الخلافة بعد يوم على قول سبط ابن الجوزي[٥]، واياماً على قول ابن الاثير[٦] واستخرجت الاموال وتقاسمها اتباع البساسيري مع قريش بن بدران فيما تم قتل اتباع ابن المُسلمة كأبن المُذْهِب وافلت ابن اليدن والزهيري، وحمل رئيس الرؤساء ابن المُسلمة الى البساسيري الذي اعتقله شخصياً قبل التشهير الشنيع الذي اوقع به ودار كلام بينهما له مغزاه يورده ويدونه معظم المؤرخين من ذلك قول البساسيري: مرحباً بمُدفع الدول، ومهلك الامم، ومخرب البلاد، ومبيد العباد.

فأجابه ابن المُسلمة: العفو عند المقدرة

---

[١] ينفرد ابن العمراني بخبر مفاده ان البساسيري اراد انفاذ الخليفة العباسي القائم بامر الله الى مصر ليرى الخليفة الفاطمي المستنصر بالله رأيه فيه. انظر: ابن العمراني، الانباء في تاريخ الخلفاء، ص١٩٤.

[٢] الكامل، ج٨، ص١٨٤.

[٣] انظر: الخطيب البغدادي، ج٩، ص٤٠٩.

[٤] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٦٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٨، ص٢٨٨.

[٥] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٦٩.

[٦] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٨٤.

فأجاب البساسيري: قد قدرت فما عفوت، وانت تاجر وصاحب طيلسان، ولم تَستَبقِ من الحرم والاطفال والاجناد، فكيف اعفو عنك وانا صاحب سيف، وقد اخذت اموالي، وعاقبت حرمي ونفيتهم في البلاد وشتتني، ودرست دوري، ولكن هذا ايضاً من قصورك الفاسد، وعقلك الناقص[1].

والطريف في الامر ان ابن المُسلمة لما تيقن بهلاكه واصعدوه الخشبة لصلبه، طلب اصطناعه "فاصطنعني لتنظر خدمتي"[2].

واننا نرى من طبيعة هذا الحوار الفرق بين الشخصيتين بين شخصية رئيس الرؤساء الذي انتقم من غريمه البساسيري بمعاقبته في اهله وجواريه وشخصية البساسيري الذي آل على نفسه إلا أن يعاقب، على الرغم من توسل ابن المُسلمة في العفو عنه.

وفي الحقيقة ان سيرة البساسيري في اثناء السنة التي تحكم بها ببغداد وهي من ذي القعدة ٤٥٠هـ/كانون الأول ١٠٥٨م وحتى ذو القعدة ٤٥١هـ/كانون الاول سنة ١٠٥٩م تدل على شهامة وشيء من النبل من لدن القائد التركي لعسكر البويهيين الملغي فقد ركن الى ذمام شريكه تجاه الخليفة، وسلم زوج الخليفة (خاتون) بنت الامير داود، فاكرمها وسلمها لمن يحفظها[3].

إلا انه عند تقدم الخطبة للمستنصر بالله الفاطمي، رسم البساسيري ان يلبس المؤذنون والخطباء الثياب البيض وهو شعار الفاطميين في مصر مقابل شعار

---

[1] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٣. ويذكر ابن العمراني الحوار بين البساسيري وابن المسلمة بنفس المضمون ولكن بكلمات مشابهة من ذلك قول البساسيري لابن المسلمة معرضاً به بقوله له "اهلاً بابن الكافرة" تعريضاً بجدته الملقبة بـ المُسلمة: هب ان جرمي كان مما لا يغتفر، فما كان جرم حرمي واطفالي وعيالي وبناتي حتى نكّلت بهم، وكشفت ستر الله عنهم، واي ذنب كان لجواريَّ حتى علقتهن بثديهن وقد جئت الان تستعفي من هذهِ الجرائر وانا رجل جندي صاحب سلاح. انظر: ابن العمراني، الانباء في تاريخ الخلفاء، ص١٩٤.

[2] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٧٧.

[3] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٤؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٦٩؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، مـ٩، ص٦٦٨.

العباسيين وهو السواد في الملبس والرايات. واستكمالاً لهذهِ الاجراءات فإن البساسيري سك دنانير باسم الخلافة الفاطمية سماها بالمستنصرية[1]، فضلاً عن ذلك فانه احضر اعيان العلويين والعباسيين في بغداد واخذ عليهم البيعة للمستنصر بالله الفاطمي واستحلفهم، وذلك بعد نحو من ثلاثة اشهر من دخوله بغداد[2]، على الرغم من ذلك كله، فإن البساسيري نفسه "لم يتعصب لمذهب" من المذاهب السائدة لدى البغداديين واحسن الى الناس واجرى الجرايات على المتفقهة في بغداد. بل انه احسن الى والدة الخليفة القائم بأمر الله، وافرد لها داراً، واعطاها جاريتين لخدمتها مع جراياتهم[3].

لكنه بالمقابل لم يعف عن عدوه ابن المُسلمة على الرغم من حراسته من الغوغاء و "العامة" الذين ارادوا الفتك به، فشهر وطيف به، وربما كان ذلك ارضاء" للشيعة في الكرخ، فعندما اجتاز موكبه بالكرخ وهو مشهر به وقد البس جلد ثور وقرناه على رأسه، "انهالت عليه" خلق المداسات "وبصق عليه" من اهل الكرخ وهم الذين اجتهد في اذاهم، وكان يتعصب عليهم[4]. وربما اراد البساسيري اذاه دون قتله فخاف جلاده ان يعفو البساسيري عنه ولذلك قيل ان الجلاد صلبه في مقتله[5]، فيما

---

[1] والدنانير المستنصرية التي ضربها البساسيري في بغداد كان على احد جانبيها: لا اله الا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله علي ولي الله، وعلى الجانب الثاني: عبد الله ووليه الامام ابو تميم معد المستنصر بالله امير المؤمنين. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٧؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٧١.

[2] وتم ذلك يوم الاثنين الثاني عشر من صفر سنة ٤٥١هـ/التاسع والعشرون من آذار سنة ١٠٥٩م. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٤٤.

[3] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٨٥.

[4] انظر ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٧؛ ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص١٨٥؛ ابي الفداء، المختصر في تاريخ اخبار البشر، ج١، ص٥٣٤.

[5] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٧٢. ويذكر سبط ابن الجوزي ان يارختكين قدم بغداد في ربيع الاول ٤٥١هـ/مايس ١٠٥٩م مقيداً صحبه ابن البساسيري قادما من الرحبة. ووصل الخبر بورود حرم البساسيري شهرزور عند بدر بن المهلهل الكردي. وان=

كان نساء البساسيري محتجزين عند بدر بن المهلهل الكردي، وبأمر من طغرل بك نفسه، ولذلك سالت زوج يارختكين وهو حاجب طغرل بك والذي اسره البساسيري عند استيلاءه على الموصل أن يفديه بأهل البساسيري وتمت الصفقة والتبادل.

أمر آخر فأن البساسيري فكر في برهة من الزمن بأزالة احد قصور الخلافة العباسية، وذلك بهدم التاج (قصر التاج) وهو بذلك يؤكد على ازالة احد رموز الخلافة العباسية، وبالفعل فانه باشر بهدم شرفات القصر، ولكن ما أن قيل له: "هذا لا معنى منه، والقباحة فيه اكثر من الفائدة" فانه امسك عن ذلك[١] وهذا الخبر بحد ذاته يعطينا تصوراً عن شخصية البساسيري في قبول النصح وعدم التمسك والعناد بالرأي.

وبنفس الوقت فإن البساسيري كان حازماً مع "رؤوس الفتن"[٢]، وهم "القائمين القاعدين المتهددين المتوعدين"، وهم رئيس الرؤساء ابن المُسلمة، ومؤازريه من قيادات الشطار والعيارين بمدينة بغداد، وكما اسلفنا فإن ابن المُذْهِب قد قتل اثناء اقتحام دار الخلافة، وافلت الزهيري وابن اليدن من العقوبة بالفرار والإحتماء لدى

=البساسيري طيب قلوب الناس ومحال اهل السنة وحمل الناس على شرع واحد، أي عاملهم معاملة واحدة. انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٨٢.

[١] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٤٥. وقصر التاج هو احد قصور الخلافة العباسية المهمة في دار الخلافة، كان الخليفة العباسي السادس عشر احمد المعتضد بالله (٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠٢م) قد وضع اسسه فيما اكمل بناءه ولده الخليفة العباسي السابع عشر علي المكتفي (٢٨٩-٢٩٥هـ/٩٠٢-٩٠٧م) وكان هذا القصر واسعاً، قيل ان اسطبلاته كانت تتسع لخمسة الاف دابة، وكان للقصر مسناة كبيرة على نهر دجلة. وقصر التاج مع قصر الحسني، ودار الشجرة، والدار المثمنة ، وقصر الفردوس صارت جميعاً محاطة بسور على شكل نصف دائرة من الشمال الى الجنوب محيطة بالقصور وتنتهي بنهر دجلة وعرفت بدار الخلافة، وموقعها حالياً من شارع السمؤل شمالاً وحتى المربعة جنوباً. انظر: مصطفى جواد واحمد سوسة، دليل خارطة بغداد، ص١٢٥، و١٢٦، و١٥٧.

[٢] اطلق سبط ابن الجوزي على كل من ابن المذهب، والزهيري، وابن اليدن اسم "رؤوس الفتن" انظر: مرآة الزمان، ج١٩، ص٦٤.

الحنابلة لكن البساسيري ما لبث ان ظفر بالزهيري فعُرّق مع جماعة من العيارين، واستطاع الهرب ثانية ولكن تم القبض عليه اخيراً وقتل. اما ابن اليدن فإنه استطاع الهرب بعد القبض عليه واختبأ عند امرأة عند باب البصرة[١].

ما آل اليه امر الخليفة القائم :

حمل الخليفة القائم بامر الله من دار الخلافة الى معسكر قريش بن بدران راكباً، وبكامل مراسم ركوبه من الملابس السود والبردة وعلى رأسه اللواء وفي يده سيفاً مسلولاً وهو بذمام قريش بن بدران، فأنزل خيمه "لطيفة" ومعه خواص خدمه كل من: ريحان وموفق وعفيف، ولأخذ الحيطة والحذر خشية الإعتداء على حياته، او حتى هروبه، فقد اوكل به جماعة من اصحاب قريش بالخيمة، اما الخليفة نفسه فقد اصابه "ذرب" هلعاً بما سيؤول اليه مصيره[٢]، فلربما خشي من البساسيري في تسييره الى مصر، وكذلك خاف الخليفة ان يغلب البساسيري رأي قريش بن بدران في ارساله الى بعض القلاع محجوراً عليه، ويشكك ابن العمراني في سلامة نية قريش بن بدران[٣] في مسألة التعامل مع الخليفة وانا نرى ان قريش بن بدران اراد أن تكون في يده ورقة رابحة (على قول هذه الأيام) يساوم بها لسلامته، لو دارت به الايام وقلب له ظهر المجن، وبذلك فقد تم تهيئة امره بحملة الى حديثة عانة وقبل رحيله حمل الخليفة يوم الاربعاء (يوم عرفة) التاسع من ذي الحجة سنة ٤٥٠هـ/السابع والعشرين من كانون الثاني سنة ١٠٥٩م الى المشهد بمقابر قريش، وقال قريش بن بدران: نبيت الليلة فيها، فامتنع الخليفة القائم بأمر الله، وقال: "هؤلاء العلويون الذين يعادوني"[٤] ويشنؤني وربما جرى منهم قول قبيح، فلم يلتفت

---

[١] انظر: المصدر السابق، صص: ٧١-٧٢.

[٢] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٧٠. وذرب المعدة هو حدتها في الجوع. انظر: ابن منظور الافريقي، لسان العرب، مـ٢، ص٤٥٥.

[٣] انظر: ابن العمراني، الانباء في تاريخ الخلفاء، ص١٩٤.

[٤] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٥.

اليــــه[1]، وهكذا يتضح لنا بأن الخليفة القائم كانت لديه قناعة متراكمة بأن العلويين هم اعداؤه وهم منافسوه في الحكم والخلافة فكان يستشعر من العلويين ومن نواياهم تجاهه مع ان الحقيقة تبقى ان العلويين لو ارادوا به شراً لفعلوا، ثم ان الخليفة اجبر على الدخول وبات باحدى الترب[2]، او "البيوت"[3] حتى وقت سفره، ويذكر سبط ابن الجوزي ان السبب في ادخال القائم الى المشهد حتى يرى اعمال الحرق والهدم التي كانت قد جرت في مشهد باب التبن وان فعل الزهيري وابن اليدن "انما كان عن امره وايثاره فأرادوا الموافقة له على ذلك، وانه عوقب بدخوله اليه"[4].

والظاهر ان الخليفة القائم بأمر الله لم يكن يألف العيش إلا في قصره بدار الخلافة لما كانت تحيط به من مظاهر الأُبهة وآيات التبجيل، وهنا في هذا المحتوى نستحضر لقاءه بالسلطان طغرل بك وهو جالس على كرسي للدست ارتفاعه سبعة اذرع (أي ما يزيد عن اربعة امتار) وها هو ينام في احد الترب بمقابر قريش وربما على الأرض، الى أن ينقل بهودج في طريقه الى الحديثة، ولذلك اضطر القائم ان يكتب "رقعة" من الانبار الى البساسيري وقريش بن بدران يتلطفهما حاله، وقد اصابه البرد في الطريق ويسألهما "اعادته الى بغداد، واحسان العشرة" بينهما، وقد حلف لهم بالأيمان المؤكدة ببرائته من كل ما نسب اليه، ويقول ابن الجوزي، وكذلك سبطه الذي ينقل عنه عن غرس النعمة سويةً، انه لم يجب عن رسالته ولم يلتفت اليه[5].

---

[1] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٧٠.

[2] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٥.

[3] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٧٠.

[4] نفسه.

[5] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٥؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٧١.

مراسلات طغرل بك مع قريش بن بدران:

قضى الخليفة القائم بامر الله نحو من سنة في الحديثة عند ابن عم لقريش بن بدران هو مهارش بن المجلي، خلال هذهِ المدة حاول طغرل بك وبشيء من الدهاء أن يخلخل الحلف الهش الذي كان قد عقد ما بين البساسيري وقريش بن بدران، ولذلك فإن طغرل بك كتب الى ابن بدران يشكره على انفاذ ارسلان خاتون بنت اخي طغرل بك وزوج الخليفة القائم بأمر الله، وكان السلطان قد "التمسها من قريش بن بدران"، واشار البساسيري بتسييرها الى السلطان كما ارسلت ثياب، و مال الى الخليفة، وكذلك حملَّ الرسول مبادرة من السلطان في اصلاح الامر ما بين السلطان وقريش وصاحبه البساسيري تتضمن عدة نقاط تدور حول:-

- عودة الخليفة الى حاضرة الخلافة العباسية بغداد.
- اعادة الخطبة والدعوة للخليفة العباسي القائم.
- أن يكون البساسيري على باب الخليفة.
- يكون السلطان طغرل بك في بلده الى حين ما يرى من مسيره الى العراق.

ومرة ثانية نرى الموقف المتذبذب من قريش بن بدران يظهر في التعامل مع السلطان السلجوقي مثلما يظهر من جوابه لطغرل بك: انني العبد الخادم، وما جرى كان من قضاء الله وقدره، وفعل ابن المُسلمة -ذلك الغالط- وقلة تدبيره، وقد جرى على البلاد ما خربها ودرسها، وليس ها هنا ما نثابر عليه، وتطمح العين له، ومتى وقع تسرع في المسير الى العراق فلست آمن أن يتم على الخليفة امر يفوت، وسبب يسوء، ولسنا بحيث نقف لك ولا نحاربك، بل نبعد عنك، واما هذا الرجل -يعني البساسيري- فأتوصل الى كل ما يراد منه، والسلام[1].

ويلاحظ وجود نوع من الخضوع الماكر من قبل قريش بن بدران في جوابه للسلطان، فضلاً عما تضمن الجواب من تهديد مبطن فيما يخص حياة الخليفة العباسي نفسه.

---

[1] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٨٣. وانظر ايضاً جواب الرسالة مختصراً في: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٤٥.

فيما كتب قريش بن بدران مضمون رسالة طغرل بك الى البساسيري منبهاً الى امور مهمة هي:

- تذكير البساسيري في اثر العامل الجغرافي ببعد مركز الخلافة الفاطمية عن البلاد، وصعوبة وصول الدعم من الفاطميين مع هذا البعد (٦٠٠ فرسخ)، وفي المقابل مجاورة طغرل بك لهما مع كثرة العساكر التي انضوت تحت امرته.
- وكذلك اهمال واطراح الخلافة الفاطمية لهما، على الرغم من ارسالهما رسول من قبلهما الى القاهرة، ولم يجيبا لابرد الرسالة ولا بما يطلبونه من اسناد بمال ورجال.
- فضلاً عن ذلك امكانية ان يتم الانتقام منهما شخصياً، ومن خلال القول: ليس المطلوب سواي وسواك[١].

الرسالة اللاحقة الاخرى التي وردت من طغرل بك في شوال ٤٥١هـ/تشرين الثاني ١٠٥٩م حيث يسهب السلطان في محتواها بمديح وتبجيل قريش بن بدران ويلقبه بعلم الدين[٢]، وفيه يبين كذلك عزمه على المسير "بخيول المشرق الى خدمة سيدنا ومولانا الامام" ويخير ابن بدران بين أمرين الأول ارجاع الخليفة الى حاضرة خلافته وان يتولى ابن بدران العراق. وفي حالة التعذر ان يحول الخليفة من القلعة (قلعة حديثة) حتى يقدم عليه طغرل بك، ويخير ابن بدران بين أن "يكتفي بنا او ان يقيم حيث يشاء فنوليه العراق، ونستخدمه في الباب الشريف" حتى ينصرف السلطان الى الممالك الشرقية.

---

[١] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٤٥؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٨٣؛ عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي العاصمي (ت١١١١هـ/١٦٧٠م) سمط النجوم العوالي، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م) ج٣، ص٥٦٧.

[٢] انظر نص الرسالة التي اوردها سبط ابن الجوزي، ج١٩، ص٨٧، في الملحق رقم (٦).

ويعرض العفو العام عن من يعدّه مذنباً، "الا البساسيري" الذي عده "عدو الله وعدو رسوله".

ثم ان رسالة السلطان كانت مشفوعة بالثياب والأموال ثم ان الرسول ذكَّره بكثرة العساكر مع السلطان[1].

ولذلك فإن قريش بن بدران خاف وانزعج من فحوى الرسالة، وعزم على دخول البرية، لانه كان من الصعب عليه ان يركن الى القول بالعفو والامان من السلطان وهو يعد حليف البساسيري الأول في التحالف على ترويج الدعوة للفاطميين وتوسيع نفوذهم في العراق على حساب العباسيين، وعلى الرغم مما يذكره سبط ابن الجوزي من ان قريشاً كان يراسل السلطان سراً، ويطمعه بالبلاد حسداً بالبساسيري، لكن قريش بادر في الوقت نفسه الى ارسال رسالة طغرل بك الى البساسيري في بغداد[2]، ليدبر امره على ما يبدو، فيما بدا الوقت ينفذ بسرعة لكليهما، وبذلك يمكننا القول ان الامور بشأن تلك المراسلات ودلالاتها السياسية بدت في غير صالح البساسيري.

ويلاحظ أن البساسيري قبيل انحداره الى بغداد انفصل عنه "الغلمان البغدادية" وهو في الرحبة من جهة العراق، كراهة له على زعم ابن الجوزي، ونحن نرى انه كان في حال ضيق وعجز عن تلبية طلباتهم آنذاك، فانفصلوا عنه الى حلب وبعد تواتر الانباء عن حشود عساكر طغرل بك وجنده للمسير الى بغداد فإن البساسيري ارسل في طلبهم، لكنهم لم يلتفتوا الى دعواه لايقانهم بصعوبة موقفه امام السلطان، ولان البساسيري نفسه لم يستدعيهم عندما توفرت معه الأموال عند الإستيلاء على الذخائر والأموال التي استولى عليها من دار الخلافة العباسية في بغداد.

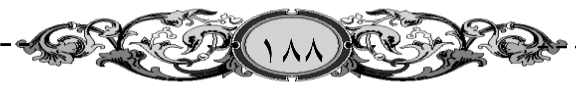
فضلاً عن ذلك فإن الأمراء الذين كانوا معه وهم كل من: الامير دبيس بن مزيد وابي الفتح بن ورام اصعدوا الى بلادهم[3]، ثم ان الخليفة المستنصر الفاطمي

---

[1] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، صص: ٨٧-٨٩.

[2] انظر: نفسه، ص٨٩.

[3] انظر: نفسه، ص٨٦.



كان قد استوزر الداعي ابو الفتوح المغربي[1] المنحرف عن البساسيري، وقيل انه كان قد هرب من البساسيري الى مصر حيث استوزر فيها، فمما ذكره للخليفة الفاطمي المستنصر بالله بشأن العراق ما مضمونه ان امر البساسيري في العراق يمكن ان تستدرج اليه الدولة الفاطمية، وربما تفقد الشام من جراء ذلك. "ويجب ان تدع العراق وما فيه"[2].

وفي محاولة اخيرة من البساسيري لتجنب المواجهة مع طغرل بك فانه اشترط في مقابل اعادة الخليفة العباسي القائم بامر الله الى بغداد شروطاً تعجيزية لا يتقبلها سلطان السلاجقة، منها اعادة خوزستان والبصرة "اليه على قديم عادته" ايام حكم البويهيين، وان يخطب له بالعراق دون ذكر للسلطان طغرل بك، او مشاركة له، وان يكون هو أي البساسيري نفسه النائب على باب الخليفة[3] دون غيره من الامراء.

وفي الحقيقة فإن هذهِ الشروط قد ينظر اليها بأنها غير قابلة للتحقيق ولكن السلطان لم يناقشها حتى يساوم عليها. وتعليل ذلك ان السلطان طغرل بك كان قد اكمل استعداداته لقصد بغداد.

ولذلك فإن البساسيري طلب من حرمه واولاده واصحابهم مغادرة حاضرة الخلافة والانحدار الى واسط، وفي خضم هذا التحرك ادرك الإمامية من أهل الكرخ خطورة بقائهم في بغداد، ولذلك فانهم تبعوا اصحاب البساسيري في المغادرة، سواء من خلال نهر دجلة، حيث بلغت الاجور ثمناً باهضاً، او من سلك الطريق البري

---

[1] بهذه الكنية يذكره: سبط ابن الجوزي، ووجدناه في "الاشارة لمن نال الوزارة" بكنية ابو الفرج وهو محمد بن جعفر المغربي، ولي الوزارة في مصر للمستنصر بالله الفاطمي في ربيع الاخر سنة ٤٥٠هـ/مايس ١٠٥٨م، توفي سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م. انظر: ابن الصيرفي المصري، الاشارة لمن نال الوزارة، ص٤٧.

[2] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٨٧.

[3] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٤٨.

الذي حفت به مخاطر كثيرة، فيما كانت هذهِ الحالة مواتية جداً للعيارين في النهب والسلب والاعتداء، فضلاً عن اعتداء الأعراب من بنو شيبان[١].

وكانت مغادرة اصحاب البساسيري في السادس من ذي القعدة سنة ٤٥١هـ/٦ كانون اول ١٠٥٩م وبمغادرتهم خلت بغداد ممن يحفظ فيها الأمان، وثار "الهاشميون" من آل بنو العباس وأهل باب البصرة من المسلمين السنة الى الكرخ فنهبوه، وحرقوا الاسواق والدور والدروب، ويبدو ان غالب دور الكرخ كانت لميسوري الحال حتى قيل "احترقت الف ومئتا دار كل دار تساوي ثلاثة آلاف دينار، وفيها دور تساوي كل دار ثلاثين الف دينار"[٢]، ولا جدال من وضوح هذا العمل بدافع مذهبي وحتى قبل دخول السلاجقة الى مدينة بغداد مجدداً.

وفي الوقت نفسه فإن الامير مهارش بن مجلي الذي استضاف الخليفة في الحديثة قد عزم على تسليم الخليفة القائم الى مكان آمن حتى يصل الى بغداد، خاصة بعد أن وعده البساسيري بوعود لم يفِ بها لاحقاً حتى ان قريش بن بدران لما طلب من ابن عمه مهارش تسيير الخليفة اليه حتى يناور به على سلامة نفسه، فأن مهارش قال للرسول الذي ارسله قريش، ان البساسيري "غدرني، ولم يفِ بما ضمنه لي"[٣].

في هذا الوقت وصل السلطان طغرل بك الى بغداد التي يبدو ان محالها كانت شبه خالية من السكان، وهنا لابد من ملاحظة سلوك العسكر السلجوقي عند وصولهم الى مدينة بغداد، فانهم بعد ان حطوا رحالهم في بغداد بادروا الى النهب،

---

[١] يذكر ابن الجوزي ان بنو شيبان نهبوا او قتلوا اكثر المنحدرين وعروا نساءهم. انظر: المنتظم، ج١٦، ص٤٨؛ وسبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٦، ص٨٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٩، ص٢٩٢.

[٢] والظاهر ان النهب طال ايضاً المدن المعروفة بالتشيع فنهبت الكوفة "نيفاً وثلاثون يومياً" انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٤٨ و ٤٩؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٩٠.

[٣] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٤٩.

فنهبوا ما بقي من نهر طابق، وباب البصرة، وجميع البلد ولم يسلم من ذلك الا حريم دار الخلافة[١].

وهنا وجه المفارقة، فالهاشميون واهل باب البصرة ينهبون الكرخ، ثم ياتي العسكر السلطاني فينهب باب البصرة وما تبقى من سائر محال بغداد.

وهكذا عاش المجتمع البغدادي محنته التي لم تتوقف الا بعد انتهاء امر البساسيري ورجوع الخليفة الى مقر اقامته بدار الخلافة بالجانب الشرقي منها.

واستقر الرأي على تسيير حملة لمطاردة البساسيري اشترك فيها الفي غلام بإمرة انو شروان (وهو ابن خاتون زوج السلطان طغرل بك) وانظاف اليهم اثنان من خواص السلطان كل من ياخارتكين وسارتكين الحاجب، مع جماعة من العرب، وسار كل هؤلاء من بغداد خلف البساسيري الى طريق الكوفة.

وقد أثمرت الحملة عن مقتل البساسيري بعد ان سقط عن جواده الذي اصيب بنشاب، وحمل راسه الى بغداد حيث طيف به، وصلب، ثم حمل الى خزانة الرؤوس[٢].

وهكذا تم قتل البساسيري وهرب حلفاؤه ابن مزيد الى البطيحة وصحبه ابو البركات ابن البساسري، واخواه الصغيران، وقيل امهما زهرة واخته، بل قيل انه تم سبي نسائه، ويذكر سبط ابن الجوزي انه "ارتكب من النساء المحظور"[٣]، اما ابن البساسيري الصغير، وكان نائبه على الرحبة، فإنه التجأ الى حلب مع ثلاثمائة من الغلمان، وصلها بعد خطوب طويلة[٤]، فيما دخل قريش بن بدران البرية هارباً من

---

[١] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٥٠.

[٢] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٩٥؛ وانظر ايضاً: الامير عز الدين محمد بن ابي الهيجار الهذباني الاربلي (ت٧٠٠هـ/١٣٠٠م) تاريخ ابن ابي الهيجا، تحقيق: احمد فريد الزيدي (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م)، ص١٩٥.

[٣] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٩٨.

[٤] انظر: نفسه، ص٩٩.

السلطان، في الوقت الذي نال فيه ابن عمه مهارش بن مهلهل مكافئة من السلطان لقاء الحفاظ على حياة الخليفة القائم بامر الله[1].

وبهذهِ الصورة انقضت سنة كاملة من حركة البساسيري التي كادت أن تكون القاضية على الدولة العباسية ورجع الخليفة القائم بأمر الله الى قاعدة الخلافة معافاً واستقبل رحله السلطان طغرل بك، وقدمت الهدايا للخليفة وجهزت دار الخلافة من جديد بما يليق من اثاث وفرش وبعد سنة كاملة من خروجه من بغداد[2]، وذلك في يوم الأحد الخامس والعشرون من ذي القعدة سنة ٤٥١هـ/الثاني من كانون الثاني سنة ١٠٦٠م.

تقييم حركة البساسيري:

لتقييم حركة البساسيري لابد من الإحاطة بالوضع الذي وصلت اليه الأمور في بغداد اواخر العصر البويهي وما تبعه من استفحال العداء بين البساسيري الذي كان يعد نفسه الحاكم العسكري في دولة الخلافة وبين رئيس الإدارة المدنية التي اضطلع بمهامها رئيس الرؤساء الوزير ابن المُسلمة، والذي كانت توجهاته متطابقة بشكل او بآخر مع الخليفة العباسي القائم بأمر الله مع غياب شبه تام لأي تأثير لأمير الإستيلاء البويهي الملك الرحيم الذي اودع السجن بسهولة متناهية، وكان التوجه العام في مؤسسة الخلافة العباسية ومنذ ايام الخليفة القادر بالله هو احلال قوة بديلة عن البويهيين في بغداد، والذين عانوا من حالات الضعف والهوان والاضطراب نتيجة شغب الجند عليهم بسبب مستحقاتهم وشرههم الى الأموال فضلاً عن ما كانت تعانيه بغداد من تجاذبات مذهبية عصفت بها نتيجة الحرية المفرطة التي اعتاد عليها

---

[1] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٩٢.

[2] انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مـ٩، ص٤١٠؛ ابن العمراني، الانباء في تاريخ الخلفاء، ص١٩٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٥٠، العماد الاصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص١٩٢؛ ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص١٨٨؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، صص: ٩٠-٩٥.

اهل بغداد في العصر البويهي التي تم استغلالها بشكل غير مريح في رفع شعائر الامامية الرافضة.

تم تحقيق امنية الخليفة القائم بأمر الله ووزيره ابن المُسلمة ومن قبلهما الخليفة القادر بالله بدخول السلاجقة بقيادة السلطان طغرل بك بغداد في رمضان ٤٤٧هـ/كانون الاول ١٠٥٥م، وبذريعة التشرف بخدمة الجهة النبوية (الخليفة العباسي) والحج واصلاح طريقه، ومن ثم التوجه لقتال الفاطميين الذين يعدون في نظر الخلافة خارجين هراطقة عن الاسلام القويم.

لكن الذي حصل ان الجند السلجوقي ركنوا الى ما درجوا عليه من اعمال السلب والنهب وانتهاك الحرمات وهذا طال السواد في طريق خراسان الى بغداد ومن ثم بغداد نفسها على اثر حادثة باب الازج ومن ثم مناطق واسعة من شرق وغرب دجلة، وبطبيعة الحال، لم تستقر الامور للسلاجقة بسبب البساسيري الذي كان يتحاشى المواجهة مع امراء السلاجقة الذين صادروا اقطاعاته في البصرة والاهواز وغيرها، فعمل على تحالفات في غالبها كانت هشة مستغلاً روح النقمة عند امراء العرب الذين مسهم الضر نتيجة اعمال الجند السلجوقي في السلب والنهب وفي الحقيقة ان السلطان السلجوقي ما كان ليمنع جنده عما درجوا عليه من ناحية ومن ناحية اخرى فان اعمالهم كانت تثير الرعب والرهبة في نفوس اعدائهم من البغداديين ومن اهل المدن والقرى والطسوج القائمة وقتئذ.

وكان لابد للبساسيري أن يبحث عن غطاء شرعي اسلامي لتحركه فركن الى الخلافة الفاطمية في مصر وخطب للمستنصر الفاطمي يحدوه الأمل في مساندة الشيعة الامامية في بغداد وغيرها من مدن العراق، وكذلك اغرى اخ السلطان السلجوقي غير الشقيق ابراهيم اينال الذي كان يحمل ضغينة للسلطان السلجوقي طغرل بك نتيجة القسوة التي عومل بها سابقاً.

فشلت حركة البساسيري نتيجة اسباب مهمة منها :

– ان التأييد الذي حصل عليه من عامة الشيعة في العراق لم يكن بالمستوى المطلوب فلا مرجع الشيعة آنذاك الشيخ الطوسي او نقيب الطالبيين صرح بتأييد الحركة او مساندتها.

فضلاً عن ذلك وفق عقيدة الشيعة الإمامية الإثني عشرية فأن دولتهم يقيمها "صاحب الأمر والزمان" الإمام الثاني عشر بعد ظهوره وانقضاء الغيبة الكبرى.

ثم ان التاييد الذي حصل له من شيعة بغداد لم يتجاوز التأييد العاطفي فالشيعة الإمامية الاثني عشرية في بغداد هم ليسوا من المقاتلين المحترفين الذين يعتمد عليهم في الوقائع الحربية، فضلاً عن كونهم في الغالب اصحاب اسواق ومصالح مدنية حريصون على المحافظة عليها بالركون الى المسالمة.

– الضائقة المالية التي حلت بمصر والتي امتد تأثيرها على محدودية الدعم للحركة، فضلاً عن عدم الثقة الكاملة بالبساسيري وتغيرهم نحو البساسيري، بتأثير الوزير المغربي.

– شركاء البساسيري في الحركة من رؤساء قبائل وامراء كانوا في الغالب ممن غلبت عليهم مصالحهم الذاتية من حسد او منافسة او عدم صفاء النية، خاصة وهم يزعمون ان البساسيري قد فاز بالحصة الأكبر من منهوبات دار الخلافة وغيرها.

– غياب العصبة القوية التي يجب توفرها في نجاح اية حركة تغيير في العمل السياسي والعسكري، وهذهِ العصبة عادةً تكون ممن لم يركنوا الى الدعة ورغد العيش مثلما كان الحال في الجند الاتراك البغداديين بخلاف السلاجقة الذين كانت مازالت البداوة فيهم في عنفوانها متوقدة.

وهكذا انتهت هذهِ الحركة التي لم تدم اكثر من سنة لتترسخ سيطرة السلاجقة على مجمل الامور بعاصمة الدولة العباسية وحاضرتها بغداد[١].

---

[١] تحمس الكثير من اهل بغداد في التهليل لمقدم البساسيري، وما ظنوه انها نهاية لعمر الدولة العباسية الطويل، ومن نظم بهذا المعنى ابن بحر او نحرير البغدادي الذي انشد لاميه، اعجب بها حتى عميد الملك الكندري وزير السلطان طغرل بك يقول فيها:=

بغداد بعد اعادة الخليفة القائم في ذي القعدة ٤٥١هـ/كانون الثاني ١٠٦٠م وحتى رمضان ٤٥٥هـ/ايلول ١٠٦٣م:

على اثر اعادة الخليفة القائم بامر الله الى بغدادج وعلى اثر انهاء حركة البساسيري، كانت بغداد شبه خالية من الاهالي[١]، بسبب ما توالت على من نائبات النهب والحرق.

ومن ناحية ثانية فقد اشيع بأن اعادة الخليفة الى بغداد كانت بإرادة ومشيئة الله، وكرامة منه للخليفة نفسه، وذلك من خلال ماروته البعض من المصادر عن الخليفة نفسه انه وعد بها بهاتف يهتف له وهو مبعد عن حاضرته في الحديثة بعودته الى دار الخلافة بعد سنة كاملة، وفضلاً عن ما ذكر بأنه كتب يشكوا الى الله حاله بصحيفة علقت على جدران الكعبة المشرفة، فجاءه الفرج بعد سبعة ايام[٢].

وبذلك اطمأن الخليفة بقرارة نفسه انه قد ظلم وان كل ما تم انجازه من استقدام السلاجقة بغية انهاء حكم البويهيين الشيعة، وما تم بانصرام الدعوة للفاطميين في بغداد، كان هو الصحيح وعلى جادة الصواب.

في الجانب الثاني فإن تأثير هذا الحدث المتمثل باعادة الخليفة القائم الى بغداد والقضاء على البساسيري وحركته، كان كبيراً على طغرل بك، فعد هو

=

اجل لعمري صدق القائل	انك حق وهم الباطل
قد جاءت الرايات مبيضة	يقدمهن الاسد الباسل
وولت السوداء منكوسة	ليس لها من ذلةٍ شائل
انظر الى الباغي على جذعه	والدم من اوداجه سائل

ويقصد بالبيت الاخير رئيس الرؤساء ابن المُسلمة. انظر: علي بن الحسن بن علي بن ابي الطيب الباخرزي (ت٤٦٧هـ/١٠٧٥م) دمية القصر وعصرة اهل العصر، تحقيق: محمد التونجي (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٣م) ج١، ص٣٧١.

[١] يذكر ابن الجوزي: لم يكن ببغداد من يستقبل الخليفة سوى قاضي القضاة وثلاثة انفس من الشهود. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٥٢.

[٢] انظر : سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٩٤.

والسلاجقة من وراءه هم منقذو الشرعية وحماتها، وبفضلهم وهمتهم وتضحياتهم انقذوا الخلافة العباسية من كارثة كادت نحيق بها وتنتهي ويلحق العراق بالخلافة الفاطمية في مصر، وبذلك عد السلاجقة هم منقذو المسلمين السنة وحماتها الغيورين على الاسلام السني في مواجهة "الهراطقة الشيعة" في مصر، ولئن اشاع طغرل بك ابان مقدمه الى بغداد بأنه ينوي الحج، وهذا مالم يقم به لا هو ولا أي سلطان سلجوقي من مجموع سلاطين السلاجقة الذين جاؤا من بعده[1]، ولذلك بدى السلطان طغرل بك في احسن حالاته من وجهة نظر الخلافة كصاحب اليد الطولى في مؤسسة الخلافة العباسية، خاصة بعد وفاة زوج السلطان "الخاتون" فعمد الى المماطلة في ارسال ابنة اخ السلطان طغرل بك ارسلان خاتون بنت داود بن جغري زوج الخليفة التي كانت قد حملت الى عمها السلطان ايام البساسيري في صفقة تبادل للرهائن مقابل زوج البساسيري وولديه الصغيرين، على الرغم من ان الخليفة نفسه قد طالب برد زوجته اليه إلا ان السلطان كان "يعد بذلك ولا ينجزه"[2] وما كان وراء ذلك الا ليطلب شيئاً بالمقابل وتمثل ذلك في طلب المصاهرة مع البيت العباسي نفسه[3] من خلال طلب الزواج من بنت الخليفة القائم بامر الله[4] وهذا ما ازعج الخليفة القائم، وحاول اظهار نوع من الامتعاض والاحتجاج دون جدوى، وهدد في مغادرة بغداد[5]

---

[1] لم يؤدِ فريضة الحج أي سلطان سلجوقي ابان حكم السلاطين السلاجقة. انظر: تقي الدين احمد بن علي المقريزي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م) الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق: جمال الدين الشيال (القاهرة: مكتبة الثقافة العربية، ٢٠٠٠م).

[2] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٦٥.

[3] انظر: العماد الاصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص١٩٤.

[4] تذكر غالب المصادر التاريخية ان السلطان طغرل بك طلب الزواج من بنت الخليفة ما عدا القليلين الذين ذكروا ان طلب الزواج كان من اخت الخليفة. مثل: ابن العمراني، الانباء في تاريخ الخلفاء، ص١٩٨. ويذكر ابن العمراني ان مريم اخت الخليفة والعريس طغرل بك كانا كلاهما بالسبعين من العمر؛ ابن الراوندي، راحة الصدور، ص١٧٦.

[5] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٦٧.

وهو بهذا كأنه يريد أن يقول لسلطان السلاجقة بغداد التي كنت منفياً منها واعدتني لها، ها انا ذا اغادرها.

وصار الامر الى مجاذبات فيها تهديد حتى ان عميد الملك الكندري وزير السلطان طغرل بك "اطلق لسانه بالقبيح"[١] وارعد وابرق"[٢] وجاء يوماً الى الديوان وعليه ثياب بيض[٣] والثياب البيض غمز للخليفة من طرف خفي بالتلويح لشعار الفاطميين، مقابل السواد وهو شعار العباسيين وزيادة في الضغط، فإن السلطان طغرل بك اظهر ما في قلبه بأن ذكّر الخليفة بما عمله من قتل اخيه والتضحية بجنده، وانفاقه الاموال الجليلة في سبيل الخليفة واعادته الى دست الخلافة[٤]. وبذلك ظهر وبصورة اوضح من قبل ان السلطان يريد الثمن الدنيوي بالوصلة فضلاً عما اظهره وكأن ما قام به ايماناً واحتساباً عند الله.

فضلاً عن كل هذا الضغط على الخليفة فقد وردت الكتب "بادخال اليد في الاقطاع المفردة لوكلاء الدار العزيزة"[٥]، وبذلك تمت موافقة الخليفة وعلى مضض، فكان أمر إدخال اليد في الاقطاع هو الامر الحاسم[٦].

واخيراً تم الامر، فكان السلطان ياتي لعروسه كل يوم "يخدم ويقبل الأرض" دون ان ترفع العروس البرقع او يراها، وانهك السلطان على ما يبدو بالايام السبعة وهو يقدم الهدايا من جواهر واموال وثياب فاخرة ويرقص مع جماعته فرحاً وسروراً حتى غادر بغداد يشتكي من علته، ووافته المنية في رمضان سنة ٤٥٥هـ/ايلول ١٠٦٣م.

---

[١] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٦٧.

[٢] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص١١٧.

[٣] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٦٨.

[٤] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٠٥.

[٥] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٧٢.

[٦] وهكذا الحال، فالعامل المالي مهم وبدرجة مؤثرة، وشاهدنا في السابق أن في الاستيلاء على اقطاعات البساسيري كان سبباً مهما في حركته.

الفصل الثاني

بغداد والتجاذبات المذهبية تجاه الامامية ابان حكم :

- **السلطان السلجوقي عضد الدولة ابو شجاع الب ارسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق، والتجاذبات المذهبية تجاه الشيعة الإمامية الإثني عشرية (رمضان ٤٥٥-ربيع الأول ٤٦٥ه/ايلول ١٠٦٣م-تشرين الثاني ١٠٧٢م) .**

وولده:

- **السلطان السلجوقي ابي الفتح ملكشاه قسيم أمير المؤمنين والتجاذبات المذهبية تجاه الشيعة الإمامية الإثني عشرية (ربيع الاول ٤٦٥-شوال ٤٨٥هـ/ايلول ١٠٦٣-تشرين الاول ١٠٩٢م)**

- **في تداعيات وفاة السلطان السلجوقي طغرل بك:**

ورد خبر موت السلطان طغرل بك الى بغداد في اواخر رمضان ٤٥٥هـ/ايلول ١٠٦٣م. وكانت زوج السلطان طغرل بك وهي بنت الخليفة القائم بأمر الله هي التي ارسلت الخبر الى بغداد[١]، من مقر اقامتها بالري، ومع انتشار هذا الخبر انتابت حاضرة الخلافة العباسية بغداد حالة من الترقب والقلق بمن ستؤول اليه امر السلطنة[٢]، خاصة بعد أن "كثرت غارات العرب على بغداد"[٣]، وكتب الخليفة الى أمراء "الأطراف" مسلم بن قريش[٤] أمير العقيليين، ودبيس بن مزيد[٥] امير

[١] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٨٢. وكان السلطان طغرل بك قد توفي في الثامن من رمضان ٤٥٥هـ/التاسع والعشرون من آب ١٠٦٣م. انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٠٩؛ زامباور، معجم الانساب والاسر الحاكمة في التاريخ الاسلامي، ترجمة: زكي حسن بك وآخرين (القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٨م) ج٢، ص٣٣٣.

[٢] من ذلك ما ذكره سبط ابن الجوزي. ان ضرب الطبل استمر "من دار المملكة" رغم "التقدم الى الخطباء من الديوان بقطع خطبة السلطان" الراحل طغرل بك وذلك يوم الجمعة ٢٩ رمضان ٤٥٥هـ/١٩ ايلول ١٠٦٣م. انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص١٥٢.

[٣] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٨٢؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٠٩؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص١٥١.

[٤] شرف الدولة، مسلم بن قريش بن بدران بن المقلد بن المسيب العقيلي، امير العرب بنواحي بغداد، استفحل امره وقويت شوكته، وطمع في الاستيلاء على بغداد وبعد وفاة طغرل بك سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م. قتل في حرب كانت بينه وبين سليمان بن قتلمش السلجوقي في صفر ٤٧٨هـ/حزيران ١٠٨٥م. عن سيرته واعماله انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٩، صص: ٣٤٨-٣٥٠.

[٥] دبيس بن مزيد بن علي بن مزيد ابو الاغر الاسدي؛ كانت له المكانة الرفيعة عند الخلفاء العباسيين، ولي امارة الاسديين سنة ٤٠٨هـ/١٠١٧م، توفي سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م. في شهرابان، وحمل مشهد علي "النجف" حيث دفن في مشهد علي للمزيد عن سيرته انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٣٦٢؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١١، ص١٩٧.

الاسديين وابا كاليجار هزارسب[١] وغيرهم من أُمراء الأكراد كتباً تتضمن اعلامهم بما يتجدد واستدعائهم الى الباب فيشاوروا فيما يفعل"[٢]، والظاهر ان هذا الأمر تم بتدبير من قبل وزير الخليفة القائم بأمر الله، فخر الدولة بن جهير[٣]، الذي كان قد جلس للعزاء بوفاة السلطان رسمياً [٤].

---

[١] هزارسب بن تنكيز بن عياض، ابو كاليجار، تاج الملوك، الكردي: كان السلطان طغرل بك السلجوقي قد ضمن منه الاهواز على (٣٠٠) الف دينار وصعدت به الاحوال حتى انه تزوج باخت السلطان الب ارسلان السلجوقي وكان هذا سبباً في تكبره، توفي سنة ٤٦٢هـ/١٠٧٠م. للمزيد عن سيرته انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٣٧؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٢٣١.

[٢] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، ج١٩، ص١٥١.

[٣] بيت ابن جهير بيت مشهور تعاقب افرادهم على شؤون الوزارة ايام السلاجقة الاوائل منهم كبير العائلة: محمد بن محمد بن جهير التغلبي، ابو نصر، والذي وزر للخليفة القائم بامر الله في ذي الحجة ٤٥٤هـ/كانون الاول ١٠٦٢م لكنه عزل عن الوزارة في ذي الحجة ٤٦٠هـ/ايلول ١٠٦٨م واعيد في صفر ٤٦١هـ/كانون الاول ١٠٦٨م وبقي في الوزارة حتى وفاة الخليفة القائم بامر الله في رجب ٤٦٧هـ/تموز ١٠٧٥م واستبقاه الخليفة المقتدي بامر الله الى ان صرف عن الوزارة، وقيل هو استعفى من دست الوزارة لكراهة السلطان السلجوقي في استمراره بالوزارة وذلك في صفر ٤٧١هـ/آب ١٠٧٨م، ثم تولى نيابة ديار بكر، وتوفي بالموصل في رجب وقيل صفر ٤٨٣هـ/ايلول وقيل نيسان ١٠٩٠م ودفن بالموصل وكان من الدهاة. للمزيد عن سيرته واعماله في الديوان انظر: احمد بن يوسف بن علي بن الازرق الفارقي (كان حياً في ٥٦٦هـ/١١٧٠م) تاريخ الفارقي، تحقيق: بدوي عبد اللطيف عوض (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٤م) ص٢٢٦؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص١٣٩، ص٢٠٠، ص٢٠٨، وص٣٣٩، صص: ٤٢٦-٤٢٨؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٣، ص٣٠٦.

[٤] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص١٥٢.



في الوقت ذاته كان السلطان عضد الدولة الب ارسلان[١] يوطد تزعمه للبيت السلجوقي بما يؤكد سلطنته للخلافة العباسية وذلك من خلال الإجراءات التي تم اتخاذها تجاه التدابير التي قام بها وزير السلطان المتوفي عميد الملك الكندري[٢] عندما دعى في الخطبة بالسلطنة لأبن اخ المتوفي، سليمان بن داود، الا ان عميد

---

[١] السلطان عضد الدولة ابو شجاع الب ارسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق، ولد سنة ٤٣١هـ/١٠٤٠م وقيل ٤٢٤هـ/١٠٣٣م كان مهيباً، طويل القامة طويل اللحية، كان لا يخطىء عند الرماية، فكان يباشر الحرب بنفسه، خاض حروب تجاه اخيه قاورت بك وابن عمه قتلمش وظفر بهما وحارب الروم البيزنطيين واسر امبراطور الروم رومانيوس في معركة ملاذكرد. قتل على اثر طعنه من قبل احد الخارجين عليه سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م. للمزيد عن سيرته وترجمته انظر: الراوندي، راحة الصدور وآية السرور، صص: ١٨٥-١٩٥؛ العماد الاصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، صص: ٢٠١-٢١٣؛ وانظر: تامارا رايس، السلاجقة، ترجمة: لطفي الخوري وابراهيم الداقوقي (بغداد: مطبعة الارشاد، ١٩٦٨م) صص: ٢٩-٤١.

[٢] هو عميد الملك، ابو نصر، محمد بن منصور بن محمد الكندري، وزير السلطان طغرل بك، وكندر من قرى نيسابور، حيث ولد فيها سنة ٤١٥هـ/١٠٢٤م. كان حنفياً، وقيل معتزلياً من الدهاقين، وقيل كان يؤذي الشافعية، وزر لطغرل بك الذي قيل انه خصاه، حاول تنفيذ عهد طغرل بك في ان يُجلس ابن اخيه وابن زوجته سليمان على تخت السلطنة وبذل في سبيل ذلك الاموال والقماش والكراع التي كان قد خلفها خلفه طغرل بك لكن تدبيره هذا اصطدم بحزم واجراءات سريعة من لدن السلطنة من الب ارسلان ووزيره الكبير نظام الملك فأذعن للامر الواقع، وخدم للسلطان الجديد، وبعد نحو عام من ذلك وفي سنة ٥٥٦هـ/١٠٦٤م قتل صبراً بتحريض من الوزير نظام الملك نفسه. للمزيد عن سيرته انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢١٣؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، مـ٤، صص: ٣٧٤-٣٧٩؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٢، ص٣٥٧؛ غياث الدين بن همام الدين معروف بخواندمير، دستور الوزراء، ص١٤٨؛ عباس اقبال، الوزارة في عهد السلاجقة، ترجمة: احمد كمال الدين حلمي (الكويت: مطبوعات الجامعة، ١٩٨٤م) صص: ٦٦-٦٨.

الملك الكندري بادر الى الخطبة لألب ارسلان بعد ان حوصر في الري من قتلمش[١] فسار اليه الب ارسلان الى الري وهرب قتلمش دونه، وقيل انه توفي مذعوراً[٢].

وبذلك بدى واضحاً استتاب السلطنة لألب ارسلان خاصة بعد ان تم اختيار الوزير نظام الملك الطوسي[٣] بتدبير شؤون السلطنة على اثر القبض على الوزير عميد الملك الكندري وقتله في محرم ٤٥٦هـ/كانون الثاني ١٠٦٤م وبتدبير من الوزير نظام الملك نفسه[٤]، ثم ارسلت الهدايا الى الخليفة مصحوبة بالسيدة ابنة الخليفة ارملة السلطان طغرل بك، والقاضي ابو عمرو محمد بن عبد الرحمن، وخطب ببغداد للسلطان الب ارسلان[٥] وشافه الخليفة "الرسل بتقليد عضد الدولة الب ارسلان للسلطنة وسلمت الخلع بمشهد من الخلق"[٦] وضربت السكة ونقش اسم عضد الدولة الب ارسلان كما "يدعون بالخطبة من جانب، ومن جانب اسم الخليفة القائم"[٧] بأمر الله.

ويلاحظ ان السلطان الب ارسلان لم يزر بغداد طيلة سني سلطنته وحتى وفاته سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م، وانما كان مشغولاً اما بتدعيم سلطنته في قبال تدبير

---

[١] هو قتلمش بن اسرائيل بن سلجوق، شهاب الدولة والد سليمان مؤسس دولة سلاجقة الروم. كانت له قلاع وحصون في عراق العجم، عصى ابن عمه الب ارسلان وحاربه قرب الري، توفي على اثر ذلك قيل ذعراً وقيل سقط عن جواده وداسته الفرس وذلك سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٤م. للمزيد عن سيرته انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢١٦؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص١٦١؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٨، ص٣٩٨.

[٢] ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢١٦؛ مرآة الزمان، ج١٩، ص١٦٠-١٦١.

[٣] تقدمت ترجمته.

[٤] انظر: الراوندي، راحة الصدور، ص١٨٧.

[٥] حيث قيل في الدعاء: "اللهم اصلح السلطان المعظم عضد الدولة وتاج الملة، ابا شجاع الب ارسلان محمد بن داود. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٨٦.

[٦] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢١٦.

[٧] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص١٦٣.

الوزير عميد الملك الكندري او بحربه مع ابن عمه قتلمش، او لوقائعه مع الروم البيزنطيين والتي توجت بمعركة ملاذكرد سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م. على الرغم من أهمية هذا السلطان ومكانته العسكرية الكبيرة التي كان يخشى منزلتها وزيره نظام الملك نفسه[١].

التجاذبات المذهبية في بغداد ابان سلطنة الب ارسلان:

لم تشهد سنوات حكم السلطان الب ارسلان بين السنوات ٤٥٥-٤٦٥هـ/١٠٦٣-١٠٧٢م الكثير من وقائع التجاذبات المذهبية في بغداد، بما في ذلك التجاذبات تجاه الشيعة الإمامية.

ففي العام ٤٥٧هـ/١٠٦٥م قام أهل باب البصرة بقلع باب مشهد العتيقة[٢] او جامع براثا حالياً، واخذوه ليلاً، وكان الباب من حديد[٣]، فبحث عمن فعل ذلك حتى عرف شخصه، واخذ منه. ويبدو ان عملية قلع الباب والتجاوز عليها كان وراءها دافعين، الاول، هو محاولة من اهل باب البصرة، وهم حنابلة في مجملهم، ارادوا ان يقوموا بهذا العمل من اجل تخريب المشهد قطعة قطعة، او تسهيل الدخول للمشهد ومداهمته في وقت لاحق، فضلاً عن الدافع المادي في الاستحواذ على باب الحديد[٤].

---

[١] انظر: نظام الملك –سياست نامة، ص١٣٣.

[٢] يذكر مصطفى جواد في دليل خارطة بغداد ان مشهد العتيقة هو في الحقيقة ما يطلق عليه الان "جامع براثا" مع ان جامع براثا في الغرب من مشهد العتيقة، وقد عفا وزالت آثاره بعد القرن السابع او الثامن للهجرة، ومشهد العتيقة تجله الشيعة الامامية الاثني عشرية لصلاة الامام علي بن ابي طالب في موضعه بعد رجوعه من قتال الخوارج بالنهروان سنة ٣٧هـ/٦٥٨م. انظر: مصطفى جواد واحمد سوسة، دليل خارطة بغداد، ص٩١.

[٣] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٩١.

[٤] عانى اهالي بغداد من قحط في الموارد في ذلك الوقت. حتى يذكر ابن الجوزي ان خمسة رجال واربعة نسوة ماتوا نتيجة تزاحم جمع من ضعيفي الحال على من يوزع عليهم درهمين درهمين وقميص. انظر: المنتظم، ج١٦، ص٨٨.

وفي العام ٤٥٨هـ/١٠٦٥م قام جماعة من أهل الكرخ باغلاق دكاكينهم يوم عاشوراء، وعلقوا المسوح على ما كانت عادتهم جارية به في القديم[١]. ويبدو ان احتفال اهل الكرخ بيوم عاشوراء جرى بعد أن تم إعادة اعمار ما تم تخريبه من بغداد منذ سنة ٤٥٢هـ/١٠٦٠م على اثر القضاء على حركة البساسيري وعودة الخليفة القائم الى بغداد، ومن العوامل التي عجلت في اعمارها يعود الى ابي الفتح المظفر بن الحسين العميد الذي عقد على بغداد واعمالها بمائة الف دينار ولسنتين بعدهما بثلثمائة الف دينار، ولا يخفى ان استحصال هذهِ المبالغ لا يتم إلا بعد إعمار الاسواق وعودة الحركة التجارية الى الأسواق وعمارتها.

والظاهر ان اهل الكرخ عامة استغلوا اجتياز جنازة لرجل من اهل الكرخ "فصليَّ عليها، وناح الرجال بحجبتها"[٢] وتنامت الأخبار الى الخليفة القائم بامر الله بما فعله اهل الكرخ، فانكر ذلك ووبخ نقيب الطالبيين ابا الغنائم المعمر بن محمد بن احمد الحسيني العلوي بالأمر فيما تذرع نقيب الطالبيين بأنه لم يحط علماً[٣]، ويبدو ان الامر تم بمبادرة من بعض أهل الكرخ الشيعة الإمامية الذين حنوا الى الايام الخوالي في احتفالاتهم بيوم عاشوراء من تعطيل الاسواق والنياحة على الحسين بن علي بن ابي طالب.

وبمبادرة من اهل الكرخ فان رجالهم ترددوا الى ديوان الخلافة يعتذرون ويتنصلون من أمر الاحتفال بيوم عاشوراء[٤] ومن النياحة على الحسين وتعليق المسوح واغلاق دكاكينهم، وبذلك فقد تم اطلاق من حبس من اهل الكرخ بسبب ذلك، وانهم اجترءوا على الاحتفال بعد موافقة صاحب الشرطة الذي كان قد هرب عن المدينة لجهة مجهولة وتاكيداً على المنع وعدم التكرار مستقبلاً، فقد "ركب اصحاب

---

[١] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٦٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٨، ص٣٠٤.

[٢] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٩٤.

[٣] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص١٨٣.

[٤] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٩٥؛ الحافظ ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، مـ٨، ص٣٠٤.

السلطان وارهبوا العامة"[١]، لكن الأمر لم يقف عند هذا الحد ذلك ان العامة من مخالفي الشيعة الامامية من اهل الحربية[٢]، والنصرية[٣]، وشارع الرقيق[٤]، وباب البصرة[٥]، والقلائين[٦]، ونهر طابق[٧]، اجتمع من هؤلاء "الخلق الكثير" واغلقوا دكاكينهم وخرجوا في ما يعرف اليوم "بتظاهرة احتجاجية" على ما قام به اهل الكرخ بيوم عاشوراء وقصدوا دار الخلافة، "وبين ايديهم الدعاة والقراء وهم يلعنون اهل الكرخ" ويهتفون بهتافات، حسب تعبير زماننا، وازدحموا على باب الغربة، وهو احد ابواب دار "قصور" الخلافة[٨]، ويبدو انهم افحشوا في ذم الشيعة وهو ما يعبر عنه

---

[١] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٩٥.

[٢] الحربية: وهي "اول ما يلي السور من الجانب الغربي" وتنسب الى حرب بن عبد الملك البلخي، وكان يتولى شرطة جعفر بن ابي جعفر المنصور في الموصل. انظر: ابو بكر احمد بن محمد الهمداني المعروف بابن الفقيه (ت بحدود ٣٠٠هـ/٩١٢م) بغداد مدينة السلام، تحقيق: صالح احمد العلي (باريس: دار الطليعة، ١٩٧٧م) ص١٧٦؛ ياقوت، معجم البلدان، مـ٢، ج٣، ص١٣٢.

[٣] النصرية: وهي منسوبة الى نصر بن عبد الله، وهي عند باب الشام، وباب الشام عند النصرية. انظر: صالح احمد العلي، بغداد مدينة السلام (بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٥م) ج٢، ص١٥٠.

[٤] شارع دار الرقيق: وهي عند الساق الذي بباب الشام، وكان فيه رقيق ابي جعفر انظر: صالح احمد العلي، بغداد مدينة السلام، ج٢، ص١٨٥.

[٥] باب البصرة: وهو الباب الجنوبي الشرقي لمدينة بغداد المدورة. انظر: مصطفى جواد واحمد سوسة، دليل خارطة بغداد، ص٤٨.

[٦] القلائين: وهي السوق التي تباع فيها اللحوم المقلية بجنب احد الانهر التي تصب بدجلة، ويمر في الكرخ، في الجانب الغربي من بغداد. انظر: حمدان الكبيسي، اسواق بغداد، ص٨٦.

[٧] نهر طابق: وهو احد الانهر التي تصب في نهر الصراة في الكرخ. انظر: سهراب (ت اوائل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) كتاب عجائب الاقاليم السبعة الى نهاية العمارة، عني بتصحيحه: هانس فون مزيك (فينا: مطبعة ادولف هولزهوزن، ١٩٢٩م) ص١٣٣.

[٨] باب الغربة: هو الباب الشمالي لدار الخلافة المسورة بسور له تسعة ابواب، ودار الخلافة آنذاك كانت تضم كل من القصر الحسني، الذي يعد اصلاً لهذهِ الدار، ثم قصر الفردوس،=

ابن الجوزي فيقول: "تكلموا من غير تحفظ في القول"[١] ، فروسل المحتجون ببعض خدم الخليفة القائم، ومن ثم خرج توقيع الخليفة القائم "بكفر من يسب الصحابة ويظهر البدع"[٢]، والظاهر ان الشيعة في الكرخ قراؤا زيارة الحسين بن علي بن ابي طالب في يوم عاشواء، وهذهِ الزيارة تتضمن التنويه باللعن للاول والثاني والثالث والرابع ويزيد بن معاوية خامساً[٣]، وهذا مما دعى مخالفي الشيعة الى الإنتفاض والاحتجاج بعد ان فهموا ان المراد بالاول والثاني والثالث هم الخلفاء الراشدون الثلاثة الاوائل ومعاوية رابعاً، وهذا يفسر لنا توقيع الخليفة العباسي القائم بأمر الله بتكفير من يسب الصحابة.

ويبدو ان تداعيات هذا الأمر لم تنتهي بهذا القدر من الاجراءات الرسمية وغير الرسمية، فضلاً عن ما كان يحصل بين قوى أهل الحديث عامةً" وجلهم من الحنابلة وغرمائهم المعتزلة، ولذلك "اجتمع الاصحاب[٤] وأعيان أصحاب الحديث يوم

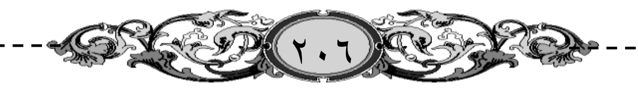
=وقصر التاج ودار الشجرة والدار المثمنة، والدار المربعة، ودار الوزارة والدواوين وغيرها. وسميت دار الغربة بذلك لأن شجرة غرب كانت نابتة بالقرب منه, ويعين مصطفى جواد واحمد سوسة موقعها حالياً بشريعة شارع السمؤل. انظر: مصطفى جواد واحمد سوسة، دليل خارطة بغداد، ص١٥٧.

[١] انظر: المنتظم، ج١٦، ص٩٤.

[٢] انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٨، ص٣٠٢. والعبارة عند ابن الجوزي هي: "بلغن من يسب الصحابة ويظهر البدع" انظر: المنتظم، ج١٦، ص٩٥.

[٣] انظر: ابو جعفر الطوسي، مصباح المتهجد، ص٥٥. وللتذكير فأن العامة على قول ابن الجوزي، وعامة الشيعة على تعبير ابن الاثير، (وقال ان ذلك تم بامر من الامير معز الدولة البويهي)، كتبوا سنة ٣٥١هـ/٩٦٢م. على مساجدهم ما صورته: لعن الله معاوية بن ابي سفيان، ولعن الله من غضب فاطمة فدكاً، ومن منع ان يدفن الحسن عند قبر جده، ومن نفى اباذر الغفاري، ومن اخرج العباس من الشورى، ودلالات هذهِ اللعنات معروفة. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤، ص٢١٤؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص١٨.

[٤] هذا قول ابن الجوزي الحنبلي، ودون شك ان ما يعني به "الاصحاب" هم اصحابه الحنابلة واعوانهم.



السبت النصف من جمادي الأولى سنة ٤٦٠هـ (الخامس عشر من آذار ١٠٦٨م) بالديوان العزيز، وسألوا اخراج الاعتقاد القادري وقراءته".

وتمت الاستجابة لذلك من قبل الوزير بالديوان وقرأ الإعتقاد الذي سمي هذهِ المرة بالاعتقاد القادري القائمي نسبة الى الخليفة القائم ووالده القادر بالله، وذلك تأكيداً الى تبنيه من لدن خليفة الوقت، فيما تعالت الاصوات من المجتمعين باللعن على الرافضة وكفرهم ومن لا يكفرهم فهو كافر"[١]، ثم ان الإعتقاد القادري القائمي اخذت نسخ منه، وطلب الشريف ابو جعفر الهاشمي[٢] قراءته في جامعي المنصور والرصافة وفي مسجد الشريف نفسه، بل قرىء في باب البصرة على عموم الناس[٣].

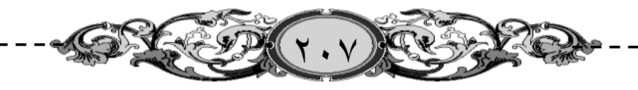
ويبدو ان ما جرى سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٦م واسلوب الردع من عامة مخالفي الشيعة واجتماعهم بالديوان، وتاكيد الخليفة القائم في معاقبة المعاودة اليه، وما جرى التاكيد عليه في قراءة الاعتقاد القادري–القائمي كل ذلك جعل الشيعة في بغداد يركنون الى القاعدة الفقهية التي يلجاؤن اليها في حالات تواتر الضغوطات عليهم،

---

[١] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص١٠٦. ويلاحظ ان اللعن الذي اورده ابن الجوزي عن قول "السلطان".

[٢] مقدم الحنابلة ايام السلاجقة الاوائل وهو: عبد الخالق بن عيسى بن احمد بن محمد بن عيسى المعروف بـ الشريف ابو جعفر بن ابي موسى العباسي الهاشمي، من كبار رجالات الحنابلة في وقته، ولد سنة ٤١١هـ/١٠٢٠م ببغداد كان احد اقطاب الفتنة التي حصلت بين الاشاعرة والحنابلة عند ورود ابو نصر القشيري بغداد سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٧م. وتفاديا للمزيد من الاحتكاك مع الاشاعرة افرد له الخليفة المقتدي بامر الله موضعاً بدار الخلافة للصلاة فيه وهو ما يشبه ان يكون تحت الاقامة الجبرية، لكنه ما لبث ان توفي في سحر الخامس عشر من صفر سنة ٤٧٠هـ/الثلاثون من آب ١٠٧٧م وقيل انه سم، ربما من قبل انصار الشافعية الاشعرية من الذين يعملون مع السلاجقة وذلك من خلال تسميم مداسه. للمزيد عن ترجمته وسيرته انظر: ابن رجب الحنبلي، الذيل على طبقات الحنابلة، ج١، صص: ١٣–٢٢؛ العليمي الحنبلي، المنهج الاحمد، ج٢، صص: ٣٨٨–٣٩٩.

[٣] انظر: ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، مـ٨، ص٣٠٦؛ ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج١، ص١٦.



ونقصد بذلك العمل بمبدأ التقية ودلالاته، فلم تذكر المصادر التاريخية المتوفرة بعد ذلك حتى وفاة الخليفة القائم بأمر الله يوم الأربعاء/ليلة الخميس الثالث عشر من شعبان سنة ٤٦٧هـ[١]/الخامس والعشرون من آذار سنة ١٠٧٥م اية احتفالات لهم بعاشوراء او غير ذلك من مناسبات الشيعة الاحتفالية.

انشاء المدارس، والدور الذي اضطلعت به في التجاذبات المذهبية ابان سلطنة السلطان الب ارسلان وابنه السلطان ملك شاه:

يعد البدء في انشاء المدارس الحدث الابرز في عهد السلطان السلجوقي الب ارسلان، ذلك ان الوزير نظام الملك الطوسي قد خلص الى اهمية تأهيل كوادر ذات توجهات موافقة لمعتقده المذهبي الشافعي للعمل في دواوين دولة الخلافة والسلطنة السلجوقية وفي كل المجالات من إدارية ودينية ويظهر هذا التوجه جلياً فيما سطره هذا الوزير المخضرم في كتابه سياست نامة، وذلك من خلال الفصل الحادي والأربعون وموضوعه بعنوان "في عدم اسناد عملين لشخص واحد وفي تشغيل العاطلين وعدم حرمانهم، واسناد المناصب والاعمال الى المتدينين الحقيقيين الاصلاء، وحرمان ذوي المذاهب السيئة والمعتقدات الخبيثة وابعادهم"[٢]

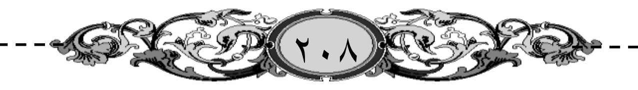
ولذلك عدَّ انشاء المدرسة النظامية واقتصارها في التدريس على المذهب الشافعي هو احد حلقات التجاذب المذهبي، وفي الحقيقة ان هذا التجاذب لم يكن موجهاً تجاه الشيعة الامامية فحسب[٣] بل كان يستهدف لقوى اهل السنة المخالفين

---

[١] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٦٢؛ جمال الدين محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم بن واصل (ت٦٩٧هـ/١٢٩٨م) التاريخ الصالحي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري (بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠١٠م) ج٢، ص١٣٢.

[٢] انظر: نظام الملك الطوسي، سياست نامة او سير الملوك، صص: ١٩٥-٢١٦.

[٣] انظر للقصة التي اوردها نظام الملك السلجوقي بعنوان: الب ارسلان واردم الرافضي. ورأي السلطان بأن اغلب اهل الديلم والعراق هم من ذوي المذاهب والعقائد والاديان الخبيثة السيئة. انظر: سياست نامه، ص١٩٨.



لمذهب نظام الملك الطوسي وهو المذهب الشافعي ومدرسة اهل الكلام الاشعرية، ولاسيما الحنابلة والحنفيين منهم.

وكذلك فأننا لا نغفل ان من الاسباب المهمة من وراء انشاء المدارس النظامية هو محاولة فكرية من قبل نظام الملك السلجوقي في مكافحة المذهب الشيعي الاسماعيلي والذي غلب عليه نبز السلاجقة بـ الباطنية فضلاً عن المذهب الشيعي الاثنا عشري، وهذهِ المكافحة تكون موازية لما درج عليه السلاجقة بمكافحتهم بالقوة، خاصةً الاسماعيلية التي وجدت لها مواطىء اقدام في بلاد فارس عامة من خلال دعاتهم امثال هبة الدين الشيرازي ومن ثم الحسن بن الصباح.

ولذلك تم لشروع في بناء المدرسة النظامية ببغداد، واختير لها شاطيء نهر دجلة من الجانب الشرقي من بغداد[١]، وذلك في ذي الحجة من سنة ٤٥٧هـ/تشرين الثاني سنة ١٠٦٥م.

وكانت نيسابور قد سبقت بغداد في بناء نظاميتها وافتتحت في سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م[٢]، وتلتها المدرسة النظامية في بغداد، وتعد واحدة من منظومة متكاملة من المدارس التي انشأها الوزير نظام الملك في حواضر المدن في العالم الإسلامي التي كانت تحت حكم ونفوذ السلاجقة وينظر الى عمله هذا هو محاولة منه في نشر المذهب الشافعي، فضلاً عن ذلك فإن ما توفره هذهِ المدارس لدارسيها من سكن وطعام و "معاليم"[٣] أي الرواتب او الجرايات، وذلك من خلال ما اوقف

---

[١] حقق مصنفي "دليل خارطة بغداد" موقع المدرسة النظامية في بغداد وخلصا الا انها كانت في موضع سوق الخفافين جنوب المدرسة المستنصرية الشاخصة ابنيتها الان. انظر: مصطفى جواد، واحمد سوسة، دليل خارطة بغداد، ص١٢٨، وص١٥٤.

[٢] المدارس النظامية التي بناها الوزير نظام الملك الطوسي عددها تسع مدارس يذكرها السبكي في طبقات الشافعية الكبرى. وكانت في: نيسابور، بغداد، بلخ، هراة، اصبهان، البصرة، مرو، آمل طبرستان، والموصل. انظر: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٣، ص٦.

[٣] عدَّت المدرسة النظامية المدرسة الاولى في بغداد "لطلبة العلم، ورتب فيها لهم المعاليم من المواجب والارزاق" انظر: علاء الدين علي دَدَه السكتواري (ت١٠٠٧هـ/١٥٩٨) محاضرات

عليها من اوقاف فبنى حولها "اسواقاً تكون محبسة عليها وابتاع ضياعاً وخانات، وحمامات واوقف عليها"[١].

وقبل ان يتم اكتمال انشاء المدرسة وافتتاحها بنحو من تسعة شهور ورد بغداد العميد ابو سعد المستوفي من باب السلطان (الب ارسلان) محملاً بهدايا السلطان السلجوقي للخليفة القائم بامر الله، وبادر وبشهور قليلة الى بناء قبة عالية على قبر ابي حنيفة النعمان بن ثابت[٢] (ت١٥٠هـ/٧٦٧م) سمي فيما بعد بمشهد ابي حنيفة ويلاحظ هنا ما اورده سبط ابن الجوزي عن هذا المشهد بأن عمل له "ملبناً وعلاه على مثال قبور آل ابي طالب في المشاهد" وعمل بازاءه "مدرسة لاصحاب ابي حنيفة[٣]، ورتب لهم مدرساً واوقف عليها ضيعة يصرف مغلُّها اليهم"، وافتحت

الاوائل ومسامرات الاواخر، تحقيق: محمد زينهم محمد عرب (القاهرة: دار الآفاق العربية، ٢٠٠٣م) ص٢٩٣.

[١] انظر: ابو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي (ت٥٢٠هـ/١١٢٦م) سراج الملوك، تحقيق: جعفر البياتي (لندن: رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٩٠م) ص٣٨٠. ويذكر الطرطوشي ان فكرة انشاء المدرسة النظامية ببغداد جاءت من شيخ الشيوخ ابو سعد النيسابوري الصوفي (ت٤٨٠هـ/١٠٨٧م) وان الوزير كلفه بالاشراف على انشاء المدرسة، فرفع الحساب الى الوزير فكان ستون الف ديناراً، لكن النفقة الحقيقية كانت تسعة عشر الف دينار واحتبس الباقي لانشاء رباطات للصوفية واوقف عليها اوقافاً. انظر: الطرطوشي، سراج الملوك، ص٣٨١.

[٢] انظر: ترجمته وسيرته في: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٣، صص: ٣٢٥-٤٢٦؛ فريد الدين عطا نيشابوري (ت٦١٨هـ/١٢٢١م) تذكرة الاولياء، تصحيح: رينولد نيكلسون، تقديم: عبد الوهاب قزويني، ط٥ (قم: مطبعة عطري، ١٣٩٣هـ)، صص: ٢١٥-٢٢٢.

[٣] عن مدرسة ابي حنيفة، تاسيسها، ومراحل تطورها وتراجم شيوخها حتى العصر الحديث. انظر: وليد الاعظمي، مدرسة الامام ابي حنيفة تاريخها وتراجم شيوخها ومدرسيها (٤٥٩-١٤٠٠هـ/١٠٦٧-١٩٨٠م) (بغداد: دار آفاق عربية، ١٩٨٠م).

المدرسة قبل شهور من افتاح النظامية التي افتتحت في العاشر من ذي القعدة سنة ٤٥٩هـ / الخامس عشر من ايلول ١٠٦٧م[١].

مع ملاحظة مهمة في هذا السياق هي ان الوزير نظام الملك الطوسي على الرغم من اخلاصه الشديد لمخدومه السلطان الب ارسلان فانه كان شديد الخوف منه ويهابه ويحسب له الف حساب، وربما كان يتحرز منه بسبب معتقده المذهبي خاصة وهو يسمعه مرات يقول "واسفاه ليت وزيري لم يكن شافعيا"[٢]، ذلك ان السلطان الب ارسلان كان مثل باقي السلاجقة حنفي المذهب، وفي هذا المحتوى يمكننا ان نفهم السر وراء مبادرة ابو سعد المستوفي في القدوم لبغداد من باب السلطان الب ارسلان وتجديد الضريح لمرقد ابي حنيفة النعمان، والمبادرة الى انشاء المسجد والمدرسة الى جانب المرقد والتعجيل بانجازها وافتتاحها قبيل افتتاح المدرسة النظامية.

وبذلك يتضح التنافس المذهبي في انشاء المدارس حتى ان الرحالة الاندلسي ابن جبير ذكر أن عدد المدارس في بغداد سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م كان ثلاثون مدرسة كلها في الجانب الشرقي من بغداد[٣].

ويعدد باحث محدث خمسٍ وثلاثون مدرسة في بغداد، خلا المدرسة النظامية والمدرسة المستنصرية، ومنذ انشاء اول مدرسة في بغداد سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٧م وحتى الاجتياح المغولي لبغداد سنة ٦٥٦هـ[٤]/١٢٥٨م وغالب هذه المدارس مختصة بمذهب واحد من المذاهب السنية الاربعة المعروفة.

---

[١] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص١٩٦؛ ويذكر عماد عبد السلام رؤوف ان افتتاح مدرسة ابي حنيفة كان قبلها باربعة اشهر وثلاثة عشر يوماً. انظر: مدارس بغداد في العصر العباسي (بغداد: مطبعة دار البصري، ١٩٦٦م) ص٣٥. ويستند عماد عبد السلام على مقال للمرحوم مصطفى جواد في مجلة المعلم الجديد لسنة ٦.

[٢] انظر: نظام الملك الطوسي، سياست نامه او سير الملوك، ص١٣٣.

[٣] انظر: رسالة اعتبار الناسك في ذكر الاثار الكريمة والمناسك، ص١٨٣.

[٤] انظر: عماد عبد السلام، مدارس بغداد، ص٢٠٥.

مع ملاحظة الغياب التام لاية مدرسة مختصة بأي من المذاهب الشيعية، ومرد ذلك الى تواجد مراجع الشيعة خارج بغداد في مشهد علي "النجف" على اثر هروب "هجرة" الشيخ الطوسي من بغداد سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م بعد دخول السلاجقة بغداد، وتأسيسه الحوزة العلمية فيها. وانتقال مراجع الشيعة في ادوار لاحقة الى الحلة المزيدية.

ولنا ان نتسائل عن الكيفية التي تبلورت فيها فكرة انشاء المدارس النظامية لدى هذا الوزير المحنك.

يورد ابن فندق في تاريخ بيهق ان عائلة نظام الملك هي في الاصل من بيهق[١] التي تعد احد كور نيسابور[٢]، بينما يعدد السبكي في طبقاته اربعة مدارس في نيسابور قبيل انشاء النظاميات[٣]، فيما يعدد باحث محدث نحو من تسع مدارس، سبعٍ منها بنيسابور وواحدة ببيهق ودون تحديد موقع التاسعة، وثمانٍ منها لتدريس المذهب الشافعي وواحدة للحنفية، وجميعها انشأت قبيل انشاء النظاميات[٤].

وبذلك نلتمس اثر الوسط الذي عاشه الحسن بن علي الطوسي (الوزير نظام الملك الطوسي فيما بعد) في تبلور هذهِ الفكرة العظيمة في انشاء شبكة المدارس التي حرص على انشائها في مختلف حواضر العالم الإسلامي آنذاك في جزءه الخاضع لسيطرة ونفوذ السلاجقة.

---

[١] كان نظام الملك من ابناء الدهاقين في نيسابور، فأسحق الدهقان كان له اربعة اولاد علي، واحمد، ومحمد، وابو نصر الذي توفي وهو طفل، فيما كان لعلي من الاولاد الحسن وهو الوزير نظام الملك اكبر الابناء، وابو القاسم عبد الله، وابو نصر اسماعيل. انظر: ابو الحسن علي بن زيد البيهقي، المعروف بابن فندق، تاريخ بيهق، تحقيق وتعليق: احمد بهمنيار، تقديم: ميرزا محمد عبد الوهاب القزويني، ط٢ (طهران: جابخانة اسلامي حاشد، د.ت)، صص: ٧٣-٧٤.

[٢] انظر: ياقوت، معجم البلدان، مـ١، ج٢، ص٤٢٢.

[٣] انظر: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٣، ص٦ و ٧ .

[٤] انظر: عماد عبد السلام، مدارس بغداد في العصر العباسي، ص١٠ و١١.

ومن جهة ثانية فإن نيسابور[١] كانت تعد من أهم المراكز العلمية في شرق العالم الاسلامي وربما كانت تنافس بغداد في مكانتها العلمية بين حواضر العالم الإسلامي.

انتصار السلطان الب ارسلان في ملاذكرد ودلالاتها السياسية والدينية في أحوال التجاذبات المذهبية:

كان لمعركة ملاذكرد[٢] سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م التي خاضها السلاجقة وبقيادة السلطان الب ارسلان، الأثر الواضح والفعال على مجمل الاوضاع الداخلية في بغداد من نواحٍ عدة، فمن ناحية اعطى الخليفة القائم بأمر الله ثقة واطمأناناً بما آلت اليه الأمور بإحلال السلاجقة محل البويهيين الذين كانوا يتقاعسون عن مناجزة الروم البيزنطينيين ودفعهم بعيداً عن ثغور الدولة الإسلامية، ولذلك فبعد وصول الخبر الى بغداد ضربت الدبادب والبوقات ابتهاجاً، "وجمع الناس في بيت النوبة، وقرئت كتب الفتح"[٣]، من ناحية اخرى فإن اهل بغداد عملوا على تزيين المدينة "تزييناً لم تزين مثله وعملت القباب"[٤] وكأن المسلمون من اهل السنة عامة تريد أن تفصح ان مثل هذا النصر لم يتحقق الا على يد السلاجقة الذين ازالوا البويهيين ذوي الميول الشيعية

---

[١] نَيْسابور، بفتح اوله، وربما سمت نيشابور: "مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة، خرج منها جماعة من العلماء، فتحت ايام عثمان بن عفان على يد عبد الله بن عامر. انظر: صفي الدين عبد المؤمن البغدادي، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، مـ٣، ١٤١١ و١٤١٢.

[٢] عن معركة ملاذكرد ووقائعها انظر: العماد الاصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، صص:٢٠٦-٢١٠؛ وعن وجهة النظر النصرانية السريانية. انظر: مجهول، بحدود سنة ١٢٣٤م/٦٣١هـ، تاريخ الرهاوي المجهول، عربه عن السريانية: الاب البير ابونا (بغداد: مطبعة شفيق، ١٩٨٦) صص: ٦٤-٦٥.

[٣] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص١٢٨.

[٤] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٢٣٩.

المعروفة[1]، وبذلك فإن عدَّ عهد السلطان طغرل بك عهد الصحوة السنية في المشرق الاسلامي وعهد انقاذ الخلافة العباسية من الانهيار والاضمحلال أمام المد الفاطمي وحركة البساسيري التي اودت بنفي الخليفة الى الحديثة لمدة عام كامل، فإن عهد السلطان السلجوقي عضد الدولة ابو شجاع الب ارسلان عدَّ عهد استعادة العالم الاسلامي السني لنشوة القوة والانتصار في جهاد "الكفرة" من خلال وقائع السلطان مع الدولة البيزنطية التي كانت في احسن احوالها باغارتها على ثغور الدولة الإسلامية لكن الملاحظ ان انكسار الروم البيزنطيين وقوة السلاجقة كان ايذاناً بصحوة نصرانية تمثلت بإدراك الخطر الإسلامي على اوربا المسيحية عموماً وكان ذلك بمثابة جرس انذار لهم ادى في وقت لاحق الى قيام الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي[2].

وفاة السلطان عضد الدولة الب ارسلان:

الأمر المفاجيء في الحوادث كان بوفاة السلطان الب ارسلان في يوم لسبت العاشر من ربيع الأول سنة ٤٦٥هـ/السابع عشر من تشرين الثاني سنة ١٠٧٢م على اثر طعنة خنجر من احد مستحفظي القلاع العاصين عليه في ما وراء النهر المدعو "يوسف الخوارزمي"، وبعد أن اوصى بالسلطنة لولده ملكشاه، وقرر لأخيه

---

[1] وربما ذاكرة ما حدث قبل نحو من مائة عام وعامين هجريين (سنة ٣٦١هـ/٩٧١م) كانت حاضرة ابان ورود جموع مهجرة مذعورة من الثغور مع الدولة البيزنطية، والتي تسببت في فتنة بين السنة بقيادة سبكتكين الحاجب وعز الدين بختيار والتي لم تنتهي الا بنجدة عضد الدولة البويهي لابن عمه بختيار ومقتل سبكتكين الحاجب سنة ٣٦٤هـ/٩٧٤م. انظر الى مجمل الاحداث في: منصور حسين هادي، التجاذبات المذهبية، صص: ١٤٠-١٥٣.

[2] تعد معركة ملاذكرد احدى المحفزات التي تذرع بها دعاة الحروب الصليبية في اوربا. انظر: ميخائيل زابوروف، الصليبيون في المشرق، ترجمة: الياس شاهين (موسكو: دار التقدم، ١٩٨٦) بيزنطة الغرب والسلجوقيون، صص: ٢٩-٤٠؛ ارنست باركر، الحروب الصليبية، ترجمة: السيد الباز العريني (بيروت: دار النهضة العربية، د.ت) ص١٩؛ محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية، ط٢ (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٩٩م) ص١٩.

قاورت اعمال فارس وشيراز ومالاً وان يزوج بخاتون الشقيرية زوجته وغير ذلك من الوصايا، فمن رضي أُقر على ذلك وإلا قوتل[1].

قضى السلطان الب ارسلان نحو من عشر سنين في دست السلطنة لم يزور بها بغداد لاشتغاله "بمشاكل السلطنة السلجوقية واحوالها"[2].

وبذلك انتهت حياة هذا السلطان الشجاع الذي يصفه جميع المؤرخون بالشدة والحزم والمهابة، فضلاً عن القساوة تجاه اعداءه ومخالفيه[3]. ليبدء عهد ابنه الشاب ملك شاه الذي ربما يعدَّ مكملاً لعهد ابيه السلطان الب ارسلان مع الاختلاف في محور معين هو أن دور الوزير نظام الملك الطوسي في عهد السلطان الب ارسلان كان دور وزير تنفيذ، فعلى الرغم مما كان يتحلى به هذا الوزير من حنكة ورجاحة عقل ودهاء فقد كان "يخشى (السلطان الب ارسلان) ويهابه ويحسب له الف حساب" لاسباب منها ان الب ارسلان كان حنفياً وينتقص مذهب وزيره نظام الملك وهو المذهب الشافعي[4]، ثم ان تقارب العمر بين الرجلين يولد شعور لدى السلطان انه يتعامل مع الند بالند له.

---

(1) انظر: العماد الاصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص٢١٢؛ صدر الدين الحسيني، زبدة التواريخ، اخبار الامراء والملوك السلجوقية، ص١١٩؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٢٧١.

(2) انظر: ظهير الدين النيسابوري، السلجوقية (سلجوق نامة)، ص١٢.

(3) يذكر الراوندي: ان الخوف كان يستولي على قلب كل رسول يتقدم اليه. انظر: راحة الصدور، ص١٨٦؛ وقال عنه صدر الدين الحسيني: كان صارماً ديناً عادلاً منصفاً. انظر: زبدة التواريخ، ص١١٩؛ فيما قال عنه ابن النظام اليزدي: لم يكن مجلس مخالفيه سوى مقبرة مطمورة. انظر: العراضة في الحكاية السلجوقية، ص٤٦. فيما يروي ابن الجوزي، وكذلك سبطه ان الصالحين من اهل بخارى دعوا عليه لما عبر جنده جيحون ونهب الاهالي، فاستجاب لهم الله وقتل. انظر: المنتظم، ج١٦، ص١٤٥؛ مرآة الزمان، ج١٩، ص٢٧٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٨، ص٣١٧.

(4) انظر: نظام الملك الطوسي، سياست نامه او سير الملوك ، ص١٣٣.

اما في حالة السلطان ملك شاه، فقد كان الوزير نظام الملك بمثابة وزير تفويض كامل، بموجب التفويض الكامل الذي فوضه اياه السلطان[١] وهذا ودون ادنى شك يذكرنا بالتفويض الذي كان قد منحه الخليفة الخامس هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٧-٨٠٩م) لوزيره يحيى بن خالد البرمكي[٢].

---

[١] يورد ابن الاثير تفويض ملكشاه لوزيره نظام الملم فيقول: رددت الامور كلها كبيرها وصغيرها اليك، فأنت الوالد. انظر: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٥١.

[٢] يورد الطبري نص التفويض وهو: قد قلدتك امر الرعية، واخرجته من عنقي اليك، فاحكم في ذلك ما ترى من الصواب. انظر: ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١١هـ/٩٢٣م) تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: عبد أ. علي مهنا (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٩٩٨م) ج٧، ص١٩٠.

بغداد والتجاذبات المذهبية، ابان حكم السلطان ملك شاه (ربيع الأول ٤٦٥-شوال ٤٨٥/ايلول ١٠٦٣-تشرين الاول ١٠٩٢م).

اهم تداعيات تولي السلطان ملك شاه قسيم أمير المؤمنين(١)

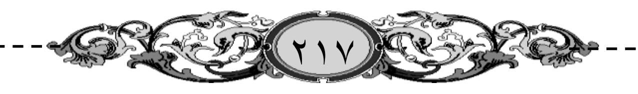
وقع الارجاف في بغداد بمقتل السلطان الب ارسلان محمد بن داود في ربيع الأول سنة ٤٦٥هـ/تشرين الثاني سنة ١٠٧٢م، ولكن الأمر كان غير متوقع من دار الخلافة فلم يشأ ديوان الخلافة ان يستغل الأمر بظهور حالة من الفوضى التي ربما ينتهزها العيارون في اعمال النهب، ولذلك "نودي من دار الخلافة في الحريم بالتوعد لمن يتفوه بذلك"(٢).

ولما تاكد خبر مقتل السلطان الب ارسلان بعد أن وردت الكتب الى بغداد من الاهواز والري بصحة ذلك جلس الوزير فخر الدولة ابن جهير للعزاء في جمادي الأولى سنة ٤٦٥هـ/كانون الثاني ١٠٧٣م، وخرج توقيع الخليفة القائم بأمر الله في الجزح، فيما اقامت زوج الخليفة وهي اخت السلطان الب ارسلان "خاتون" "العزاء

---

(١) السلطان ملك شاه: وكنيته ابي الفتح بن ابي شجاع محمد الب ارسلان ابن داود بن ميكائيل بن سلجوق الملقب بجلال الدولة، في عهده الطويل الذي قارب العشرون عاماً اتسعت دولة السلاجقة وامتدت من اليمن الى اقصى بلاد الترك، ودبر امر دولته وزير ابيه نظام الملك الطوسي الذي اطلق عليه الاتابك بمعنى الامير الوالد، كان مغرماً بالصيد حتى قيل انه انشأ منارات للقرون من صيده. توفي وهو في السابعة والثلاثون من عمره، وقيل في موته اقوال منها انه سُمْ، وقيل انها كرامة للخليفة المقتدي بأمر الله الذي طلب منه ملك شاه مغادرة بغداد لاتخاذها مقراً شتوياً له. كان من بين عشرة ابناء لألب ارسلان اختاره منهم ابيه ليتولى مكانه في السلطنة توفي في سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م ودفن بالشونيزيه ببغداد وقيل لم يصلِ عليه احد. للمزيد عن ترجمته وسيرته انظر: الراوندي، راحة الصدور، صص: ١٩٧-٢١٠؛ العماد الاصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، صص: ٢١٣-٢٢٧؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، صص: ٣٠٨-٣١٣؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، صص: ٤٤٤-٤٥٠.

(٢) انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص١٤٤.



والمناحة" على اخيها، واقيمت الخطبة للسلطان الجديد، وذلك في الثامن من رجب سنة ٤٦٥هـ/الثاني عشر من نيسان ١٠٧٣م[١].

اما السلطان ملك شاه فكان مهتماً بتوطيد سلطنته، فدحر عمه قاورت الذي ركب من عُمان البحر وبادر بالمسير الى الري املاً في الجلوس على تخت السلطنة باعتباره اخ السلطان السابق، وان ملك شاه مازال شاباً قليل التجربة، لكن السلطان ملك شاه وبمساعدة وزيره نظام الملك كان هو الأسرع بالوصول الى قاعدة السلطنة والاستحواذ على الاموال والسلاح، وهذا مما ساعد السلطان الجديد في الإنتصار على عمه وقتله بعد ذلك وسمل عيني اولاده[٢]، والاهم في هذا السياق هو تفويض ملك شاه الامور كلها بالسلطنة "كبيرها وصغيرها" الى الوزير نظام الملك الطوسي والذي سماه الاتابك وتعني الأمير الوالد[٣] بعد أن خلع عليه واعطاه بلدة طوس[٤] وبذلك بدت الامور محسومة للسلطان ملك شاه خاصة بعد وفاة اخيه الياس، فسرَّ السلطان بذلك الا ان الوزير المحنك نظام الملك

---

(١) انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص١٤٥؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٤٨؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٢٦٠.

(٢) تذكر غالب المصادر ان قاورت خنق بوتر قوس. انظر: العماد الاصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص٢١٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص١٤٦؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٥٠. فيما يذكر الراوندي انه سقي سماً. انظر: راحة الصدور وآية السرور، ص٢٠٠.

(٣) انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٥١؛ وينظر الى نظام الملك بأنه اول من لقب بالاتابك. انظر: جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) الوسائل في مسامرة الاوائل (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م)، ص٧١.

(٤) انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٢٦٢؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١٠، ص١٠٦.

طلب من السلطان اظهار الحزن قائلاً له" "لا تظهر الشماته به واقعد في العزاء، ففعل واظهر الحزن عليه"[١] وذلك سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م.

التجاذبات المذهبية في بغداد ابان سلطنة ملك شاه:

اولى بوادر التجاذب المذهبي تجاه الشيعة الإمامية الإثني عشرية في بغداد وقعت بعد جلوس السلطان ملك شاه على تخت السلطنة، والتي كانت في شعبان سنة ٤٦٥هـ/نيسان ١٠٧٣م، حيث "ثارت الفتنة بين أهل الكرخ وباب البصرة والقلائين، احرق فيها من الكرخ الصاغة، وقطعة من الصف وقتل فيها خلق كثير"[٢]، والظاهر ان الفتنة استمرت واتصلت لأيام من شهر شعبان، اذ "قصد اهل المحال (وهم من أهل السنة) الكرخ فقاتلوا اهلها واحرقوا فيها شيئاً كثيراً"، "فخرج الشحنة فأخذ من ثياب اهل البصرة والقلائين ما حمل اصحابه على البغال"[٣].

ويعلق الحافظ ابن كثير الدمشقي بأن الأموال التي اخذت من باب البصرة، اخذها المتولي (يسميه ابن الجوزي بـ الشحنة) انتقاماً و "جناية لهم على ما صنعوا"[٤] بحق اهل الكرخ، ولا يذكر احد ممن اورد اخبار هذا التجاذب المذهبي الذي حصل في شعبان من سنة ٤٦٥هـ/نيسان ١٠٧٣م سبباً لهذه الواقعة، وابن الجوزي يذكر في وفيات ٤٦٥هـ/١٠٧٣م وفاة احد المحدثين قبيل حادثة شعبان بنحو من اربعة اشهر في ربيع الآخرة وان جنازته اجتازت بالكرخ وحدث بسببها فتنة عظيمة[٥] والظاهر ان ما جرى بعد ذلك من تجاذب مذهبي كان من اثر تراكمات

---

[١] انظر: ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٢٧٤. والياس يسميه ابن الاثير "اياز". انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٦١.

[٢] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص١٤٥.

[٣] انظر: المصدر نفسه، ص١٤٧.

[٤] انظر: البداية والنهاية، مـ٨، ص٣١٧.

[٥] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص١٤٨. والجنازة تعود الى الحسين بن محمد، ابو محمد الهاشمي والذي يقول عنه الذهبي: ليس بثقة. انظر: الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١٠، ص١٦٢.

حوادث وقعت ثم ما تلبث ان تنفجر لاحقاً في اية لحظة، فمثلاً في شعبان من عام ٤٦٦هـ/نيسان ١٠٧٤م وبعد اقل من شهرين من حادثة الفيضان الكبير الذي اصاب حاضرة الخلافة العباسية بغداد[١]، حدثت فتنة تجاذب مذهبي بين القلائين والكرخ، وجعلوا يشتمون الشحنة ومن قلده من متولي الديوان لدى السلاجقة (ويراد به الوزير نظام الملك) فعبر اليهم الشحنة، وقتل منهم واحرق اماكن[٢].

ولا يبين ابن الجوزي أي الفريقين كان يشتم الشحنة ومن قلده مسؤولية متابعة الفتنة، وكذلك لا يبين الاماكن التي تم حرّقها. لكن يمكننا تخمين ذلك بالرجوع الى فتنة عام ٤٦٥هـ/١٠٧٣م حينما انتقم من اسماه ابن كثير بـ"المتولي" لأهل الكرخ من اهل باب البصرة[٣].

مرت السنوات من ٤٦٧-٤٧٢هـ/١٠٧٤-١٠٧٥-١٠٨٠م دون أن تذكر اية تجاذبات مذهبية تجاه الشيعة الإمامية الأثني عشرية في بغداد، إلا ان هذهِ الفترة شهدت وفاة الخليفة القائم بأمر الله سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٣م، بينما شهدت بغداد بهذهِ الفترة من تداعيات تجاذب مذهبي حدث بين الشافعية الأشاعرة والحنابلة كما سنلاحظ ذلك لاحقاً.

---

[١] انظر الى تداعيات الفيضان الكبير هذا والذي بسببه غرق كل الجانب الشرقي من بغداد، واجزاء من الجانب الغربي في: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، صص: ١٥٤-١٥٧؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٥٩؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، صص: ٢٧٦-٢٧٩.

[٢] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص١٥٧.

[٣] انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٨، ص٣١٧. والخبر ذكرناه سابقاً.

وفاة الخليفة القائم بأمر الله:

في صفر من العام ٤٦٧هـ/ايلول ١٠٧٤م مرض الخليفة القائم بأمر الله مرضاً شديداً، وحرصاً من اهل بغداد والذين لهم اموالاً في الجانب الشرقي من بغداد، حيث تقع دار الخلافة وقصورها وحريم دور الخلافة، فإنهم بادروا الى نقل اموالهم تلك الى الجانب الغربي املاً في حفظها فيما لو حصلت حالات من النهب في الجانب الشرقي في حالة وفاة الخليفة. فضلاً عما بدى لأهل بغداد انه فيضان وشيك على غرار ما حدث سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م[١].

ولم يطل الأمد طويلاً بالخليفة العباسي القائم بأمر الله، فقد توفي في يوم الاربعاء ليلة الخميس الثالث عشر من شعبان سنة ٤٦٧هـ[٢]/السادس والعشرون من آذار سنة ١٠٧٥م. بعد أن عهد بالخلافة الى حفيده الوحيد عبد الله بن ذخيرة الدين محمد بن الخليفة القائم بأمر الله، واشهد الشهود على هذا العهد[٣]، ووصى حفيده باتخاذ وزيره ابو نصر محمد بن محمد فخر الدولة ابن جهير وزيراً له[٤].

---

[١] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص١٦١؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٢٩١.

[٢] في الوقت الذي قيل ان الخليفة القائم بعيد اعادته من الحديثة بعد انهاء حركة البساسيري، انه قد زهد بالاكل، ولا يتناول الطيبات، واقتصاره على ثردة، واستنكر من جاريته التي وضعت له ثردة في مرق دجاجة. فأن نفس المصدر يذكر ان الخليفة القائم لحقه ماشر (ورم صفراوي يصيب الوجه) على اثر اكله كماة مشوية في جدي وقطايف بدهن الفستق. انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٢٩٩، ص٣٠٠.

[٣] انظر: ابن الجوزي، المننظم في تاريخ الملوك والامم، ج١٦، ص١٦٢؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٦٢؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، ج١٩، ص٣٠٠.

[٤] يذكر سبط ابن الجوزي ان الخليفة القائم اوصى ولي عهده بقوله: قد استخدمت ابن ايوب وابن المسلمة وابن دارست وابن جهير، فما رأيت اوفق واصلح من ابن جهير وولده الصحيح المقاصد المأمون على الدولة والمال، الجيد الرأي والمقال، فلا تعدل عنهما ولا تخالفهما، واوصاه بهما. انظر: مرآة الزمان، ج١٩، ص٣٠٠.

ومن المفارقات التي تستوقفنا ان الأسواق غلِقتْ، وعلقت المسوح، وفرشت البواري، وناح النواح، ولطم الهاشميات في الحريم ليلاً تعزيةً بوفاة الخليفة القائم بامر الله[1]، وهذهِ الاعمال والمراسم هي نفسها التي قام بها اهل الكرخ في يوم العاشر من محرم "عاشوراء" سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٥م على عادتهم القديمة، الا ان اهل المحلات من غير الشيعة في بغداد انكروا هذا الفعل، وقصدوا دار الخلافة وهم يلعنون اهل الكرخ، واستنكرها الخليفة القائم نفسه[2].

وكان العيارون في بغداد يقامرون على موت الخليفة القائم بأمر الله ويفترضون على موت الخليفة لينهبوا[3]، فأحضر ابو الاغر نور الدولة دبيس بن مزيد الاسدي خوفاً من فتنة العيارين واللصوص.

واحترز الوزير فخر الدولة ابن جهير واقام الغلمان حراساً على ابواب دار الخلافة وعلى الدروب، لكن الهدوء ساد بغداد على قول سبط ابن الجوزي و "كأنه لم يمت سلطان، ولا فقد صاحب العصر والزمان"[4].

---

[1] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٣٠٢.

[2] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٩٤. وسبق وان تناولنا تلكم الاحداث.

[3] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص١٦٢.

[4] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٣٠٢. ويلاحظ ان سبط ابن الجوزي يسمي الخليفة العباسي القائم بامر الله بـ صاحب العصر والزمان، وهي التسمية التي اختصت بها الشيعة الامامية الاثني عشرية للامام الثاني عشر المهدي المنتظر. انظر: ابو الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراكجي الطرابلسي (ت٤٤٩هـ/١٠٥٧م) كنز الفوائد، تحقيق: الشيخ عبد الله نعمة (بيروت: دار الاضواء، ١٩٨٥م) ج١، ص٣٤٥؛ وانظر ايضاً: علي بن محمد بن احمد المالكي الشهير بأبن الصباغ (ت٨٥٥هـ/١٤٥١م) الفصول المهمة في معرفة الائمة، تحقيق: سامي الغريري (قم: دار الحديث للطباعة والنشر، ١٤٢٢هـ) مـ٢، ص١١٠٤.

عهد الخليفة المقتدي بأمر الله:[1]

(١٣ شعبان ٤٦٧٠١٥ محرم ٤٨٧هـ/٢٦ اذار ١٠٧٥-٤شباط ١٠٩٤م)

بويع للخليفة العباسي المقتدي بأمر الله بنفس يوم وفاة جده، وابتدأ عهد الخليفة المقتدي لأمر الله بجملة اجراءات اريد بها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في سياسته الداخلية منها منع الاختلاط بين الجنسين وذلك بمنع "الملاحين ان يحملوا الرجال والنساء مجتمعين" وفي نفي المفسدات من الحريم وبيع دورهن وابعادهن الى الجانب الغربي من بغداد، فضلاً عن منع "اللعب بالطيور لاجل الاطلاع على سطوح الناس" الى غير ذلك من الأمور[2].

وقد لا نجد تفسير مقنع لنفي المفسدات الى الجانب الغربي من بغداد، الا لأبعادهن عن دور الخلافة التي تقع على نحو ما اشرنا في الجانب الشرقي، وهنا

---

[1] وهو عبد الله بن ذخيرة الدين ابي العباس محمد بن القائم بامر الله وكنيته ابو القاسم، ولد سحر يوم الاربعاء ٨ جمادي الاولى سنة ٤٤٨هـ/١٧ تموز ١٠٥٦م، امه ام ولد ارمينية تسمى: ارجوان، وتدعى قرة العين. ادركت خلافته وخلافة ابنه وابن ابنه، توفي ابيه الذخيرة وامه حامل به، كان عمره دون الاربع سنين في نوبة البساسيري، حيث استتر وتم ارساله مع امه الى ابي الغنائم محمد بن علي بن المحلبان حيث سار به الى حران، واعيد الى بغداد بعد عودة جده القائم بامر الله الى قاعدة الخلافة بغداد. ضيق عليه السلطان ملك شاه السلجوقي وامهله عشرة ايام لمغادرة بغداد، لكن السلطان توفي وبطل تدبير السلطان السلجوقي باتخاذ بغداد مقراً شتوياً له. توفي فجأةً في الخامس عشر من محرم سنة ٤٨٧هـ/الرابع من شباط ١٠٩٤م عن ثمان وثلاثون عاماً وثمانية اشهر. وخلافته تسعة عشر عاماً واشهر. للمزيد عن سيرته وترجمته انظر: ابو يعلى حمزة ابن القلانسي (ت٥٥٥هـ/١١٦٠م) ذيل تاريخ دمشق (بيروت: مطبعة الاباء اليسوعيين، ١٩٠٨م) ص١٢٥؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص١٠؛ ابن الاثير، الكامل، ج٨، صص: ٣٦٦-٣٦٧؛ ابن الكازروني، مختصر التاريخ، صص: ٢١٠-٢١٤؛ القاضي ابن واصل، التاريخ الصالحي، ج٢، ص١٤٨؛ شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري (ت٧٣٣هـ/١٣٣٣م) نهاية الارب في فنون الادب، تحقيق: عبد المجيد ترحيني (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م) ج٢٣، ص١٣٩.

[2] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص١٦٦؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٢٩٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٨، ص٣٢٢.

ايضاً يثار تساؤول مهم هل ان هذهِ الاجراءات قد شملت الجانب الشرقي من بغداد دون الجانب الغربي منها. فمن المعلوم ان الكرخ كانت من اهم مناطق الجانب الغربي وهو يضم تجمع الشيعة الإمامية، فإن صح ان هذهِ الاجراءات طالت الجانب الشرقي دون الغربي من بغداد ونفيت المفسدات الى الجانب الغربي، فيمكن أن يكون القصد من ذلك محاولة لايجاد مجتمع بغدادي في الجانب الشرقي يراد منه ابعاد كل تلك الأمور عن دور الخلافة والدواوين المتواجدة فيه.

اخذ بيعة السلطان السلجوقي للخليفة المقتدي بأمر الله:

تأكيداً على اهمية دور السلطنة السلجوقية في دولة الخلافة العباسية آنذاك فان الخليفة المقتدي بادر الى ارسال الوزير ابن جهير مصحوباً بالهدايا والأموال الى السلطان ملك شاه لاخذ البيعة وذلك بعد نحو شهر من تسنمه دست الخلافة[١]، ومع ذلك فان الخليفة المقتدي ارسل من الديوان احد القضاة صحبة مؤيد الملك ابن نظام الملك الى والده الوزير نظام الملك الطوسي من اجل أن يسير الى صاحب غزنة، ويأخذ البيعة على صاحبها[٢]، وفي هذا الخبر يتبين لنا حرص ديوان الخلافة في بغداد على أخذ البيعة للسلطان السلجوقي من صاحب غزنة وامراء الاطراف على الرغم من هيمنة السلاجقة على مقدرات دولة الخلافة[٣].

---

[١] انظر: العماد الاصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص٢١٥؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٢٩٦.

[٢] انظر: العماد الاصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص٢١٥؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٣٠٨.

[٣] كان نور الدين ابو الاغر دبيس بن مزيد الاسدي قد أُحضر لبغداد صباح اليوم الذي توفي به الخليفة القائم بامر الله وحضر مبايعة الخليفة المقتدي واعطى لواء ابيض مكتوب عليه بسواد، وامتنع عن الخلع التي عرضت عليه حزناً على الخليفة الراحل. انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٣٠٢.

حالات التجاذب المذهبي:

كنا قد نوهنا الى حالة من عدم وجود تجاذب مذهبي في بغداد تجاه الشيعة الامامية في بغداد ابان خلافة المقتدي بأمر الله وحتى سنة ٤٧٢هـ/١٠٨٠م، ولكن حصل تجاذب مذهبي بين الحنابلة والأشعرية. وأول هذه الأحداث كان في شوال سنة ٤٦٩هـ/مايس ١٠٧٧م، في اثر ورود احد رجالات الشافعية الأشعرية ابي نصر القشيري[١] مجلس بالنظامية وتكلم فيما ينسب الى الحنابلة من التجسم، وكان امام الشافعية في وقته ابو اسحق الشيرازي والاشعري الصوفي ابو سعد الصوفي من مناصريه وهما من اختص بهما منشأ النظامية الوزير نظام الملك الطوسي. وحاول الصلاة في جامع الرصافة، والذي كان الشريف ابو جعفر الهاشمي مقدم الحنابلة آنذاك مختص به، وانتقل التجاذب بين الطرفين الى العلن، وبمشاركة العامة مما ادى الى قتل شخص لم يذكر اسمه، ويزعم ابن الجوزي ان الأشاعرة صاحوا على باب النوبي بشعار الخليفة الفاطمي المستنصر بالله "يا منصور" وهم بذلك يتهمون ديوان الخلافة العباسية "تهمة للديوان بمعرفة الحنابلة، وتشنيعاً عليه"، ولم يقف الامر عند هذا الحد بل اظهر الامام ابو اسحق الشيرازي عزمه على مغادرة بغداد ربما للذهاب لمقابلة وزير السلطان نظام الملك والشكوى من مخالفي الشافعية الأشعرية، لكن

---

[١] وهو عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري، ابن صاحب "الرسالة القشيرية"، وهو الرابع من اولاده من زوجته بنت ابي علي الدقاق، درس على ابيه ومن ثم على مقدم الشافعية الاشعرية امام الحرمين وغيره من الاشاعرة، قصد الحج عن طريق بغداد، فجلس ببغداد بالنظامية وكانت لمجالسه اثارة فيما سمي "بفتنة القشيري" سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٧م. توفي في ٢٨ جمادي الاخرة ٥١٤هـ/١٦ ايلول ١١٢٠م ودفن بنيسابور. للمزيد عن سيرته وتوابعه الكلامية. انظر: ابراهيم بن محمد بن الازهر الصرفيني، المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور لعبد الغافر اسماعيل بن عبد الغافر بن محمد الفارسي (ت٥٢٩هـ/١١٣٥م) تحقيق: محمد احمد عبد العزيز (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٩م) صص: ٣٢٣–٣٢٥؛ ابو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني (ت٥٦٢هـ/١١٦٧م) الانساب ، وضع حواشيه : محمد عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م) ج٤، ص٤٨٢؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٤، صص: ١٠٣–١٠٧.

الخليفة على ما يبدو لم يكن يريد ان يغضب الوزير نظام الملك، فارسل من رده عن رأيه، فيما أُرسل ابو بكر الشاشي وغيره الى نظام الملك "بشرح الحال" وكان غضب الوزير نظام الملك منصباً على الوزير فخر الدولة ابن جهير واتهامه بتسليط الحنابلة. وانتهى الامر بمصالحة شكلية، وافراد موضع للشريف ابو جعفر في دار الخلافة بعيداً عن الاحتكاك بمتولي المدرسة النظامية وطلابها، فيما يتهم الحنابلة مناؤيهم من الاشاعرة بتسميم مداس الشريف ابو جعفر ووفاته[١].

ولنا ان نتسائل عن صحة مناداة الشافعية بشعار المستنصر الفاطمي، هل هو حقيقة ؟ ام انه من مرويات الحنابلة تلك التي اوردها ابن الجوزي، ونقلها عنه سبط ابن الجوزي. على أي حال فأن هذهِ التجاذبات تظهر وبشكل واضح مداراة جانب الشافعية الاشاعرة المقرون بتأييد الوزير خواجه نظام الملك الطوسي[٢].

وتجددت الفتنة بين الحنابلة والاشاعرة في ٢٥ شوال سنة ٤٧٥هـ/١٠ آذار ١٠٨٣م، عندما جلس ابو القاسم المغربي[٣] في جامع المنصور وصار يشنع على

---

[١] انظر الى تداعيات هذهِ الفتنة في: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، صص: ١٨١-١٨٣؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، صص: ٣٢٦-٣٣٠. وكما هو معلوم ان السم لا ينفذ الى جسم الانسان الا عن طريق الاستنشاق بالانف او عن طريق الفم او عن طريق جرح يخترق الجلد، اما عن طريق المداس فليس له تاثير الا ان كانت القدم نفسها فيها تقرحات ينفذ السم من خلالها الى الدم والدورة الدموية.

[٢] يورد ابن الجوزي في صيد الخاطر رأي مفاده : "كان المقصد قطع الفتن واصلاح الرعية، فأنه اهم للسلطان من التعصب لمذهب" وينظر الى هذا الرأي بأنه مخرج وبتبرير مناسب تجاه الاجراءات التي اتخذت بحق الشريف ابو جعفر الهاشمي من قبل السلطة الحاكمة وقتئذ والمتمثلة بالخليفة المقتدي والوزير نظام الملك. انظر: صيد الخاطر، ص١٨٠.

[٣] وهو : عتيق بن عبد الله البكري من ولد محمد بن ابي بكر، الملقب من الديوان بـ"علم السنة" كان عارفاً بالكلام على مذهب الاشعري، عقد مجالس الوعظ بالنظامية وبجامع المنصور، توفي ببغداد سنة ٤٧٥ وقيل ٤٧٦هـ/١٠٨٣ او ١٠٨٤م ودفن عند قبر ابو الحسن الاشعري. للمزيد عن سيرته انظر: الذهبي، تاريخ الاسلام، مـ١٠، ص٣٠١؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٦، ص١٨٠.

الحنابلة بقوله "**مَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا**"[١] ويردفها بالقول ما كفر احمد (بن حنبل) ولكن اصحابه كفروا فثارت فتنة كبيرة بسبب ذلك بين الفريقين من اشاعرة وحنابلة، وما نتج عنها ان يوكل بدور بني الفراء[٢].

اما ما يخص حالات التجاذب المذهبي تجاه الشيعة الإمامية الأثني عشرية فإن اولى حالات التجاذب هذهِ حدثت في ذي الحجة سنة ٤٧٣هـ/مايس ١٠٨١م حيث قبض على شخص يعرف بأبن الرسولي الخباز، وعلى عبد القادر الهاشمي البزاز، لانهما كانا قد عملا على تأسيس ما يعرف اليوم "بالتنظيم" اتخذ من أمر الفتوة غطاءً له، فعمل ابن الرسول مُصنفاً في "معنى الفتوة وفضائلها وقانونها"، وجعل عبد القادر الهاشمي "المتقدم على من يدخل في الفتوة، وأن يكونوا تلامذته"، بل انه كتب لكل منهم منشوراً وقلده صقعاً، ولقب نفسه بـ كاتب الفتيان، ويبدو ان هذا التنظيم كان يمت بصلةٍ الى الفاطميين في مصر من خلال خادم "لصاحب مصر" في المدينة المنورة يعرف بـ خالصة الملك ريحان الاسكندراني[٣]، "فندب نفسه لرياسة الفتيان".

ثم ان هذا "التنظيم" كان قد اتخذ من "مسجد براثا" مقراً لاجتماعاتهم، وكان مسجد براثا الذي يعد احد الجوامع الستة التي تقام بها صلاة الجمعة والجماعة[٤]، ولكن الجامع كان مسدوداً والباب مهجوراً وقتئذ، ففتح ورتب فيه من يراعيه، من قبل اهل الديوان ولما علم اصحاب عبد الصمد من الحنابلة، انكروا ذلك وتقدموا بالشكوى

---

[١] سورة البقرة، الاية: ١٠٢.

[2] انظر لتفاصيل ذلك في : ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٨٨؛ الذهبي، العبر، ج٣، ص٢٨٣ وما بعدها؛ وبنو الفراء هم ذرية القاضي ابو يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي (ت٤٥٨هـ/١٠٦٦م). انظر ترجمته في: طبقات الحنابلة، ج١، صص: ٥-٧.

[٣] لم نعثر على ترجمته فيما توفر لدينا من مصادر.

[٤] والمساجد الجامعة الستة هي: جامع المدينة، جامع الرصافة، جامع دار الخلافة، جامع براثا، جامع قطيعة ام جعفر، جامع الحربية، وفي سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م تعطلت في مسجد براثا فلن يصّل فيه. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤، ص٣٦٥.

الى الديوان، واتهموا القائمين على مسجد براثا بانهم يدعون "لصاحب مصر" وان دعوتهم التي يقيمونها للفتوة هي حقيقةً للتستر، "لجمع الكلمة على هذا الباطن" ويقال انهم عوقبوا فيما نهبت دورهم، وهرب من هرب من العوام، واخذت الفتاوي عليهم من الفقهاء بوجوب كفهم عن هذا الفساد[1]، والملاحظة الجديرة بالاهتمام ان امر هذا التجاذب كان بين جماعة منظمة من المجتمع البغدادي والسلطة، ولا ينكر ان لاصحاب عبد الصمد الحنابلة دور في الابلاغ عنهم الى الديوان، ولكن لم تكن من نوع التجاذبات التي تجري بين أهل الكرخ الإمامية وما يحيط بها من محلات يقيم فيها الحنابلة والتي كان يصاحبها عنف وحرق وقتل بين الطرفين.

ومرت السنون وحتى سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م دون ان تذكر المصادر التاريخية لحالات من التجاذب المذهبي تجاه الشيعة الامامية.

ولكن حدث في جمادي الاولى سنة ٤٧٨هـ/آب ١٠٨٥م ان اجتاح حاضرة الخلافة وباء الطاعون حتى يذكر ابن الجوزي بهلاك دروب كاملةً من محلات الجانب الغربي، وايضاً هلاك عامة اهل باب البصرة، واهل حربي وهم جلهم من الحنابلة، وتوالت الاوبئة من جدري الاطفال، والخوانيق والأورام بل تجاوزت الاوبئة الانسان الى الدواب والمواشي[2]. ثم اعقب هذا الوباء الذي عم بغداد حالة من التجاذب المذهبي التي عادة ما تكون بين "اهل الكرخ ومحال السنة" فنهبت قطعة من نهر الدجاج وقلعت الأخشاب حتى من المساجد، ولم يكف الطرفان عن اعمال العنف بينهما إلا بعد تدخل الشحنة وهو بمثابة ممثل السلطنة السلجوقية ببغداد واشبه ما يكون بالحاكم العسكري بها الذي ضرب "خيمَّهُ فانكف الشر"[3].

---

[1] انظر لكامل الخبر في: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٢١١؛ ومختصراً في: ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٨، ص٣٣٠.

[2] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٢٤٠؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٣٩٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٨، ص٣٣٦.

[3] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٢٤١؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٠٤؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، مـ١٠، ص٢٤٣؛ العليمي، مرآة الجنان، ج٣، ص٩٣.

ويستغرب ابن كثير الدمشقي لحال بغداد التي ضربتها نائبة الموت الذريع بالطاعون فما لبثوا إلا ويتجاذب اهلها لاجل المذهب فيحرقون ويقتلون ويتسابون[١] ولا تذكر أي من المصادر التاريخية اسباب هذهِ الفتنة، والغريب في الأمر انه بعد نحو من ثلاثة اشهر من هذهِ الاحوادث، أي في ذي القعدة سنة ٤٧٨هـ/شباط ١٠٨٦م "غرقت عامة منازل بغداد" على اثر وقوع سيل جارف[٢].

لكن الامر لم يتوقف عند هذا الحد بل عادت "الفتن بين اهل الكرخ والسنة (من الحنابلة) وذلك في ذي الحجة / اذار من نفس العام، ويبدو ان الشحنة وفي محاولة منه في السيطرة على الأمور عبر الى الجانب الغربي لاخماد الفتنة، لكن ابن الجوزي يذكر انه احرق باب البصرة وقتل هاشمياً، فعبر اهل البصرة الى الديوان، فبُعثَ من منع الشحنة منهم، واصلح بينهم[٣].

وربما يكون في توقيت هذهِ الفتنة بشهر ذي الحجة لها دلالاتها باحتفال الشيعة بيوم الغدير، لكن ابن الجوزي لم يذكر ذلك وهو المصنف الوحيد من الحنابلة طبعاً الذي دأب على ذكر تلك التجاذبات المذهبية تجاه الشيعة الذين ينبزهم بـ"الرافضة". كما نلاحظ ان ابن الجوزي يحاول أن يبين انحياز ممثل السلطنة السلجوقية في بغداد "الشحنة" السلجوقي الى جانب الشيعة[٤] على خلاف مواقف اسياده السلاجقة من متولي الحكم في الري واصفهان، والظاهر ان الشحنة كان متعسفاً، يأخذ الأموال ومن الطرفين، وهذا ما حدث في سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م عند

---

[١] يذكر ابن كثير: كثرت الامراض والحمى بالعراق، واعقب ذلك موت الفجأة، ثم ماتت الوحوش بالبرية، ثم تلاه موت البهائم حتى عزت الالبان واللحمان، ومع ذلك كله وقعت فتنة عظيمة بين الروافض والسنة، فقتل خلق كثير. انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٨، ص٣٣٦.

[٢] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٢٤١.

[٣] انظر: المصدر نفسه، ج١٦، ص٢٤٢.

[٤] قد ينظر الى موقف الشحنة تجاه الحنابلة هو تحصيل حاصل عدو عدوي صديقي، فيستغل التجاذبات بين الحنابلة والامامية لصالح التجاذبات الشافعية الاشعرية تجاه الحنابلة، وبذلك يكون موقفه لاحباً بالامامية ولكن بغضاً بالحنابلة.

مقتل أحد مساعديه المدعو منفوخة المسلحي في الكرخ، فتم القبض على المتهمين "واخذ منهم اموالا" ولذلك "اتفقت الشيعة والسنة على الاستغاثة على الشحنة"، وأُمر برد الاموال التي استولى عليها، ويبدو ان المسلحي الذي قتل كان ممن يعسف الناس ويظلمهم في الجانب الغربي فعمد العوام الى قتله. وعمل اهل الجانب الغربي من بغداد على اخراج جثة القتيل الى باب الشحنة وحرقه بعد رد الاموال التي استولى عليها الشحنة[١].

ولا يذكر ابن الجوزي من الذي أمر الشحنة برد الأموال التي اخذها من المتهمين بقتل المسلحي. لكن الظاهر ان الامر جاء من سلطة اعلى من الشحنة نفسه ربما من الخليفة من خلال وزيره ابو شجاع الروذرواري المثالي الاخلاق.

كما يلاحظ ان اتفاق السنة والشيعة بهذهِ الحادثة جاء على اثر الظلم الذي اصاب الطرفين.

ونقول في هذا السياق ان هذهِ النوائب التي اصابت بغداد من وباء وفتن وفيضان وبسنة واحدة، كانت في العادة تنسب الى عقوبات ربانية نتيجة التهاون من عباده في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولذلك نرى ان توقيع الخليفة المقتدي بامر الله قد خرج بأن يأمر بالمعروف ويُنهي عن المنكر، "فأريقت الخمور وكسرت الملاهي ونقضت دور اهل الفساد" فضلاً عن ذلك فقد امر الخليفة "بنقض ما علا من دور اليهود، وسد ابواب لهم كانت تقابل الجامع والطلب منهم بخفض الصوت بقراءة التوراة، ولبس الغيار"[٢].

وتم التأكيد على هذهِ الاجراءات بمعنى (الامر بالمعروف والنهي عن المنكر) في محرم ٤٧٩هـ/نيسان ١٠٨٦م. ثم اثيرت الفتنة مجدداً بين "السنة والشيعة" وذلك

---

[١] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٢٥٥.

[٢] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٢٤٣؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٣٩٥.

في صفر / مايس من نفس العام، وادت الى مقتل جماعة من بينهم قاضٍ وخطيب من البيت العباسي[١].

ويذكر ابن الجوزي ان الشحنة والعميد كمال الدين الدهستاني تدخلا وتوليا شؤون البلد وقتال "اهل السنة". وحوصر المتقاتلون من الطرفين فيما تدخل النقيبان العباسيين والطالبيين فجبا الاموال من الطرفين، ونمت الاخبار الى الخليفة الذي امر بحبس النقيبين اللذين "انكرا ما فعلاه. وألزمَ العميد والشحنة برد ما اخذا"[٢].

ويعلق الذهبي على حالة التجاذب هذهِ المرة فيقول: "وكادت الشيعة ان تملك، ثم حجز بينهم الدولة"[٣]. وانا نرى ان في كلام الذهبي شيء من التهويل، فمالذي تملكه الامامية، والخلافة والسلطنة من المخالفين لهم.

كما انا نلاحظ ان هذهِ التجاذبات ما تلبث ان تتجدد وبصورة حادة، وبعد القتل والتغريم الذي ينال الطرفين، فانها تخمد ولا تمت.

لم يقف الأمر عند هذا الحد ففي رمضان / كانون الأول من نفس العام خرج توقيع الخليفة المقتدي بأمر الله يستنكر فيه عدم ذكر "اخمال" صاحبي رسول الله (ص) في مقابر قريش، وان استمرارهم في هذهِ الاخمال هو "جهالة" تستوجب النكال بهم، ويستحقون به الخزي والوبال، وان العتب فيه قد القي على نقيب الطالبيين[٤] في بغداد. والتوجيه بحثهم على ذكر الصحابة على جنائزهم لنيل الثواب في مقابر باب التبن وربع الكرخ، وان يتم التثويب "بالصلاة خير من النوم" وذكر الصحابة في

---

[١] وهو القاضي ابو الحسن ابن القاضي ابي الحسين بن الغريق الهاشمي. انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣١٤.

[٢] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٢٥٦؛ ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص٣١٤.

[٣] انظر: تاريخ الاسلام، مـ١٠، ص٢٤٥.

[٤] كان نقيب الطالبيين وقتذاك هو ابو الغنائم المعمر بن محمد بن احمد بن محمد الحسيني العلوي. انظر: سولاف فيض الله حسن، البيوتات العلوية في العصر العباسي (بيروت: الرافدين للطباعة والنشر، ٢٠١٣م)، ص١٤١.

مساجدهم اسوةً بمساجد أهل السنة، وطالب الخليفة كذلك بالتقدم بمكاتبة الامير ابن مزيد ليجري على هذهِ السُنّة في بلاده[1].

والظاهر ان هذا التوقيع من ديوان الخلافة قد اثار وحرض العامة من أهل السنة على الامامية "الشيعة" في بغداد فما ان انقضى شهر رمضان الا وقامت الفتنة بين الفريقين ونهبت "قطعة من نهر الدجاج" وطرحت النار في الكرخ وكان ينادي البائع على المنهوبات في الجانب الشرقي "هذا مال الروافض وشراؤه وتملكه حلال"[2].

ويلاحظ ان الحجاج الذين كانوا قد نزلوا بغداد وهم في طريقهم الى الديار المقدسة لاداء فريضة الحج كانوا قد اعانوا على اهل الكرخ فانهزموا، وكاد "اهل الكرخ يهلكون". فخرج ابو الحسن بن برغوث العلوي الى مقدم الاحداث من أهل السنة، "فسأله العفو، فعاد عنهم ورد الناس"[3].

---

[1] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٢٥٨. ونص التوقيع هو: انهي ما ارتكب بمقابر قريش في اهمال ذكر صاحبي رسول الله (ص)، رضي الله عنهما، وتورطهم في هذهِ الجهالة، واستمرارهم على هذهِ الضلالة التي استوجبوا بها النكال، واستحقوا عظيم الخزي والوبال، وانما يتوجب العتب في ذلك نحو نقيب الطالبيين ولولا ما تدرع به من جلباب الحلم، واسباب يتوخاها لتقدم في فرضه ما يرتدع به الجهال، فليؤجر باظهار شغل السنة في مقابر باب التبن وربع الكرخ من ذكر الصحابة على الجنائز، وحثهم على الجمعة والجماعة والتثويب بالصلاة خير من النوم وذكر الصحابة على مساجدهم ومحاريبهم اسوة بمساجد السنّة، والتقدم بمكاتبة ابن مزيد ليجري على هذهِ السنّة في بلاده. ((**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**)) (سورة النور، آية: ٦٣)؛ ومما يذكر ان الشافعي في كتابه: الام انه "يكره التثويب" بـ(الصلاة خير من النوم). انظر: ابو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي (ت٢٠٤هـ/٨١٩م) الام، تحقيق: محمد مطرجي، ط٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م) ج١، ص١٧٣ وما بعدها باب حكاية الاذان.

[2] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٢٥٦.

[3] انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص٣١٤.

زيارة السلطان ملك شاه الاولى لبغداد:

في ذي الحجة سنة ٤٧٩هـ/آذار ١٠٨٧م قدم السلطان ابو الفتح ملك شاه الى بغداد وهي المرة الاولى التي يزور بها حاضرة الخلافة العباسية. وحرص فيها على زيارة كل المشاهد في بغداد فبدأ بمرقد ابي حنيفة النعمان وعبر الى قبر معروف الكرخي وكذلك مرقد الامام موسى بن جعفر و "انحدر الى سلمان الفارسي (المحمدي) فزاره"، وزار المشهدين، الحسيني وامر بعمارة سوره ويمم الى مشهد علي (ع) واحسن لمن فيه واجرى الماء من الفرات الى النجف[١].

ومارس السلطان رياضته المعهودة في الصيد في نواحي الكوفة، حتى قيل انه بنى منارة من حوافر وقرون طرائده المصطادة عرفت بمنارة القرون كانت ترى من بعد. وكان السلطان ملك شاه قد قدم بغداد لزفاف ابنته للخليفة المقتدي. فحضر لمقابلة الخليفة، وخُلعَ عليه وتوج وطوق وسأل تقبيل يد الخليفة فلم يجب فاعطي خاتمه فقبله ومرره على وجهه وتقدم امراء العسكر واحداً واحداً وهم يُقبلون الارض بين يدي الخليفة ومنهم من تمسح بحيطان دار الخلافة[٢]، وحمل السلطان ملك شاه بين يديه الالوية فيما ارسل الخليفة اليه الهدايا[٣] في هذه الاجواء الاحتفالية التي حفلت بها بغداد عند زفاف ابنة السلطان، حيث امر الناس بتزيين البلد وقبل اسبوع من الزفاف الذي تم في مستهل صفر ٤٨٠هـ/مايس ١٠٨٧م.

---

[١] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٢٥٩؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٤٠٧. والملاحظ ان سبط ابن الجوزي يذكر ان الاموال التي وزعها السلطان ووزيره في مشهد علي (النجف) على العلويين كانت صدقة وهذا ما لا يقره الشيعة الامامية. انظر: محمد بن الحسن بن علي بن الحسين الحر العاملي (ت١١٠٤هـ/١٦٩٣م) وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٧م) ج٣، ص٤٣١.

[٢] وهذا يذكرنا بما يفعله الشيعة في زيارة اضرحة أئمتهم. انظر: ابن قولويه القمي، كامل الزيارات، ص٤١؛ تقي الدين ابراهيم بن علي بن الحسن بن محمد العاملي الكفعمي (ت٩٠٠هـ/١٤٩٥م) المصباح في الادعية والصلوات والاحراز والعوذات (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٣م) ص٦٣٧.

[٣] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ص٢٦٨.

ولم يطل امد بقاء السلطان ببغداد بعد زفاف ابنته للخليفة حيث خرج الى مقر ادارته باصفهان في منتصف صفر ٤٨٠هـ/منتصف مايس ١٠٨٧م[١]. فكانت هذهِ الزيارة الاولى لحاضرة الخلافة العباسية، ولم يسمح فيها للعسكر الذين صاحبوه في النزول ببيوت اهل بغداد، ولم يتعرض احد من العسكر الى النساء وهن يمشين بين خيامهم، وهذا الامان "لم يروا مثله"، ربما بسبب هيبة السلطان وقوته، وكان قد اشيع ان الاسعار سترتفع بقدوم السلطان الى بغداد فادخر الناس الاقوات، لكن هذا لم يحدث. وهذا مما عزز مكانة هذا السلطان الشاب في نفوس اهل بغداد، وشجعهم في الدخول عليه في امر ظلاماتهم وشكاياتهم "فيكشف مظالمهم، ويزيل شكواهم"[٢].

ويبدو حاله الدعة واحتفالات زفاف عروس الخليفة المقتدي اثمرت بولد ذكر أُسمي جعفر وبعد تسعة اشهر من العرس، فزينت بغداد وتبارى اصحاب السوق من صيارفة وملاحون وغيرهم في مظاهر الزينة والفرح[٣].

لكن حدث بعد ذلك حالة من الاقتتال بين أهل الكرخ واهل باب البصرة لا تذكر المصادر التاريخية اسبابها وكيفية ابتداءها، والملاحظ في هذهِ المرة عزم اهل باب الازج للعبور من الجانب الشرقي الى الجانب الغربي نصرة لأهل باب البصرة فقصدهم الامير سعد الدولة الشحنة ومنعهم من العبور، وقاتلهم واخذ سلاحهم و "انطفأت الفتنة"[٤].

كانت احداث التجاذب المذهبي تتناوب على بغداد وربما ابتدأت بأمر ليس له علاقة بمذهب او ممارسة اية شعائر دينية مذهبية، وانما كان يدور حول التنافس

---

[١] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٢٦٩؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣١٧؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٤١٥، وص٤١٦؛ الذهبي، تاريخ دول الاسلام، ج١، ص٤١٢.

[٢] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٤٠٧.

[٣] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٢٧٠؛ ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص٣١٨؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٤١٦.

[٤] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٢٧٠؛ ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص٣١٩.

بين الفريقين ومحاولة من بعض المحلات المحسوبة على مذهب معين في التمايز عن اخرى مجاورة لها مختلفة معها مذهبياً وهذا ما حصل في صفر من سنة ٤٨١هـ/نيسان ١٠٨٨م عندما شرع اهل باب البصرة في بناء قنطرة جديدة على احد الانهار الصغيرة المجتازة بمحلتهم وعاونهم اهالي بقية المحال من الجانب الغربي ومن الموافقين لهم مذهبياً وأهل باب الازج، وكانوا يعملون باجواء احتفالية (ينقلون الآجر، على ما يقال، باطباق الذهب والفضة وعلى وقع الطبول)، ولا يخفى ان هذه الاجواء كان يشوبها بعض التجاوزات التي تضايقت منها امرأة فاشتكت عند الشحنة الذي حاول انصافها الا ان النتيجة كانت قتلى وجرحى من جراء ذلك.

بالمقابل فان اهل الكرخ وهم مجاوريهم ولكنهم مخالفيهم بالمذهب بنوا عقداً لانفسهم في ربيع الاخر / حزيران من العام نفسه[١] ويعلق ابن الاثير فيقول: ان اهل الكرخ فعلوا كفعل اهل باب البصرة[٢].

فتنة عام ٤٨٢ هـ/١٠٨٩م:

في يوم الخميس عشية التاسع عشر من صفر سنة ٤٨٢هـ/السادس والعشرون م نيسان ١٠٨٩م، كبس اهل باب البصرة الكرخيين، وقتلوا رجلاً وجرحوا آخر، فيما اغلق أهل الكرخ الأسواق، وساروا في "تظاهرة" رافعين المصاحف، واستمرت حال الفتن شهوراً (حتى جمادي الأولى /تموز من نفس العام) "وقتل بينهم خلق كثير"[٣] وانتدب خمارتكين نائب الشحنة لفرض حالة من الامان بين الجانبين فلم يتمكن من اخماد نار الفتنة بين الجانبين، والطريف في الامر ان أهل باب البصرة وهم حنابلة كانوا ياتون ومعهم سبعٌ أَحمر يقاتلون تحته[٤]، ومرة حاولوا قصد

---

[١] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٢٧٧؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٤٢٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٨، ص٣٤٤.

[٢] ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص٣٢٠.

[٣] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٤٢٢.

[٤] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص

باب التبن حيث قبر موسى بن جعفر وحفيده محمد الجواد، ولكن يبدو ان الحكماء من أهل الحربية والهاشميون حالوا دون ذلك ومنعوهم[١]، هنا نرى الخليفة المقتدي يتدخل من جانبه بانتدابه عدداً من القضاة وشيوخ الحنابلة من بينهم المصنف البغدادي الشهير ابو الوفاء بن عقيل، وابو جعفر الخرقي المحتسب، وعبروا الى الجانب الغربي وقراؤا منشوراً على أهل الكرخ فيه تهديد ووعيد "بأخذ علمائهم على ايدي سفهائهم" وان يدينوا بمذهب أهل السنة[٢]، وهي محاولة من الديوان العباسي لفرض حالة من احادية المذهب في بغداد حتى لا تتكرر (حسب قناعتهم) حالات التجاذب المذهبي التي استشرت في بغداد في ذلك الوقت.

ويبدو ان البعض من أهل الكرخ انصاعوا ظاهرياً لمنشور الديوان فكتبوا على مساجدهم بتفضيل الخلفاء الراشدين حسب تسلسل توليهم الخلافة، لكن الامر لم يقف عند هذا الحد، إذ اغار "قوم" من أهل الكرخ ونهبوا شارع ابن ابي عوف واسواقه، ومن جملة ما نهب دار ابن خيرون احد كبار الحنابلة ومن شيوخ ابن الجوزي الذي قصد الديوان مع جموع العامة الذين رفعوا الصلبان وتهجموا على الوزير ابي شجاع الروذراوري، وكان رفع الصلبان قد قصد منه تعريضاً بالديوان وعلى رأسه الوزير الذي يعدونه في نظرهم وزيراً غير حازم ولا ينكل بالشيعة الإمامية في الكرخ ويتهمون الديوان بممالئتهم. وهنا لابد لنا من ايراد وجهة نظر حنبلية من خلال ما نقله ابن الجوزي من خط ابن عقيل الذي قال: "عظمت الفتنة الجارية بين السنة وأهل الكرخ، فقتل نحو مائتي قتيل ودامت شهوراً من سنة اثنتين وثمانين واربعمائة، وانقهر الشحنة وانحش السلطان، وصار العوام يتبع بعضهم بعضاً في الطرقات والسفن، فيقتل القوي الضعيف، ويأخذ ماله".

ويتابع ابن عقيل فيدعي ان أهل الكرخ تطاولوا بسب اصحاب وازواج الرسول (ص) على السطوح، وارتفعوا الى "سب النبي"[٣].

---

[١] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٢٨٢.

[٢] نفسه.

[٣] نفسه، ص٢٨٣.



وفي الحقيقة لا يمكن الركون الى كل ما ادعاه ابن عقيل من سب الرسول وسائر ازواج النبي واصحابه. وهو يذكر ان العقوبات من السلطات في بغداد قد طالت أهل السنة، "فكثر الكلام على السلطان ملك شاه" حتى قال العوام: هلك الدين، "مات السُنة، ونصبت البدعة، ونرى أن الله ما ينصر الا الرافضة، فنرتد عن الاسلام".

لكن ابن عقيل يستدرك بالقول ان هذهِ العقوبات جاءت بعد ان عمل الذين نالهم العقاب على سفك الدماء ويتابع فيقول: "فأردتم ان يتبع الحق أهوائكم ويسكت السلاطين على قبيح افعالكم"[1] وهذا اعتراف ضمني من ابن عقيل بأدانة الحنابلة، وما جرى عليهم عقاب لهم.

والحقيقة ان احداث الفتنة التي وقعت سنة ٤٨٢هـ/١٠٨٩م هي الاكبر والاعنف والأطول منذ دخول السلاجقة بغداد للمرة الثانية سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م بصحبة الخليفة القائم بأمر الله.

وقد يعزى ذلك الى جملة من الاسباب منها التراكمات في الاحنات التي اصابت الامامية لنحو من اربعين عاماً، فضلاً عن الاعتقاد السائد لدى عامة بغداد من غير الشيعة الإمامية ان مذهب الإمامية لابد وان ينكفيء عن حاضرة الخلافة وينتهي تحت هيمنة وسطوة التوجه الحنبلي لعامة بغداد فضلاً عن الميل الواضح للخليفة العباسي القائم بامر الله ومن بعده حفيده المقتدي تجاه الدفاع عن الحنابلة.

لكن الذي كان يحصل في انه في كل مرة يركن فيه الشيعة الإمامية الى مبدأ التقية مؤقتاً ثم لا يلبثون ان يعاودوا ويرجعوا الى الحيعله (حي على خير العمل) وترك التثويب بـ (الصلاة خير من النوم).

---

[1] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، صص: ٢٨٣-٢٨٤. وارجع الى نص ما كتبه ابو الوفا بن عقيل في الملحق رقم (٧) والى مجمل وقائع فتنة عام ٤٨٢هـ/١٠٨٩م في: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٢٤؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٤٢٢؛ ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، مـ٨، ص٣٤٤.

ولا ننسى ان غالب هذهِ التجاذبات تبدأ ربما بخلاف بين شخصين لشيء بسيط او تافه لكنها لا تلبث ان تأخذ طابعاً مذهبياً تستقطب المتحمسين من الطرفين وتتطور الى فتنة عامة بين الفريقين.

اما موقف الشافعية الأشعرية من هذهِ التجاذبات وردود افعال الأدارة السلجوقية المتمثلة بالوزير نظام الملك واعوانه فلا نعرف عنها شيء سوى تأييد الاشاعرة لمذهب الحنابلة كونهم من أهل السنة ويميلون الى محاربة البدع (على قولهم) التي يدعو اليها الرافضة من الشيعة الإمامية.

السلطان ملك شاه:

عدت فترة حكم السلطان جلال الدولة ملك شاه اوج العصر الذهبي في حكم السلطنة السلجوقية ايام السلاجقة العظام، لكن السلطان كان مهتماً ابتداءً في توطيد حكمه عسكرياً ومن ثم في امور توسيع رقعة الامبراطورية السلجوقية[1]، ثم ان السلطان الشاب اوكل امور الادارة وتدبير الملك من خلال تفويضه تفويضاً مطلقاً (Absolute power) لوزيره القدير نظام الملك الطوسي قبل سحبها، وعلى الرغم مما كان اعداء الوزير يحوكونه من مؤامرات ودسائس لوزيره العجوز نظام الملك الذي كان يقف ورائها في السنوات الاخيرة من عمر وزراته ودون ادنى شك السلطان نفسه ابتداءً من حادثة اغراق ابن علان اليهودي بعد مصادرته سنة ٤٧٢هـ/١٠٧٩م وهو ضامن البصرة والذي كان ملتجأً الى الوزير وبامر من السلطان ملك شاه نفسه وتعبيراً عن احتجاج الوزير نظام الملك على هذا العمل فان الوزير اغلق بابه وامتنع عن الركوب لبرهة من الزمن (ثلاثة ايام) وعاود الخدمة بعد ان اشير عليه بذلك[2].

وتجاوز الأمر الى كسر معنويات الوزير نفسه باحضار مسخراً يدعى جعفرك يضحك السلطان ويسخر من الوزير العجوز في مجالس السلطان نفسه، ولئن انتقم

---

[1] يذهب الى هذا الرأي ايضاً جورج مقدسي. انظر: IBN-AQEIL, P.128

[2] انظر الى التفاصيل في: ابن الجوزي، ج١٦، ص٢٠٥ وما بعدها؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٨٠.

احد أبناء الوزير وهو جمال الملك منصور متولي بلخ من المسخر بقتله فان السلطان اشار الى عميد خراسان بقتل ابن الوزير نظام الملك "جمال الملك منصور" وفي الوقت نفسه نرى السلطان يعزي الأب المفجوع بابنه قائلاً له: انا ابنك[١].

وهكذا بدى الامر مع تقدم السلطان ملك شاه في العمر ومحاولته في استعادة السلطات التي منحها لوزيره من خلال تفويضه اول وزراته، فأن الوزير نفسه كان قد هيمن على مفاصل الدولة بابناءه واعوانه، وظهر ان امر سحب التفويض الذي تمتع به الوزير بدى مستحيلاً الا من خلال التخلص من الوزير نفسه.

فضلاً عن ذلك كان لتأثير وتحريض زوج السلطان الأثيره عنده تركان خاتون[٢]، ومن خلال وزيرها تاج الملك ابو الغنائم خسرو[٣]، التعجيل بحسم الامر مع الوزير نظام الملك، ودون شك فأن السلطان ملك شاه نفسه أراد ذلك[٤].

فضلاً عن ذلك فان الوزير نظام الملك كان قد سفه رأي ملك شاه في اقامة خليفة عباسي بدل المقتدي بامر الله يكون "تحت حكم ارادته" وقيل ان طول بقاءه

---

(١) لتفاصيل هذهِ الحادثة انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٨٧.

(٢) تركان خاتون، وقيل ان اسمها زبيدة، "دبرت الملك وقادت الجيوش لأجل ان تجلس ولدها محمود على تخت السلطنة توفيت سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٣م. انظر: علي بن انجب ابن الساعي، نساء الخلفاء المسمى "جهات الائمة الخلفاء من الحرائر والاماء، تحقيق: مصطفى جواد، ط٢ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٣م) ص١٣١.

(٣) انظر: الراوندي، راحة الصدور، ص٢٠٨.

(٤) يقال ان السلطان ملك شاه ارسل رسالةً الى وزيره نظام الملك يقول فيها: هل انت شريكي في الملك حتى تتصرف وفق ما تريد وما تشتهي ؟ وتنصب اولادك على الولايات وتقطعهم الاقطاعات وفق ما تشتهي، سترى انني سآمر بخلع العمامة من رأسك، فاجاب الوزير برسالة شفوية قائلاً: ان الذي وضع التاج على رأسك هو الذي وضع العمامة على راسي وكلاهما مرتبطان ولا ينفصلان. انظر: الراوندي، راحة الصدور، ص٢٠٨؛ العماد الاصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص٢٢٣؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٠٥.

بالوزارة، وكثرة امواله كانت وراء مقتله[1] في العاشر من رمضان ٤٨٥هـ/السابع من تشرين الأول ١٠٩٢م، واتهمت الباطنية بقتله او انهم سُخروا لقتله[2].

وبعد نحو من شهر وقيل اكثر قليلاً توفي السلطان ملك شاه في شوال ٤٨٥هـ/تشرين الثاني ١٠٩٢م بعد ان انذرَ الخليفة المقتدي بامر الله بالخروج من بغداد واختيار مركز جديد لاقامته، وقيل في سبب وفاته روايات، احداها ان اصحاب الوزير نظام الملك انتقموا من السلطان لمقتله بدس السم في طعامه[3]، فيما عدته البعض كرامة للخليفة المقتدي الذي الزمه ملك شاه بمغادرة بغداد[4] وقيل بل توفي حتف انفه اثر حمى، او لم يذكروا سبب لوفاته[5]. وهو ما دفع مؤرخ كبير مثل الفرنسي كلود كاهن الى القول والله أعلم.

---

[1] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٤٣٨؛ ابي الفداء، المختصر في تاريخ البشر، ج٢، ص١٧.

[2] انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص٣٤٨. وراجع عماد الدين الاصبهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، حوادث سنة ٤٨٥هـ.

[3] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٤٤٨؛ الذهبي، دول الاسلام، ج١، ص٤١٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٨، ص٣٥٢؛ عباس اقبال، الوزارة في عهد السلاجقة، ص٧٦.

[4] انظر: صارم الدين ابراهيم بن محمد بن ايدر العلائي، ابن دقماق (ت٨٠٩هـ/١٤٠٦م) الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين علي (بيروت: عالم الكتب، ٢٠٠٧م) ص١٧٣ وما بعدها؛ ابن العماد، شذرات الذهب، مـ٤، ص٨١؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٥٠١.

[5] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٥٢؛ صدر الدين الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٤٧؛ العليمي، مرآة الخبان، ج٣، ص١٠٧.

السلطان ملك شاه والتجاذبات المذهبية :

لم يؤثر عن السلطان السلجوقي ملك شاه طول مدة سلطنته التي بلغت نحو من عشرون عاماً انه انحاز الى مذهب بحد ذاته دون آخر على الرغم من كون السلطان ينتمي الى السلاجقة الغز الذين ينتحلون المذهب الحنفي، فعند زيارته الاولى لبغداد ذكر انه ابتدأ بزيارة مرقد ابي حنيفة النعمان ثم معروف الكرخي ثم مشهد باب التبن ثم سلمان الفارسي وبعد ذلك المشهدين الحسيني والعلوي، وأحسن للعلويين في المشهد العلوي واجرى الماء الى النجف[١].

ويروي ابن الجوزي وسبطه عن ابي الوفاء بن عقيل ان الباطنية افسدت عقيدة السلطان ملك شاه لبرهة من الزمن[٢] ربما نتيجة لاطلاعه على عقائدهم او نتيجة علاقته الجديدة بمجد الملك القمي الذي يوصف بانه شيعي، من قم اقدم موطن للشيعة في ايران[٣]، وهنالك كتيب طبع مؤخراً يزعم انه نسخة فريدة مخطوطة في المكتبة الرضوية في مشهد بأيران بعنوان "مؤتمر علماء بغداد"[٤]، حول مناقشات جرت في المدرسة النظامية في بغداد بين عالمين احدهما شيعي امامي عُرّفَ باسم الحسين بن علي العلوي والاخر من اهل السنة عُرفَ بالشيخ العباسي، وجرت النقاشات والاحتجاجات بحضور الوزير نظام الملك الطوسي والسلطان ملك شاه السلجوقي، ودَوَّنت محاضر النقاش في مصنف الكتاب، وهو ابو الهيجا شبل الدولة مقاتل بن عطية البكري[٥]، لكننا لا يمككنا الجزم بصحة الكتاب ولا يمكن انكاره،

---

[١] تقدم تفصيل ذلك.

[٢] انظر: المنتظم، ج١٦، ص٣١٢؛ مرآة الزمان، ج١٩، ص٤٤٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٨، ص٣٥٢.

[٣] عن قم ومنشأها واستيطان الشيعة بها. انظر: محمد جواد الطبسي، قم عاصمة الحضارة الشيعية (بيروت: دار جواد الائمة، ٢٠٠٦م).

[٤] انظر: مقاتل بن عطية (ت٥٠٥هـ١١١٢م) مؤتمر علماء بغداد (كربلاء: مكتبة المنتظر، ٢٠١٣م).

[٥] هو ابو الهيجاء شبل الدولة مقاتل بن عطية بن مقاتل البكري الحجازي، من اولاد امراء العرب فارق اخوته على اثر وحشة حصلت له معهم ووصل بغداد ثم الى خراسان وانتهى=

والكتاب لم يذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ولا غيره، ولم تذكر المصادر التاريخية التي بين ايدينا شيء عن هكذا مؤتمر او نقاشات شارك بها السلطان مع وزيره.

ولكن نستشف من مجمل الاحداث التي حصلت اثناء رحلات السلطان ملك شاه الى بغداد بين ٤٨٠ و ٤٨٥ ان ملك شاه لاحظ التجاذبات المذهبية التي كانت تحصل في حاضرة الخلافة العباسية بغداد، وتنامت اليه اخبار اعتراضات الحنابلة خاصة على اصحاب السلطان والوزير الروذراوري والشحنة بالذات واتهامهم بانهم يمالئون الشيعة الإمامية حتى انهم رفعوا الصلبان في احدى المرات فضلاً عن ذلك فأن ملك شاه كان قد عمد الى استبدال كامل الطاقم الاداري في السلطنة اواخر ايامه وكان من بين الذين استبدل بهم الوزير تاج الملك ابو الغنائم المرزبان بن خسرو الذي مالبث ان قتل انتقاماً لمقتل سلفه الوزير نظام الملك الطوسي. وكذلك مجد الملك القمي وهو إمامي المذهب.

أمر آخر فأن ملك شاه دفن بالشونزيه[١] دون ان يصلي عليه أحد[٢]، ونحن لا نرى تفسير لهذا الامر، الا ما ذكر انه كتمان للامر، او ربما كان ذلك تقديراً لمقام الخليفة المقتدي بامر الله الذي اراد السلطان تشعيث امره وازالته عن بغداد لولا ما عدّه البعض من المتحمسين للخلافة العباسية انها العناية الالهية التي انقذت الموقف بوفاة السلطان ملكشاه وهو في طور شبابه معافى من أي مرض.

=الى غزنة وعاد الى خراسان حيث صاهر الوزير نظام الملك، وعندما قتل نظام الملك رثاه بقصيدة، توفي بهراة سنة ٥٠٥هـ/١١١٢م بعد ان تسودن آخر عمره. للمزيد عن ترجمته انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، مـ٢٠، ص١٠٠ و١٠١.

[١] وهي مقبرة الشيخ جنيد حالياً. انظر: مصطفى جواد، دليل خارطة بغداد، ص٤٣.

[٢] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣١٣؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٤٤٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٨، ث٣٥٢.

وخلاصة القول في هذا الفصل :

ان بغداد في عهد السلطان الب ارسلان (٤٥٥-٤٦٥هـ/١٠٦٣-١٠٧٢م) لم تشهد الكثير من التجاذبات المذهبية بين الشيعة الإمامية الاثني عشرية ومخالفيهم من أهل السنة. وان اول محاولة للاحتفال بيوم عاشوراء جرت في بغداد ابان عهد سلطنته كانت سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٥م لكن جرى بسببها احتجاجات من قبل مخالفيهم وردعهم من قبل الخليفة القائم بامر الله نفسه، وجرى بعد ذلك التاكيد على ما عرف بالاعتقاد القادري القائمي.

أما الحدث الابرز في عهد السلطان الب ارسلان كان انشاء المدرسة النظامية في بغداد الخاصة بالأشعرية الشافعية سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٧م والتباري في انشاء المدارس في بغداد مثل ما قام به الصدر الحنفي المذهب ابو سعد المستوفي الذي بنى ضريح ابي حنيفة النعمان ومدرسة خاصة بمذهب صاحب الضريح لرجال الحنفية. وقد عززت الانتصارات التي حققها الب ارسلان وخاصة وقعة ملاذكرد الشهيرة ٤٦٣هـ/١٠٧٠م مواقف أهل السنة خاصة في بغداد وهم يرون ان السلاجقة السنة حققوا ما عجز سلفهم البويهيين الشيعة في مقارعة الروم البيزنطيين فضلاً عن الانتصار عليهم واسر امبراطورهم.

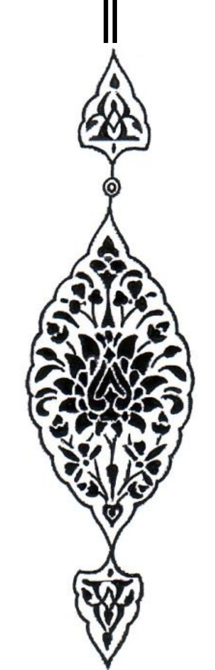
وجاءت وفاة السلطان الب ارسلان مفاجئة لرعايا العباسيين على أثر طعنه من مستحفظ احدى القلاع المدعو يوسف الخوارزمي، ومع ذلك فان ولده وخلفه ملك شاه استطاع ان يوطد حكمه وذلك بمشورة وادارة وزيره المحنك نظام الملك، فقد استطاع بقوة السلطان ان يوسع رقعة الامبراطورية السلجوقية وان يشعر أهل بغداد بنوع من الطمأنينة ابان زياراته الثلاث لبغداد اواخر سني حكمه، فلم نشهد ظلم او تعسف من جنده ولا نزولهم في دور الاهالي ببغداد، مع انها كانت تحمل مشروع تشعيث الخليفة وازالته عن بغداد. وبسبب سياسة الوزير الوزير الموالية للشافعية الأشعرية فقد استمرت حالة من التجاذبات المذهبية ببغداد بين الحنابلة والأشاعرة وانتهت باتهام الحنابلة للاشاعرة بتسميم احد كبار اعيانهم ومقدميهم ابو جعفر الهاشمي سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م. وعلى اثر فتنة ابن القشيري في النظامية.

اما حالات التجاذب المذهبي تجاه الشيعة الامامية فكانت شبه متواصلة وكانت كبراها ما حدث سنة ٤٨٢هـ/١٠٨٩م، حيث رفع الحنابلة خاصةً الصلبان تعريضاً بالدولة والسلطنة في ما عدوه ممالئة للشيعة الامامية ببغداد.

وجاءت نهاية السلطان ومن قبله وزيره وسنرى فيما بعد الخليفة المقتدي بامر الله بشكل متقارب. ففي الوقت الذي أُتهمَ فيه السلطان بمقتل وزيره من خلال تاج الملك وزير تركان خاتون عُدَّ موت السلطان انتقاماً للوزير، فيما عَدَّ البعض وفاة السلطان ملك شاه عقب خروجه للصيد كرامة للخليفة المقتدي الذي انذره السلطان بمغادرة بغداد، والخليفة نفسه في ظرف غامض توفي بعد بفترة وجيزة على نحو ما.

وبانتهاء عهد السلطان ملك شاه دخلت السلطنة السلجوقية الى عهد جديد ايام سلاجقة ايران والعراق في خضم التنازعات على السلطنة التي ستفضي الى اضمحلالها كما سنرى في الفصول القادمة. وتأثير ذلك كله على مجمل الاوضاع ببغداد والتجاذبات المذهبية فيها خاصةً.

الباب الثالث



التجاذبات الدينية (المذهبية) في بغداد

(٤٨٥-٥٧٥هـ/١٠٩٢-١١٧٩م)

يتناول هذا الباب وصف لمجمل الاوضاع السياسية ايام السلاجقة وما لها من تأثير على حالة التجاذبات المذهبية تجاه الشيعة الإمامية الأثني عشرية في بغداد بين السنوات ٤٨٥-٥٧٥هـ/١٠٩٢-١١٧٩م

قسمنا هذا الباب كرونولوجيا الى فصلين

الفصل الاول:

يتناول فترة سبعة عقود بين نحو عقد ونصف من سنوات القرن الخامس، والنصف الاول من القرن السادس الهجري او السنوات ما بين ٤٨٥-٥٥٥هـ/١٠٩٢-١١٦٠م

فيما يتناول

الفصل الثاني :

مدة عقدين وهي الفترة المحدودة بين السنوات ٥٥٥-٥٧٥هـ/١١٦٠-١١٧٩م

الفصل الاول

يتناول:

- ❖ ايام خلافة الخليفة المقتدي بأمر الله حفيد القائم بامر الله بعد وفاة السلطان السلجوقي ملك شاه، وحتى وفاة الخليفة المقتدي، وهي المدة المحدودة بنحو سنتين من ذي الحجة ٤٨٥-محرم ٤٨٧هـ/كانون الثاني ١٠٩٣-شباط ١٠٩٤م وبوفاة المقتدي تولى دست الخلافة ولده.
- ❖ الخليفة احمد المستظهر بالله وايامه الممتدة من يوم الثلاثاء ١٨ محرم ٤٨٧- ليلة الخميس ٢٤ ربيع الاخرة ٥١٢هـ/٧ شباط ١٠٩٤-٧ آب ١١١٨م ومن بعده ولده الذي حل محله في دست الخلافة.
- ❖ الخليفة الفضل المسترشد بالله والذي ارتقى دست الحكم للعباسيين وايامه التي امتدت لنحو من سبعة عشر عاماً وستة اشهر: الخميس ٢٤ ربيع الاخر ٥١٢هـ-١٧ ذي القعدة ٥٢٩هـ/ ٨ آب ١١١٨-٢٢ آب ١١٣٥م وولده.
- ❖ منصور الراشد بالله من ذي القعدة ٥٢٩-ذي القعدة ٥٣٠هـ/آب ١١٣٥- آب ١١٣٦.

واخيراً

- ❖ محمد المقتفي بامر الله بين السنوات : ذي الحجة ٥٣٠-ربيع الاول ٥٥٥هـ/آب ١١٣٦-آذار ١١٦٠م.

وهذه المرحلة مهمة في تاريخ الدولة العباسية عندما حاول الخلفاء العباسيون الاستقلال بشكل او بآخر من حكم السلاجقة على ان يكملها فيما بعد الخليفة الناصر لدين الله كما سيتضح لنا لاحقاً.

تولي السلطان بركياروق تخت السلطنة السلجوقية واهم تداعيات سلطنته:

كان لوفاة السلطان ملك شاه سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م ومن قبله بنحو من شهر وزيره الكبير نظام الملك الطوسي الاثر الكبير في تصدع امر السلطنة السلجوقية، بحيث سعى الاخوين من ابناء ملك شاه كل من ولده بركياروق ومحمود وكذلك عمهما ططش (او تتش) في الجلوس على تخت السلطنة في كل من اقليمي السلطنة العراق وايران.

وكانت تركان خاتون ام السلطان المدلل محمود، يؤازرها الوزير تاج الملك ابو الغنائم بن خسرو الشيرازي، قد اخفت خبر وفاة زوجها السلطان ملك شاه لبرهة من الوقت بغية تدبير امر السلطنة لولدها محمود على حساب اخيه الاكبر بركياروق ولتقرير امره فانها بادرت بارسال خاتم السلطان الراحل زوجها ملك شاه مع احد الامراء ليتسلم القلعة باصفهان لصالح ولدها، وبنفس الوقت فانها طلبت الخلعة لولدها الصغير ذو الخمس سنين وعشرة اشهر، فأجابها الخليفة الى ذلك اول الامر، وهي بدورها خلعت على تاج الملك بخلع الوزارة للسلطنة السلجوقية، لكن الخليفة المقتدي بامر الله اخذ بفتوى احد كبار مدرسي النظامية وقتئذ وهو ابو حامد الغزالي[1] بعدم جواز كتابة عهد السلطنة لولدها محمود "لانه لم يكن قد بلغ

---

[1] الامام ابو حامد الغزالي: هو محمد بن محمد بن محمد زين الدين الطوسي، فيلسوف وفقيه شافعي كبير، كان مبدأه بطوس واليها ينسب، قدم نيسابور وتتلمذ على امام الحرمين ابي المعالي الجويني، الذي كان يباهي به، اتصل بالوزير نظام الملك الطوسي الذي فوض اليه التدريس بنظامية بغداد سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م حتى سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م حيث غادر بغداد لبيت المقدس وقصد الحج ثم قصد مصر، عاد الى طوس والف غالب كتبه ثم الزم بالعودة الى نيسابور والتدريس بنظاميتها وله عدد من المصنفات اهمها احياء علوم الدين توفي ودفن في طوس سنة ٥٠٥هـ/١١١٢م للمزيد عن سيرته انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، صص: ١٢٤-١٢٧؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٤، صص: ٥٨-٦١؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٤، صص: ١٠-١٣. ولا يعتد بالقبر المشهور للشيخ محمد الغزالي في بغداد قرب مرقد الشيخ عبد القادر الجيلي، بانه قبر ابو حامد الغزالي. انظر:انستاس ماري الكرملي، مزارات بغداد، تحقيق: باسم عبود الياسري (لندن: دار الوراق، ٢٠٠٩م)، صص:١٦٠-١٦٤.

الحلم"[١]، ومع ذلك فقد سوي الامر بأن يكتب لمحمود عهد باسم السلطنة، وتكون صلاحيات تدبير العسكر للامير انزو والامور المالية والادارية للوزير تاج الملك[٢]، ويبدو ان الامر تم وفق صفقة تم بموجبها تسيير الامير جعفر ابن الخليفة المقتدي بامر الله الذي كان بصحبة والدته في اصفهان الى بغداد، ودخول "الخاتون وولدها المعقود له بالسلطنة" الى اصفهان[٣].

في الجانب الثاني فأن اتباع نظام الملك وهم مماليكه النظامية كانوا يكرهون الوزير تاج الملك ويتهمونه بانه كان وراء مقتل وزير السلطنة نظام الملك لذلك فأن المماليك النظامية عملوا على اخراج بركياروق اكبر ابناء ملك شاه[٤] من اصفهان الى الري وخطبوا له بالسلطنة، حيث كان محتجزاً فيها بامر من تركان خاتون نفسها تحرزاً من ادعاءه بالسلطنة على اعتباره الأبن الاكبر للسلطان المتوفي. ولذلك بادرت تركان خاتون الى محاربة بركياروق وانصاره بعد ذلك، الا ان الدائرة دارت بعد معارك متداخلة على انصار الصغير محمود، فيما قطّع النظامية تاج الملك بالسيوف

---

[١] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٤٤٩؛ وكان السلطان ملك شاه قد خلّف من الاولاد: بركياروق، ومحمد، وسنجر، ومحمود والاخير هو اصغرهم. انظر: صدر الدين الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٥٣.

[٢] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٠٠؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٥٥.

[٣] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٠٠.

[٤] كان للسلطان ملك شاه ولد اسمه داود توفي بحياة ابيه سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م وحزن عليه السلطان حزناً فاق المعهود حتى كاد ان يقتل نفسه منتحراً عدة مرات حزناً عليه، وربما كان يعول على ذاك الولد بولاية عهده. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٢١٦؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٨٥؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٣٦١. ثم ان الموت غيب ولداً ثانٍ من السلطان كان قد جعله ولي عهده واسمه احمد، عن احد عشر عاماً وذلك سنة ٤٨١هـ/١٠٨٨م. انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٢٣.

انتقاماً لمقتل الوزير نظام الملك، وذلك في محرم ٤٨٦هـ/شباط ١٠٨٣م[١]، وبدت الامور مهيأة لبركياروق لكنها لم تستقر الا بعد وفاة الأخ الاصغر محمود ومن بعده والدته تركان خاتون[٢]، وقيل ان السلطان بركياروق كَحّلَ اخاه محمود وان امه قد سُمَّت بعد ذلك سنة ٤٨٧هـ/١٠٨٤م[٣]، الا ان سلطنة بركياروق لم تتأكد الا بعد مقتل عمه تتش بن الب ارسلان على اثر المعركة التي دارت بين السلطان وعمه في صفر سنة ٤٨٨هـ/شباط ١٠٩٥م[٤].

ومع ذلك فأن الاقرار بالسلطنة لم يدم طويلاً وذلك بظهور طالب جديد للسلطنة في ذي الحجة سنة ٤٩٢هـ/تشرين الاول ١٠٩٩م المتمثل باخيه محمد[٥] بن

---

[١] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٥٦؛ عباس اقبال، الوزارة في عهد السلاجقة، ص١٤٧ وما بعدها.

[٢] انظر: العماد الاصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص٢٣٦؛ الراوندي، راحة الصدور، ص٢١٩.

[٣] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٤٥٠.

[٤] المصدر نفسه، ص٤٥٩.

[٥] وهو الامير محمد بن ملك شاه (وفيما بعد : السلطان غياث الدين محمد بن جلال الدولة ملك شاه السلجوقي) ولد في شعبان ٤٧٤هـ/كانون الثاني ١٠٨٢م، وامه تاج الدين خاتون سفرية، وهو وسنجر اخيه من ام واحدة، ومحمد هذا هو الابن الثالث في ترتيب اولاد ملك شاه. وكان ببغداد عندما توفي السلطان ملك شاه سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م، وغادرها صحبة تركان خاتون وابنها محمود الى اصفهان، لكنه انضم الى بركياروق في خضم الصراع الذي نشأ بين المعسكرين، ولما حسم الامر لصالح بركياروق، تولى من قبل اخيه حكم ولاية كنجة، ولما ورد مؤيد الملك ابن نظام الملك الطوسي زين له المطالبة بتخت السلطنة، وفعلاً تقاسم السلطنة مع اخيه بركياروق سنة ٤٩٧هـ/١١٠٤م بعد وقائع بين الاخوين، وتناوب الخطبة ببغداد بينهما. توفي سنة ٥١١هـ/١١١٨م باصفهان. للمزيد عن سيرته انظر: الراوندي، راحة الصدور وآية السرور، صص: ٢٣٤-٢٥٢؛ صدر الدين الحسيني، زبدة التواريخ، صص: ١٦٧-١٧٤؛ عباس اقبال، الوزارة في عهد السلاجقة، صص: ١٨١-١٨٦؛ وعن خاتون السفرية انظر ترجمتها في: ابن الساعي، جهات الائمة الخلفاء من الحرائر والاماء، ص١٣٠=

ملك شاه الذي ادعى السلطنة وبتشجيع من وزيره مؤيد الملك[1] بن نظام الملك الطوسي.

واستمر النزاع بين الاخوين بركياروق ومحمد حتى تم حسمه اخيراً في سنة ٤٩٧هـ/١١٠٤م بتقاسم مناطق نفوذ كل منهما في ايران والعراق[2]، وفي هذا الصلح تم ترجيح جانب بركياروق، واقيمت له الخطبة في بغداد، وارسل الخليفة المستظهر بالله خلع السلطنة الى السلطان الجديد بركياروق كأعتراف من لدن الخليفة بالسلطنة للبيت السلجوقي.

الا ان تقاسم السلطنة السلجوقية بين الاخوين المتنافسين بركياروق وشقيقه محمد لم يستمر طويلاً اذ توفي السلطان بركياروق وهو في طريقه الى بغداد من اصفهان في ربيع الاول سنة ٤٩٨هـ/كانون الاول ١١٠٤م، الذي كان قد اوصى لولده ملك شاه البالغ من العمر اربع سنين وثمانية اشهر والذي جعل من الامير اياز

=وكنجة: مدينة عظيمة بين خوزستان واصفهان. انظر: ياقوت، معجم البلدان، مـ٤، ج٧، ص١٥٤.

[1] هو: ابو بكر عبيد الله مؤيد الملك بن نظام الملك الطوسي، ويعد اشهر ابناء نظام الملك بعد اخيه فخر الملك، كما كان يعد اكفأ اولاده، وكان له داراً ببغداد ويقيم فيها ابان وزارة ابيه نظام الملك، استوزره بركياروق بعد وفاة وزيره السابق واخو مؤيد الملك المدعو عز الملك ابو عبد الله حسين وذلك في ٤٨٧هـ/١٠٩٤م، لكنه ابعد عن الوزارة بتحريض من منافسه في الديوان مجد الملك القمي فالتجأ الى الامير دبيس بن صدقة الاسدي لمساعدته، ثم حرض انر مخدوم بركياروق على مخالفة السلطان وبعد القضاء على انر استوزره محمد بن ملكشاه وحرضه على طلب السلطنة، توفي مقتولاً بيد السلطان محمد سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م. للمزيد عنه انظر: عباس اقبال، الوزارة في عهد السلاجقة، صص: ١٨٧-١٩٦.

[2] انظر: ابن القلانسي، الذيل على تاريخ دمشق، ص١٤٧؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٤٦٣؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٥٢٨؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١٠، ص٥٢٥؛ عبد المنعم حسنين، ايران والعراق في العصر السلجوقي، ص١٠٣.

احد قواده اتابكا له[1]، فيما دخل السلطان الصبي بغداد وخطب له في جوامعها في جمادي الاولى ٤٩٨هـ/شباط ١١٠٥م بالسلطنة، ولقب بـ جلال الدولة[2].

وبعد ان تنامى الخبر بالخطبة لابن بركياروق الى السلطان محمد بن ملك شاه سارع للقدوم لبغداد بعد ان طلب من الامير سيف الدولة صدقه للقدوم لمدينة بغداد بصحبته لكن دبيس ارسل ولديه بدران ودبيساً لمصاحبته لبغداد.

لكن الصدام مع اتابك السلطان الصبي لم يتم حقيقة، بل تم الصلح "وتسليم السلطنة" الى محمد شاه، بعد قتل الاتابك نتيجة مزحه سمجة من بعض الجند[3] فيما يذكر العماد الاصفهاني ان السلطان الصبي كان قد سملت عينيه[4] مع ان مصادر اخرى تذكر انه قتل[5].

الاحوال السياسية والمذهبية في بغداد بعد وفاة السلطان ملك شاه:

من الواضح ان حرص زوجة السلطان تركان خاتون على اخفاء خبر موت زوجها ملك شاه[6] حتى تتدبر امر السلطنة لولدها محمود، ولكن الامر بحد ذاته خدم الامن المجتمعي ببغداد، فلم يرصد وجود للعيارين او غيرهم ممن يستغلون هكذا ظروف، وبذلك لم تشر المصادر التاريخية بحالة من اضطراب حبل الامن

---

(1) انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٤٧٠.

(2) انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٥٣٦.

(3) انظر لتداعيات موت السلطان بركياروق وتولي السلطنة للسلطان محمد بن ملك شاه في: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، صص: ٩٠-٩٢؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، صص: ٤٧٠-٤٧٦؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، صص: ٥٣٥-٥٣٧.

(4) انظر: العماد الاصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص٢٤١.

(5) انظر: صدر الدين الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٦٧؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٥٣٧.

(6) حتى قيل ان السلطان دفن دون ان يصلي عليه ودون قراءة مراسم تشييع. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣١٣؛ وان جنازته اخرجت ليلاً يحملها رجلان. انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٤٤٨.

المجتمعي في بغداد على اثر وفاة السلطان ملك شاه اللهم الا ما يذكره ابن الجوزي من حدوث اضطرابات بالكوفة وليس ببغداد بسبب هجوم بنو خفاجة على امير الحج في ذي القعدة ٤٨٥هـ/كانون الاول ١٠٩٢م ودخولهم الكوفة "وقد طمعوا بموت السلطان"، لكن الامر حسم بارسال عسكراً من بغداد وانهزام بنو خفاجة[١].

وكانت اولى حالات التجاذب المذهبي ببغداد قد وقعت في جمادي الاخرة سنة ٤٨٦هـ/تموز سنة ١٠٩٣م حيث اتصلت الفتن بين أهل باب البصرة والكرخ على اثر مقتل مسلحياً من اصحاب الشحنة، مما ادى الى وقوع القتال بينهما على القنطرة الجديدة، فنهبت الكرخ واحرقت[٢]، ويقال انه كان للعميد ابي المحاسن الدهستاني في اطفاء هذهِ الفتنة اثر حسن[٣].

وفاة الخليفة المقتدي بامر الله:

كان السلطان بركياروق قد قدم لبغداد في اواخر سنة ٤٨٦هـ/اواخر سنة ١٠٩٣م ليخلع عليه بخلع السلطنة وان يخطب له بالسلطنة. وبحلول الرابع عشر من محرم سنة ٤٨٧هـ/الثالث من شباط ١٠٩٤م وبينما كان الخليفة يستعد لاستقبال السلطان الجديد توفي فجأة[٤] وبويع لابنه احمد ولقب بالمستظهر بالله وهو الخليفة العباسي الثامن والعشرون من خلفاء بني العباس[٥].

---

[١] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٠١؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٥٧؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١٠، ص٣٦٥.

[٢] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٥.

[٣] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٦٣. وكان نظام الدين ابو المحاسن عبد الجليل اعز بن محمد الدهستاني يشغل منصب عميد العراق. انظر ترجمته في: عباس اقبال، الوزارة في عهد السلاجقة، صص: ١٧٦-١٧٨.

[٤] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص١٢. وبوقت ابن الاثير الوفاة يوم ١٥ محرم ٤٨٧هـ/٤ شباط ١٠٩٤. انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٦٦.

[٥] وهو ابو العباس احمد بن المقتدي بامر الله، ولد بدار الخلافة ببغداد سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٨م وامه تركية اسمها "كلبهار"، قيل انه كان صبيح الوجه، وكان "مشغولاً بنفسه، محباً للترفة=

ومرت السنوات ابان خلافة الخليفة الجديد المستظهر ٤٨٧-٥١٢هـ/١٠٩٤-١١١٨م تعاقب فيها على تخت السلطنة الاخوين بركياروق حتى وفاته سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م ومن بعده اخاه السلطان محمد وحتى سنة وفاته سنة ٥١١هـ/١١١٧م من دون وقوع حوادث تجاذب مذهبي كثيرة وخطيرة في بغداد.

ومع ذلك فأن هذهِ الفترة من عمر السلطنة شهدت احداث مهمة سواء في بغداد او على مستوى العالم الاسلامي، كان لها اثر بشكل او بآخر على مجمل الاوضاع في عاصمة الخلافة العباسية ومنها حالات التجاذب المذهبي.

فعلى الصعيد المحلي في بغداد كان لامر البدء في انشاء "السور على الحريم" في الثامن عشر من ربيع الاخر سنة ٤٨٨هـ/التاسع عشر من نيسان ١٠٩٥م[١] اثر واضح في هذا المحتوى، فكان العمل يجري باحتفالات شعبية اشترك فيها اهل المحال بما يشبه ما نسميه اليوم بالكرنفال احتفالاً بهذا الحدث، ويبدو ان ذلك اسهم في اشغال فئة كبيرة من العوام بهذهِ الاحتفالات وصرفتهم عن اجواء التجاذب المذهبي، ولذلك نرى كبير الحنابلة في وقته ابو الوفا بن عقيل يكتب الى الوزير عميد الدولة ابن جهير مستنكراً هذهِ الاحتفالات معبراً عنها "باحراق العوام بالشريعة في بناء السور"[٢]، وهذا أمر له دلالته اذ ينظر الى استنكار ابن عقيل على انه كان من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك ان هذهِ الاحتفالات كان يصاحبها من موسيقى (البوقات والزمور) فضلاً عن اجتماع الناس

=والتنغم"، وزر له وزير ابيه عميد الدولة ابن جهير، ثم ما لبث ان ادخله حماماً وسمر عينه فتوفي اختناقاً، نعمت بغداد بايامه بهدوء نسبي توفي في ليلة الخميس ١٤ ربيع الاخر سنة ٥١٢هـ/الثامن من آب ١١١٨م. للمزيد عن سيرته انظر: ابن العمراني، الانباء في تاريخ الخلفاء، ص٢٠٦؛ ابن الكازروني، مختصر التاريخ، صص: ٢١٥-٢١٨؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، صص: ٥٠٣-٥٠٨.

[١] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٨٢؛ النويري، نهاية الارب، ج٢٣، ص١٤٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٨، ص٣٥٧.

[٢] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص١٦.

رجالاً ونساءً، لكن الامر الواقع ان مثل هذهِ الاحتفالات كانت تجمع المتضادين وعلى جميع الاصعدة، فمع ندرة وسائل الترفيه للعامة، تكون لهكذا امور اهمية في التصالح ونسيان الضغائن، ولذلك فان سبط ابن الجوزي يورد خبراً عن تصالح "أهل السنة والشيعة ببغداد" وبدخول أهل باب البصرة الكرخ، ودخول أهل الكرخ اليهم والتزاور فيما بينهم، ولم يقتصر ذلك على الجانب الغربي بل تعداه الى الجانب الشرقي من بغداد، ويعلق كل من ابن الجوزي وكذلك سبط ابن الجوزي على ذلك كله بأنه "من العجائب"[١].

وفي هذِهِ الفترة كان لأمير قبيلة اسد العربية سيف الدولة صدقة بن منصور دور معين في مجمل الاحداث السياسية والمذهبية التي كانت تحصل في دولة الخلافة، من ذلك دوره في قمع "المنكرات" التي عملها بنو خفاجة في بلدة الحائر الحسيني[٢] سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٦م، كما لجأ اليه الامير ابي نصر بن جلال الدولة ابي طاهر بن بويه، الذي كان السلطان ملك شاه قد اقطعه المدائن ودير العاقول وغيرهما، وكانت داره ببغداد في درب القيار[٣] كبست في يوم عاشوراء سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٧م، فهرب، و "ثبت عند القاضي امور اوجبت أراقة دمه"، وحولت داره الى مسجدين احدهما لأصحاب الشافعي والآخر لاصحاب ابي حنيفة[٤]، وجاء امر بناء المسجدين وتخصيصهما لاصحاب الشافعي وابي حنيفة بامر من الخليفة المستظهر نفسه[٥]، وحقيقة الامر ان المصادر لم تذكر أي الاشياء وجدوا في دار

---

[١] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص١٨؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٤٦٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٨، ص٣٥٧.

[٢] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٣١؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٨٨.

[٣] يبدو من الوصف الذي يورده صاحبي دليل بغداد ان درب القيار يقع عند محلة قنبر علي الحالية. انظر: مصطفى جواد، واحمد سوسة، دليل خارطة بغداد، ص١٦٥.

[٤] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٣٩؛ مع ملاحظة ان المذهب الشافعي هو ما كان يدين ويتعبد به خلفاء البيت العباسي وقتئذ، والحنفية ما كانت تتبعه السلطنة السلجوقية.

[٥] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٤٨٨.

البويهي بما استوجب اراقة دمه ولماذا تم كبس الدار يوم عاشوراء، وهل لهذا علاقة بمظاهر احتفالات ذلك اليوم ؟ وهذا مالم تفصح عنه المصادر المتوفرة عن ذلك، وتعزيزاً لمكانة هذا الامير "صدقة بن منصور" فانه قام بدوره بانشاء "او تعمير" مدينة الحلة سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م وبعث له الخليفة المستظهر بالله بكتاب و "لقبه بملك العرب"[١] فيما كان صدقة قبيل تعمير الحلة ينزل البيوت العربية[٢] (بيوت الشعر). وكان لعمل صدقة هذا في استحداث الحلة تأثير كبير على مجمل الاحداث اللاحقة كما سنرى، خاصة فيما يتعلق بانشاء مدينة ذات طابع شيعي إمامي قريبة بنحو ما من حاضرة الخلافة العباسية بغداد، فضلاً عن قرب المدينة الجديدة من مركز التعليم الديني الشيعي الاثني عشري الذي كان مقره في مشهد علي (النجف) ومنذ هجرة شيخ الطائفة (الامامية) الشيخ ابو جعفر الطوسي سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م[٣].

كما ان الامير صدقة صار يدخل في معادلات القوى الفاعلة في دولة الخلافة والسلطنة السلجوقية حتى ان السلطان محمد اوصاه ان يحمي اصحاب الامير السلجوقي قايماز الذي اقطعه السلطان الكوفة من خفاجة، وذلك سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م[٤]، وتكرر اعتماد السلطان السلجوقي عليه في عزل بعض متولي الاقطاعات الاخرى مثل ما حصل مع متولي البصرة اقطاعاً[٥]، فضلاً عن تسلمه تكريت وقلعتها[٦].

---

[١] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٧٦.

[٢] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٤١٥.

[٣] صارت مدينة الحلة فيما بعد مركز التعليم الشيعي الامامي الاثني عشري خاصة ايام خلافة الناصر لدين الله العباسي (٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٨٠-١٢٢٥م) واستمرت بهذا الدور لنحو من خمسة قرون. انظر: جودت القزويني، المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الامامية، دراسة في التطور السياسي والعلمي (بيروت: دار الرافدين، ٢٠٠٥م) الفصل الثاني، الحوزة العلمية بالحلة، صص: ٨٣-١٢١.

[٤] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٤٨٠.

[٥] انظر: نفسه، ص٤٨٤ وما بعدها.

[٦] انظر: نفسه، ص٤٩٥.

كما كان للامير صدقة دور في المخاصمات التي غالباً ما تدور بين العشائر العربية في العراق لاسباب متعددة[١]، لكن الامر لم يستمر طويلاً مع صعود هذا الامير حتى "علا قدره، واتسع جاهه، واستجار به صغار الناس وكبارهم"، فزادت اقطاعته، ومن اجل هذا افسد حاله عند السلطان محمد، عميد العراق ابو جعفر محمد بن الحسين البلخي، واطعمه في بلاده وامواله، بل وطعن في اعتقاده، ونسبه واهل بلده (الحلة) الى الباطنية، فيما كان بعض الامراء مثل سرخاب الديلمي قد خاف من السلطان محمد، واستجار من اجل ذلك بالامير صدقة، فكانت الذريعة في عدم تسليم صدقة له فسار اليه عسكر السلطان وقتل صدقة في الواقعة التي تمت بين عسكره وعسكر السلطان في السادس من رجب سنة ٥٠١هـ/الثالث عشر من شباط ١١٠٨م[٢].

من جهة اخرى كان العيارون يظهرون نشاطهم الذي كان دائماً يتفاقم ابان الازمات والكوارث والحروب والفتن داخل المدن واطرافها فكان اول ظهور لهم ابان سلطنة بركياروق سنة ٤٩٣هـ/١٠٩٩م "وعظم ضررهم بالجانب الغربي من بغداد"، فأخذت منهم جماعة بامر الخليفة المستظهر لمحاسبتهم فيما هرب الباقون[٣].

وجاءت الحادثة التالية التي كانت سنة ٤٩٧هـ/١١٠٤م على اثر استيلاء قوة العيارين على الجانب الغربي من بغداد وبعدما عجزت الشرطة والعسكر عن ضبط الاوضاع في الجانب الغربي، وشكى الضعفاء ذلك الى الديوان فتقرر من لدن الوزير مع النقيبين (الطالبي والعباسي) تقسيط الفي دينار منها خمسمائة دينار على أهل الكرخ والباقي على سائر المحال[٤].

---

[١] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٤٨٤ و ٤٩٦.

[٢] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص١٠٨؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٥٠٧؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، صص: ٢٥-٢٧.

[٣] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٤١٨.

[٤] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٨٤.



امر آخر نستقيه من خبر اورده ابن الاثير مفاده وقوع فتنة بين العامة سنة ٥٠٩هـ/١١١٥م بسبب الخصومة على من يدخل اولاً بغداد من مواكب العامة التي كانت قد عادت من زيارة مصعب بن الزبير الامر الذي ادى الى مقتل جماعة منهم "وعادت الفتن بين اهل المحال كما كانت ثم سكنت"(١) وهذا الخبر فيه اشارة الى ان العامة (وعادة ما يقصد به ابن الاثير بهم غير الامامية) كانت قد استمرت على مراسم الزيارة الى مرقد مصعب بن الزبير التي استحدثت سنة ٣٨٩هـ/٩٩٩م يوم الثامن عشر من محرم من كل سنة وذلك بزيارة قبره في مَسْكنْ على نحو ما يعمل بزيارة قبر الحسين بن علي بن ابي طالب(٢).

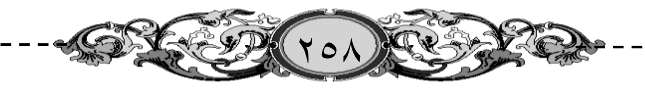
ويمكننا ملاحظة ان ابن الجوزي لم يذكر شيئاً عن هذهِ الفتنة، بينما عهدنا من هذا المؤرخ البغدادي المتزمت بالموقف الحنبلي على ذكر كل التجاذبات المذهبية التي كانت تجري تجاه الإمامية في بغداد.

الاسباب التي تقف وراء عدم تفاقم امر التجاذبات المذهبية بهذِهِ الحقبة:

ولئن بحثنا عن اسباب اثارة الفتن والتجاذب المذهبي فالاحرى ان نبحث عن الاسباب التي كانت وراء عدم اتقاد جذوتها وخفوتها على نحو ما ابان سلطنة بركياروق وسلطنة اخيه السلطان محمد، وحتى سنوات خلافة الخليفة العباسي المستظهر بالله. وفي هذا المحتوى يمكننا ملاحظة ان بروز خطر داهم صار يهدد العالم الإسلامي او ابتداءً من سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٧م والمتمثل بالحملات الصليبية على مدن بلاد الشام وغير بعيد عن واقع الحال ان يكون هذا الخطر قد وحّد صف

(١) انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٥٦٤.

(٢) انظر: ابو الحسين هلال بن ابراهيم الصابي (ت٤٤٨هـ/١٠٥٦م) الجزء الثامن من تاريخ الصابي المطبوع كتكملة لتجارب الامم (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م) ج٧، ص٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص١٤؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٤٢.



القواعد الشعبية للمسلمين في حواضر العالم الاسلامي والانتباه الى الخطر المحدق بالاسلام عموماً ولا يستهدف مذهب دون آخر[1].

والواقع ان بناء الحاضرة المزيدية في الحلة عام ٤٩٥هـ/١١٠٢م، قد استقطب ودون ادنى شك بعض القوى الشيعية الامامية خاصة النشطين مذهبياً وربما شد بعضهم الرحال من بغداد الى الحلة السيفية، وقد يكون هذا له تأثير في برود حالات التجاذب المذهبي في بغداد.

ولابد من الأشارة الى الحملات المنظمة التي قام بها السلاجقة تجاه الدعاة الاسماعيليين والنزاريين منهم خاصة والذين ينبزون بـ"الباطنية" ومحاربتهم ومحاولة استئصالهم في مناطق شرق العالم الاسلامي آنذاك[2] ومثل هذا لابد وان يكون له أثر ما تجاه الشيعة الامامية في بغداد[3]، واتخاذها جانب الحذر والتقية في احياء مراسمهم واحتفالاتهم المذهبية خشية ان تجرد تجاههم حملات كالتي جرت على "الباطنية" في المشرق.

وكان السلطان محمد شديداً في سياسته الدينية اكثر ممن سبقه على "الباطنية" في المشرق الاسلامي حتى انه استطاع ان يرسل برأس مقدمهم احمد بن عبد الملك

---

[1] في خبر يورده ابن الجوزي في حوادث سنة ٤٩١هـ/١٠٩٨م ان الاستنفار كثر على الافرنج وتكاثرت الشكايات بكل مكان وكتب الخليفة الى السلطان بركياروق يستنفره على الافرنج. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٤٣ وانظر ايضاً: ابن الاثير، الكامل، ج٧، ص٤٠٢.

[2] انظر لحملات بركياروق تجاه "الباطنية" ومحاربتهم في: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٤٢٦؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٥١١.

[3] في حوادث تبدو فردية، يذكر ابن الجوزي ان باطنياً في بغداد قتل سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٧م بفتوى من كبير الحنابلة آنذاك ابو الوفا بن عقيل. انظر: المنتظم، ج١٧، ص٣٩؛ ويبدو ان تهمة الانتماء الى "الباطنية" كانت ستطال كل من يراد تسقيطه في نظر العامة او بتهمة كيدية وهذا ما حصل لاحد مدرسي النظامية في بغداد سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م ولكن بعد التحقيق معه تبين زيف الادعاء. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٧٤.

بن عطاش[١] الى بغداد للحصول على مكاسب سياسية من الخليفة، وذلك سنة ٥٠٠هـ/١١٠٧م بعد ان قام بحملات مكثفة على معاقلهم في قلعة شاه دز[٢] التي كانوا يتحصنون بها وقتئذ وبعد وقوع الصلح بين السلطان محمد بن ملك شاه واخاه بركياروق، خاصة بعد وفاة السلطان الأخير لان "الباطنية" كانوا يستغلون انشغال الاخوين بالتنافس والحرب بينهما ويجوبون المدن لبث الدعوة لمذهبهم ومعتقداتهم[٣].

وفاة السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي:

بحلول يوم الخميس الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة ٥١١هـ الحادي عشر من نيسان سنة ١١١٨م توفي السلطان محمد بن ملك شاه في اصفهان عن سبع وثلاثون عاماً واربعة اشهر[٤].

---

[١] هو احمد بن عبد الملك بن عطاش كبير الباطنية ومقدمها، كان ابوه اول امره طبيباً، اخذه السلطان طغرل بك واراد قتله، فاظهر التوبة، ومضى الى الري، وصاحب ابا علي النيسابوري وجمع رسالة سماها العقيقة، اما ابنه احمد فأن تظاهر بان لا علاقة له بعقيدة ابيه الباطنية، لكنه استطاع بالخفاء لن يستميل حراس القلعة (شاه دز) من الديلم الى عقيدته، وبذلك استولى على القلعة (شاه دز) التي بناها السلطان ملك شاه الى ان جردت على القلعة حملات لاستعادتها وتم في اخراها قتله وارسال راسه الى بغداد سنة ٥٠٠هـ/١١٠٧م. للمزيد عن هذه الوقائع مع الباطنية انظر : ظهير الدين النيسابوري، سلجوق نامة، صص: ٢٢-٢٣؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٥٠٣.

[٢] شاه دز: قلعة حصينة بناها ملك شاه السلجوقي على جبل اصفهان وصارت بعد ذلك معقلاً لاحمد بن عبد الملك عطاش. وشاه دز معناها قلعة الملك: انظر: ياقوت، معجم البلدان، مـ٣، ج٥، ص١٢٠.

[٣] انظر: ظهير الدين النيسابوري، سلجوق نامة، ص٢٢.

[٤] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٥٧٢ وما بعدها؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٤، ص١٦٧. وقيل توفي يوم الحادي عشر من ذي الحجة سنة ٥١١هـ/الثامن والعشرين من آذار سنة ١١١٨م. انظر: صدر الدين الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٧١.

وعلى الرغم مما نعمت به بغداد ابان سلطنة الاخوين بركياروق وأخاه السلطان محمد من حالات قليلة لحوادث التجاذب المذهبي في بغداد وبطبيعة الحال في ايام خلافة المستظهر بالله، فاننا نلاحظ وعلى وجه المقارنة بين سلوك هذا السلطان عند دخزله بغداد سنة ٥٠٠هـ/١١٠٧م وسلوك ابيه السلطان ملك شاه عند دخوله بغداد سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١، فالسلطان محمد كان قد انقطع للعبادة في مرقد ابي حنيفة النعمان بن ثابت وانقطاعه بالدعاء معتكفاً بالمرقد كسلطان حنفي متدين، ولم تذكر المصادر ان السلطان محمد قد زار غير مرقد ابي حنيفة من المراقد الدينية الاخرى المنتشرة في العراق، فيما زار ابوه ملك شاه فضلاً عن مرقد ابي حنيفة النعمان، على نحو ما بينا سابقاً، المشاهد في باب التبن وبالحائر الحسيني، ومشهد علي ومرقد سلمان الفارسي[١].

وفاة الخليفة احمد المستظهر بالله:

في ليلة الخميس السادس والعشرين من ربيع الاخر سنة ٥١٢هـ/السابع من آب سنة ١١١٨م، توفي الخليفة احمد المستظهر بالله على اثر مرض لم يمهله طويلاً[٢]، وذلك بعد وفاة السلطان محمد بن ملك شاه بنحو من اربعة اشهر فقط[٣].

---

[١] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص١٠٧.

[٢] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص١٦٥؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٥٧٩؛ النويري، نهاية الارب في فنون الادب، مـ١١، ج٢٣، ص١٥٠.

[٣] ومن موافقات الدهر ان وفاة بعض سلاطين السلاجقة يسبق وفاة الخليفة بمدة وجيزة، فكانت وفاة السلطان الب ارسلان سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م ووفاة الخليفة عبد الله القائم بامر الله سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٤م، وكانت وفاة السلطان ملك شاه سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م ووفاة الخليفة عبد الله المقتدي بامر الله سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م ووفاة السلطان محمد بن ملك شاه سنة ٥١١هـ/١١١٨م ووفاة الخليفة احمد المستظهر بعد ذلك باربعة اشهر وقد تنبه الى ذلك ابن الاثير وذكره، انظر: الكامل، ج٨، ص٥٧٩. وكذلك اورد ذلك: شهاب الدين احمد بن يحيى ابو الفضل العمري (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م) مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق: كامل الجبوري (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٠م)، ج٢٧، ص٣١٠.

ان عهد الخليفة المستظهر بالله في بغداد لم يشهد تجاذبات مذهبية تذكر، بل كان اقرب ما تكون فيه الاوضاع الى نوع من الدعة والاستقرار رغم ما شابها من تنازع السلاطين على تخت السلطنة، ورغم ما كان يراد له في ربط البيتين العباسي والسلجوقي بالمصاهرة التي تكررت مع الخليفة القائم بامر الله ومن بعده حفيده المقتدي بامر الله، وولده الخليفة المستظهر بالله[1]، فان هذهِ الزيجات لم تثمر عن ولد ذكر يتولى دست الخلافة.

وبنهاية عهد الخليفة المستظهر بالله وتولي دست الخلافة ولده المسترشد ابو منصور الفضل بدى واضحاً ان الاوضاع في حاضرة الخلافة العباسية مقبلة على دورة جديدة وخطيرة من التقلبات السياسية والعسكرية والتجاذبات المذهبية وهذا ما سنتناوله لاحقاً.

---

[1] كان الخليفة العباسي المستظهر قد تزوج من اخت السلطان محمد بن ملك شاه، بنت السلطان ملكشاه وزفت اليه في رمضان سنة ٥٠٤هـ/آذار ١١١١م وزينت بغداد احتفالاً بهذا الزفاف. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص١٦٢؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص٤٢. ونلفت النظر الى انه في الوقت التي احتفلت به بغداد بزواج الخليفة من اخت السلطان، ففي الوقت ذاته قدم الى بغداد تجار من الشام، وكسروا المنبر ومنعوا الجمعة واستغاثوا. فقال السلطان: مالهم فقالوا: قد استولى الفرنجة على الشام وقتلوا واسروا وسبوا. فقال السلطان: نسير العساكر اليهم. انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص٤٢.

الخليفة ابو منصور الفضل المسترشد بالله[١]

(ربيع الاخرة ٥١٢-ذي القعدة ٥٢٩هـ/تموز ١١١٨-آب ١١٣٥م)

بويع للخليفة المسترشد بالله بعد وفاة ابيه المستظهر بالله، كان يحكم خلالها في السلطنة السلجوقية عدد من امراء البيت السلجوقي في الولايات المكونة لايران والعراق.

وكان الخليفة المسترشد بالله قد استشعر من اخيه الاصغر منه سناً والمسمى عبد الله ابو الحسن الذي استطاع الهروب من بغداد والتجأ الى دبيس بن صدقة[٢]، الا ان الامر استقر للخليفة المسترشد.

تعد ايام خلافة المسترشد بالله العباسي في حقيقة الامر الواقع مؤشراً عن تحول في مجمل الاوضاع السياسية والعسكرية التي كانت تمر بها البلاد من حيث تكوين العسكر واستقلال العراق وتراجع النفوذ السلجوقي عن التحكم بشؤون العراق واهم من كل هذا وقوع حالات التجاذبات المذهبية في حاضرة الخلافة العباسية في امور عدة منها: اضطراب احوال السلطنة السلجوقية من خلال ازدياد حدة وتيرة

---

[١] هو ابو منصور الفضل الابن الاكبر للخليفة المستظهر بالله، وامه ام ولد يقال لها: طرفة. ولد سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م وقيل ٤٨٤هـ او ٤٨٦هـ. خطب له ابوه المستظهر بولاية العهد سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م ونقش اسمه على السكة. وهو من الخلفاء العباسيين المعدودين الذين قادوا العسكر بانفسهم، وقد اتصف بالشجاعة، وكان اول من حاول كسر تسلط وهيمنة سلاطين السلاجقة على امور الخلافة في بغداد على الرغم من عدم توفر الاموال الكافية لديه، توفي غيلةً في مراغة سنة ٥٢٩هـ/١١٣٥م واتهمت الباطنية بقتله. للمزيد عن سيرته وحياته انظر: ابن العمراني، الانباء في تاريخ الخلفاء، صص: ٢١٠-٢٢١؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، صص: ١٦١-١٦٤؛ ابن الكازروني، مختصر التاريخ، صص: ٢١٩-٢٢٣؛ كمال الدين الدميري (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م)، حياة الحيوان الكبرى (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٣م) ج١، ص١٢٠؛ جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، صص: ٥٠٩-٥١٣؛ وانظر ايضاً :

Carole Hillen Brand, Al-Mustarshid, EI.2, vol.VII, 733-735.

[٢] انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص٥٨٠.



التنافس بين افراد الجيل الثالث من السلاطين السلاجقة وتجاوز ذلك بينهم الى افراد الجيل الرابع منهم مع بقاء من سمي بالسلطان الاعظم وهو السلطان السلجوقي ابو الحارث سنجر بن ملك شاه[(١)] والذي يعد كبير البيت السلجوقي آنذاك الذي كان يحاول بكل جهده، وبلغة تصالحية لم شمل افراد البيت السلجوقي، وظهر هذا واضحاً في مجمل النزاعات التي كانت تجري بين الاخوة وابناء الاخوة وابناء العم في السنوات ما بين ٥١١هـ/١١١٧م وحتى وفاته سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م.

الأمر الاخر في هذا التحول الذي اشرنا اليه، هو البروز المؤثر والفعال وبدرجة كبيرة ومتنامية للدور الذي لعبه "ملك العرب" دبيس بن صدقه في مجمل الاحداث السياسية وتجاذبات التنافس على السلطنة السلجوقية فضلاً عن شدة تلك التجاذبات المذهبية التي كانت قائمة في حاضرة الخلافة العباسية بغداد.

فضلاً عن ذلك، وهو الاهم سياسياً: بروز دور كان غائباً للخليفة العباسي في مجمل هذهِ الاحداث التي عصفت بدولة الخلافة العباسية وبالسلطنة السلجوقية متمثلاً بكل قوة في تولي الخليفة المسترشد بالله قيادته للعسكر وحروبه مع كل من المزيديين بشخص دبيس بن صدقة تارةً والانتصار عليه وتارة أُخرى مع السلطان السلجوقي مسعود وانهزامه من أمامه واسره ومن ثم مقتله سنة ٥٢٩هـ/١١٣٥م.

---

(١) هو السلطان الاعظم "معز الدنيا والدين" ابو الحارث سنجر بن ملك شاه يمين امير المؤمنين، هكذا تورد اسمه المصادر الخاصة بالسلاجقة، ولد في سنجار سنة ٤٧٧هـ/١٠٨٤م وهو الثالث في ترتيب اولاد السلطان ملك شاه الاربعة، استوطن مرو، ودخل بغداد مع اخيه السلطان محمد واجتمع بالخليفة العباسي المستظهر بالله وخطب له بولاية العهد بعد اخيه محمد، واستقام امره بعد وفاة السلطان محمد، اسره الغز لمدة خمس سنوات، وخلص من الاسر وكاد يعود الى ملكه لكنه توفي في سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م. للمزيد عنه وعن سيرته ووقائع زمانه انظر: صدر الدين الحسيني، زبدة التواريخ، صص: ١٧٥-١٩٥؛ وانظر: يحيى حمزة عبد القادر الوزنة، الدولة السلجوقية في عهد السلطان سنجر (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٤م).

التجاذبات المذهبية تجاه الامامية في عهد الخليفة المسترشد بالله:

يمكن اعتبار استشعار الخليفة المسترشد بالله، بهروب اخيه الاصغر منه المدعو "ابو الحسن" عبد الله[1] من بغداد بعد اتمام البيعة للخليفة مباشرة، ولجوءه الى الامير دبيس بن صدقة في الحلة[2]، وهو المعروف بتوجهاته الشيعية هي في حقيقتها توجساً من مذهب الامير دبيس بن صدقة الامامي[3]، على نحو ما سيلاحظ لاحقاً لنا في ان سبب غالب التجاذبات المذهبية تجاه الشيعة الإمامية في عهد الخليفة المسترشد ستكون مع قوى الامير دبيس بن صدقة او بسببه مباشرة، لانه كان احد القوى الفاعلة في عهد الخليفة المسترشد بالله وهو كما لا يخفى كونه امامي المذهب.

---

[1] هكذا ورد اسمه لدى ابن العمراني. انظر: الانباء في تاريخ الخلفاء، ص٢١١. فيما يذكر الذهبي ان اسمه هو "علي" انظر: الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١١، ص٤. وتذكر باقي المصادر اسمه بالكنية "ابو الحسن" فقط.

[2] انظر: ابن العمراني، الانباء في تاريخ الخلفاء، ص٢١١؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٥٨٠ وما بعدها؛ محمد بن شاكر الكتبي (ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م) عيون التواريخ، تحقيق: فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم (بغداد: وزارة الاعلام سلسلة كتب التراث، ١٩٧٧م) ج١٢، ص٨٢.

[3] كان احمد بن عبد الوهاب السيبي (ت٥١٤هـ/١١٢٠م) والمدفون بمقبرة باب حرب المختصة بالحنابلة، هو الذي انتدبه الخليفة المستظهر بالله لتأديب اولاده، لكنه "آنس بالامير الفضل" الخليفة المسترشد فيما بعد"، وقد ولاه الخليفة المسترشد بعد توليه دست الخلافة، امر النظر في المخزن. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص١٨٨. مع ملاحظة ان الوظيفة التي حصل عليها السيبي كانت لـ يوسف بن احمد، ابو طاهر الحرزي الذي امر الخليفة المسترشد بمصادرته وقتله بعد توليه دست الخلافة انتقاماً منه لانه 'كان لا يوفي المسترشد حق التعظيم وهو ولي عهد". انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص١٦٨ و ١٦٩. ثم ان ابن عقيل (ت٥١٣هـ/١١١٩م) يذكر ان الخليفة المسترشد تميز "بطريقة جده القادر" وهو دون شك يقصد بميله الى الحنابلة. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص١٦٢.

ففي العام ٥١٣هـ/١١١٩م منع الامير دبيس بن صدقة الخطبة وصلاة الجمعة في مشهد علي (النجف) ومشهد الحسين وكسر المنبر فيهما[١]. وهو بهذا الاجراء انما يؤكد ما تذهب اليه الشيعة في ان صلاة الجمعة بشروط:

"احداها حضور الامام العادل او من نصبه الامام للصلاة"[٢]، وفي الحقيقة فان هذا الامر يفهمه الخليفة المسترشد على انه يعني عدم اعتراف الامامية بشرعية خلافته لان غالب مراجع الشيعة الامامية وقتئذ كانت تقر في مسائل اجتهادية تقول بعدم صحة صلاة الجمعة في زمن الغيبة الكبرى[٣]، وينظر الى عمل دبيس هذا بأنه استفزاز من قبل الامير للخليفة المسترشد، فضلاً عن اشعار دبيس بن صدقة للخليفة في بغداد بان كبير المزيديين صار قادراً على التصريح بعقيدته وتطبيقها في مناطق سيطرته ونفوذه دون خوف او تقية.

وقد يعزى تحرك دبيس بن صدقة هذا بعد ان طالب الخليفة المسترشد بالله بدار ابيه التي اضيفت الى جامع القصر في زمن الخليفة المستظهر بالله باسترجاعها او التعويض عنها مشفوعة بفتوى من قاضي القضاة وجماعة من الفقهاء بوجوب ردها[٤].

---

[١] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص١٧٤.

[٢] انظر: ابي عبد الله محمد بن احمد بن ادريس العجلي الحلي (ت٥٩٨هـ/١١٩٣م) كتاب السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي، تحقيق وتقديم: محمد مهدي الخرسان (النجف: مكتبة الروضة الحيدرية، ٢٠٠٨م) ج٨ (ضمن موسوعة ابن ادريس الحلي) ص٤٢٣.

[٣] وهذا ما ذهب اليه سالار الديلمي وصححه ابن ادريس الحلي. انظر: ابن ادريس الحلي، كتاب السرائر، ج٨، ص٤٤١. وسالار الديلمي: هو الشيخ ابو يعلى سالار بن عبد العزيز الديلمي، احد تلاميذ الشيخ المفيد، واحد مراجع الشيعة الامامية الاثنى عشرية في زمانه توفي في تبريز سنة ٤٤٨ او ٤٦٣هـ / ١٠٥٦ او ١٠٧١م. للمزيد عنه انظر: الميرزا عبد الله افندي الاصبهاني (من اعلام القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي) رياض العلماء وحياض الفضلاء، تحقيق : احمد الحسني (قم: مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ١٤٠٣هـ) ج٥، ص٥٣٢؛ محسن الامين، اعيان الشيعة، مـ١١، صص: ١٠٩-١١٢.

[٤] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص١٦٣.

وعلى الرغم من الخلع التي ارسلت الى دبيس من الخليفة المسترشد صحبة نقيب النقباء وابن السيبي[١] في محاولة ترضية من الخليفة لدبيس فضلاً عن تأكيد لولاء دبيس للخلافة في بغداد فأن المصادر التاريخية المتاحة لم تذكر ان الدار قد ردت الى دبيس ام لا.

وكان لاضطراب امر السلطنة السلجوقية في التنافس الى حد الاقتتال بين اركان البيت السلجوقي الاثر البالغ في تطلع دبيس بن صدقة الى مزيد من الدور السياسي والمكانة الفاعلة في وقائع دولة الخلافة العباسية[٢]، فعلى الرغم من تصالح السلطانين ابو الحارث سنجر بن ملك شاه متولي خراسان وابن اخيه ابو القاسم محمود بن محمد بن ملك شاه بمركزه في اصفهان بعد ان تحاربا، لتكون الخطبة لسنجر ومن بعده لمحمود، واعلما الخليفة ببغداد بذلك في جمادي الاولى سنة ٥١٣هـ/آب ١١١٩م[٣]. فان الخصومة ما لبثت ان وقعت بين السلطان محمود بن محمد بن ملك شاه واخيه مسعود في ربيع الاول ٥١٤هـ/حزيران ١١٢٠م، ذلك ان دبيس كاتب اتابك الامير مسعود في طلب السلطنة لمسعود ابن السلطان محمد[٤]. اما دبيس نفسه فأنه سار من الحلة الى بغداد، وبالغ ابن الجوزي في وصف "اذية بغداد" و "نهب اطرافها" على الرغم من ارسال الخليفة المسترشد نقيب الطالبيين ابا الحسن علي بن المعمر لتحذيره من المخالفة، "فلم ينفع ذلك"[٥].

---

[١] وكانت الخلع عبارة عن فرجية وعمامة وطوقاً وفرساً، ومركباً وسيفاً ومنطقة ولواء. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص١٦٤.

[٢] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٥٩٢؛ ابن شاكر الكبتي، عيون التواريخ، ج١٢، ص٨٩.

[٣] كان ديوان الخلافة في بغداد، وحتى الخليفة نفسه يلجأ الى دبيس في حالات عديدة، مثل ما حصل سنة ٥١٣هـ/١١٢٠م عندما استغاث الناس في تاخر الحج فارسل الخليفة الى دبيس ليساعد امير الحاج "نظر" في تسيير الحجاج انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص٥٩٧.

[٤] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٥٩٩.

[٥] انظر: المنتظم، ج١٧، ص١٨٦ و ١٨٧.

وهكذا فأن دبيساً المزيدي دخل بغداد بعساكره غير النظامية وضرب سرادقه في الجانب الغربي بازاء دار الخلافة[1]، وربما ولبرهة من الزمن صار دبيس ينظر الى نفسه كند معادلاً للسلاطين السلاجقة، حتى انه عندما مضى للعزاء بوفاة والدة نقيب العلويين في الكرخ فان اهل الكرخ احتفوا به فرحين و "نثروا عليه"[2]. والظاهر ان اهالي الكرخ من الاعيان والعوام فرحوا بمقدم دبيس الى بغداد لاجل المذهب ذلك ان اهل باب الازج وهم حنابلة اسمعوه سبهم اياه لاجل المذهب ايضاً فضلاً عن تهديده لدار الخلافة ان استدعوا السلطان السلجوقي من اجل ذلك انحدر صدقة الى بلده مفارقاً بغداد خشية التصادم. وبالمقابل فأن السلطان محمود بن محمد بن ملك شاه دخل بغداد بعد ذلك في رجب ٥١٤هـ/تشرين الاول ١١٢٠م فنثر عليه اهل باب الازج الدنانير وهم الذين سبوا دبيساً الذي ضرب جماعة منهم بباب النوبي[3].

وفي خبر ينفرد به ابن العمراني[4] ان الذي دفع دبيس الى قصد بغداد هو ان الخليفة المسترشد كان وعده بعشرين الف دينار ان سلم الى الخليفة اخاه الذي كان قد فارق بغداد الى بلد دبيس لاجئاً اليه، وعندما مطل الخليفة ثمن تسليم اخاه ابا الحسن، فأن دبيساً استغل تشاغل السلاطين في خصوماتهم وتنافسهم على النفوذ والسلطنة وقدم بغداد، حتى انه صدر من دبيس مقولة فيها تعريض بالخلافة ودورها: "والله لا نقضن الدار حجراً حجراً، وما انا بدون البساسيري" فأنه قال ذلك ورجع الى بلده بالحلة بعد ان نهب السواد واحرق الغلات.

ثم ان السلطان محمود تجهز للمسير الى حلة دبيس الذي احتاط لذلك بأن ارسل نساءه الى البطيحة واخذ امواله وسار عن الحلة باتجاه البر. في الوقت الذي

---

[1] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص١٨٧؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٦٠١.

[2] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص١٨٧؛ ولم يذكر ابن الجوزي ما الذي نثر عليه، وعادةً يكون بالدراهم.

[3] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص١٨٧.

[4] انظر: ابن العمراني، الانباء في اخبار الخلفاء، ص٢١٣.

وصل السلطان الى الحلة ولم ير احداً من عسكر دبيس، وهنا نرى السلوك المراوغ لدبيس مع قوى النزاع مع الخلافة والسلطنة في كل مرة حيث ارسل دبيس عندئذ الى الخليفة والسلطان يعتذر، "فلم يتم امره"[١].

وفي مثل هذهِ الاحداث تبرز فئات العيارين في محال بغداد وابوابها، فعبثوا ببغداد، و "اخذوا الدور جهاراً نهاراً"[٢].

في خضم هذهِ التداعيات، فإن الخليفة المسترشد رأى ان يخرج بنفسه للمسير الى دبيس لتأديبه ومناجزته، خاصة بعد هزيمة دبيس للبرسقي صاحب الموصل الذي سير لقتاله بعد ان اغري بتسلم شحنكية بغداد والعراق[٣]: ففي ذي الحجة سنة ٥١٦هـ/شباط ١١٢٣م اخرج الخليفة المسترشد بالله السرادق، و "نودي النفير فأمير المؤمنين خارج الى القتال عنكم يا مسلمين"[٤].

وتمت المناجرة بين عسكر الخليفة وعسكر دبيس في محرم سنة ٥١٧هـ/آذار ١١٢٣م، ويلاحظ ان المصادر تبالغ في تبيان تصرفات متقدمي عسكر الخليفة وهم يتلون الادعية والاذكار والقرآن من اجل النصر على دبيس وبين ما يحصل في عسكر دبيس "وهم بين ايديهم الإماء تضرب بالدفوف، والمخانيث والملاهي"[٥] الا ان النصر بهذهِ الوقعة كان لعسكر الخليفة، فقد هرب دبيس بعد ان مني عسكره بهزيمة ساحقة وعاد الخليفة منصوراً الى بغداد.

ولنا وقفة مع تداعيات هذهِ الواقعة من الناحية المذهبية، فأبن الجوزي يذكر جملة امور يبرر فيها محاربة عسكر الخليفة لدبيس وجماعته، فهو يذكر ان دبيس

---

(١) انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٦٠١.

(٢) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٨، ص٣٩١.

(٣) انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٦٢٠.

(٤) انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٢٠٧. وانظر ايضاً: ابن الاثير، الكامل ، ج٨، ص٦٣٠.

(٥) انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٢١٦؛ ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص٦٣١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٨، ص٣٩٥.

كان يظهر سب الصحابة ما لا يقف عند حد وان الفتاوي اخذت "فيما يجب على من سب الصحابة"، وان "ابن مزيد ترك الصلوات، وانهم لا يعرفون الجمعة والجماعات، ويتظاهرون بالمحرمات". واجاب الفقهاء بانه لا يجوز الاغفاء عنهم، "وان من قاتلهم فله اجر عظيم"، "وانه لا يسمع ببلده اذان ولا قرآن" بل وينسب كل منقصة بسبب شؤم دبيس حتى يرى ان انقطاع الحج يشؤمه[١].

والظاهر ان من خرج مع دبيس في عسكره كان وراء خروجهم غايات مختلفة اجتمعوا فيها على مناهضة عسكر الخلافة وحاضرتها بغداد اذ يورد ابن الجوزي الحنبلي، ان فيهم من العسكر من منيّ بنهب بغداد وهؤلاء على ما يبدو ممن كانوا يعيشون على هامش المجتمع، وهم ممن عانوا شغف العيش، فكانوا من "الرجالة" وهذا يعنهي انهم ما كانوا ممن يمتلك دابة ركوب (فرس او بعير او غيرها) حتى انهم صاحوا على عسكر الخليفة: يا اكلة الخبز الحواري[٢] والكعك الابيض، اليوم نعلمكم الطعان والضرب بالسيف[٣]. الا ان فيهم بالمقابل من جاء للقتال لاجل المذهب حتى ان ابن العمراني يذكر في خبر انفرد فيه دون غيره ان من هؤلاء الرجالة من كان يصيح وبصوت واحد: العنوا زقلي ومقلي والعنوا شيخ الضلالة[٤]، وربما هنالك من منّى نفسه بانتهاك الحرمات فضلاً عن السلب والنهب[٥].

ان هذا الصدام انتهى بهزيمة دبيس وقتل واسر الذين خرجوا معه في عسكره وهي هزيمة شنيعة لهذا الامير الإمامي الهوى، وقد تعزى هزيمة دبيس الى عدم توفر غطاء ديني شرعي لمعركته، فلم نعثر على فتوى من مراجع الشيعة وقتئذ تسانده في

---

[١] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، صص: ٢٠٨-٢١٠.

[٢] الخبز الحواري: هو خبز الدقيق الابيض. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مـ٢، ص١٨٣.

[٣] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٢١٦.

[٤] انظر: ابن العمراني، الانباء في تاريخ الخلفاء، ص٢١٥. ويذكر ابن العمراني ان هؤلاء لما اسروا استفهموا عن هذهِ الاسماء فقالوا هي كناية عن ابي بكر وعمر وعثمان.

[٥] ويصعب الركون الى ما يذكره ابن العمراني بهذا الشأن. انظر: الانباء في تاريخ الخلفاء، ص٢١٥.

معركته، فضلاً عن ان غالب جنده كان من المتطوعة غير المحترفين ثم ان دبيس نفسه كان قد عادى الخليفة وسلاطين السلاجقة الاتراك كلهم وهذا امر لا يمكن تجاوزه في هكذا ظروف، وفي المقابل كان معسكر السلطان والخليفة يتمتع بالشرعية السياسية–الدينية في نظر كل من يقاتل تحت لواءه من الامراء والجند فضلاً عن كون عسكر السلاجقة من الفرسان والرجالة هم من المقاتلين المحترفين الذين يجيدون القتال وضرب النشاب ومن على صهوة الجواد.

رجع الخليفة المسترشد منتصراً الى بغداد ودخلها يوم عاشوراء من سنة ٥١٧هـ/العاشر من آذار سنة ١١٢٣م، مصحوباً بالاسرى الذين امر الخليفة نفسه ان تضرب اعناقهم صبراً[١] وبين يديه[٢] وقيل ان الاسرى مثل بهم (طبخوا ورمت جثثهم للكلاب) [٣].

كان تأثير هذهِ الواقعة على العامة في بغداد كبيراً حتى ان الخليفة لما عاد الى بغداد منتصراً "ثار العوام" على تعبير ابن الجوزي ويقصد بهم العامة من مخالفي الامامية في بغداد، و "قصدوا مشهد مقابر قريش ونهبوا ما فيه، وشباكه واخذوا ما فيه من الودائع والذخائر"، ولما جاء العلويون يشكون الى الديوان خرج توقيع الخليفة بالتوقف "بعد ان اطلق في النهب" فانه عاد و "انكر ما جرى" ووجه احد المماليك ويدعى "نظر الخادم" في الركوب الى المشهد "وتأديب الجناة"، ويبدو ان ابن الجوزي اراد ان يشرعن ما جرى فذكر ان "مارد من النهب كُتبٌ فيها سب الصحابة واشياء قبيحة"[٤].

---

[١] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٩٧.

[٢] انظر: ابن شاكر الكبتي، عيون التواريخ، ج١٢، ص١٣١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٨، ص٣٩٧.

[٣] انظر: ابن العمراني، الانباء في تاريخ الخلفاء، ص٢١٥.

[٤] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٢١٧؛ وانظر الخبر مختصراً عند: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٦٣١.

ويبدو ان الخليفة المسترشد وتعبيراً عن سعادته بما حققه من انتصار فأنه عزم في النصف من صفر (أي بعد عودته من حرب دبيس بشهر واحد، الى قاعدة الخلافة بغداد) فأنه شرع ببناء سور على بغداد في اجواء احتفالية صاحبها احتفالات ضخمة اغلقت فيها الاسواق بالمدينة، وعززت الاحتفالات بعمل القباب وذلك لمناسبة ختان اولاد الخليفة واولاد اخوته الاثني عشر[1].

اما الاجراء الاخر الذي اتخذه الخليفة المسترشد بالله، وتكلل بالنجاح ايضاً هو عزل نقيب الطالبيين[2] عن النقابة وجمع عملها لنقيب العباسيين علي بن طراد الزينبي[3] فصار ابن طراد نقيباً للعلويين والعباسيين معاً، وبنفس الوقت هدمت دار علي بن افلح الذي كان الخليفة المسترشد يجله ومنحه لقب "جمال الملك" وكذلك هدم دار نقيب الطالبيين وكان السبب في ذلك اتهامهما بانهما كانا عينيين (جاسوسين) لدبيس في بغداد[4].

وفي ما عدا هذا الصدام لم تذكر أي من المصادر التي بين ايدينا أي من حالات تجاذب مذهبي تجاه الشيعة الامامية الاثني عشرية في بغداد بقية سنوات حكم الخليفة العباسي المسترشد بالله منذ الانتصار الذي حققه على دبيس بن صدقة

---

[1] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٢١٩؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٦٣٦؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١٠، ص١٤ و١٥؛ ابن شاكر الكتبي، عيون التواريخ، ج١٢، ص١٤١.

[2] وكان النقيب آنذاك هو: علي بن محمد بن المعمر العلوي الحسيني، ابو الحسن الطاهر (ت٥٣٠هـ/١١٣٥م). انظر عن سيرته في: ابو عبد الله محمد بن محمد بن محمود المعروف بأبن النجار البغدادي (ت٦٤٣هـ/١٢٤٥م) ذيل تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م) مـ١٨، ج١٩ (ضمن تاريخ بغداد للخطيب البغدادي) ص١١٩؛ وانظر: سولاف فيض الله حسن، البيوتات العلوية في العصر العباسي، ص١٤٢.

[3] انظر ترجمته في: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٧، ص١٠٩.

[4] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٢١٧؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٦٣٦ و ٦٣٧.

في عام ٥١٧هـ/١١٢٣م وحتى سنة وفاته مقتولاً في يوم الخميس السابع عشر من ذي القعدة سنة ٥٢٩هـ/الثاني والعشرون من آب سنة ١١٣٥م. وكان ذلك على باب مراغه قاعدة آذربيجان(١).

مصير الامير دبيس بن صدقة الاسدي:

على اثر الهزيمة التي مني بها عسكر دبيس أبن صدقة، فان قائدهم دبيس قصد غزية(٢) من قبائل عرب نجد، وطلب منهم ان يحالفوه ضد الخليفة، فامتنعوا خشية سخط الخليفة المسترشد عليهم فرحل الى المنتفق(٣)، وسار معهم الى البصرة فنهبوها(٤)، ويقال انه التحق بالافرنج وحضر معهم حصار حلب، وبعد ذلك قصد العراق مع "الملك طغرل" اخ السلطان محمود بن محمد بن ملك شاه الذي اكرمه وجعله من حاشيته(٥). ثم ان دبيساً زين لطغرل هذا قصد العراق من اجل محاربة الخليفة وفعلاً قصد الفريقان العراق سنة ٥١٩هـ/١١٢٥م، فخرج اليه الخليفة المسترشد بالله، وبعد خطوب ومخاتلات كاد فيها الخليفة ان يعفو عن صدقة عندما قبل الارض وهو يرى شمسة الخليفة، لكن علي بن طراد الزينبي وزير الخليفة ثناه عن ذلك(٦)، فسار صحبة الملك طغرل الى السلطان سنجر في خراسان للمعاضدة، واطمع السلطان

---

(١) انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٢٩٩؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٧١٥؛ ابن النجار، الذيل على تاريخ بغداد، ج٢٠، ص١٤٩.

(٢) غزية: قبيلة كبيرة كثيرة العدد، وهي اكثر عدداً ورجالاً من خفاجة، وهي تنزل حوالي نجد، والنسبة الى القبيلة هي الغَزَوي. انظر: السمعاني، الانساب، ج٤، ص٢٦٢.

(٣) المنتفق: قبيل مشهور نسبة الى المنتفق بن عامر بن صعصعة. انظر: عز الدين ابن الاثير الجزري (ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م) اللباب في تهذيب الانساب (بيروت: دار صادر، ١٩٨٠م) ج٣، ص٢٥٩.

(٤) انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٢١٩ وما بعدها.

(٥) انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٦٣٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٨، ص٣٩٦.

(٦) انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص٦٤٦.



سنجر في قصد العراق، وهذا ما عزم عليه سلطان خراسان سنجر لكنه اوكل المهمة الى ابن اخيه السلطان محمود الذي سار الى بغداد سنة ٥٢٣هـ/١١٢٩م محاولاً في البداية اصلاح حال دبيس مع الخليفة دون جدوى، ولم يوفق الى ذلك[١]، فغامر دبيس وسار الى بلده (الحلة) التي دخلها في رمضان ٥٢٣هـ/ايلول ١١٢٩م ودون علم السلطان محمود، ولما سمع بذلك الخليفة المسترشد جند العساكر ثانيةً لقتاله، لكن دبيساً فرَّ من الحلة الى البصرة ومنها للبرية بعد ان عجز عن ارضاء كل من الخليفة والسلطان باموال وهدايا ارسلها لهم[٢]. وهكذا بقي دبيس هائماً مطارداً حتى بدت له بارقة امل بالزواج من ارملة صاحب صرخد[٣] بالشام التي وصِفَ لها دبيساً فرغبت بالزواج منه وتسلمه قلعتها. لكن دبيس ضلَّ به الادلاء حتى وقع بيد تاج الملوك بوري أتابك دمشق فسمع به صاحب الموصل الاتابك عماد الدين زنكي الذي رغب في تسلمه، وتم له ذلك، ويقال ان الاتابك اكرمه وقدمه رغم ما كان يقع فيه دبيساً فيما سبق من خلاف. وذلك سنة ٥٢٥هـ/١١٣٠م[٤].

وهكذا قصد عماد الدين زنكي بغداد بصحبة دبيس بن صدقة، ولمحاربة الخليفة المسترشد الذي هزمهما سنة ٥٢٦هـ/١١٣١م، فلاذ دبيس ببلاد الحلة وتلك النواحي اولاً، متنقلاً من حرب الى اخرى وفيها جميعاً يذوق مر الهزيمة حتى التحق بالسلطان مسعود الذي كان قد حل محل اخيه السلطان طغرل بعد وفاته، فسار اليه الخليفة المسترشد، ليواقعه في دايمرج قرب همدان سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م[٥] وكانت آخر وقائعه التي اسر فيها الخليفة. ومن ثم قتل قرب مراغه ولم يلبث دبيس الا قليلاً

---

[١] انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص٦٦٧.

[٢] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٢٥٣ و ٢٥٤؛ ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص٦٦٨.

[٣] صَرْخَد: بلد ملاصق لبلاد حوران من اعمال دمشق وهي قلعة حصينة وولاية حسنة. انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص١٨٤.

[٤] انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص٦٨٠ و ٦٨١. وانظر مختصراً في: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٢٦٣.

[٥] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٧١٣.

حتى الحق بالخليفة المقتول سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م[١] وليبدو الامر وكأنه انتقاماً لمقتل الخليفة المسترشد.

وهكذا انتهت حياة هذا الامير الاسدي الذي ظل حظه متعثراً في غالب حروبه حتى وصف بالشؤئم على نفسه وعلى من يصحبه.

تقييم خلافة المسترشد بالله:

كانت سنوات خلافة المسترشد بالله حافلة بجملة من الحوادث من الناحية المذهبية، ابرزها ما حصل تجاه الامير دبيس بن صدقة المزيدي، وحملة الخليفة على الحلة السيفية المزيدية وتنكيله بالاسرى من اصحاب دبيس وقتلهم صبراً، الامر المثير ان الخليفة المسترشد اراد وبشكل مستعجل وبالقوة العسكرية التي بمعيته التخلص من التسلط والنفوذ السلجقي على مقدرات الخلافة وحاضرتها بغداد ولكن المفارقة ان الخليفة نفسه لم يستثمر القوة المتنامية عند الامير دبيس ويحاول ان يعززها لصالحه بل ان الذي حصل هو العكس والثابت في سبب ذلك هو الاختلاف المذهبي بين الامير دبيس والخلافة العباسية، لذلك فأن الخليفة المسترشد نفسه بعد ما حقق الانتصار على الامير دبيس بن صدقة سار الى محاربة الغز السلاجقة فكانت نهايته في ٥٢٩هـ/١١٣٥م.

---

[١]انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص٧١٧.

عهد الخليفة الراشد بالله ابو جعفر منصور:[1]

(٢٦ ذي القعدة ٥٢٩-١٨ ذي الحجة ٥٣٠هـ/٣١ اب ١١٣٥-٩ أيلول ١١٣٦م) [2]

مع ورود خبر مقتل الخليفة المسترشد بالله الى دار الخلافة بويع ولده الخليفة الراشد بالله ابو جعفر منصور وخلافته كانت نحو من سنة لا غير، لكن في هذهِ السنة كان لها وقائع لها مغزاها بخصوص التجاذب المذهبي في بغداد من هذه الامور: الحزن المفرط على الخليفة المسترشد بالله ومقتله وممارسات العامة من اهل بغداد بمظاهر الحزن بالبكاء والنحيب، وخروج الرجال حفاة مخرقين الثياب، والنساء منثورات الشعور وينظمن الاشعار[3]، وغالب هذهِ الاعمال مما يقوم بها الامامية في بغداد في مظاهر الاحتفال بيوم عاشوراء، وهو ما ينكره مخالفيهم وبذلك يتضح لنا ان المخالفين لهذهِ الممارسات انما لا يعترضون على اقامة هذهِ الافعال وانما على من تقام له هذهِ الافعال. امرٍ آخر فان المصادر التاريخية تذكر انه في اواخر سنة

---

[1] الخليفة العباسي الثلاثون ابو جعفر منصور الراشد بالله بن الخليفة الفضل المسترشد بالله ولد سنة ٥٠٢هـ/١١٠٩م، وامه ام ولد يقال لها جلنار، خطب له بولاية العهد في اكثر ايام خلافة ابيه، خلع بفتاوي بمجلس عقده السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي في ١٥ ذي القعدة ٥٣٠هـ/الثامن من آب ١١٣٦م. بامور نفقت عليه، خرج من بغداد الى الموصل ومنها الى آذربيجان ودخل مراغة وزار قبر ابيه المسترشد، ثم وثب عليه جماعة قيل انهم باطنية وقتلوه في ٢٦ رمضان ٥٣٢هـ/الثلاثون من مايس ١١٣٨م. للمزيد عن سيرته انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٢٥٥ وما بعدها؛ ابن الكازروني، مختصر التاريخ، صص: ٢٢٤-٢٢٧؛ عبد الرحمن سبط قنيتو الاربلي (ت٧١٧هـ/١٣١٧م) خلاصة الذهب المسبوك من سير الملوك (بغداد: مكتبة المثنى، ١٩٦٤م) صص: ٢٧٣-٢٧٥؛الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٤، ص٨٩ وما بعدها؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٥١٤ و ٥١٥.

[2] اعتمدنا تاريخ مبايعة عمه الخليفة الحادي والثلاثون محمد المقتضي لامر الله على انه تاريخ انتهاء خلافته.

[3] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٢٩٩؛ وانظر مختصراً في: ابن شاكر الكبتي، عيون التواريخ، ج١٢، ص٢٩٣.

٥٢٩هـ/١١٣٥م "مضى الى زيارة مشهد علي ومشهد الحسين عليهما السلام خلق لا يحصون وظهر الرفض"(١). والمؤكد منه ان هذا "الظهور للرفض" حدث بعد مقتل الخليفة المسترشد واول ايام ابنه الخليفة الراشد بالله، وهذا يعني ان الامامية (الرافضة) ايام خلافة المسترشد بالله كانوا لا يظهرون امر تشيعهم وانما عمدوا الى اظهار ذلك على اثر وفاة الخليفة المسترشد(٢).

لكن ايام الخليفة الراشد بالله في بغداد لم تطول بعد أن طالبه السلطان مسعود السلجوقي بالأموال وما كان ليستطيع أن يؤديها، لان الأموال كانت صحبة ابيه المسترشد عندما سار لقتال السلطان مسعود، وقد نهبت في مراغة وصاحب ذلك نقض مواضع من السور الذي كان المسترشد بالله قد اقامه لحماية المدينة(٣)، حتى تبقى بغداد في جانبها الشرقي غير محصنة بسور يعرقل دخول عسكر السلطان اليها. وهكذا استشعر الخليفة الراشد بالله من مجمل هذه الامور فخرج سراً الى الموصل(٤).

ومنها سار الى مراغة مركز قاعدة آذربيجان، حيث زار قبر ابيه المسترشد ولم يطل به الأمر طويلاً حتى لاقى نفس مصير ابيه في ٢٥ رمضان سنة ٥٣٢هـ/٢٩ مايس ١١٣٨م ودفن بظاهر اصفهان(٥).

ان فترة خلافة الراشد بالله تعد احدى فترات الاضطراب المجتمعي في بغداد، كان قد استغلها العيارون الذين نشطوا كثيراً ابان هذهِ الفترة ببغداد، ففي رمضان سنة ٥٣٠هـ/حزيران ١١٣٦م "كثر امر هؤلاء العيارين واخذوا المال قهراً، وجلسوا في

---

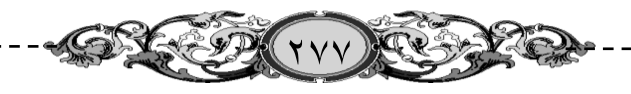
(١) انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٣٠٢؛ الذهبي، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، ج١١، ص١٠٢.

(٢) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٨، ص٤١٤.

(٣) انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٣٠٥؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٧٢١.

(٤) انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٣١١؛ ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص٧٢٦.

(٥) انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٧٤٣.



المحال يأخذون من البزازين"، وكثر فسادهم في شوال / تموز من نفس العام وصاروا يتهددون بالقتل من لا يعطيهم المال[١].

وعندما قتلوا ركابياً لعماد الدين زنكي، فإن الاتابك زنكي قال: "اريد أن اكبس الشارع والحريم على العيارين فاطلق في ذلك فنهب الشارع والحريم"، "فنهبت الابريسم والثياب والذهب والمصاغ"[٢].

عهد الخليفة المقتفي لأمر الله[٣] ابو عبد الله محمد:

(١٨ ذو الحجة ٥٣٠-ليلة الاحد ٢ ربيع الاول ٥٥٥هـ/ ٩ ايلول ١١٣٦-٥ آذار ١١٦٠م)

بويع الخليفة العباسي محمد المقتفي لأمر الله على اثر محضر خلع ابن اخيه الخليفة الراشد بالله من اجل تولي الخليفة الجديد الذي تمتد سنوات حكمه لنحو من ربع قرن من سنوات القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، وعندما تولى محمد المقتفي لامر الله دست الخلافة كان السلطان مسعود[٤] قد استولى على جميع ما

---

[١] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٣٠٩.

[٢] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٧٢٥ وما بعدها؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١١، ص١٠٤.

[٣] هو ابو عبد الله محمد بن احمد المستظهر بالله. ولد في ٢٢ ربيع الاول سنة ٤٨٩هـ/١٣ آذار ١٠٩٦م، وامه ام ولد حبشية يقال لها نزهة ويقال لها ست السادة، وفي ايامه عادت بغداد والعراق الى يد الخلفاء خاصة بعد الوقعة التي خاضها سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م والتي انتصر فيها على السلاجقة الغز. توفي في ربيع الاول ٥٥٥هـ/آذار ١١٦٠م وله ست وستون عاماً هجرياً. للمزيد عن سيرته انظر: ابن الكازروني، مختصر التاريخ، صص: ٢٢٨-٢٣٢؛ الاربلي، خلاصة الذهب المسبوك، ص٢٧٥؛الذهبي، العبر، ج٤، ص١٥٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٨، ص٤٤٤ وما بعدها.

[٤] ابي الفتح مسعود بن محمد "طبر" ابن ملك شاه بن الب ارسلان السلجوقي، ولد سنة ٥٠٥هـ/١١١١م، وامه كانت حظية للسلطان محمد. سُلمَ مسعود الى الاتابك الامير الاسفهسلار مودود صاحب الموصل ولما قتل مودود سنة ٥٠٧هـ/١١١٣م سلم الى الامير اقسنقر=

كان في دار الخلافة وقصورها من خيل وبغال، واثاث[1]، وبذلك يكون السلطان قد اطمأن على نحو ما بان الخليفة لا تتوفر لديه وسيلة سفر او خروج من حاضرته بغداد، فضلاً عن ذلك فانه عمد الى مصادرة كل حلي ومصوغات نساء وسراري الخليفتين المسترشد والراشد، وبذلك حصل هذا السلطان على مزيد من الاموال التي تجمعت لديه ليس هذا فحسب بل انه اطمأن بشكل او بآخر الى ان هذهِ الحلي والمصاغات لم يعد بالامكان ان تحول ايام سلطنته الى وسيلة تمويل أي نشاط معاد ضده، اما الخليفة المقتفي فانه كان قد كتب للسلطان مسعود تفويضاً نصه: "كلنا بحكمك فولِ من تريده واعزل من تريد"[2]. وعلى الرغم من كون هذا التفويض جاء بسبب رغبة السلطان في عزل وزير الخليفة لكن الامر لا يخلو من اذعان من الخليفة العباسي لما يرسمه السلطان السلجوقي في امر شؤون الخلافة.

يبقى ان نقول ان ما ميز غالب سنوات خلافة المقتفي بأمر الله هو حالة من العبث واللهو والاحتفالات التي رغب السلطان مسعود السلجوقي في اشاعتها في المجتمع البغدادي لتمشية ايام سلطنته فكانت بغداد تعيش كل مرة يتزوج بها السلطان من فتاة توصف له بالحسن والجمال[3] فتظهر "بالتعاليق فساد عظيم بضرب الطبول والزمور والحكايات وشرب الخمر ظاهراً" لسبعة ايام متواصلة، ويتكرر الأمر نفسه

=البرسقي. والسلطان مسعود هو الذي خرج الخليفة المسترشد لقتاله وعلى اثر ذلك اسر الخليفة ثم قتله الباطنية بتحريض من السلطان نفسه. ثم عمل السلطان مسعود على خلع الخليفة الراشد بالله ومبايعة المقتفي لامر الله. توفي بهمدان سنة ٥٤٧هـ/١١٦٢م. للمزيد عن سيرته انظر: العماد الاصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، صص: ٢٩٦-٣٠٠؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص٨٨؛ صدر الدين الحسيني، زبدة التواريخ، صص: ٢٢٩-٢٣٥.

[1] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٣١٤.

[2] انظر: المصدر نفسه، ج١٨، ص٤.

[3] دخلت "سفري" بنت دبيس بن صدقة من زوجته بنت الوزير ابن جهير دخلت على اخت السلطان "خاتون" ارملة الخليفة المستظهر بالله تشكو الضر الذي اصابها، فلما رأتها، وكانت بغاية الحسن، فوصفتها للسلطان فاحضر القاضي والشهود وتزوجها وذلك في سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٣٢٧ و ٣٢٨.

عندما وصفت له فتاة ثانية وهي ابنة عمه قاورت فخطبها وتزوجها، وعلق البلاد ثانيةً ثلاثة ايام[١]. وهكذا تكرر الاحتفالات عند ولادة ابن للسلطان[٢] او لزفاف اخت السلطان للخليفة[٣] وفي كل مرة تزين بغداد وتظهر امور توصف بالمنكرات وشرب الخمور ظاهراً ولايام متعددة على طريقة السلاطين السلاجقة الغز وامرائهم.

وفي ٥٣٨هـ/١١٤٣م تكررت مثل تلك الاحتفالات لمناسبة ولادة ذكر آخر للسلطان وجاء في هذهِ المرة من زوجته سفري بنت دبيس "فعلقت بغداد، واخذ الناس في اللعب سبعة ايام، وظهر المفسدون"[٤].

ويبدو ان السلطان مسعود كان مدمناً على الخمر، فيصفه ابن الأثير بأنه "يعاقر الخمر ليلاً ونهاراً"[٥] بل كان له طقس خاص بتحية بعض الأمراء القادمين لبغداد بأن يبعث له كأس ليشربه قبل وردوده لبغداد[٦] وعلى ما يبدو فإن الخمور قد

---

[١] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٥٢٧؛ ابن الاثير، ج٨، ص٧٤٦.

[٢] علقت بغداد مدة ثمانية ايام عندما ولدت للسلطان ابنة عمه قاورت (قادر) ولداً ذكراَ، حتى اعترض احد الزهاد وحطوا التعليق ومات الولد وذلك سنة ٥٣٤هـ/١١٣٩م. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص٣.

[٣] علقت بغداد لمدة عشرة ايام وسط احتفالات الزفاف، وتزوج السلطان بابنة الخليفة في ٥٣٤هـ/١١٣٩م. انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص٧٥٧.

[٤] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص٢٧.

[٥] انظر: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٧٤٦.

[٦] "في ذي الحجة ٥٣٠هـ/ايلول ١١٣٦م قدم ابن دبيس فتلقى بكاس من السلطان فشربه وهو يبكي ويرتعد" فاكرمه السلطان بان بعث له فرس ومركب ودخل الى السلطان. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٣١٤؛ وفي ربيع الاخر سنة ٥٣٥هـ/تشرين الثاني ١١٤٠م نفذ السلطان مسعود كاسا لبهروز ليشربه، فشربه وعلقت بغداد، وعمل سماعاً عظيماً (حفلة غنائية) في دار البرسقي، فحضر عنده ارباب الدولة وجميع القيان، واظهر الناس الطبول والزمور والفساد والخمور. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص٩.

راجت تجارتها آنذاك حتى وردت سفناً تحمل خموراً قدمت لبغداد وربطت مما يلي "المدرسة" ولما اعترض الفقهاء ضربوا"[١].

ولنا ان نتسائل باستغراب اين هم اولئك المتشددون في امر الحسبة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟، واين هم اهل باب البصرة وباب الشعير من الحنابلة؟ ، ممن كانوا يعترضون على احتفالات مخالفيهم الامامية في يوم الغدير فرحاً او يوم عاشوراء حزناً وما الى ذلك من المناسبات التي لا تصاحبها شرب خمور او منكرات كما كان يحصل ابان عهد السلطان مسعود، لم نر منهم ذلك الصخب والاقتتال في شأن كل هذهِ الامور. نعم لم تذكر المصادر التاريخية طوال سني خلافة الخليفة المقتفي بأمر الله أي من حالات التجاذب المذهبي إلا ما ندر مثال على ذلك ما حدث سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م عندما قبض على البديع صاحب ابي النجيب المتصوف الذي حمل الى الديوان واخذ من عنده الواح من طين عليها اسماء الأئمة الأثني عشر[٢]، ولا يذكر ابن الجوزي الذي اورد الخبر، الغرض من هذهِ الألواح الطينية، فهل كانت تستعمل للتعليق في مساجد الامامية ام كانت صغيرة لتستعمل في السجود عليها لما درج عليه الشيعة الإمامية من السجود على التراب (ما يطلق عليه الان بـ التربة). مع ملاحظة ان هذا الامر لم تثر بسببه فتنة، كالتي كانت تحصل بين الفريقين من المسلمين، مع ان القبض على البديع صاحب ابي النجيب السهرودي تم من قبل الديوان.

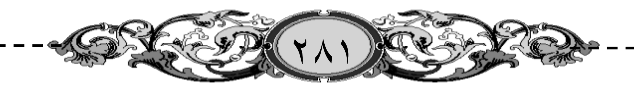
وغني عن البيان ان الأجواء الاحتفالية التي نوهنا عنها فيما سبق كانت تحفز فئة من افراد المجتمع البغدادي وهم العيارون ومن ينضم اليهم، في ان يعيشوا حالة العبث والفساد من خلال ممارسة نشاطهم في العيارة وفرض الأتاوات في بغداد وهذا هو الذي حدث في السنوات ٣٣١هـ/١٣٣٧م[٣]،

---

[١] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص٢٦.

[٢] انظر: المصدر نفسه، ج١٨، ص٨٤.

[٣] كان العيارون ياخذون ثياب الناس وقت السحر. انظر: المصدر نفسه، ج١٧، ص٣٢١.



٣٣٢هـ/١٣٣٨م[1] ومما لاشك فيه ان اعمال هؤلاء العيارين كانت تزداد قوة وتتفاقم ابان حالات الاضطراب الأمني وحالات الأزمات وغياب الحزم من السلطة، وهو ما وقع فعلاً بعد ورود الأخبار الى بغداد بمقتل الخليفة الراشد في ٥٣٢هـ/١١٣٧م اذ تعاظم أمر ابن بكران العيار "ببغداد والعراق حتى انه كان يركب ظاهراً" في جمع من المفسدين فضلاً عن ذلك ان العيار وشريكه ارادا ضرب السكة بالانبار بأسمه واسم شريكه فتمت الحيلة عليه بأن لبس ابن اخ الشريف ابو الكرم الوالي ببغداد سراويل الفتوة منه، ثم تم قتله في مجلس شرابه[2]، وهكذا كان أمر العيارين لا يخلو من عبث مستمر ببغداد في غالب سنوات عهد الخليفة المقتفي[3]، بل كان هناك للعيارين من يقاسمهم منهوباتهم من اهل المراتب المتنفذين بالسلطنة السلجوقية ببغداد[4]، اما بعد سنة ٥٣٨هـ/١١٤١م فيلاحظ حالة خفة او انعدام نشاط العيارين التي استمرت حتى وفاة الخليفة المقتفي بأمر الله سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م.

---

[1] وفيها ثار العيارون ونهبوا الاموال، وقتلوا الرجال، وازداد امرهم حتى كانوا ياخذون الاموال جهاراً نهاراً، ولما عاقبهم الشحنة بالقتل والصلب، اخذ المستورين بحجة العيارين، وهذا ما حدى بالناس بالجلاء عن بغداد الى الموصل وغيرها. انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص٧٤٢؛ ومختصراً في: الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١١، ص١٧٨.

[2] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٧٤٤.

[3] مثال ذلك ما حدث من كبسات العيارين سنة ٥٣٤هـ/١١٣٩م. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص٤؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١١، ص١٨٠. وما حدث سنة ٥٣٦هـ/١١٤١م. حيث كانوا يكبسون الدور ليلاً والحمامات سحراً لاخذ الاثواب، فصار الناس لا يخرجون بعد المغرب من بيوتهم. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص١٧؛ ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص١١.

[4] كان لابن قاورت وهو ابن عم السلطان مسعود واخو زوجته وكذلك ابن وزير السلطان حصة مما يأخذه العيارون ببغداد لقاء حمايتهم من المسائلة. لكن السلطان مسعود صلب ابن عمه مع ثلاثة من العيارين بعد ان شاع امرهم بين الناس وذلك سنة ٥٣٨هـ/١١٤٣م. انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص١٧.

تقييم عهد الخليفة المقتفي لأمر الله:

تولى الخليفة المقتفي لأمر الله دست الخلافة وهو ابن واحد واربعين عاماً، وادرك وبشكل صحيح ان لا طاقة به الى مناوءة السلاجقة وسلاطينهم وهو بدون جند خاص بالخلافة يأتمرون بامره ويتولى ادارته. ولذلك نراه يساير السلطان السلجوقي مسعود ويفوض الامر اليه حتى حوادث عام ٥٤٣هـ/١١٤٨م حيث اضطرب امر السلطان مسعود على اثر التنازع الذي حصل بين الأمراء السلاجقة انفسهم بشأن ولائهم للسلطان المعترف به من اولاد البيت السلجوقي يدفعهم طمعهم في امتلاك الاقطاعات التي يوعدون بها. ولذلك نرى ان السلطان مسعود نفسه كتب الى الخليفة المقتفي لأمر الله كتاباً يفض التفويض الذي اعطاه اياه الخليفة بسبب عجزه عن ضبط ومحاربة أُمراء الجند السلاجقة الذين جاؤوا الى اطراف بغداد صحبة محمد شاه بن محمود بن محمد بن ملكشاه بن الب ارسلان السلجوقي. فكتب الخليفة المقتفي الى السلطان مسعود يخبره بأن الشحنة الذي ارسل من قبل السلطان قد هرب هو وامير الحاج الى تكريت وان العسكر احاطوا ببغداد، فضلاً عن أن الخليفة لا يمكنه أخذ العسكر لطاعته للعهد الذي بينه وبين السلطان مسعود، ولذلك كتب اليه السلطان: "قد برئت ذمة امير المؤمنين من العهد الذي بيننا، وقد اذنت لك ان تجند عسكراً وتحتاط لنفسك وللمسلمين"، ولذلك قام الخليفة بأن جَنَدَ "واظهر السرادقات والخيم وحفر الخنادق" وعمل على مقاومة أُمراء السلاجقة الذين دخلوا بغداد، ودارت مناوشات ومعارك وما لبث ان اظهر امراء السلاجقة خضوعهم وولائهم للخليفة المقتفي وسار قسم منهم الى الحلة صحبة ابن دبيس فيما رجع الأمراء السلاجقة كلٍ الى اقطاعاته[1]. ويذكر العماد الأصفهاني ان تدبير تجنيد الجند كان باشارة من "صاحب الديوان" الوزير القدير ابن هبيرة[2]. والملاحظة الجديرة بالاهتمام ان

---

[1] انظر الى تفاصيل ذلك كله في: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، صص: ٦٤-٦٦؛ العماد الاصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص٣٢٩ و ٣٣٠.

[2] انظر: تاريخ دولة آل سلجوق، ص٣٢٩. وكان ابن هبيرة وقتئذ لم يتول منصب الوزارة بعد. والوزير ابن هبيرة هو: يحيى بن محمد ابو المظفر ابن هبيرة الوزير المولود سنة=

استرجاع التفويض الذي منحه الخليفة الى السلطان مسعود الذي لم يصحبه عنف او قتل بينهما كما هو ما يحصل عادة في مثل هذهِ الحالات ومرد ذلك يعود الى ان التفويض تم التنازل عنه من قبل السلطان شخصياً، ولم يتم سحبه من قبل الخليفة. وبسحب هذا التفويض صار الخليفة العباسي مطلق اليد في التحرك عسكرياً في حالات الضرورة التي تستدعي التدخل العسكري ضد أُمراء الأطراف والاتابكة من امراء سلاجقة وغير سلاجقة، ثم تعزز هذا المتغير المهم للخلافة العباسية على اثر وفاة السلطان السلجوقي مسعود بن محمد بن ملك شاه السلجوقي بهمدان سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م[١].

وبذلك تهيأ الامر ولاول مرة في تاريخ الدولة العباسية ابان العصر السلجوقي في أن يتمكن جند الخليفة من الانتصار على العسكر السلجوقي الذي كان يعد عسكراً لا يقهر حيث تقابل الفريقان من عسكر الخليفة والعسكر السلجوقي في رجب سنة ٥٤٩هـ/ايلول ١١٥٤م عند "نهر" بكمزا[٢]، حيث كان الجند السلجوقي بقيادة الامير مسعود البلالي او بلال الذي كان يقاتل بين يدي الملك ارسلان بن طغرل بن محمد بن ملك شاه بن الب ارسلان وهو طفل صغير اخرج من تكريت حتى يكون قتال

=٤٩٩هـ/١١٠٥م، يقول عنه ابن الجوزي كان متشدداً في اتباع السنة وسير السلف، وهذا الكلام من ان ابن الجوزي لانه كان حنبلي المذهب، اول عمل انيط به بديوان الخلافة كان "مشرفاً في المخزن ثم رقي فصار صاحب الديوان، ثم استوزره الخليفة المقتفي بامر الله سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م. واستمر بالوزارة بعد وفاة المقتفي فوزر لابنه المستنجد بالله الى يوم وفاته سنة ٥٦٠هـ/١١٦٥م. للمزيد عن سيرته انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، صص: ١٦٦-١٧٠؛ ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص٢٠٢ و ٢٠٣؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١١، صص: ٦٧٧-٦٨٠؛ وانظر ايضاً :

G.Makdisi, "Ibn Hubayra", EI.2, Vol.III, 802-803.

[١] انظر: العماد الاصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص٣٢٢؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٧٤؛ الذهبي، العبر، ج٤، ص١٢٧ و ١٢٨.

[٢] بكمزا او كما يوردها ياقوت بِكَمَزَةُ: قرية بينها وبين بعقوبة فرسخين انظر: ياقوت، معجم البلدان، مـ١، ج٢، ص٣٧٤.

السلاجقة بين يدي ملك من اولاد البيت السلجوقي. فيما برز الخليفة المقتفي بأمر الله نفسه للقتال واستمرت المناوشة والمحاربة ثمانية عشر يوماً استطاع عسكر الخليفة في نهايتها ان يهزم لاول مرة العسكر السلجوقي بهزيمة مدوية، وغنم عسكرهم، وجميع مال "التركمان من دواب وغنم وغير ذلك"، فضلاً عن ذلك فإن الخليفة انتدب وزيره ابن هبيرة لملاحقتهم اثر تلك الهزيمة ولجؤهم الى واسط، فظفر بهم وعاد ظافراً الى بغداد ليلقبه الخليفة بـ"سلطان العراق ملك الجيوش"[(١)] والحقيقة ان سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م تعد بمثابة الإيذان ببدء مرحلة جديدة في تاريخ الدولة العباسية، وعلى نحو ما تاكد ذلك لاحقاً ففي سنة ٥٥٠هـ/١١٥٥م مثلاً نجحت قوة من الجند الخليفي في صد هجمة الأمراء التركمان السلاجقة والانتصار عليهم، حتى ان الملك "السلطان" سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه لما قدم بغداد جاء بصفته "ضيفاً مستجيراً" بالخليفة المقتفي لامر الله، وقبل عتبة باب النوبي حيث يذكر العماد الأصفهاني وهو شاهد عيان على ذلك ان باب عتبة النوبي ما كان قد قبلها قبله سلطان "سلجوقي" ولا ملك ديلمي[(٢)].

مع ذلك نرى ان السلطان السلجوقي محمد بن محمود بن محمد بن ملك شاه في سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م ارسل الى الخليفة المقتفي بأمر الله بأن يخطب له في "بغداد والعراق إلا ان الخليفة المقتفي امتنع عن ذلك، ولذلك جاء السلطان محمد الى بغداد في صفر ٥٥٢هـ/نيسان ١١٥٧م لمحاربة متحديه الخليفة المقتفي، واستمرت الحرب

---

(١) انظر لتفاصيل ذلك كله في: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، صص: ٩٥-٩٨؛ العماد الاصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص٣٤٠-٣٤١؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، صص: ١٠٠-١٠٢؛ صدر الدين الحسيني، زبدة التواريخ، صص: ٢٣٧-٢٤٦؛ اليافعي، مرآة الزمان، ج٣، ص٢٢٣.

(٢) انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص١٠١ و ١٠٢؛ العماد الاصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص٣٤١. ويلاحظ ان العماد الاصفهاني يسميه بـ"السلطان" فيما يسميه ابن الجوزي "الملك" والفرق بين السلطان والملك ان الاول يحكم على اكثر من ولاية فيما يتولى الملك مسؤولية ولاية بوحدها.

سجالاً مع الخليفة وجنده واهل بغداد حتى جمادي الاخرة ٥٥٢هـ/ تموز ١١٥٧م، الا ان العسكر السلجوقي تفرق هذهِ المرة لصالح الخليفة بعد تواتر الأنباء عن استيلاء الأمراء السلاجقة واخيه ملك شاه على قاعدة سلطنتهم بهمدان من اجل ذلك انسحب جند السلاجقة من بغداد[(١)] ايذاناً بتاكيد سطوة الخليفة على امور الخلافة دون الحاجة الى مؤازرة سلطان سلجوقي آخر او تأييد منه حتى ان السلطان محمد شاه حاول ثانية القدوم الى بغداد سنة ٥٥٤هـ/١١٥٩م "طلباً للمقاربة" دون ان يسمح لحاملي رسالته بالقدوم اذ استوقفوا بـ شهرآبان[(٢)]، ولم يمكنوا امرائهم من الاقتراب من بغداد، فغادروا "ولم تسمع رسالتهم"[(٣)].

ويمكننا عد العصر السلجوقي في حاضرة الخلافة العباسية انتهى منذ سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م وتأكيداً على ذلك هو منع السلطان السلجوقي القدوم الى حاضرة الخلافة العباسية بغداد فضلاً عن قطع الخطبة لاي سلطان سلجوقي بعد ذلك.

والملاحظ انه لم يتم بعد ذلك التاريخ احلال قوة بديلة عن السلاجقة لهم في بغداد كالخوارزميين مثلاً وبذلك يمكننا عد المرحلة التي تلت ايام الخليفة المقتفي لامر الله مرحلة جديدة، في تاريخ مؤسسة الخلافة وهي مرحلة سلطة الخلفاء من بني العباس على نحو ما تبرز مصادرنا التاريخية غير السلجوقية.

توفي الخليفة المقتفي لامر الله في يوم الاحد الثاني من ربيع الأول سنة ٥٥٥هـ/السادس من آذار سنة ١١٦٠م عن ستة وستين عاماً قضى منها اكثر من اربعة وعشرين عاماً (ما يقرب من ربع قرن من السنين الهجرية القمرية) في دست الخلافة، فيما كانت سنواته العشر الاخيرة جديرة للتأمل والاعجاب بما حققه هذا

---

(١) انظر الى مجمل هذهِ التداعيات في: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، صص: ١١١–١١٨؛ ابن الاثير، الكامل، ج٩، صص: ١١٥–١١٧؛ العليمي، مرآة الجنان، ج٣، ص٢٢٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٨، ص٤٣٨.

(٢) شهر آبان: قرية كبيرة عظيمة ذات نخل وبساتين من نواحي الخالص شرق بغداد. انظر: ياقوت، معجم البلدان، مـ٣، ج٥، ص١٦٥.

(٣) انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص١٣٤.



الخليفة المتبصر تدريجياً من استقلال شبه تام عن هيمنة السلاطين السلاجقة في ايران والعراق.

وكما اوضحنا سلفاً بأن ايامه لم تشهد الكثير من التجاذبات المذهبية تجاه الشيعة الامامية فضلاً عن التجاذبات التي كانت تحدث بين المذاهب السنية الاخرى للمسلمين من اهل السنة كالحنابلة والاشعرية والمعتزلة وسواهم.

الفصل الثاني

يتناول هذا الفصل :

- ❖ الاوضاع السياسية والاجتماعية لحاضرة الخلافة العباسية وما لها من تأثير على مجمل التجاذبات المذهبية تجاه الشيعة الامامية الاثني عشرية في بغداد ولنحو عقدين من الزمان (٥٥٥-٥٧٥هـ/١١٦٠-١١٨٠م)

وهي سنوات خلافة كل من الخليفتين:

- ❖ المستنجد بالله ابو المظفر يوسف، (٢ ربيع الاول ٥٥٥-٩ ربيع الآخر ٥٦٦هـ/٦ اذار ١١٦٠-كانون الأول ١١٧٠م.

وولده

- ❖ المستضيء بامر الله ابو محمد الحسن، (٩ ربيع الاخر ٥٦٦-٢ ذو القعدة ٥٧٥هـ/١٢ كانون الأول ١١٧٠-٢٣ آذار ١١٨٠م) [(١)]

[(١)] اعتمدنا تاريخ وفاته على ما اورده ابن الاثير. انظر: الكامل، ج٩، ص٣٢٢؛ وكذلك سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، ص٢٦٥. فيما يورد ابن الكازروني ان وفاته كانت لسبع من سلخ شوال ٥٧٥هـ. انظر: مختصر التاريخ، ص٢٣٩.

اهمية خلافة المستنجد بالله وولده المستضيء بأمر الله:

ان عهدي الخليفة المستنجد بالله وولده المستضيء يعدان عهد قصير نسبياً بالنسبة لمتولي الخلافة العباسية الطويل، فلم يزد عهدهما جميعاً عن عقدين من الزمان، لكن الامر المهم الذي شهدته خلافة المستنجد بالله هو استقلال الخلافة العباسية عن المتغلبين من الامراء والسلاطين الحاكمين في ايران، فيما عاد العراق الى حكم العباسيين بلا إمارة استيلاء او سلطنة للغز السلاجقة، وتمثل ذلك بقيام عسكر للخليفة ولاول مرة يمثل الخلافة العباسية، كل ذلك قد وقع بفضل جهود الخليفة المقتفي لأمر الله (٥٣٠-٥٥٥هـ/١١٣٦-١١٦٠م). وسابقيه من الخلفاء، فمنذ ايام المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٧-٩٣٢م) الى وقت المقتفي لأمر الله كان الحكم سياسياً-عسكرياً للمتغلبين من الأمراء والملوك والسلاطين سواء وقع ذلك في عهد إمرة الأمراء (٣٢٤-٣٣٤هـ/٩٣٦-٩٤٥م) ثم في عهد كل من البويهيين ممثلاً بالخط او الفرع البغدادي بين السنوات (٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٥-١٠٥٥م) وفيما بعد السلاجقة الغز في ايران والعراق بين السنوات ٤٤٧-٥٥٥هـ/١٠٥٥-١١٦٠م.

والاهمية الكبرى في خلافة المستضيء بامر الله هو انهاء الخلافة الفاطمية في مصر على يد صلاح الدين الأيوبي، والخطبة للخليفة العباسي في مصر وكامل بلاد الشام ليس هذا فقط بل شهد هذا العهد من خلافة المستضيء ضعف الشيعة "الروافض" ببغداد بقول ابن الجوزي، ولم تستعيد قوتها في بغداد ثانيةً إلا بعد تولي الخليفة الناصر لدين الله في ٥٧٥هـ/١١٨٠م خلفاً لوالده المستضيء بأمر الله، الذي يعد من اطول الخلفاء العباسيين مدة في الحكم بين السبعة والثلاثين خليفة عباسي.

كل هذه الوقائع والأحداث سنتناولها بهذا الفصل من خلال دراسة خصوصيات عهد كل من هذين الخليفتين.

تداعيات تولي الخليفة المستنجد بالله:

تولى الخليفة المستنجد بالله[١] دست الخلافة بعد ان أستطاع القضاء على المؤامرة التي حاكتها ام اخيه الحسن ابو علي لخلعه وجلس للبيعة "وبايعه اهله واقاربه" ثم بايعه وزير ابيه الحنبلي المتشدد ابن هبيرة الذي أُقر على الوزارة وقاضي القضاة وارباب الدولة، وكما هو مألوف عند تولي دست الخلافة خليفة جديد فإن عهده يبدأ بإزالة بعض المكوس والضرائب[٢] مما فرض في عهد الخليفة الذي سبقه، والظاهر ان الخليفة المقتفي لأمر الله كانت تصله الأخبار من العيون التي كانت مبثوثة في الديوان، وربما بين الناس فعمل على قطع ذلك وعاقب احدهم "صاحب خبر"[٣].

---

[١] هو الخليفة المستنجد بالله ابو المظفر يوسف بن ابو عبد الله محمد المقتفي لامر الله الخليفة العباسي الثاني والثلاثون، ولد في ربيع الاول سنة ٥١٨هـ/نيسان ١١٢٤م، وامه ام ولد يقال لها "طاوس" ادركت خلافته، وكان ابوه الخليفة المقتفي لامر الله قد خطب له بولاية العهد سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م، تولى دست الخلافة بعد وفاة ابيه المقتفي سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م، وحاولت ام اخيه قتله وتولية ابنها ابا علي الحسن الخلافة، ولكن محاولتها باءت بالفشل، وفي وفاته قيل انه ادخل الحمام على كره منه واغلق عليه وهو يصيح الى ان مات في ٩ ربيع الاخر ٥٦٦هـ/١٢ كانون الاول ١١٦٠م. للمزيد عن سيرته انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، صص: ٢٣٦-٢٣٨؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، ص٩؛ عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي المعروف بابي شامة المقدسي (ت٦٦٥هـ/١٢٦٧م) كتاب الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: ابراهيم الزيبق (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧م) ج٢، ص١٧٧؛ ابن الكازروني، مختصر التاريخ، صص: ٢٣٣-٢٣٦؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١١، صص: ٨٠٣-٨٠٥.

[٢] انظر الى مجمل هذهِ التداعيات في: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص١٣٩؛ ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص١٤٩-١٥٠.

[٣] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٢، ص١١.

ان ميل الخليفة المستنجد الى الحنابلة واعيانهم عززه اقرار ابن هبيرة وزير ابيه المقتفي على الوزارة، والذي يعد احد وجوه الحنابلة في وقته بالديوان[1]، فضلاً عن ذلك فإن الخليفة المستنجد نفسه خلع على شخصيات حنبلية مهمة مثل ابن الجوزي، والشيخ عبد القادر الجيلي[2]، في قبال ابو النجيب السهروردي[3]، وابو الفضائل بن شقران[4] واذن لهم في الجلوس بجامع

---

[1] ترجم ابن رجب الحنبلي في الذيل على طبقات الحنابلة للوزير ابن هبيرة وبالغ في تعظيمه. انظر: ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج١، صص: ٢١١-٢٤٣.

[2] الشيخ عبد القادر ابي صالح بن عبد الله جنكي دوست الجيلي ثم البغدادي، ويذكر البعض نسبه الى علي بن ابي طالب (ع)، ولد سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م. ورد شاباً الى بغداد وقرء على شيوخها. برع بالمذهب الحنبلي، فوعظ وصار له صيت بالزهد، درس في مدرسة شيخه وقام بها ودفن فيها سنة ٥٦١هـ/١١٦٥م. للمزيد عن سيرته انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، صص: ٢٤٤-٢٥٣؛ الكتاب المنسوب لابن الساعي، مختصر تاريخ الخلفاء، ص١٠١-١٠٢؛ ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج١، صص: ٢٤٤-٢٥٣؛ وعن فضائله ومناقبه التي لا تخلو من غلو ومبالغة انظر: عبد القادر القادري ابن محي الدين الاربلي، تفريج الخاطر، مناقب تاج الاوليا وبرهان الاصفيا القطب الرباني والغوث الصمداني السيد عبد القادر الكيلاني (الاسكندرية: مطبعة مريس، ١٣٠٠هـ).

[3] هو الشيخ عبد القاهر بن محمد بن عبد الله الواعظ الصوفي المولود في سهرورد في عام ٤٩٠هـ/١٠٩٧م، قيل انه ينتسب الى محمد بن ابي بكر، وقيل غير ذلك، وهو من المتصوفة الذين تنسب اليه الطريقة السهروردية، درس في النظامية لفترة من الزمن، وغادر بغداد الى دمشق وعاد لبغداد حيث توفي سنة ٥٦٣هـ/١١٦٨م حيث دفن في مدرسته التي انشأها على نهر دجلة. للمزيد عن سيرته انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص١٨٠؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، ص١٤٣؛ تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٤، ص١١٢ و١١٣؛ الرابط: www.alashraf.montadamoslim.com/t6959-topic.

[4] ابو الفضائل بن شقران: هو احد الفقهاء الشافعية بالنظامية في بغداد وصار معيداً ثم وعظ، واخذ ينصر مذهب الاشعري ويبالغ فيه فتقدم الوزير ابن هبيرة الحنبلي بمنعه فحط من عن المنبر يوم جلوسه وترك الوعظ توفي سنة ٥٦١هـ/١١٦٦م. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص١٧٣.

القصـــــر[(١)]، احد مراكز الحنابلة الدينية المهمة في بغداد منذ أيام البويهيين، لكن الملاحظ ان اثنين من هؤلاء الأربعة هم من كبار الحنابلة وهما ابن الجوزي والشيخ عبد القادر الجيلي، اما ابن شقران فكان اشعرياً قد منع يوم جلوسه للوعظ لأنه بالغ في نصرة ابي الحسن الاشعري صاحب مذهب أهل السنة من الأشاعرة[(٢)]، وبذلك رجحت كفة الحنابلة في الوعظ في جامع القصر، وهذا الجامع يعد في حقيقة الامر الواقع "الجامع الرسمي للدولة العباسية، ففيه تقرأ عهود القضاء ويصلى فيه على جنائز الاعيان والعلماء، وتعقد فيه حلقات الفقهاء والمناظرين والمحدثين وفي رحبته كانت تتبين مظاهر الحياة الإجتماعية والتجارية لأهل بغداد"[(٣)].

التجاذبات المذهبية ابان خلافة المستنجد بالله:

ويبدو ان زيادة نفوذ الحنابلة في دولة الخليفة المستنجد بالله قد رفع من وتيرة "ذكر التسنن والترفض"[(٤)] وذلك في اول سنين تولية الخليفة شؤون الخلافة، ولكن لم تذكر المصادر التاريخية المتوفرة أي حالات من التجاذبات المذهبية حدثت في بغداد بسبب سياسة الديوان المؤيدة لقوة الحنابلة، وهذا يعني ان ذكر التسنن والترفض جاء من جانب الحنابلة ولم تواجهها الإمامية بحالة مقابلة لها، ولم تثار أي فتنة مذهبية على اثر ذلك.

ثم ان الوزير ابن هبيرة نفسه قد اكمل بناء مدرسته سنة ٥٥٧هـ/١١٦٢م والتي كانت في الجانب الغربي من بغداد عند محلة باب البصرة وقد "اقام فيها

---

(١) انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص١٤١.

(٢) ومما يجدر ذكره ان الاعتقاد القادري والقائمي لا يعد الاشاعرة من المبتدعة وانما احد قوى المسلمين من اهل السنة بخلاف المعتزلة والامامية. انظر نص الاعتقاد القادري–القائمي في المحلق رقم (٤).

(٣) انظر: مصطفى جواد واحمد سوسة، دليل خارطة بغداد، ص١٢٥. وجامع القصر هو الذي اطلق عليه جامع الخليفة لاحقاً ثم جامع الخلفاء في الايام الاخيرة من العصر الحديث.

(٤) انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص١٤٦.

الفقهاء الحنابلة ورتب لهم الجرايات وكان مدرسهم وناظرهم فيها هو الشيخ ابو الحسن البراندسي"[١] احد شخصيات الحنابلة ببغداد، وكانت هذه المدرسة هي اول مدرسة انشأت في الجانب الغربي من بغداد فضلاً عن كونها قد اختير لها موقعها بباب البصرة التي جل قاطنيها من الحنابلة[٢]، فضلاً عن كون باب البصرة مجاورة للكرخ حيث جل قاطنيه من الإمامية. إلا ان هذهِ المدرسة قد آل امرها الى الاهمال بعيد وفاة منشأها الوزير ابن هبيرة سنة ٥٦٠هـ/١١٦٥م وبيعت الكتب الموقوفة عليها[٣].

كما ان ابن جبير ابان زيارته لبغداد سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م لم يورد ذكر لاية مدرسة في الجانب الغربي من بغداد، بل ذكر ان كل المدارس في بغداد كانت في جانبها الشرقي[٤].

ولا يبدو ان نقمة الخليفة المستنجد بالله على وزيره المتوفي وتضييقه على اسرة الوزير بحبس ولديه[٥] ومن ثم اخراج احدهما ميتاً بعد هروبه والقبض عليه[٦] بمثابة نقمة على الحنابلة انفسهم، فلم تذكر أي من المصادر التاريخية ان الخليفة قد

---

[١] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص١٥٣؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، ص٢٦. وابو الحسن البراندسي: هو علي بن محمد بن علي بن الزيتوني، الفقيه ابو الحسن البغدادي، المعروف بالبراندسي، وبراندس قرية من قرى بغداد وكان جماعة من الحنابلة قد هجوه بشعر لانه حضر دعوه للصوفية والعلماء على اختلاف مذاهبهم، فمنهم من اكل وانصرف ومنهم من حضر السماع وكان البراندسي ممن عجز عن الخروج بعد الاكل فاقام واغلق الباب دونه فحضر السماع، ولما علم اهل باب البصرة تخلفه وقد خرج ابن الجوزي وابن عبد القادر هجوه بشعر (ت سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م) ودفن بمقبرة الامام احمد. للمزيد انظر: ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج١، صص: ٣٠٧-٣٠٩.

[٢] انظر: عماد عبد السلام، مدارس بغداد، صص: ١٦٢-١٦٧.

[٣] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، ص١٦٨.

[٤] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١٨٣.

[٥] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص١٦٤.

[٦] انظر: المصدر نفسه، ص١٧٢؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، ص١٣٢.

تغير هواه تجاه الحنابلة، او ضيق على ابن الجوزي مثلاً، وان ابن الجوزي الحنبلي لم يذكر شيئاً عن تغييراً للمواقف على الحنابلة من قبل الخليفة[1].

والملاحظ ان الخليفة المستنجد بالله، وعلى نحو ما يذكر ابن الجوزي كان يعمل الدعوات في الدار الجديدة التي بناها بباب الغربة ويحضرها ارباب الدولة ومشايخ الصوفية، ويبيت قوم على السماع[2]، وهو ما يظهر ميل المستنجد الى الصوفية الحنابلة، وكذلك فإن كتاب مختصر تاريخ الخلفاء يذكر ان الخليفة المستنجد بالله كانت له مكاتبات مع السيد احمد الرفاعي[3] في قرية ام عبيدة في واسط، وان صح ذلك فانها تدل على أنسه بالشيخ الرفاعي وميله الى طريقته وهي طريقة الصوفية الحنبلية وهم كثيرون ببغداد[4].

---

[1] يورد ابن الاثير ان الخليفة المستنجد كان قد قبض على الامير توبة بن العقيلي احد امراء بني عقيل، الذي كانت له مكانة كبيرة عند الخليفة المستنجد بالله حتى ان الخليفة كان "يخلو معه، واحبه محبة كبيرة" غير ان الوزير حسده على ذلك، ووضع عليه كتاب ودسه على قوم يتعرضوا للخليفة فيقبض عليهم وعندهم الكتاب وتمت الحيلة وقبض على الامير توبة، وكان آخر العهد به، ولم يهنأ الوزير بعد ذلك بالعيش الا لثلاثة اشهر. انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص٢٠٢. مع ملاحظة ان ابن الجوزي لا يشير الى الوزير صراحة بالقول: ان احد الاكابر اثار بذلك. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص١٦٢.

[2] اقيمت مثل هذهِ الدعوة في شوال ٥٥٩هـ/آب ١١٦٤م، وفي رمضان ٥٦٠هـ/١١٦٥م، وفي رجب ٥٦٢هـ/نيسان ١١٦٧م. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص١٥٩، ص١٦٣، ص١٧٤.

[3] انظر: ابن الساعي، مختصر تاريخ الخلفاء، صص: ١٠٣-١٠٨.

[4] احمد بن علي بن احمد ابو العباس، شيخ البطائحيين، كان يسكن قرية ام عبيدة كان له كرامات ومقامات واصحابه يركبون السباع ويلعبون بالحيات، يجتمع عنده كل سنة في المواسم خلق عظيم. ت سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م. للمزيد عن سيرته انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، ص٢٨٧؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٤، ص٢٣٣؛ زين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م) تاريخ ابن الوردي (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م) ج٢، ص٩٠.

اما ما يخص امر الشيعة الامامية الاثني عشرية في بغداد، فلا يظهر من سيرة الخليفة المستنجد أي ميل تجاههم، والتقليل من اجراءاته ضدهم، ففي صفر سنة ٥٥٩هـ/كانون الثاني سنة ١١٦٤م قبض على جماعة من الحصريين (وهم من يقومون بعمل الحصر وبيعها) وشهّر بهم المحتسب وبتقديم (أمر) من الوزير ابن هبيرة الحنبلي المذهب، لأنهم كتبوا على الحصر اسماء الأئمة الأثني عشر[١] وينظر الى عمل الحصريين هذا بأن صناعة هكذا حصران فيه اسماء الائمة الاثني عشر كان مرغوباً في شراءه، وهذا بدوره هو دليل على حرص الإمامية الأثني عشرية في التمسك بعقيدتهم الأثني عشرية وغني عن البيان ان هذهِ الحصر ما كانت لتستعمل للجلوس وانما للتعليق على الستر والحيطان في البيوت او داخل المساجد، ثم ان الخليفة المستنجد بامر الله قد امر باهلاك بني اسد اهل الحلة المزيدية وذلك سنة ٥٥٨هـ/١١٦٣م، ويعزو ابن الاثير ذلك الى معاونتهم للسلطان محمد السلجوقي لما حضر بغداد سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م[٢]. ولما وجه اليهم الخليفة احد الأمراء الاتراك الذي يدعى يزدن بن قماج بقتالهم واجلائهم عن البلاد فإن الخليفة المستنجد استبطأ على الأمير ابن قماج قتالهم، وعتب عليه، لأن ابن قماج هذا كان يرى فيه الخليفة "تشيع"، فجد الأمير ابن قماج في قتالهم وعاونه "ابن معروف" مقدم المنتفق، فقيل انه قتل منهم اربعة الاف ومن بقي منهم نودي فيهم ان "من وجد منهم في الحلة المزيدية بعد هذا فقد حل دمه"[٣]. ومما لاشك فيه ان هذا العمل أثر بشكل او آخر على احوال الشيعة في بغداد من ناحيتين: الأولى انهم كانوا يرون في الحلة المزيدية

---

[١] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص١٥٩.

[٢] انظر لتفاصيل حصار السلطان محمد بن السلطان محمود بن محمد بن ملك شاه في: صدر الدين الحسيني، زبدة التواريخ، صص: ٢٤١-٢٥٤؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص١١٥.

[٣] انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص١٨١ وما بعدها؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١١، ص٥٦١ وما بعدها؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٦٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٨، ص٤٤٩.

حاضرة قريبة منهم نوعاً ما يغلب على قاطنيها التشيع الإمامي فضلاً عن ما كان لأمراء بني اسد من دور سلباً وايجاباً في التجاذبات المذهبية التي كانت تجري في بغداد[١]، ومن ناحية اخرى فإننا لا نستبعد لجوء البعض من اهل الحلة وهم دون شك من الشيعة الإمامية خاصة ميسوري الحال منهم الى بغداد وبذلك يتعزز وجود الشيعة الإمامية في بغداد ويزداد عددهم.

وتأكيداً لقولنا بان الخليفة المستنجد بأمر الله كان لا يتساهل مع الشيعة، ويظهر انحرافه عنهم فإنه في العام ٥٦٤هـ/١١٦٩م وعلى ما يذكره ابن الفرات في تاريخه ان الخليفة المستنجد بأمر الله "خرج من بغداد الى الكوفة، ولم يدخل الى مشهد امير المؤمنين علي بن ابي طالب (رض) بالنجف، وهو ما تكلم فيه الشيعة فأمر بالقبض على العلويين" فضلاً عن ذلك انه يذكر في هذِهِ السنة ايضاً حدثت "فتنة بين السنة والشيعة" في بغداد وقتل فيها "جماعة من الحنابلة"[٢]، كما ان ابن الفرات لا يذكر سبباً لزيارة الخليفة المستنجد بالله الى الكوفة، لكننا نخمن أن الخليفة المستنجد قد خرج على عادته في الصيد، فقد كان كثيراً ما يخرج من بغداد للصيد وهذا ما دأب على ذكره ابن الجوزي[٣].

لم تذكر المصادر التاريخية بعد ذلك شيئاً عن تجاذب مذهبي سوى ما ذكر في محرم سنة ٥٦١هـ/تشرين الثاني ١١٦٥م حيث "ظهر من الروافض (الإمامية)

---

[١] نذكر باحداث سنة ٥١٧هـ/١١٢٣م. انظر: ص

[٢] انظر: ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مـ٤، ج١، ص١٧.

[٣] خرج المستنجد للصيد في: محرم ٥٥٦هـ/كانون ثاني ١١٦١م، وفي ربيع الاول من نفس العام الهجري / آذار من نفس العام الميلادي، وفي ربيع الاول سنة ٥٥٨هـ/شباط ١١٦٣م، وفي ذي القعدة من نفس العام / تشرين الاول من نفس العام، وفي صفر ٥٦٠هـ/ كانون الاول ١١٦٤م، وكذلك في ربيع الاخر سنة ٥٦٥ هـ / كانون الثاني ١١٦٩م. انظر: المنتظم، ج١٨، ص١٤٦، ص١٤٧، ص١٥٥، ص١٥٦، ص١٨٧.

امر عظيم من ذكر للصحابة وسبهم وكانوا في الكرخ"، ويقول ابن الجوزي انهم كانوا في الكرخ اذا رأوا مكحول العين ضربوه"[1].

ويعقب ابن كثير على ذلك، بانهم كانوا لا يتمكنون من ذلك قبلئذ خوفاً من الوزير ابن هبيرة[2] ولا يذكر ابن الجوزي، ولا الحافظ ابن كثير الدمشقي المغزى من ضرب مكحولي العين، الا ان الواقعة كانت في شهر محرم في السنة ٥٦١هـ/١١٦٥م، وفي العاشر من محرم درج العوام من "الجهال بمذهب اهل السنة فقصدوا غيظ الرافضة، فوضعوا احاديث في فضل عاشوراء"[3] ومن تلكم الاحاديث حديث مروي عن ابو هريرة يتضمن جملة من الامور تبين ان يوم عاشوراء هو يوم فرح ونجاة وصيامه مندوبة بل واجبة، ويستحب فيه جملة وافرة من الاعمال منها الاغتسال، والاكتحال: من "اكتحل بيوم عاشوراء لم ترمد عيناه تلك السنة كلها"[4].

فيما يذكر كاتب محدث (السوري شاكر مصطفى) ان هذه العادة جارية وليومنا هذا في عدة بلدان اسلامية، ومنها عمل الحلواء المعروفة بمصر بـ العاشورة، لاظهار الفرح بيوم عاشوراء، وهي سُنة سنّها الحجاج بن يوسف الثقفي ايام امارته في خلافة عبد الملك بن مروان[5].

وعلى الرغم من ذلك فإننا لا نجزم بعدم حدوث وقائع لتجاذب مذهبي اهملها المؤرخون لاسباب مختلفة، كأن تكون تجاذبات محدودة غير واسعة لا تستحق

---

(١) انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص١٧١.

(٢) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ص٤٥٤.

(٣) انظر: ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، كتاب الموضوعات، ط٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م) ج٢، ص١١٢.

(٤) انظر نص الحديث في: ابن الجوزي، كتاب الموضوعات، ج٢، صص: ١١٣ و ١١٤. وانظر الى الحديث كاملاً في الملحق رقم (١١) وانظر الى جملة اخرى من تكلم الاحاديث عن فضل يوم عاشوراء والتي صنفها ابن الجوزي في: كتاب الموضوعات، ج٢، صص: ١١٢-١١٧.

(٥) انظر: شاكر مصطفى، المدينة في الاسلام حتى العصر العثماني (الكويت: ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٨م) ج١، ص١٢٦.

الذكر، او أن اعمالاً أخرى طغت عليها ابان وقوعها ولذلك تم اهمالها، مثال ذلك ما ذكره ابن الجوزي اخباراً عن ظهور العيارين في بغداد[١]، وكذلك حوادث عن الحريق التي كانت غالباً ما تنتاب محلات بغداد في نوبات متكررة[٢] وحسب حوادث السنين.

وفاة الخليفة المستنجد بالله:

توفي الخليفة المستنجد بالله في ٩ ربيع الآخرة سنة ٥٦٦هـ/١٢ كانون الأول ١١٧٠م وقيل انه ادخل حماماً واغلق عليه حتى اخرج ميتاً، وهنالك من يذكر ان ولي عهده ابو محمد الحسن (الخليفة المستضيء بالله فيما بعد) له يد في ذلك[٣]، وفي رواية اخرى فإن الحادثة تنسب الى ظلم وزير الخليفة المستنجد بالله لأَرحام استاذ دار الخلافة[٤].

---

[١] ظهر نشاط للعيارين في سنة ٥٦٤هـ/١١٦٩م، وفي سنة ٥٦٥هـ/١١٧٠م. انظر: المنتظم، ج١٨، ص١٨٢، ١٨٣، ١٨٧.

[٢] حدث حريق عظيم ببغداد في جمادي الاخرة ٥٥٧هـ/مايس ١١٦٢م. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص١٥٢؛ ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص١٧٤. وحدث حريق عظيم في سنة ٥٥٨هـ/١١٦٣م. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص١٥٦. وفي ذي القعدة وذي الحجة سنة ٥٦٠هـ/ايلول وتشرين الاول سنة ١١٦٥م. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص١٦٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٨، ص٤٥٢. وكذلك حدث حريق عظيم قبيل وفاة الخليفة المستنجد سنة ٥٦٦هـ/١١٧١م. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص١٩٠.

[٣] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، ص١٦٨؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مـ٤، ج١، ص١١٦ و١١٧؛ ابن العبري، تاريخ الزمان، ص١٨٥ و ١٨٦.

[٤] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص١٩١؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٢٣٦ و ٢٣٧. ولا يخفى ان ابن الجوزي لا يمكن ان يذكر ان الخليفة المستضيء كانت له يد في وفاة ابيه، وهو المقرب من الخليفة المستضيء بالله؛ وانظر ايضاً: ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار في ممالك الامصار، ج٢٧، ص٥١.

وينسب الى الخليفة المستنجد بالله سجايا جليلة منها ما ذكره الرحالة اليهودي بنيامين التطلي الذي يذكر ان الخليفة كان: "موصوف بالتقوى والصدق والاستقامة وطلب الخير لجميع رعيته"[١].

كانت ايام خلافة الخليفة المستنجد قصيرة نسبياً وغير طويلة نوعاً ما فلم تدم خلافته الا احد عشر عاماً ونحو من شهر، ولم تشهد فيها بغداد احداث جسام في التجاذب المذهبي، اللهم إلا ما حصل تجاه الإمارة المزيدية في الحلة، وهي بطبيعة الحال ليست في بغداد، ولكن كما هو معلوم تعد من اطرافها بغداد وغير بعيدة مكاناً وتاثيراً على حاضرة الخلافة العباسية بغداد.

وبسبب وزارة الوزير يحيى بن هبيرة الحنبلي، والواعظ جمال الدين عبد الرحمن ابن الجوزي فإن نفوذ الحنابلة كان محسوساً وقوياً بنحو ما في بغداد، يشهد على ذلك انشاء مدرسة ابن الشمحل للحنابلة[٢] في سنة ٥٥٦هـ/١١٦١م[٣]، وكذلك انشاء مدرسة الوزير ابن هبيرة الحنبلي سنة ٥٥٧هـ/١١٦٢م[٤]. وكذلك ما تبين لنا من اختصاص ابن الجوزي في مجالس الوعظ، ولكن يبدو أن الخليفة المستنجد بالله كان مولعاً كذلك بمجالس السماع للصوفية من الحنابلة.

---

[١] انظر: بنيامين بن يونه التطلي النباري الاندلسي (ت٥٦٩هـ/١١٧٣م) رحلة بنيامين التطلي (بيروت: شركة الوارق للنشر المحدودة ، ٢٠١١م)، ص١٦١. ويذكر مصطفى جواد: ان بنيامين التطلي لم يزر بغداد ولا العراق بل جمع المعلومات من افواه التجار اليهود والمتنقلين من العراق الى مصر والمسافرين اليها. انظر: حاشية مصطفى جواد في: ريجارد كوك، بغداد مدينة السلام، ترجمة: فؤاد جميل ومصطفى جواد (بغداد: مطبعة شفيق، ١٩٦٢م) ج١، ص١٧٢. ولئن كان هذا رأي التجار في الخليفة المستنجد وقتئذ فأن ذلك لا يطعن في ما يورده بنيامين عن خليفة بغداد.

[٢] هو ابو القاسم عمر بن ثابت بن الشمحل. انظر: عماد عبد السلام، مدارس بغداد، ص١٥٩.

[٣] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص١٤٧.

[٤] انظر: المصدر نفسه، ص١٥٣.

ومع ذلك الملاحظة الجديرة بالاهتمام ان الوزير الذي استوزر بعد ابن هبيرة الحنبلي، وهو الوزير ابو جعفر بن البلدي[١] كان "يميل الى القول بالإمامة، ويعظم امر الاشراف ويأخذ بأيديهم، ويعطي فقراءهم"[٢].

وبوفاة الخليفة المستنجد بدأ عهد ابنه الخليفة المستضيء بالله. والذي ربما يعد امتداداً لايام ابيه المستنجد.

---

[١] وهو: احمد بن محمد بن سعيد بن ابراهيم، وزير للمستنجد بالله العباسي وهو الذي قتل بعيد وفاة الخليفة المستنجد انتقاماً لقطع انف ويد رجل لجناية جرت، فسلم الى اولياء الذين قطعهم فقطعوه بالسيوف ورموه في دجلة. انظر: محمد بن علي بن طباطبا المعروف بـ ابن الطقطقا (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م) الفخري في الاداب الاسلامية والدول الاسلامية (بيروت: دار صادر، د.ت) ص٣١٧؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١١، ص١٩٧ و ١٩٨.

[٢] انظر: ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مـ٤، ج١، ص١٢٠.

تداعيات تولي الخليفة المستضيء بالله ابو محمد الحسن[1] دست الخلافة:

تولى الخليفة المستضيء بالله دست الخلافة بعد مبايعته في يوم وفاة ابيه الخليفة المستنجد بالله بيعة خاصة من اهل الحل والعقد، وبعد ذلك تمت له البيعة العامة من اهل الديوان والعلماء وسائر الناس، وفي الوقت الذي تم فيه التخلص من وزير ابيه المستنجد بالله، المدعو بـ"ابن البلدي"[2] استوزر عضد الدين ابو الفرج بن رئيس الرؤساء[3] الذي كان يشغل منصب استاذ الدار ابان خلافة الخليفة المستنجد

---

[1] هو الحسن المستضيء بالله بن ابي المظفر يوسف المستنجد بالله الخليفة العباسي الثالث والثلاثون، ولد في السادس من شعبان سنة ٥٣٦هـ/السابع والعشرون من شباط ١١٤٢م. وامه م ولد ارمنية اسمها غضة. تولى دست الخلافة وله ثلاثون سنة، وايام خلافته كانت تسع سنوات ونحو من سبعة اشهر توفي في الثاني من ذي القعدة ٥٧٥هـ/٢٣ آذار ١١٨٠م. للمزيد عن ترجمته انظر: ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، المصباح المضئ في خلافة المستضيء، تحقيق: ناجية عبد الله ابراهيم (بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ٢٠٠٠م) ص٤٩٨ وما بعدها؛ ابن الكازروني، مختصر التاريخ، صص: ٢٣٧-٢٤٠؛ ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص١٨٤؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، صص: ٢٢٥-٢٢٩. ويلاحظ ان اللقب المستضيء يرد بصيغتين اما المستضيء بالله كما يرد في: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص١٩٠. او بصيغة المستضيء بامر الله كما وردت في: ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص٣٢٢؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، ص١٦٤. وغيرها من المصادر وقد اعتمدنا صيغة ابن الجوزي لانه كان معاصراً لعصره لكننا نورده بصيغة المستضيء بامر الله عند الاعتماد على مصادر تورده بهذه الصيغة .

[2] تقدمت ترجمته.

[3] وهو محمد بن عبد الله بن هبة الله بن المظفر بن علي بن الحسين (وهو رئيس الرؤساء ابن المُسلمة وزير الخليفة القائم بامر الله، الذي قتله البساسيري) والملقب بعضد الدين، ولد سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م. استوزره الخليفة المستضيء بالله، لكنه قبض عليه بعد ذلك ونهبت دوره سنة ٥٦٧هـ/١١٧٢م ثم اعيد للوزارة سنة ٥٧٠هـ/١١٧٥م وفي سنة ٥٧٣هـ/١١٧٨م عمل ظهير الدين ابو بكر بن العطار على تغيير قلب الخليفة عليه، فطلب الحج فاذن له، وتجهز للحج وقبيل خروجه من بغداد قتل بهجوم ثلاثة اشخاص عليه قيل انهم من الباطنية فتوفي بعد ذلك وقتل معه ابن المعوج وهو محمد بن نصر حاجب الباب للمزيد انظر ترجمته في: ابن=

بالله والذي دعت سياسته الى ان يرفع المكوس[1]، وفي السماح للوعاظ في الجلوس لوعظ الناس.

الإذن للوعاظ بالجلوس للوعظ، واثر مجالس الوعظ في التجاذب المذهبي:

أُذن للوعاظ من أهل الفرق في الجلوس للوعظ بعدما منعوا من مدة[2]، ويعتقد ان هذا المنع المؤقت للوعظ اريد منه استقرار امر خلافة المستضيء بالله، اذ يلاحظ ان ابن الجوزي في المنتظم يورد اخبار جلوسه للوعظ في يوم عاشوراء فضلاً عن بقية مجالس الوعظ الكثيرة التي كان يعقدها، ويوم عاشوراء تعده الشيعة عموماً يوم حزن يستذكرون فيه استشهاد الحسين بن علي بن ابي طالب (ع) واصحابه في واقعة الطف الأليمة سنة ٦١هـ/ ٦٨٠ م، فيما يعد هذا اليوم (عاشوراء) لمخالفيهم من أهل السنة بأنه يوم "صالح" لما رووا فيه من احاديث نبوية عن صيامه والتوسعة فيه على العيال[3]. وفي الحقيقة لم يورد ابن الجوزي عن مضامين مجالس

=الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص٢٤٦؛ ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص٣١٢؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، صص: ٢٥١-٢٥٦؛ ابن الطقطقي، الفخري، صص: ٣١٩-٣٢١.

[1] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص١٩١؛ ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص٢٣٧. وقد يستغرب من رفع الضرائب والمكوس في كل مرة يتولى بها دست الخلافة خليفة جديد، والراجح في الامر ان رفعها يكون لبرهة من الزمن وما يُلبث ان تعود من جديد.

[2] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص١٩١.

[3] انظر الحديث رقم ٢٠٠٤ المروي في صحيح البخاري والمروي عن ابن عباس: قدم النبي (ص) المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال ما هذا ؟ . قالوا هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني اسرائيل من عدوهم، قال: فأنا احق بموسى منكم، فصامه، وامر بصيامه. انظر الى الحديث وشرحه في: شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، فتح الباري في شرح صحيح بخاري، تحقيق: عبد العزيز بن باز وآخرون (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٩م) ج٤، ص٣٠٦ الحديث ٢٠٠٤ وشرحه؛ ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ/٨٧٤م)، صحيح مسلم، ط٦ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١١م) ص٤١٠ الحديث رقم ١١٣٠؛ ابو عبد الله محمد بن=

وعظه[١] التي اقامها في يوم عاشوراء ابان خلافة الخليفة المستضيء بامر الله شيء يدلل على الوعظ بالتنويه الى واقعة الطف وما الى ذلك ونحن قد لا نعدوا الصواب ان قلنا ان احاديث وعظ ابن الجوزي كانت تتضمن غير ما درجت عليه الشيعة الامامية في اظهار الحزن والنحيب على استشهاد الامام الحسين (ع) واهل بيته واصحابه، وبذلك يمكننا القول ان مجالس ابن الجوزي للوعظ التي تكررت في غالب سنوات خلافة المستضيء بامر الله[٢] كانت في اظهار ما يجب عليه ان تكون الاحتفالات بهذا اليوم من وجهة نظر المسلمين من اهل السنة المخالفين للشيعة الإمامية، وما يعزز ذلك هو ما تحدث به احد الوعاظ وهو محمد الطوسي في محرم

=يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م)، سنن ابن ماجة، ضبط نصها: احمد شمس الدين، ط٤ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٣م) ص٢٧٧ الحديث رقم ١٧٣٤؛ ابو داود سليمان بن الاشعث السجستاني الازدي (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م)، سنن ابي داود، اعداد وتعليق عزت عبد الدعاش وعادل السيد (٥ج، بيروت: دار ابن حزم، ١٩٩٧م) ج٢، ص٥٦٧، الحديث ٢٤٤٤.

[١] يعد كتاب المصباح المضيء في خلافة المستضيء لابن الجوزي كتاب مواعظ وتذكير عامة "يعالج الامور السياسية والاقتصادية والاجتماعية" ولم يتضمن مواعظ تخص يوم عاشوراء. انظر: ابن الجوزي، المصباح المضيء في خلافة المستضيء؛ وكذلك فأن مضمون كتابه الموسوم بـ الاريج في المواعظ فأنه كذلك لم يتضمن مواعظ تخص يوم عاشوراء. انظر: ابن الجوزي، الاريج في المواعظ والتواريخ (القاهرة: دار البيان العربي، ٢٠٠٢م).

[٢] يذكر ابن الجوزي انه عقد له مجلس في عاشوراء سنة ٥٦٨هـ/٣١ آب ١١٧٢م، وفي العام ٥٦٩هـ/١١٧٣م حدثت فتنة قبيل يوم عاشوراء ومنع الوعاظ الا بعد يوم الحادي والعشرون من محرم، وفي سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م حدث فيضان ببغداد ولم يجلس في عاشوراء، وفي محرم سنة ٥٧١هـ/آب ١١٧٥م جلس ابن الجوزي للوعظ ايضاً، وفي محرم ٥٧٢هـ/تموز ١١٧٦م جلس ابن الجوزي للوعظ وكذلك في السنوات ٥٧٣ و ٥٧٤هـ/١١٧٧ و ١١٧٨م. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص١٩٩، ص٢٠٢، ص٢١١، ص٢١٨، ص٢٢٦، ص٢٣٥، ص٢٤٨.

سنة ٥٦٩هـ/آب ١١٧٣م عندما جلس في المدرسة التاجية[١] للوعظ وكان مما قاله شيء عن عبد الرحمن بن ملجم، الذي اغتال الامام علي بن ابي طالب (ع) فكان مما قاله ان "ابن ملجم لم يكفر بقتل علي فهاج الناس ورموه بالآجر، وخرج من المجلس والأتراك يحفظونه" فيما تهيأ الناس لرجمه في مجلسه اللاحق "بالآجر وقوارير النفط" ومزق فرشه قطعاً، لذلك لم يحضر المجلس و "تقدم اليه ان لا يجلس ولا يخرج من رباطه، ومازال البلد على حنق عليه" وتسكيناً للفتنة فإن "النائب في الديوان" تقدم بأن يختار ابن الجوزي واعظين واحد من الحنفية وآخر من الشافعية، فضلاً عن ان ابن الجوزي كواعظ يمثل الحنابلة ايضاً. والملاحظ ان هؤلاء الثلاثة هم الذين يتكلمون في مجالس الوعظ ببغداد بلا وعاظ معتزلة وامامية، ويبدو ان ثورة الغضب هذهِ قد هدأت بعد ذلك "فاطلق الوعاظ واحداً بعد واحد"[٢].

مع ملاحظة ان مجالس الوعظ هذهِ كانت غالباً ما يتبعها مجالس السماع للصوفية، حيث يتم توزيع الطعام والخلع الكثيرة في بعض الاحيان وحتى الاموال في احيان اخرى[٣]، ولا يخفى ما لذلك من تأثير على العوام وتهافتهم على هكذا مجالس خاصة ان غالب هذهِ المجالس كانت اما برعاية الخليفة المستضيء بامر الله نفسه او حتى بحضوره شخصياً[٤].

---

[١] المدرسة التاجية: هي المدرسة التي انشأها الوزير تاج الملك المزربان بن خسرو فيروز الذي كان وزيراً لتركان خاتون زوجة ملك شاه ثم صار وزيراً لملك شاه نفسه في اواخر ايامه، وتعد المدرسة التاجية هي ثاني مدرسة للشافعية في بغداد بعد المدرسة النظامية، وربما اراد تاج الملك بانشاءه لهذهِ المدرسة مضاهاة ما عمله نظام الملك بمدرسته النظامية. انظر: العماد الاصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص٢٣٣؛ وانظر ايضاً: عماد عبد السلام رؤوف، مدارس بغداد، صص: ٧٦–٨٣.

[٢] انظر الى تداعيات ذلك في: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص٢٠٢.

[٣] انظر: المصدر نفسه، ج١٨، ص١٩٩، ص٢١٩، ص٢٢٣.

[٤] انظر: المصدر نفسه، ج١٨، ص١٩٩، ص٢١٩، ص٢٢٣، ص٢٢٩، ص٢٣٠، ص٢٣٩، ص٢٥٠.

ومن الجدير بالذكر ان مجالس الوعظ هذهِ كانت في حقيقتها مجالس سياسية بتقديرنا، تؤجج عادة المستمعين من أهل السنة وتقربهم الى اقرار نوع من الحق الشرعي ونكران نوع من الباطل وعلى وفق المذهب الذي تروج له الخلافة التي يقف وراءها الخليفة نفسه، ولذلك فإن الخليفة المستضيء كان قد قرب ابن الجوزي وما برح ان ازدادت مكانته عند الخليفة ففي سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م بعد "ان كثر الرفض في بغداد" خرج توقيع من الخليفة المستضيء بالله بتقوية يد ابن الجوزي في ازالة البدع" في مجالس الوعظ التي تقام في بغداد[١].

والملاحظة الجديرة بالاهتمام ان ابن الجوزي يذكر ان الرفض كثر في بغداد على الرغم من عدم جلوس أي واعظ امامي مصرح به بذلك وهذا يدلنا على امر مهم ان التشيع "أي الرفض" كان يزداد كلما ازداد الضغط عليهم من مخالفيهم سواء عن طريق الوعظ الموجه سياسياً، بل وربما حتى من خلال اعمال المكافحة بالقوة. من اجل ذلك فأن الخليفة فوض الى ابن الجوزي نفسه صلاحيات استثنائية في هدم دار من "ينتقص بالصحابة" من العوام واخلاده بالحبس، وغني عن البيان ان أكثر من يثار عليه لغط عن الصحابة هو معاوية بن ابي سفيان، وعمرو بن العاص. فضلاً عن ذلك فإن ابن الجوزي نفسه كان يحذر من أن يصدر هذا الأمر من واعظ "فيحذر منه" وانما ينظر الى هذهِ الإجراءات والعقوبات بانها تطبيق عملي للإعتقاد القادري–القائمي الذي التزمت الدولة العباسية عليه اواخر ايام الخليفة القادر بالله ومن ثم لولده القائم بالله، وكذلك حفيده المقتدي بالله.

وبهذا نستقريء ان ابن الجوزي في مهنته التي كان يمارسها في الوعظ صار واحداً ممن يطلق عليه حديثاً او حسب تعبير الراحل علي الوردي بـ"وعاظ السلاطين" الذين يحظون من الخلافة العباسية المعظمة برعاية خاصة من الخليفة المستضيء نفسه، حتى ان ابنته المسماة رابعة زوجت وجهزت من قبل جهة الخليفة المستضيء بالله المسماة بنفشا، فضلاً عن ذلك، فقد صار لابن الجوزي ابان خلافة المستضيء بالله خمسة مدارس برسم الحنابلة، وخلعت للواعظ ابن الجوزي اكثر من خلعة من

---

[١] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص٢٢٢.

خلع الخليفة المستضيء[١]، كما عملت له دكة خاصة به في جامع القصر نفسه[٢]، في المقابل عمل ابن الجوزي للخليفة المستضيء كتاباً فيه "مواعظ وتذكير" اسماه: المصباح المضيء في خلافة المستضيء[٣].

وكل هذهِ تدلل على زيادة اقبال الخليفة المستضيء على الحنابلة وشيخهم وقتئذ ابن الجوزي الذي توج الخليفة مداراته للحنابلة بأن امر في جمادي الاولى سنة ٥٧٤هـ/تشرين الاول ١١٧٨م اعمار قبر احمد بن حنبل[٤] وعمل عليه لوحاً ذكر فيه آيات قرآنية مقروناً باسم عمل الواقف على القبر، وهو الخليفة المستضيء بالله على اعتبار انه هو من امر بعمل ذلك.

التجاذبات المذهبية تجاه قوى الامامية ابان خلافة المستضيء بالله:

كان الشيعة الإمامية في بغداد يتجدد نشاطهم عند كل مناسبة يتلمسون فيها فسحة من عدم التعصب عليهم، حتى ان ابن الجوزي ذكر ان سبب انتشار الرافضة في السنين الأولى لخلافة المستضيء بالله تعود الى الامير التركي "الحسن بن صافي بن يزدن"[٥] الذي وصفه ابن كثير بانه كان رافضياً خبيثاً متعصباً للرفض و "ان أهل السنة فرحوا بموته، وغضب الشيعة من ذلك"[١].

---

[١] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص٢٢٣، ٢٢٦، ٢٤٩؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، ص٣٢٥.

[٢] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص٢١٤.

[٣] انظر: تمهيد التحقيق ، لـ ناجية عبد الله ابراهيم لكتاب ابن الجوزي، المصباح المضيء في خلافة المستضيء، ص٩ و١٠.

[٤] وكان قبر احمد بن حنبل قد تهدم ولاكثر من مرة بفعل الفيضانات المتكررة التي اجتاحت بغداد وكان آخرها في شهر رمضان من سنة ٥٦٩هـ/نيسان ١١٧٤م. حيث "امتلات مقبرة الامام احمد كلها بالمياه ولم يسلم منها سوى موضع بشر الحافي لانه كان على نشز" انظر: ابن الجوزي، ج١٨، ص٢٠٥؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٢٧٧.

[٥] يزدن التركي: هو الحسن بن صافي بن يزن كان من كبار الامراء ومن المتحكمين في دولة الخلافة (ايام المستضيء) في بغداد توفي في ذي الحجة سنة ٥٦٨هـ/تموز ١١٧٣م. دفن=

ويبدو ان التنابز بين الشيعة الامامية ومخالفيهم من الحنابلة والقوى التي تؤازرها كان يتواصل في كل مناسبة، على نحو من ذلك ما حصل ابان الفيضان الذي اصاب بغداد في رمضان سنة ٥٦٩هـ/نيسان ١١٧٣م على اثر الأمطار التي استمرت شهراً كاملاً. فأن اهل الكرخ عملوا "سكراً" يرد الماء عنهم فغرق مسجد فيه شجرة فانقلعت، يقول ابن الأثير: فصاح اهل الكرخ "انقلعت الشجرة، لعن الله العشرة"[٢] وهو ما ادى الى وقوع الفتنة بين الإمامية ومخالفيهم من الحنابلة في البداية ثم توسعت لاحقاً.

وبغض النظر عن كون اهل الكرخ او نفر منهم صاح بهذا كشعار، فأن الأمر توسع الى فتنة بين الامامية والحنابلة، ويذكر ابن الاثير بأن الخليفة اوعز الى الامير علاء الدين تتامش[٣] احد الامراء الكبار ايام خلافة المستضيء بأن يخرج لأخماد هذهِ الفتنة لكن بدعوى ابن الأثير أن تتامش كان شيعياً، فمال على اهل باب البصرة، وان الخبر لما تنامى الى الخليفة انكر ذلك وامر باعادة تتامش وانتهى امر

=في بيته اولاً ثم نقل الى مقابر قريش. عن سيرته انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص٢٠١؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١١، ص٨٣٦.

[١] انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٨، ص٤٧٤.

[٢] انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص٢٧٩؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١١، ص٧١٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٨، ص٧٤٧.

[٣] وهو الامير علاء الدين تتامش، من اكابر الامراء في بغداد وله صلة قرابة بقطب الدين قايماز الذي كان على عداء مع الوزير ابن رئيس الرؤساء وتعاضد الاثنان قايماز وتتامش فطلبا من الخليفة العدول عن استيزار ابن رئيس الرؤساء سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م ولكن دون استجابة من لدن الخليفة، وتطور الامر الى استغاثة الخليفة بالناس بأن قال: المال لكم والدم لي، فثارت بهما العامة ونهبوا دورهم، فهربا الى بغداد. توفي قايماز بعد ذلك في ظاهر الموصل. اما تتامش فقد رضي عنه الخليفة، ومات دون اقطاع للمزيد انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص٢١٥؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٢٩١ و ٢٩٢؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، صص: ٢٢٥-٢٢٧.

الفتنة بعد اسبوع من "غير توسط سلطان"[1]. وفي التحليل الاول لهذهِ الفتنة لا يمكننا الركون الى قول ابن الأثير بأن اللعن طال العشرة، لأن المقصود ودون شك انهم العشرة المبشرة على اعتقاد المسلمين من أهل السنة، وهؤلاء العشرة فيهم الامام علي بن ابي طالب(ع).

واقعة اخرى في التجاذبات المذهبية ببغداد تجاه الشيعة الامامية ابان خلافة المستضيء وقعت في الرابع عشر من رمضان سنة ٥٧٤هـ/١١٧٩م عندما كبس على رجل من اهل الكرخ يدعى "ابو السعادات بن قرابا" لمحاسبته ولم يورد ابن الجوزي الذي اورد الخبر عن الجهة التي كبست دار ابن قرابا هذا، هل هم العامة من الحنابلة ام تم توجيههم من قبل ابن الجوزي نفسه بموجب تلك الصلاحيات التي منحها اياه الخليفة المستضيء بالله سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م وكما بيناه سلفاً، وكان ابن قرابا ينشد على الدكاكين والاسواق بشعر العوني[2] وغيره من اهل الرفض.

ويذكر ابن الجوزي ان الذين كبسو داره وجدوا عنده كتباً فيها سب الصحابة وتلقيفهم، فؤخذ وقطع لسانه وقطعت يده، وما لبثت العامة ان "ضربوه بالآجر في الطريق، فهرب الى الشط، فجعل يسبح وهم يضربونه حتى مات، ثم اخرجوه واحرقوه ثم رمي باقيه الى الماء فطفاً بعد ايام"[3].

ويلاحظ عن ابن قرابا هذا ان ابن الجوزي لم يذكر انه كان يصرح بسب الصحابة، وانما كان ينشد على الدكاكين (أي بالاسواق) وعندما كبس وجد عنده

---

[1] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٢٧٩.

[2] الشاعر ابو محمد طلحة بن عبيد الله بن ابي عون الغساني العوني من شعراء القرن الرابع الهجري، كان غالب شعره في مدائح اهل بيت محمد (ص)، وكان العوني من الذين نبشت قبورهم واحرقت رممهم في فتنة سنة ٤٤٣هـ/١٠٥١م عن الشاعر وشعره انظر: عبد الحسين احمد الاميني النجفي، الغدير في الكتاب والسنة والادب (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٧٧م) ج٤، صص: ١٢٤-١٤٠؛ وعن نبش قبر العوني واحراقه انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٣٣٠.

[3] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص٢٥١.

كتب بسب الصحابة، ولا يصرح ابن الجوزي من الذي كبس ابن قرابا كما اسلفنا ونحن نتذكر ان ابن الجوزي قد منح صلاحية عقوبة هدم البيت والاخلاد بالحبس وليس بقطع اللسان واليد، فإن ابن كثير كان يشير لاحقاً ان ابن قرابا كان يضمن شعره ذم الصحابة وسبهم، وان الخليفة المستضيء هو الذي امر ان يعقد له مجلساً ليستنطق فاذا هو "رافضي جلد داهية"، ويذكر ابن كثير ان العامة ربطوا برجله شريطاً بعد رجمه بالآجر وطوفوا به (سحلوه) وبعد ذلك حرّقوه[١].

هذا ما يخص التجاذبات التي وقعت ايام خلافة المستضيء ولكن ماذا بشأن نهاية حكم الفاطميين غرماء العباسيين وزوال دولتهم ؟.

الخطبة للعباسيين في مصر وانهاء الخلافة الفاطمية:

في الوقت الذي كانت الخلافة العباسية تستعيد بعض من عافيتها على اثر ضعف السلاطين السلاجقة في العراق وايران وانشغال امرائهم في الحروب الداخلية كانت الخلافة الفاطمية في مصر مضطربة الكيان على اثر التنافس بين مراكز القوى فيها مما دعى الخليفة الفاطمي فيها الى الإستعانة بنور الدين محمود الذي بادر الى اغتنام الفرصة بإرسال كبير قواده اسد الدين شيركوه سنة ٥٥٩هـ/١١٦٤م خوفاً من تكالب الفرنجة عليها.

وهكذا بدت الخلافة الفاطمية تسير الى مصيرها المحتوم في الوقت الذي استقوى الخلفاء العباسيين بعودة العراق الى حكمهم بعيداً عن تنازع المتغلبين من الامراء على بغداد. وهذا ما حدث عندما خطب في القاهرة للخليفة العباسي في محرم سنة ٥٦٧هـ/ايلول ١١٧١م وتأكد الأمر بوفاة آخر الخلفاء الفاطميين الاربعة عشر العاضد بعد ايام من ذلك[٢].

---

[١] انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٨، ص٥١.

[٢] انظر: الكتاب المنسوب للعماد الاصفهاني، البستان الجامع لجميع تواريخ اهل الزمان، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري (بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٩م) ص٤٠١؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٢٤٤؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، ص١٦٩؛ ابو=

وتم ارسال الشيخ شهاب الدين بن المطهر بن شرف الدين بن ابي عصرون بالبشارة الى بغداد رسولاً من نور الدين محمود في ٢٨ محرم ٥٦٧هـ/٢٥ ايلول ١١٧١م[١] واحتفل بدار الخلافة بهذهِ المناسبة والقيت القصائد فيها ابتهاجاً بهذه المناسبة، وعمل ابن الجوزي المقرب من دار الخلافة على تصنيف كتاب اسماه "النصر على مصر" وعرضه على الخليفة المستضيء بالله لتخليد اسمه[٢].

ولا يخفى ما لهذه الحادثة من تأثير بالشعور بالنصر والنشوة والارتياح للخلافة العباسية، فضلاً عن جماهير العامة الذين زينوا بغداد وعملت القباب في اسواقها، وفي المقابل يذكر ابن الجوزي تأثير ذلك على احوال الشيعة ببغداد فيقول: "انكدر الروافض"[٣] وقد لا يبدو تأثير ذلك على شيعة بغداد، الا تأثيراً معنوياً نفسياً

=شامة المقدسي، كتاب الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج٢، ص١٩١؛ وينفرد ابن الساعي بخبر يذكر فيه وفاة العاضد في ذي الحجة ٦٠٤هـ/آب ١٢٠٧م في محبسه في مصر، ويعلق مصطفى جواد محقق كتاب ابن الساعي بقوله، ولعل هذا هو الصحيح. انظر: علي بن انجب تاج الدين المعروف بابن الساعي (ت٦٧٤هـ/١٢٧٦م) الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير (بغداد: المطبعة السريانية الكاثوليكية، ١٩٣٤م) ج٩، ص٢٥١ و ٢٥٢؛ فيما يذكر السلاوي الناصري: ان حفيد للعاضد واسمه محمد بن عبد الله بن العاضد ثار بالمغرب الاقصى ودعى لآل البيت والتشيع فظفر به الناصر الموحدي وقتله وعلق راسه على احد ابواب فاس واحرق جسده في وسط الباب وذلك سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٤م، انظر: ابو العباس احمد الناصري السلاوي (ت١٨٩٧م) الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى (الدار البيضاء: د. ذكر المطبعة، ١٩٥٦م) ج٢، ص١٩٥؛ احمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي (بيروت: دار النهضة العربية، د.ت) ص٣٦٤.

[١] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص١٩٦؛ ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص٢٤٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مـ٣، ج٦، ص٦٣.

[٢] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص١٩٦؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، ص١٧١.

[٣] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج٢١، ص١٩٦.

لا غير خاصة وان شيعة بغداد امامية اثني عشرية وهم على خلاف مع الدولة الفاطمية، لأنهم من الإسماعيلية "السبعية".

فضلاً عن ذلك فإن جل ما كان نور الدين قد ارسله جملة من تحف كثيرة فيها "ثياب من ثياب المصريين، وحمار كأن جلده الثوب العتابي"[١] ولا يخفى ان هذهِ الهدايا التي وصلت بغداد في رجب سنة ٥٦٩هـ/شباط ١١٧٤م لم تكن مشفوعة باموال عينية تذكر، وهذا ما جعل هذا الإنتصار الذي تحقق في مصر على يد صلاح الدين يبدو امره معنوياً لا غير تجاه الخلافة العباسية اكثر مما هو مادياً.

وفاة الخليفة ابو محمد الحسن المستضيء بالله، وتقييم ايام خلافته:

توفي الخليفة المستضيء بالله في ٢ ذي القعدة ٥٧٥هـ/٢٣ آذار ١١٨٠م عن ستٍ وثلاثون عاماً.

يمكن القول بأن ايام الخليفة المستضيء بالله كانت امتداداً لايام ابيه المستنجد بالله من ناحية تقريبه للحنابلة في بغداد وتبنيه امر الوعظ بموجب ما اقره الاعتقاد القادري–القائمي والتوسع في عقد مجالس الوعظ التي كان يقيمها وكذلك مجالس السماع الخاصة بالصوفية الحنابلة المذهب التي كانت تعقب مجالس الوعظ.

وقد حاول الخليفة المستضيء بالله ايجاد شغل شاغل لعامة بغداد بهذهِ المجالس خاصة انها كانت تعقد في الغالب برعاية الخليفة نفسه او حضوره شخصياً.

وكانت حالات التجاذب المذهبي في بغداد محدودة وغير خطيرة على الأمن المجتمعي البغدادي، ومع ذلك فإن حادثة ابن قرابا التي وقعت سنة ٥٧٤هـ/١١٧٩م كان لها تأثير كبير على عامة اهل الكرخ، واحراقهم لكتبهم احترازاً منهم لما قد يجري عليهم ما جرى لابن قرابا.

وزادت سطوة الحنابلة في بغداد بعد تفويض الخليفة بعض صلاحياته الدينية الى ابن الجوزي الذي جعل من وعاظ الشافعية والحنفية قوة تابعة لأئمة الحنابلة

---

[١] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج٢١، ص٢٠٤.

ومقدميهم وهو امر لا يقبله فقهاء الشافعية والحنفية معاً. وبذلك زادت سطوة الحنابلة في بغداد والديوان حتى ان ابن الاثير في تاريخه يذكر خبراً عن تسميم الحنابلة لفقيه شافعي مع عائلته لأنه كان يذم الحنابلة ومقدمهم[١].

فيما ازدادت مكانة الحنابلة في بغداد وشاعت مدارسهم بالمدينة وصار لأبن الجوزي خمسة مدارس يدرس فيها الفقه الحنبلي احداها اوقفتها جهة الخليفة المستضيء المدعوه بنفشا، ثم عُمِلتْ له دكة في جامع القصر في دار الخلافة نفسها، وعمر قبر صاحب المذهب احمد بن حنبل وبتوجيه من الخليفة نفسه.

إلا ان هذهِ المتغيرات وعلى نحو ما سنلاحظ لاحقاً ستتغير ايام خلافة ابنه الناصر لدين الله الذي تقرب الى الامامية سياسياً وقدمهم في مراتب الديوان.

وكان الحدث الابرز ابان خلافة المستضيء بالله الخطبة لخليفة بغداد العباسي في حاضرة الخلافة الفاطمية القاهرة والتي تأكدت فيه بأنهاء تلك الخلافة المنافسة للعباسيين على اثر وفاة آخر خليفة فاطمي فيها العاضد في ١٠ محرم ٥٦٧هـ/١١ ايلول ١١٧١م وبذلك تحقق ما كان يسعى اليه اجداد الخليفة المستضيء بالله في التخلص من الفاطميين كل من الخليفة القادر بالله (ت٤٢٢هـ/١٠٣١م) والخليفة القائم بأمر الله (ت٤٦٧هـ/١٠٧٥م). ولكن الملاحظ ان هذا تم من خلال الاتابك نور الدين محمود، وممثله صلاح الدين يوسف بن شادي الايوبي، وليس بعمل الخليفة المستضيء بالله شخصياً.

كانت وفاة الخليفة المستضيء بالله ايذاناً ببدء مرحلة جديدة وطويلة نوعا ما من سنوات حكم الخليفة العباسي الرابع والثلاثون الناصر لدين الله.

---

[١] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٢٤٩.



الباب الرابع

التجاذبات الدينية (المذهبية) في بغداد منذ خلافة الناصر لدين الله

وحتى دخول المغول

(٥٧٥-٦٥٦هـ/١١٨٠-١٢٥٨م)

الباب الرابع

يتناول هذا الباب مجمل الأوضاع السياسية والإجتماعية في عصر صحوة الخلافة العباسية وبما لها من تأثير على مجمل التجاذبات المذهبية تجاه الشيعة الإمامية الأثني عشرية في بغداد ايام خلافة الناصر لدين الله والخلفاء الثلاثة الذين اعقبوه بين السنوات ٥٧٥-٦٥٦هـ/١١٨٠-١٢٥٨م وهي المرحلة الاخيرة من عمر الدولة العباسية التي عرفت بسياسة النأي عن أي دور لسلاطين سلاجقة العراق وايران في شؤون العباسيين والبيت العباسي، ومن ثم النأي عن أي دور لاية قوة يمكن أن تحاول أخذ الدور الذي كان السلاجقة قد اضطلعوا به سابقاً، مثل الدولة الخوارزمية المستجدة في شرق العالم الاسلامي التي قضى على سلاطينها المغول. بهذا المحتوى سارت الامور حتى انهاء واقع حال الخلافة العباسية في بغداد على اثر نجاح الغزو المغولي لايران والعراق الذي اجتاح المشرق الاسلامي اولاً، ومن ثم استباحة بغداد ومقتل الخليفة العباسي السابع والثلاثين المستعصم بالله في ٦٥٦هـ/١٢٥٨م.

قسم هذا الباب الى فصلين:

الفصل الأول:

تناولنا فيه العهد الاطول اياماً من بين عهود الخلفاء العباسيين في بغداد طراً، عهد الخليفة العباسي ابو العباس احمد الملقب بـ الناصر لدين الله العباسي (ذو القعدة ٥٧٥-رمضان ٦٢٢هـ/آذار ١١٨٠-ايلول ١٢٢٥م).

الفصل الثاني:

تناولنا فيه سنوات آخر ثلاثة خلفاء عباسيين في الحكم هم:

- ابو نصر محمد الظاهر بأمر الله وعهده القصير الذي لم يتجاوز التسعة اشهر ونصف الشهر (رمضان ٦٢٢-رجب ٦٢٣هـ/ايلول ١٢٢٥-تموز ١٢٢٦م)
- الخليفة العباسي ابو جعفر منصور المستنصر بالله (رجب ٦٢٣-جمادي الآخرة ٦٤٠هـ/تموز ١٢٢٦-تشرين الأول ١٢٤٢م.

وولده:

- الخليفة العباسي ابو احمد عبد الله المستعصم بالله (جمادي الآخرة ٦٤٠-صفر ٦٥٦هـ/تشرين الأول ١٢٤٢-شباط ١٢٥٨م)

الفصل الأول

عهد الخليفة الناصر لدين الله:

يمثل عهد الخليفة الناصر لدين الله عصر الصحوة للخلفاء العباسيين تجاه قوى التغلب القادمة من المشرق في خراسان، وكذلك يعد عهد إرتقاء رجالات من الشيعة الإمامية الى المراتب الادارية والديوان بعد انحسار نفوذ الشيعة الإمامية في بغداد ايام والده المستضيء بالله (٥٦٦-٥٧٥هـ/١١٧٠-١١٨٠م)

تداعيات تولي الخليفة الناصر لدين الله دست الخلافة:

بويع للامير ابي العباس احمد بالخلافة يوم وفاة ابيه المستضيء بالله في ذي القعدة ٥٧٥هـ/آذار ١١٨٠م[١]، وبتوليه دست الخلافة بدى واضحاً وبصورة جلية، بل تأكد ان مؤسسة الخلافة العباسية صارت تسير باتجاه تعزيز سيطرة الخليفة وتقرير شؤون سياستها تجاه امراء الدول المتغلبة، ومن خلال ديوان الخلافة الذي يقوم على النظر في مقدرات دولة الخلافة عبر التعويل على سياسة الديوان وعدم الأعتماد على اية قوة لا تخضع لاوامر الخليفة وبصورة مباشرة. وما كان ذلك ليتم الا من خلال الاستقلال العسكري لدولة الخلافة العباسية المتمثل بجند الخلافة، وتوفير التمويل المادي للخلفاء بفرض المزيد من المكوس والضرائب على مختلف الأنشطة الإقتصادية للرعية، بغية تمويل مختلف نشاطات الدولة العباسية، ولانجاز هذا العمل كله لجأ الخليفة الناصر لدين الله باشاعة نوع من الهيبة والأُبهة لمؤسسة الخلافة واستقلاليتها عبر وسائل ايجاد قاعدة شعبية عريضة للخلفاء من خلال

---

[١] هو ابو العباس احمد بن الحسن المستضيء بالله الخليفة العباسي الرابع والثلاثون والذي لقب بالناصر لدين الله. ولد في العاشر من رجب سنة ٥٥٣هـ/٣١ تموز ١١٥٨م، وامه ام ولد تركية اسمها زمرد خاتون ادركت خلافته وعاشت في ايامه اربع وعشرين سنة. وعهد هذا الخليفة "الناصر لدين الله" يمثل اطول عهود الخلفاء العباسيين حكماً اذ امتدت خلافته على مدى نحو من سبعٍ واربعون عاماً هجرياً، وطد الناصر خلالها اركان الخلافة العباسية دون هيمنة او تسلط على شؤونها السياسية والعسكرية والمالية من اية قوة سلجوقية او غيرها، يصفه المؤرخون بانه داهية، واسد بني العباس، وكان قد فقد الابصار باحدى عينيه وضعفت الاخرى اواخر ايامه. توفي في سلخ رمضان ٦٢٢هـ/ايلول ١٢٢٥م. للمزيد عن سيرته واحوال خلافته انظر: ابن الكازروني، مختصر التاريخ، صص: ٢٤٢-٢٥٣؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٥، صص: ٩٣-١١٧؛ صلاح الدين الصفدي، نكت الهميان في نكت العميان، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م) صص: ٦٨-٧١؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، صص: ٥٣٠-٥٤٠؛ احلام من النقيب، سياسة الخليفة الناصر لدين الله الداخلية (بغداد: دار الشؤون الثقافية، ٢٠٠٠م). وانظر ايضاً:
Angelica Hartmann, "Al-Nasr Li-Din Allah", EI2, Vol.VII, 996-1003.

احتواء اكثر الطرفين تفاعلاً في التجاذب مذهبياً في بغداد، وهما القوتان السنية المتمثلة بالمسلمين الحنابلة، وشيعة آل ابي طالب المتمثلة بالإمامية الأثني عشرية، وايجاد ما يؤشر لدى الخلفاء كقاسم مشترك يجمعهما شرعياً، بل وبشحذ همم الناشطين منهم في كل اطياف المجتمع البغدادي، ومن ثم في كل المجتمعات في حواضر الإسلام آنذاك عبر توظيف المثل العليا والأخلاق الحميدة لما عرف بالفتوة وما يتحلى به الفتى الأول في الإسلام علي بن ابي طالب، لكن هذا الأمر من وجهة نظر الخليفة تطلب وقتاً وجهداً لا مناص من القيام به فأستغرق سنوات قبل تبلوره واعطاء ثماره المرجوة منه كما سيتبين لنا لاحقاً.

كان عهد الخليفة الناصر لدين الله تتويجاً لجهود جدوده الخلفاء العباسيين بلا ادنى شك كل من الخليفة المسترشد بالله (٥١٢-٥٢٩هـ/١١١٨-١١٣٤م) وولده الراشد (٥٢٩-٥٣٠هـ/١١٣٤-١١٣٥م) وعمه المقتفي بالله (٥٣٠-٥٥٥هـ/١١٣٥-١١٦٠م) وحتى عهد المستنجد بالله (٥٥٥-٥٦٦هـ/١١٦٠-١١٧٠م) الذين تطلعوا الى نزع طوق التقييد الذي فرضه سلاطين السلاجقة في العراق وايران تجاه متولي دست الخلافة العباسية ببغداد، وعلى الرغم من الركون الى ما تحقق في هذا المحتوى ابان خلافة الخليفة المستضيء (والد الناصر لدين الله) فأن الخليفة الابن تولى دست الخلافة وهو في عنفوان شبابه[1]، وكان قد رأى بام عينه المؤامرات والدسائس التي تحاك في مراتب من المنتمين الى اهل الطوائف حتى داخل قصور الخلافة نفسها وكيف تم ادخال جده المريض (المستنجد بالله) عنوة الى الحمام ليموت حتى اسفرت بتحكم عضد الدين ابو الفرج بن رئيس الرؤساء ابن المسلمة الحنبلي الهوى بالوزارة وابنه كمال الدين عبيد الله لاستاذية دار الخلافة فيما تحكم الأمير قطب الدين قايماز وهو مقدم العسكر المتحكم بشؤون الدولة وأصقاعها.

---

[1] تولى الخليفة الناصر الخلافة وهو في الثانية والعشرون من عمره. انظر: ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص٢٤٢.

وتمخضت الامور عن بروز متحكم جديد بدولة المستضيء بالله هو ظهير الدين بن نصر الحراني صاحب المخزن المعروف بابن العطار[١] وهو الذي عرفناه بتعصبه لمذهب الحنابلة، والذي كان منحرفاً عن تولي الأمير احمد[٢]، والخليفة الناصر فيما بعد، دست الخلافة، فما ان تمت البيعة للخليفة الناصر حتى ايقن ابن العطار بهلاكه وهذا ما تم فعلاً، فقبض عليه واخرج ميتاً بعد ايام ليسلم الى اخته لغرض دفنه، التي اخرجت جنازته سراً عند قبر احمد بن حنبل[٣]، ولنا هنا وقفة نقول فيها: إن تراكم الظلم وتواصله في مكونات المجتمع البغدادي يولد ردة فعل من العنف وبدرجة لا تُعَرفْ له حدود يعجزُ عن ضبطه ادارياً، وهذا ما حدث لابن العطار من لدن عامة اهل بغداد، فابن العطار كان بين يديه مسعود نقيب باب

---

[١] ابن العطار: هو منصور بن نصر بن الحسين ظهير الدين ابو بكر ابن العطار (الحراني) صاحب المخزن، ونائب الوزارة، كان ابوه من كبراء التجار، نشأ وتفقه وسمع من ابن ناصر الحنبلي، ورث عن ابيه نعمة، استعان بها على مخالطة الاعيان، فبذل واتصل بالمستضيء قبل خلافته وولاه الاعمال في الديوان فلما قتل الوزير عضد الدين بن هبيرة رد المستضيء مقاليد الامور اليه، وصار نائباً عن الوزارة، فصار يولي ويعزل وكان "ذا سطوة وجبروت وشدة وطأة"، وكان "نقمة وعذاباً على الرافضة" ولانه كان منحرفاً عن تولي الامير ابو العباس احمد (الخليفة الناصر بعدئذ) فانه سجن وما لبث ان اخرج ميتاً وله ٤٢ عاماً، سلم الى اخته التي اخرجته سراً، فغمز به فاخذت العامة جثته وسحل وقطع واحرق وذلك سنة ٥٧٥هـ/١١٨٠م. للمزيد عن سيرته انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، ص٢٦٨؛ سير اعلام النبلاء، ج١٤، ص٢٥٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مـ٣، ج٦، ص٨٥.

[٢] كان ابن العطار يميل الى ان يلي الخلافة من ولدي الخليفة الراحل المستضيء بالله ولده الاصغر ابو منصور هاشم. انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، ج٢١، ص٢٦٣.

[٣] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، ص٢٦٩؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٤، ص٢٥٢.

النوبي[1] الذي كان يقويه تجاه غرمائه من مخالفيه، وكان مسعود هذا "قاسياً فتاكاً لا يعرف الرحمة، كم اتلف من الشباب بالقتل والصلب والقطع وأخذ الأموال ؟ ، وكان ابن العطار يقويه على ذلك"، فكان نقيب باب النوبي هذا "مسعود" بمثابة جلواز لابن العطار وتم على الاثنين نفس المصير من تجريد كفنهما و "السحل" والتقطيع والحرق لجسديهما[2]، وهكذا كانت بداية ايام تولي الخليفة الناصر لدين الله العباسي، تم فيه سحل وتمثيل وحرق لأحد رموز عهد ابيه[3] ليليه بداية عهد جديد اتسم بنوع معين

---

[1] باب النوبي: احد ابواب دور الخلافة ويسمى ايضاً بباب العتبة التي يقبلها الرسل والامراء والملوك وامراء الحاج اذا قدموا بغداد. انظر: مصطفى جواد واحمد سوسة، دليل خارطة بغداد المفصل، صص: ١٥٨-١٥٩.

[2] يذكر سبط ابن الجوزي ان تابوت ابن العطار غمز به بعض الناس وصاح: "يا عوام هذا ابن العطار الذي سلط عليكم مسعود النقيب، واخذ اموالكم وفعل ما فعل، فرجمت العامة التابوت الذي رماه الحمالون فعري وسحب بشريط وطيف به بالمحال" وجرت عليه من امور الهتك والتمثيل، ولئن بقيت من ابن العطار لحمةً وريت في مقبرة الامام احمد فأن مسعود نقيب باب النوبي احرق وذر رماده في دجلة. انظر: محمد بن تقي عمر بن شاهنشاه الايوبي (ت٦١٧هـ/١٢٢٠م) مضمار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق: حسن حبشي (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٦٨م) ص١٢؛ مرآة الزمان، ج٢١، ص٢٦٨؛ وانظر ايضاً بصيغ متشابهة في: ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص٣٢٣؛ ابو شامة المقدسي، كتاب الروضتين، ج٣، ص٥٢ و ٥٣؛ ابن العبري، تاريخ الزمان، ص١٩٥ و ١٩٦؛ ابن الطقطقا، الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية، ص٣٢٢ و ٣٢٣؛ ابي الفداء، المختصر في تاريخ البشر، ج٢، ص١٤٣؛ الحافظ ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، مـ٨، ص٥٠٦.

[3] لم تصرح المصادر التاريخية المتاحة أي اثر او دافع مذهبي تجاه ما جرى لابن العطار الحنبلي، ولم يصنف الذين قاموا بالتمثيل به وسحله بانهم من مذهب معين مخالف لعقيدته على الرغم من ذكرهم ان ابن العطار كان "مسيئاً الى الشيعة اهل المختارة والكرخ ومشهد موسى بن جعفر وقطع ارزاقهم" انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، ص٢٦٩؛ وانه كان "نقمة وعذاباً على الرافضة او الامامية" انظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٤، ص٢٥٢. ويظهر لنا من الاسلوب الذي اتبع في التمثيل به انه كان مشابهاً بشكل كبير لما جرى تجاه ابن قرايا (ت٥٧٤هـ/١١٧٩م) قبيل عام من حادثة ابن العطار، ولا ندري اهي=

من سياسة يسوسها الخليفة داخلياً من خلال اعمال ومواقف الصدور الذين كان على رأسهم استاذ الدار مجد الدين ابو الفضل بن الصاحب[1]، مع ملاحظة ان الخليفة الناصر لدين الله عمل على سياسة جداً حذرة في اختيار المتنافسين الصدور على مراتب الديوان بحيث يتمكن من التخلص من الذي يعلو نجمه ويستبد في عمله، من خلال تكليف منافس له في الديوان ربما يكون عادةً من اعدائه ومن المتطلعين والساعين الى منصبه ومقامه وهذا ما حدث لابن العطار الحنبلي، الذي صعد مكانه نجم ابن الصاحب الموصوف في انه شيعي رافضي اظهرت بأيام توليه لاستاذية الدار الشيعة الإمامية الأثني عشرية في بغداد مراسمهما علناً[2]، اما ابن الصاحب

=الصدفة ؟ فيما جرى ام النكاية به ؟ ام الحوبة ؟ ام هي ديدن العامة في افراغ الغضب والظلم المكبوت عندهم تجاه أي منكوب ؟

[1] وهو هبة الله بن علي بن هبة الله ابو الفضل، مجد لدين استاذ الدار، ابن الصاحب: كان استاذ دار الخليفة المستضيء بامر الله واقره الخليفة الناصر لدين الله، وقربه تقريباً زائداً، وصار ابن الصاحب متولي يولي ويعزل وكثرت السعايات عليه عند الخليفة الناصر وقيل ان الذي سعى به هو ابن يونس، وقيل انه عزم تغيير الدولة لانه سفك الدماء وسب الصحابة ظاهراً، وبطر بطراً شديداً، "فاشير عليه بقتله" فاستدعي يوم ١٩ ربيع الاول سنة ٥٨٣هـ/٢٣ مايس ١١٨٧م الى دار الخلافة فعلم انه مقتول ولما حصل بالدهليز وثب عليه ياقوت الشحنة، فقتله، وعلق راسه على باب النوبي "وسكن الناس بعد ان ماجت" وعمره ٤١ سنة، خلف ابن الصاحب تركة ضخمة من الاموال التي صودرت وترك العقار لاولاده. للمزيد انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، ص٣٥٢؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٤، ص٢٨٩؛ الملك الاشرف الغساني، المسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، ص٢٠٢.

[2] انظر: سبط ابن الجوزي، ج٢١، ص٣١٠؛ وكذلك انظر: الملك الاشرف الغساني، العسجد المسبوك، ص١٧٣؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٤، ص٤٦٢. فيما يرى المرحوم مصطفى جواد بأن ابن الصاحب كان حنبلياً انظر المقدمة التي كتبها مصطفى جواد في: زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م) التكملة لوفيات النقله، تحقيق: بشار عواد معروف (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤م) ج١، ص١٦؛ وانظر ايضاً: رياض عبد الحسين راضي البدراوي، تطور الشيعة الامامية الاثني عشرية في=

فقد سعى به منافسه ابن يونس الحنبلي[١] الذي استوزره وقتئذ الخليفة الناصر وابن يونس هذا سلَم الى الوزير الجديد ابن القصاب[٢] ذو الميول المذهبية الامامية الذي تتبع اصحاب ابن يونس من الحنابلة، لأن ابن القصاب كان متشيعاً ويتتبع من تلصق به تهمة النصب وكان من جملة من قبض عليهم المؤرخ والواعظ الاشهر عبد الرحمن بن الجوزي، الذي اتهمه الركن عبد السلام بن الشيخ عبد القادر الجيلي بانه ناصبي[٣].

=العراق خلال عهد المغول الايلخانيين (٦٥٦-٧٣٨هـ/١٢٥٨-١٣٣٧م) دراسة تاريخية، اطروحة دكتوراه غير مطبوعة مقدمة الى كلية الاداب جامعة بغداد في ٢٠١٤م.

[١] ابن يونس: وهو جلال الدين، ابو المظفر عبد الله بن يونس بن احمد البغدادي الازجي الفقيه، توكل لام الخليفة الناصر "زمرد خاتون" ثم ترقى امره الى ان وزر للخليفة سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، ثم سار بالجيوش لحرب طغرل آخر السلجوقية واسر في الوقعة التي جرت بينهما، لكنه هرب الى الموصل ومنها دخل بغداد مستتراً، ثم تولى الاستاذ دارية سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م وقبض عليه عند استيزار ابن القصاب سنة ٥٩٠هـ/١١٩٤م وكان آخر العهد به سنة ٥٩٢هـ/١١٩٦م مرمياً في مطمورة. للمزيد انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص٥٦ و ٥٧؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٤، ص٢٨١ و ٢٨٢.

[٢] الوزير ابن القصاب: وهو مؤيد الدين ابو الفضل محمد بن علي بن احمد المسمى ابن القصاب، اصله من شيراز بفارس، استخدم في مراتب ديوان الانشاء بداية الخلافة، ثم ترقى الى الوزارة، كانت له خبرة في فتح البلاد وكان الخليفة العباسي الناصر لدين الله العباسي يثني عليه ويقول: لو قبلوا رأيه ما جرى ما جرى، ولقد اتعب الوزراء وهو يقصد بذلك مخالفة الامراء له بعدم العودة لبغداد بعد فتح خورستان للخليفة، توفي ابن القصاب بهمدان سنة ٥٩٢هـ/١١٩٦م لكن ميجاليق الخوارزمي نبش قبره وحز راسه ليطاف به، وقيل دفن الراس بالري. للمزيد عن سيرته انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص٤٣ و ٤٤؛ الحافظ شهاب الدين ابي محمد عبد الرحمن بن اسماعيل المعروف بابي شامة المقدسي (ت٦٦٥هـ/١٢٦٦م) تراجم رجال القرنين السادس والسابع (بيروت: دار الجيل، ١٩٤٧م) ص٩.

[٣] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص٣١.



وهكذا تمت الامور في بدايات عهد الناصر لدين الله العباسي واستمرت لامد غير قصير "فأدخل في خدمة الدولة طائفتين كانتا متعاديتين بينهما ومعاديتين للدولة العباسية، وهما العلويين (في الهوى والتشيع) والحنابلة"[١]، وهذا الرأي الذي صرح به المرحوم مصطفى جواد نراه قد اصاب به وجه من الحقيقة وليست كل الحقيقة، فالخليفة الناصر لدين الله كان في كثير من الحالات يستقصي الهفوات، وهذه الأمور لا يحصيها إلا المتربصون من الصدور المتضادين في الهوى المذهبي فضلاً عن ذلك فإن الخليفة نفسه كان وبشكل ما يريد أن يشرك الأطياف المذهبية في بغداد وكان الحنابلة والإمامية في مقدمة هؤلاء الصدور في العمل بالديوان مع مراعاة الناصر لدين الله لمذهب آبائه الخلفاء العباسيين، منذ انقضاء ايام الخليفة الخامس هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ) حيث تبنى ولده عبد الله المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م) آراء المعتزلة في مسألة خلق القرآن[٢]، حتى تولية جعفر المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٦-٨٦١م) الذي انتصر لأصحاب الحديث وهم جلهم من الحنابلة غير ان الخلفاء بعد ذلك صاروا ينتحلون المذهب الشافعي اكثر فاكثر في الأصول مع اخذ اعتبارات المذهب الحنبلي في مسائل خلق القرآن والصفات والرؤية. وهذا ما اكد عليه ما عرف بالاعتقاد القادري-القائمي، فالخليفة الناصر لم يُظهر طوال ايام خلافته الطويلة، ما عرف بالإعتقاد القادري-القائمي، ولم ينوه بقراءته في جوامع بغداد الجامعة بشيء من هذا الإعتقاد، وكذلك لم يلزم مساجد الشيعة في بغداد "بالتثويب"، وترك "حي على خير العمل" وهذا ما كان يحصل ونوهنا عنه ابان خلافة الخليفة القائم بأمر الله وولده الخليفة المقتدي بالله. ولكنه في مرحلة متأخرة نوع ما من ايام خلافته وهي سنة (٦٠٨هـ/١٢١١م) امر الخليفة

---

[١] انظر: مصطفى جواد، في التراث العربي، ص٢٦.

[٢] عن الكتب التي كتبها الخليفة المأمون بشأن امتحان الفقهاء والقضاة في مسألة خلق القرآن، انظر: ابو الفضل احمد بن ابي الفضل طاهر الكاتب المعروف بأبن طيفور (ت٢٨٠هـ/٨٩٣م) تاريخ بغداد، وثقه: عصام محمد الحاج علي (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م) صص: ٣٣٩-٣٤٦.

الناصر بأن يقرأ مسند احمد بن حنبل بمشهد موسى بن جعفر وبحضور احد علماء الامامية وهو محمد بن معد الموسوي[١] (ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م)، مع ملاحظة ان القراءة كانت "بالاجازة عن الخليفة" نفسه، وان "اول ما قرئ منه مسند ابي بكر الصديق (رض) وحديث فدك وما جرى فيها"[٢]، ولم يبين سبط ابن الجوزي الذي اورد الخبر، فيما اذا تم الاستمرار وقراءة كامل المسند ام لا ؟ ، وفي الحقيقة ان قراءة ما جرى بشأن فدك من الامور التي طالما ظل يؤكد عليها رجال الشيعة الامامية في احتجاجاتهم على المسلمين من اهل السنة عامة[٣].

---

[١] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص١٨٦. ومحمد بن معد الموسوي هو: ابو جعفر العلوي الشيعي، محمد بن معد بن علي بن رافع بن فضائل بن علي بن حمزة بن احمد بن حمزة بن علي بن احمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر الكاظم، من حلة سيف الدين صدقة، قدم بغداد وصاهر مؤيد الدين القمي كاتب الانشاء وقتئذ على اخته، وكان عليه وقار وسكينة فقيهاً فاضلاً على مذهب الشيعة عالماً بالكلام على مذهب الامامية توفي في رمضان ٦٢٠هـ/تشرين الثاني ١٢٢٣م وحمل الى مشهد الحسين ودفن هناك. للمزيد عن سيرته انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٤، ص٩٤؛ الميرزا عبد الله الافندي الاصفهاني (من اعلام القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي) رياض العلماء وحياض الفضلاء (قم: منشورات مكتبة آية الله مرعشي نجفي، ١٤٠٣هـ) ج٥، ص١٨٣.

[٢] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص١٨٦.

[٣] انظر: ابو بكر احمد بن عبد العزيز الجوهري (ت٣٢٣هـ/٩٣٥م) السقيفة وفدك، تحقيق باسم مجيد الساعدي (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠١١م).

الخليفة الناصر لدين الله والتشيع:

تنوه غالب المصادر التاريخية المتوفرة بين ايدينا الى كون الخليفة الناصر لدين الله كان يتشيع[١]، ويميل "سياسياً" الى مذهب الإمامية[٢] او يرى رأي الإمامية[٣]، وانه قد عمل ضريحاً لنفسه عند مرقد الإمام موسى بن جعفر (سابع أئمة الشيعة الاثني عشرية) ليدفن فيه[٤]، على خلاف ما درج عليه غالب الخلفاء العباسيين في دفنهم بترب خاصة بهم.

فيما تبادر بعض تلك المصادر الى التنويه بأن ظهور التشيع ابان بداية خلافته كان بسبب ابن الصاحب[٥] استاذ دار الخليفة الناصر عليه، ويمكن لهذا الرأي ان يكون صحيحاً الى حد بعيد، ففي يوم عاشوراء سنة ٥٨٢هـ/ ١ نيسان ١١٨٦م اظهرت الشيعة الإمامية كل مظاهر الحزن بهذا اليوم من قبيل فرش الرماد

---

[١] انظر: ابو الفداء، تاريخ ابي الفداء، ج٢، ص٢٣٢؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٤، ص٩٦؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص١٤٤؛ حاجي خليفة، سلم الوصول الى طبقات الفحول، مـ١، ص١٣٦؛ ياسين خير الله العمري، غاية المرام في محاسن بغداد دار السلام (ت١٢٣٧هـ/١٨٢٢م) ط٢ (القاهرة: العاتك للطباعة، ٢٠٠٦م) ص١٣٨.

[٢] الملك الاشرف الغساني، العسجد المسبوك، ص١٧٣؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ج٤، ص١٩١.

[٣] انظر: ابن الطقطقا، الفخري في الاداب السلطانية، ص٣٢٢.

[٤] انظر: سبط ابن لجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص٢٧٤؛ ابو شامة المقدسي، الذيل على الروضتين، ص١٤٥؛ وان رسول صاحب مازندران الى الخليفة الناصر لدين الله كان لايشك ان الخليفة في بغداد (الناصر) يعلم الغيب، لان الامامية يعتقدون ذلك بأئمتهم. انظر: الصفدي، نكت الهميان في نكت العميان، ص٦٩؛ الذهبي، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، ج١٣، ص٢٩٦.

[٥] انظر: الصفدي، نكت الهميان في نكت العميان، ص٦٩؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ص٩٣؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٥، ص١٦٥.

في الاسواق وتعليق المسوح، وناح اهل الكرخ، واهل المختارة[1] وبغداد وخرجت النساء وهن يلطمن وينحن من باب البدرية[2] بدار الخلافة الى باب حجرة الخليفة، وكان اهل الكرخ يصيحون "ما بقي كتمان" تعبيراً عن رفع التقية التي كانوا يلجأون اليها في عدم المجاهرة في طقوس عاشوراء وغيرها من مناسبات الشيعة الإمامية الاثني عشرية ايام التضييق عليهم، فيما يزعم سبط ابن الجوزي ان الأمر تفاقم الى "سب الصحابة ابو بكر وعثمان وطلحة والزبير وعائشة" فضلاً عن ذلك فأن اشعار الشاعر "العوني" انشدتها بنت ابي قرابا، وتحت منظرة الخليفة الناصر، وأنشاد هذهِ الاشعار كانت السبب في تقدم ظهير الدين العطار صاحب المخزن والنائب في وزارة الخليفة المستضيء، في كبس دار ابيها واحراق كتبه ومن ثم قطع لسانه ويديه ورجليه ورجمه كما بينا سابقاً، ويعلق سبط ابن الجوزي ان ذلك كله منسوب الى استاذ الدار ابن الصاحب[3].

ومع ذلك كله لا يمكن الجزم بأن ابن الصاحب كان وراء ميل الخليفة الى التشيع وما يمكن أن نطلق عليه بالصحوة الشيعية في المجاهرة باحتفالات الإمامية، ذلك ان عهد الخليفة الناصر كانت بدايته تزامنت بالتنكيل بابن العطار الحنبلي الذي ينقل عن المصادر التاريخية انه كان يؤذي ويضيق على الشيعة الإمامية في بغداد[4]، بل كان لوجود صدر ينتسب الى الشيعة الامامية في ديوان الخلافة، ومتنفذ

---

[1] المختارة: من محلات الجانب الشرقي من بغداد ويعين موضعها العلامة مصطفى جواد و د.احمد سوسة بانها تقع بالشمال الغربي لمنطقة قنبراغا الحالية. انظر: دليل خارطة بغداد، ص١٧٦.

[2] باب البدرية او باب بدر: وهو احد ابواب دور الخلافة العباسية ببغداد وينسب الى بدر مملوك الخليفة المعتضد بالله (ت٢٧٩هـ/٨٩٤م) وبدر هذا هو الذي جدد بناء جامع المنصور في الجانب الغربي من بغداد. انظر: مصطفى جواد واحمد سوسة، دليل خارطة بغداد، ص١٥٨.

[3] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، ص٣١٠؛ واشار الى ذلك بصورة عابرة: محمد بن تقي الدين الايوبي، مضمار الحقائق وسر الخلائق، ص١٢٢.

[4] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، ص٢٦٩.

بالامور الديوانية وفوق ذلك كله يرجعُ اليه في غالب الأمور التي تخص ديوان الخلافة، نقول ان وجود هكذا شخصية لابد وان عجلت في شيوع ما يمكن أن نسميه بالصحوة الشيعية الإمامية حيث لم يلِ الامور العليا في دولة الخلافة العباسية شخصية شيعية بعد إنهاء إمارة الإستيلاء البويهية في ٤٤٧هـ/١٠٥٥م، متمثلاً بأمير الاستيلاء البويهي، لكن العجيب بالأمر ان ابن الصاحب نفسه كان قد قدم شخصيات غير شيعية بل حنبلية او شافعية لتسنم مناصب مهمة في ديوان الخلافة، ونرى ان ابن الصاحب ربما اراد بهذا العمل ان ينفي عن نفسه تهمة الميل او الانحياز الى مذهب الإمامية او انه عول على شيء من إناطة المهام بمستحقيها بغض النظر عن المذهب الذي ينتسبون اليه، فعندما عول عليه الخليفة الناصر لدين الله، اختيار نائب في الوزارة فإن اختياره وقع على الصدر بالديوان ابي المظفر هبة الله بن البخاري[١]، وكذلك الحال في وقع اختياره لاحقاً على ابن يونس[٢]، اذ اتخذه استاذ الدار ابن الصاحب "نائباً" له وحكّمه، وصارت الامور تجري بمعظمها على يديه" وذلك سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م[٣].

الا ان الأمر الملفت ان ابن الصاحب وليس الخليفة هو الذي اصطنعهما، وقدمهما في النيابة، ولكن ظهر منهما خلاف ما كان يرجوه منهما، فقد كان هذان وغيرهما يسعيان في ابن الصاحب عند الخليفة الناصر لدين الله نفسه. حتى اثمرت

---

[١] انظر: محمد بن شاهنشاه الايوبي، مضمار الحقائق، ص٣٩. والبخاري هو: ابو المظفر هبة الله بن محمد بن هبة الله بن محمد بن علي بن احمد البخاري الشافعي، ابو المظفر الكاتب البغدادي، من اولاد المحدثين، اشتغل بالكتابة والتصرف وولي النظر والصدرية بديوان الزمام، وعزل ثم ولي نيابة الوزارة ايام الناصر لدين الله وحتى وفاته في محرم ٥٨٠هـ/نيسان ١١٨٤م. ودفن عند قبر احمد بن حنبل، ويدل دفنه عند قبر احمد بن حنبل على ان الرجل كان شافعياً لكنه حنبلي الهوى. للمزيد عن سيرته انظر: محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه الايوبي، مضمار الحقائق، ص١٨٥؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١٢، ص١٣٤؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢١، ص٢١٤.

[٢] تقدمت ترجمته.

[٣] انظر: محمد بن شاهنشاه الايوبي، مضمار الحقائق وسر الخلائق، ص٨١.

سعاياتهم اخيراً في قتل ابن الصاحب في ١٩ ربيع الاول سنة ٥٨٣هـ/٢٢ مايس ١١٨٧م[١] من اجل استيزار ابن يونس[٢]، بديلاً عنه وصارت له مكانة ابن الصاحب في ديوان الخلافة.

والملاحظة الجديرة بالاهتمام ان ابن الصاحب كان يحسن لمن يسعى ضده وهو يعلم بسعاياتهم عند الخليفة الناصر شخصياً، ومثل هذا ينطبق على كثير من الصدور الذين كانوا يعادون ابن الصاحب[٣].

ومهما يكن، فإن تعاظم نفوذ استاذ دار الخليفة ابن الصاحب قد تنبه له الخليفة الناصر اخيراً، خاصة بعد أن تم الإحتفال لجماهير الشيعة الإمامية الاثني عشرية في عاشوراء سنة ٥٨٢هـ/١ نيسان ١١٨٦م حتى ان ابن الصاحب نفسه كان قد استشعر بما سيؤول اليه مصيره وقيل انه اغتسل استعداداً للقاء الموت عندما استدعي الى دار الخلافة يوم السبت ١٩ ربيع الاول ٥٨٣هـ/٢٢ مايس ١١٨٧م، فقتل عند دخوله بعض الدهاليز في دار الخلافة، وعندما "ماجت بغداد، علق راسه على باب النوبي، فسكن الناس"[٤].

كان لحادث مقتل استاذ دار الخلافة ابن الصاحب الأثر الكبير في مسك الخليفة الناصر لزمام الأمور بصورة اكبر لشؤون الخلافة قبلئذ، خاصة وان الخليفة كان قد ناهز الثلاثين من العمر وقتئذ، وكان في الثانية والعشرين يوم تولى دست

---

[١] ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٤٠٧؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، ص٣٥٢؛ الملك الاشرف الغساني، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، ص٢٠٢.

[٢] تقدمت ترجمته.

[٣] مثلاً معاداة ابو الحسن بن الكرخي الذي كان كثير الجلوس عند الخليفة في وقت كان يقدح في ابن الصاحب والخليفة ينكر عليه ويعدد ابن شاهنشاه الايوبي كثير من اقواله. انظر: مضمار الحقائق، ص٨٤، ص٨٩.

[٤] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٤٠٧؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، ص٣٥٢؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١٢، ص١٥١؛ اليافعي، مرآة الزمان، ج٣، ص٣٢٣.

الخلافة، ومما لاشك فيه أن تقدم العمر بالخليفة قد ساهم في زيادة قوة شخصيته وقوة قراراته، فضلاً عن ذلك فأن ابن الصاحب الذي هيمن على مقدرات دار الخلافة لمدة ثماني سنوات حتى قيل ان الخليفة نفسه لما كان قد تغير على استاذ الدار فإنه لم يظهر ذلك "من شدة خوفه منه"[١] مع ان الخليفة الناصر كانت له هيبته التي عرف بها كخليفة عباسي مقتدر يباشر في تمشية امور الخلافة دون تردد، والتي يظهر من خلالها انعدام بعض حالات التجاذب المذهبي ابان استاذية دار ابن الصاحب على نحو ما يدلل عمل اثنين من الوعاظ في حادثين منفصلين احدهما شافعي المذهب والاخرى لأحد المحدثين الحنابلة، الحادثة الأولى كانت في محرم سنة ٥٨٠هـ/نيسان ١١٨٤م عندما جلس رضي الدين القزويني[٢] في مجلس وعظه بالنظامية، طلب احد الجالسين من القزويني لعن يزيد بن معاوية بن ابي سفيان فأبى ذلك الواعظ لعنه، على الرغم من نصيحة ابنه له بلعن يزيد حفظاً لنفسه من وقوع مكروه عليه، فتعصب له جماعة، وقيل ان حاجب الباب انفذ اليه من حفظه، وتقدم اليه بان يجلس ثانية بباب بدر بدار الخلافة وبحضور الخليفة الناصر نفسه، وتكرر الطلب منه باللعن، فأبى على الرغم من أن ابنه قد صرح بذلك، ولم يتم التعرض اليه لأنه "كان بالموضع جماعة من مماليك الخليفة، فلم يقدر احد من الناس ان يتعرَّض

---

[١] انظر: محمد بن تقي عمر شاهنشاه الايوبي، مضمار الحقائق، ص٢٠٩.

[٢] هو احمد بن اسماعيل بن يوسف ابو الخير الطالقاني القزويني الفقيه الشافعي الواعظ، رضي الدين، ولد بقزوين سنة ٥١٢هـ/١١١٨م ودرس على شيوخ نيسابور، وبغداد، ثم درس بالنظامية في سنة بضع وخمسين ووعظ، وعاد الى بلده ثم قدم ثانية قبل السبعين وخمسمائة ودرس بالنظامية، عاد الى بلده قزوين على اثر فتنة اثيرت بسبب امتناعه عن سب يزيد سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م، توفي في قزوين سنة ٥٩٠هـ/١١٩٤م. للمزيد عن ترجمته انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص٣٧؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١٢، صص: ٣١٧-٣١٩.

بنفسه، بل سكت الناس"[١]، اما لماذا لم يقبل القزويني باللعن على يزيد الذي امر ايام خلافته بقتل الامام الحسين ان لم يقر بسلطانه كخليفة للمسلمين ؟

يورد ابن شاهنشاه الأيوبي في ذلك، ان اهل قزوين كانوا يتعصبون ليزيد بن معاوية وانه متى فعل ذلك "هلك جميع من يتعلق به واخذت امواله واملاكه" ولذلك عندما رجع هذا الواعظ لقزوين كان اهل قزوين يتبركون به ويهنئونه على السلامة"[٢] وبذلك تتضح حقيقة هذا الواعظ الذي كان حريصاً على حفظ امواله في قزوين اكثر من أي شيء آخر.

الحادثة الثانية فكانت، ما اشتهر عن احد المحدثين الحنابلة وهو عبد المغيث الحربي[٣]، فإنه صنف كتاباً في فضائل يزيد بن معاوية بن ابي سفيان، مما دعى كبير وعاظ الحنابلة عبد الرحمن بن الجوزي الى الرد عليه بمصنف كان الرد فيه بالحجة والبيان[٤]، وهو ما نتج عنه عداوة بين الأثنين على الرغم من انتمائهما الى مذهب الحنابلة المتزمت عقائدياً ضد مخالفيه من عوام البغداديين، لكن يلاحظ ان أي تجاذب مذهبي مصحوب بأعمال عدائية تجاه هذا المحدث الحنبلي لم تجر على

---

[١] انظر : محمد بن شاهنشاه الايوبي، مضمار الحقائق، ص١٢٠؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص٣٧؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١٢، ص٣١٩؛ الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٨، ص٥٦٠.

[٢] انظر: مضمار الحقائق وسر الخلائق، ص١٢٠ و ١٢١.

[٣] هو ابو العز بن ابي حرب، عبد المغيث بن زهير البغدادي الحنبلي، المولود سنة ٥٠٠هـ/١١٠٧م كان قد سمع عن جماعة من حنابلة بغداد، وحدث عنه جماعة. توفي سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م ودفن قرب قبر احمد بن حنبل. المزيد عن سيرته انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٤٠٧؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، ص٣٤٦؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٤، ص٢٨٧؛ الحافظ ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، مـ٩، ص٥٣٠.

[٤] وهذا هو الذي يذكرنا بما نوهنا عنه في صدر بحثنا عن تجاذب ساحته الورق تراق فيه مداد القلم بدلاً عن ان تراق فيه الدماء على سوح التحارب. وعن رد ابن الجوزي انظر للمصنف الذي الفه وحقق وطبع مؤخراً: ابن الجوزي، الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد، تحقيق: هيثم عبد السلام محمد (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م).

منوال العادة الجارية وربما كان للخليفة الناصر دور في تقرير امر هذا المحدث الحنبلي عبد المغيث الحنبلي اذ يقال: إن الخليفة الناصر زاره متنكراً في احد الليالي، وقد عرفه عبد المغيث ولم يظهر للخليفة انه قد عرفه، والخليفة مطمئن الى تنكره، وسأله عن ما ورد في مصنفه الذي ذكر فيه فضائل يزيد بن معاوية، فأجابه عبد المغيث: "يا هذا انما قصدت كف الألسنة عن لعن الخلفاء، وإلا فلو فتحنا هذا الباب لكان خليفة الوقت احق باللعن"، وصار يعدد خطاياه[1]، والخليفة الناصر يستمع اليه وبذلك يكون هذا المحدث الحنبلي من خلال هذا اللقاء المستتر قد اوصل رسالة مفادها بأن الخليفة الناصر قد لا يختلف عن يزيد بن معاوية، علماً ان الخليفة عندما فارقه اختتم اللقاء بالقول يا شيخ ادع لي.

وان صحت مثل هذهِ الحكاية عن الخليفة الناصر فإنما تدلل على أن ما قيل عن تشيعه مرده دوافع سياسية من لدن الخليفة نفسه تستهدف ترسيخ الامن والطمأنينة لدى فرقاء المجتمع البغدادي لا عن عقيدة وايمان بالتشيع الذي يدعيه الامامية وغيرهم. ولذلك نرى الخليفة الناصر وليشيع امر تقربه سياسياً من الشيعة الامامية فإنه عمد الى تسمية الطيور الهوادي (الزاجل) الى (١٢) صنفاً باسماء الإئمة الأثني عشر بعد أن اهدر الطيور العتق وامر بذبحها واستولد هذا الجيل الجديد[2] وارسلها الى المشاهد لتطير الى بغداد وفضلاً عن ذلك فإنه أمر بأن تكسى الكعبة بالديباج الأخضر وهو دون شك شعار العلويين، بعدما كانت تكسى بالديباج الأبيض ومنذ ايام الخليفة العباسي عبد الله المأمون (ت٢١٨هـ/٨٣٣م) ولكن الخليفة الناصر امر بعد ذلك بكسوة الكعبة بالديباج الأسود[3] (وهو شعار العباسيين) ولازالت الكسوة الى يومنا هذا مجلله بالديباج الأسود.

---

[1] انظر: الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١٢، ص٢١٧؛ الحافظ ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، مـ٩، ص٥٣٠.

[2] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص٣٠.

[3] انظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٥٣٩.

ولا ننسى ان الخليفة نفسه كان يزور فقهاء الشيعة ومراجعهم، ففي سنة ٦٠٥هـ/١٢٠٨م كان الخليفة الناصر يمضي الى الحلة ويزور فيها ورام بن ابي فراس فقيه الشيعة[١] ويحمل اليه الاموال، فما كان يقبل منه تزهداً[٢]، فيما رتب ابن هذا الفقيه اميراً للحاج بعد ذلك ولسنوات عديدة[٣].

الخليفة الناصر لدين الله واضطلاعه بأخبار الديوان وامراء الأطراف واخبار الرعية وسائر الاطواف:

كانت الاخبار بما يستجد في ديوان الخلافة وديوان الوزارة، بل واخبار الناس في بغداد وبقية انحاء الاطراف وربما الإمارات والممالك الإسلامية تنقل بصورة غير مسبوقة الى الخليفة الناصر لدين الله من خلال مطالعات او (تقارير بتعبير زماننا) اول بأول، من خلال الرسائل الاعتيادية التي يوفرها صاحب الخبر، فضلاً عن واسطة جديدة اهتم بها الخليفة شخصياً تتعلق بالحمام الهوادي (الزاجل) التي كان يستخدمها الخليفة كاحد الاسباب المهمة التي تخدم هذا الغرض.

ويمكننا القول إن اجراءات ابن الصاحب ابان توليه استاذية دار الخلافة ولنحو من ثماني سنوات (٥٧٥-٥٨٣هـ/١١٨٠-١١٨٧م) وحرصه على نقل كل ما يدور من صغيرة وكبيرة في دار الخلافة او في دواوين الوزارة، كل ذلك ينقل الى ابن الصاحب اولاً بإول، نقول كل هذهِ الإجراءات ونجاعتها في احاطة الاستاذ دار بخوافي الامور اعطت الخليفة الناصر لدين الله درساً إدارياً هضمه الخليفة جيداً وحذى حذوه بعد القبض على استاذ الدار ابن الصاحب وقتله، فنرى الخليفة الناصر

---

[١] الامير الزاهد ابو الحسين ورام بن ابي فراس، من اولاد مالك بن الاشتر النخعي صاحب الامام علي (ع)، وهذا الشيخ جد السيد رضي الدين علي بن طاووس الحلي لأمه (ت٦٦٤هـ/١٢٦٦م) توفي ابن ورام بالحلة سنة ٦٠٥هـ/١٢٠٨م. انظر: محمد بن الحسن الحر العاملي (ت١١٠٤هـ/١٦٩٣م) امل الآمل، تحقيق: محمد الحسني (بيروت: دار التراث العربي، ٢٠١٠م) ج٢، ص٣٣٨.

[٢] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص١٦٩.

[٣] المصدر نفسه، ص٢٠٠، ٢٠٦، ٢٥٩.

يوسع من دائرة اهتمامه في هذا المحتوى لتشمل معظم انحاء العالم الإسلامي آنذاك حتى في نقل اخبار ما يجري من امور ببغداد واخبار اعيانها (وحتى اخبار عامة الرعية)، والعراق وسائر الأطراف من الأمراء والملوك تنقل اليه اولاً بأول[(١)].

ومما لاريب فيه ان عامة اهل بغداد ارادت التزلف بالتقرب الى السلطة على ما جبلت عليه العامة في كل زمان ومكان ولذلك فأن سبط ابن الجوزي يورد خبراً في وقائع سنة ٥٩٨هـ/١٢٠٢م بأن السعايات قد كثرت في بغداد، ومما لاشك فيه انتشار وكثرة هذهِ السعايات التي كان وراءها من وجهة نظر الخليفة اغراض ربما شخصية بحتة اكثر من كونها رسمية خالصة، وحينها لا يمكن الإطمئنان الى كل ما ينقل فيها ولذلك فإن سبط ابن الجوزي يردف الخبر بقوله: "ففسدت الامور، فنادى الخليفة: من سعى باحد ابيح دمه وماله، فصلحت الأمور"[(٢)].

وبذلك يتبين لنا ان الخليفة الناصر وبعد نحو من ثلاث وعشرين عاماً من بقاءه بدست الخلافة ونحو من ست عشرة عاماً من وفاة ابن الصاحب الذي على غالب الظن ان الخليفة اخذ منه اسلوب بث رافعي الاخبار، نقول بعد هذهِ السنون ضاق ذرعاً بما يصله من اخبار فيها سعايات كثيرة، ما كان، ليجد من تفاقم امرها الا بتخويف السعاة بسفك الدم. وفي الحقيقة ان هذا الأسلوب فيه من الحزم والسياسة شيء كثير، وهو تقنين هذهِ الأخبار (التقارير) لتمييز السعايات التي تصدر من غير المكلفين برفعها عن تلك التي تصدر لأغراض كيدية، فضلاً عن ذلك فأن هذا النداء من الخليفة هي محاولة من الخليفة نفسه للنأي عن ما يمكن ان يشاع بأن الخليفة يستمع الى كل صاحب خبر.

---

(١) ويروى في ذلك قصص كثيرة، وقد يقال ان فيها شيء من التهويل والمبالغة. انظر: ابن الطقطقا، الفخري في الاداب السلطانية، ص٣٢٢؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٥، ص٩٦.

(٢) انظر: مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، ج٢٢، ص١٢٤.

وزراء الخليفة الناصر لدين الله

بعد مقتل استاذ دار الخلافة ابن الصاحب ٥٨٣هـ/١١٨٧م:

بعد مقتل استاذ دار الخلافة ابن الصاحب سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، اخذ منصب الوزارة مداه الطبيعي في تمشية دواوين دار الخلافة حسبما يراه شخص الخليفة الناصر لدين الله في شؤون البلاد الداخلية، فبعد مقتل ابن الصاحب[١] وحتى وفاة الخليفة الناصر تعاقب خمسة من الوزراء أو نواب الوزارة هم الأكثر تأثيراً في دولة الناصر لدين الله العباسي واحد منهم حنبلي هو ابن يونس، ثم تلاه رجلاً صوفياً هو ابن حديدة، ثم اعيد ابن يونس ثانيةً، وبعد ذلك تعاقب من هؤلاء الخمسة[٢]،

---

[١] استحدث منصب نائب الوزارة في اوائل عهد الخليفة الناصر لدين الله، وقد رغَّب الخليفة ان يتولاهما فخر الدولة بن المطلب لكنه استعفى منها، واشار الى حسام الدين بن جاووش الذي عزل بعد شهور ليتولى نيابة الوزارة ابن البخاري في محرم ٥٧٦هـ/١١٨٠م وحتى وفاته سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م. انظر: محمد بن شاهنشاه الايوبي، مضمار الحقائق، صص: ١٢-١٥، ص١٨٥.

[٢] تعاقب على الوزارة في دولة الناصر لدين الله كل من:

- جلال الدين ابو المظفر بن عبد الله بن يونس (ت٥٩٣هـ/١١٩٧م).
- ابو المعالي معز الدولة سعيد بن علي بن احمد بن الحسن بن حدبة الانصاري (ت٦١٠هـ/ ١٢١٣ م).
- مؤيد الدين ابو الفضل محمد بن القصاب (ت٥٩٢هـ/١١٩٦م).
- نصير الدين ابو الحسين ناصر بن مهدي العلوي (ت٦١٧هـ/١٢٢٠م)

والملاحظ ان هؤلاء الوزراء استنيبوا بالوزارة ثم استوزروا، اما نواب الوزرة في عهد الناصر لدين الله فكانوا اثني عشر وهم:

- شرف الدين ابو داود سلمان بن ارسلان المعروف بـ ابن ساوس.
- جلال الدين ابو المظفر هبة الله محمد بن علي البخاري.
- عماد لدين ابو الفتح صدقة بن محمد بن احمد بن صدقة.
- نظام الدين ابو الفتح محمد بن محمد بن عبد الباقي.
- جلال الدين ابو طالب علي بن علي بن هبة الله بن البخاري.

=

ثلاثة وصفوا بأنهم متشيعون او إمامية، فقد استوزر الخليفة اولاً ابن يونس الحنبلي[1] سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، فيما صار الخليفة اكثر اضطلاعاً بشؤون تسيير امور الخلافة والديوان، خاصة بعد وقوع الوزير بن يونس سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م[2] في الاسر، مما دعاه الى استيزار ابن حديدة الانصاري[3] الذي لم تطل وزارته طويلاً، وكان رجلاً متصوفاً وقيل إمامياً، لكن وزارته لم تدم طويلاً اذ سرعان ما اعيد ابن يونس الى دست الوزارة سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م[4]. وابان وزارة ابن يونس الثانية اظهر

=

- جلال الدين ابو المظفر بن يونس الوزير.
- مؤيد الدين ابو الفضل محمد بن القصاب الوزير.
- شمس الدين احمد بن مؤيد الدين ابن الوزير بن القصاب.
- جلال الدين ابو طالب البخاري ثانيةً.
- نصير الدين ابو الحسين ناصر بن مهدي العلوي.
- محمد بن احمد بن اسفيا الواسطي.
- مؤيد الدين ابو الحسن محمد بن محمد بن عبد الكريم القمي.

ويلاحظ ان قسماً من هؤلاء النواب استوزر لمرتبة الوزارة بعد قيامه بعمل الانابة. انظر: الملك الاشرف الغساني، العسجد المسبوك، ص٤٠٨ و ٤٠٩. وانظر الملحق رقم (٢) من وزراء الخلفاء العباسيين.

[1] تقدمت ترجمته.

[2] حيث ارسله الخليفة الناصر لحرب السلطان طغرل بن ارسلان بن طغرل السلجوقي في همدان الذي كان قد بعث للخليفة الناصر يطلب السلطنة. انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص٤٢٣؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، ص٣٥٢.

[3] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، ص٣٥٣. والوزير هو: معز الدين سعيد بن علي بن حديدة الانصاري، قيل ان ابن مهدي ضيق عليه فبذل مالاً للمترسمين وحلق لحيته وهرب بزي امرأة الى مراغة، (ت سنة ٦١٠هـ/١٢١٣ م) وحمل نعشه الى مشهد علي في الكوفة. للمزيد عن سيرته انظر: ابن الطقطقا، الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية، ص٣٥٤؛ الملك الاشرف الغساني، العسجد المسبوك، ص٣٠٤ و ٣٤٥.

[4] وقيل بل استدت اليه استاذية دار الخلافة بعد ان اطلق من اسره ومقدمه الى بغداد عن طريق الموصل. انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، ص٣٥٦ و ٣٦٨.

هذا الصدر الحنبلي الكبير نقمته على حفيد الشيخ عبد القادر الجيلي المسمى عبد السلام بن عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر الجيلي[١]، ذلك ان الوزير ابن يونس كان جاراً بباب الازج لأولاد الشيخ عبد القادر، وكانوا يأذونه[٢]، فلما تولى ابن يونس دست الوزارة، وقيل عندما تولى استاذية الدار قي صفر سنة ٥٨٨هـ/شباط ١١٩٢م "اظهر ما كان في قلبه منهم"، ويبدو ان انتقام الوزير ابن يونس طال اولاد واحفاد الشيخ عبد القادر "فبدد شملهم وبعث ببعضهم الى المطامير بواسط" عقاباً لهم، وكان عبد السلام مداخلاً للدولة، ولذلك فإن ابن يونس لجأ الى اتهامه في الاعتقاد بالنجوم والكواكب والسحر والنارنجيات وكتب الفلاسفة ومثيلاتها، ويبدو ان هذهِ التهمة آنذاك كانت لا تجدي معها شفاعات الشافعين.

ولكي يبرهن ابن يونس على صدق اتهامه فإنه امر بكبس دار عبد السلام فأخرجت كتب عن تلك الفنون التي اتهمه بها الوزير، واحرقت تلك الكتب وبحضور ابو الفرج بن الجوزي والفقهاء والقضاة والأعيان وتم حرق جميع الكتب عند جامع الخليفة، ولعن كاتبها، "وتعدى اللعن الى الشيخ عبد القادر والى الإمام احمد بن

---

[١] هو عبد السلام بن عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر الجيلي، ابو محمد الملقب بركن الدين، ولد سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م، تفقه على جده الشيخ عبد القادر وعلى ابيه عبد الوهاب، ودرس بمدرسة جده، وكان يرمى، على ما قيل بالفواحش والمنكرات وسلمت مدرسة جده لابي الفرج ابن الجوزي بعد نكبته من قبل الوزير ابن يونس، ثم اعيدت له ونكب ابن الجوزي بعد ذلك. توفي سنة ٦١١هـ/١٢١٤م ودفن بمقبرة باب الحلبة ببغداد. للمزيد انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص٦٣٩؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص٢٠٢؛ ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج٢، صص: ٤٥-٥٧.

[٢] من ذلك انهم "ربوا كلباً ولقبوه جُليل، يعنون جلال الدين، وهو لقب ابن يونس، وكان لابن يونس اخ صالح يقال له: العماد، فسموا بغلاً للطحن: "العماد"، وينسب سبط ابن الجوزي هذهِ الاعمال لابن للشيخ عبد القادر، طحان اسمه سليمان. انظر: سبط ابن الجوزي، المنتظم، ج٢٢، ص٥؛ الذهبي، ج١٢، ص١٨٢.

حنبل" من قبل جمهور من الناس حضر واقعة احراق الكتب، وتولى ابن الجوزي حينئذ امر مدرسة الشيخ عبد القادر في باب الازج[١].

ومثل هذا التجاذب الذي حصل بين الحنابلة انفسهم اوردناه ليتبين لنا الاثر الشخصي والنفع المادي الذي ترتكز عليه التجاذبات عامة. فابن الجوزي كان من وراء تاييده لهذهِ الحالة من قبل الوزير ابن يونس، قد تسلم مدرسة الشيخ عبد القادر الجيلي، فيما كان ابن يونس من وراء اثارتها مدفوعاً بـ اوج رغبته بالانتقام لدية وكل ذلك، بسبب حماقة احد ابناء الشيخ عبد القادر[٢].

من ناحية ثانية فإن ما جرى في الحادثة يعطينا تصور ملموس عن ما كان يجري في حالة الاستعداء من قبل احد المتنفذين بالسلطة تجاه مخالفيهم من الصدور، فاقتناء بعض العلماء او الأعيان لكتب الفلاسفة والفلك والسحر ربما تعد جريمة لدى مخالفيهم من فقهاء او وعاظ، وان كان مقتني الكتاب لا يعتقد اصولها اصلاً وبذلك يتضح لنا ان تلفيق التهم من اهل الديوان مع قرنائهم هو ديدن كل عصر[٣] وهذا ما وقع فعلاً بعد ان ادبرت الدنيا على ابن يونس بعد عزله عن مرتبته (استاذ دار) في دار الخلافة والقبض عليه على اثر تولي ابن القصاب[٤] دست

---

[١] انظر الى تداعيات ذلك في: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص٥؛ تاريخ الاسلام، ج١٢، ص١٨٢؛ ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج٢، ص٥٥.

[٢] تذكر بعض المصادر التاريخية الى ان ابن يونس وامعاناً في الانتقام لما اصابه من بيت الشيخ عبد القادر عمد الى نبش قبر الشيخ عبد القادر الجيلي والقاء عظامه في لجة (الماء)، على ادعاء ان المدرسة وقفاً ولا يجوز الدفن فيها. انظر: سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص٥٧؛ ابو شامة المقدسي، الذيل على الروضتين، ص١٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مـ٣، ج٦، ص١٤٢.

[٣] تذكرنا حادثة ابن يونس مع عبد السلام ابن عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر بحادثة ابن العطار مع ابن قرابا التي جرت سنة ٥٧٤هـ/١١٧٨م.

[٤] تقدمت ترجمته.



الوزارة في شعبان سنة ٥٩٠هـ/تموز ١١٩٤م[1]. فعمل ابن القصاب على تتبع اصحاب ابن يونس في الديوان وبدت الفرصة سانحة هذهِ المرة لعبد السلام بن عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر الجيلي، في أن يرد الصاع صاعين كما يقال على مقدم الحنابلة ابن الجوزي، فسعى عليه عند الوزير ابن القصاب: بأن ابن الجوزي ناصبي المعتقد، وانه من اولاد ابي بكر، فيما كان ابن القصاب على نحو ما نعلم متشيعاً فتم كبس (مداهمة) مسكن ابن الجوزي واعتقاله ثم حمله واسط تحت ما يمكن ان نطلق عليه باصطلاح ايامنا بالاقامة الجبرية.

ويعلق سبط ابن الجوزي الذي كان حاضراً عملية كبس دار جده بباب الازج، ان ما جرى على جده ابن الجوزي كان بسبب ابن يونس وبسبب ما فعله ببيت عبد القادر الجيلي "فيما كان اهل بغداد من الفرقاء يقولون شيئاً آخر والله اعلم"[2].

ولما لم تطل الايام بالوزير ابن القصاب من عمله بالوزارة حتى توفي على باب همدان سنة ٥٩٢هـ/١١٩٦م[3] وقام ابنه مؤيد الدين ينوب بالوزارة ابان خروج والده للحرب من بغداد[4]، فلما ورد خبر وفاة الوزير، "فوض الخليفة الناصر لدين

---

[1] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٤٨٥؛ ويقال ان سبب القبض عليه ان "ابن القصاب لما خلع عليه الخليفة خلع الوزارة، امر الوزير ان يمشي ارباب الدولة بين يديه ومنهم ابن يونس استاذ الدار، وقد كان ابن يونس وزيراً قبل هذا، فامتنع ابن يونس من ذلك، فاتهمه ابن القصاب بانه ظاهر الخوارج على الخليفة، وكسر عسكره بحماقته (تذكيراً لما اصاب جند الخلافة بمهمدان سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م)، وكتب محضراً بذلك واثبته على القضاة وعرضه على الخليفة الذي امر بالقبض على ابن يونس واخذه اخذة شنيعة. انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص٣٠ و ٣١.

[2] انظر الى مجمل تلك التداعيات في: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص٣١ و٣٣؛ ابو شامة المقدسي، الذيل على الروضتين، ص٦. وممن نسب الى الخليفة ما جرى لابن الجوزي، الحافظ ابن كثير، انظر: البداية والنهاية، مـ٨، ص٥٦٠.

[3] انظر: العماد الاصفهاني، البستان الجامع لجميع تواريخ اهل الزمان، ص٤٦٥؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص٤٤؛ الحافظ ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، مـ٨، ص٥٦٣؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص١٨.

[4] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص٤٧.

الله امور الوزارة الى نقيب الطالبيين" المسمى نصير الدين ناصر بن مهدي العلوي الرازي[١]، الذي كثرت حوله السعايات بشأن ارساله الأموال الى خراسان سراً "ليجندوا له العساكر ليقيموا ملكاً يقصد بغداد"[٢]، وتقولوا عنه بالقول: انا علوي، ونحن احق، وقيل بل انه تجبر واستقل بالامور، فيما هجاه اهل بغداد وانه اتفق على قتل مملوك للخليفة[٣].

وتمخض الأمر عن القبض على نقيب الطالبيين نصير الدين الرازي واحتجز بدار الخلافة في سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٨م[٤]. ولم يخرج من حجزه إلا بعد وفاته، ودفن

---

[١] الوزير ابن مهدي: نصير الدين ناصر بن مهدي بن حمزة بن الناصر بن زيد الحسني العلوي، من اهل الري، وطعن البعض في نسبه العلوي، كان يخدم بالري مع نقيب الطالبيين بها، ولما قتل تكش خوارزم شاه نقيب الطالبيين بالري هرب مع ابن النقيب الى بغداد، ولِيَّ نقابة الطالبيين في بغداد ثم نيابة الوزارة سنة ٥٩٧هـ/١٢٠١م مكث في الوزارة حتى سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧م حيث قبض عليه الخليفة الناصر، وتوفي سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م ودفن في مقابر قريش. للمزيد انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص٨٩ و ١٥٨ و ١٥٩ و ٢٥٦؛ ابو شامة المقدسي، الذيل على الروضتين، ص٥٩ و ٦٠ و ١٢٤؛ ابن الطقطقي، الفخري، ص٣٢٤؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٠، ص٣٠٠ و ٣٠١؛ سولاف فيض الله حسن، البيوتات العلوية في العصر العباسي، ص١٤٥.

[٢] انظر: ابو شامة المقدسي، الذيل على الروضتين، ص٦٠.

[٣] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص١٥٨. والمملوك هو: مظفر الدين سنجر، المعروف "بوجه السبع" سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٨م، وقد هرب الى مصر متذرعاً بالقول: انما هربت من الوزير، ثم يتبع ذلك هروب الامير قشتمر وكان اخص مماليك الخليفة الناصر واكبرهم عنده، وارسل يعتذر ايضاً ويقول: انما هربت من الوزير فانه يريد ان لا يبقى احد من الوزراء في خدمة الخليفة ، وقد عاد هذان المملوكان بعد عزل الوزير، انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٦١٥؛ الملك الاشرق الغساني، العسجد المسبوك، ص٣٢١.

[٤] انظر: ابن الساعي، الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، ج٩، ص٢٢٠.

في مقابر قريش سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م[١] والملاحظ انه في استنابة ابن مهدي بالوزارة فإن الخليفة امر بأن يتم اطلاق ابن الجوزي من محجره في واسط سنة ٥٩٥هـ/١٢٠٨م بعد أن كلَّم فيه ابنه يوسف، وان ام الخليفة الناصر "زمرد خاتون" قد "سعت في خلاصه" وهي التي كانت تتعصب لابن الجوزي، الذي سرعان ما جلس للوعظ عند التربة التي اعدتها لنفسها[٢].

وفي ربيع الأول سنة ٦٠٦هـ/ايلول سنة ١٢٠٩م وليَّ نيابة الوزارة مكين الدين محمد بن محمد بن برز القمي[٣]، الذي كان كاتباً للإنشاء في الديوان. بعد عزل فخر الدين بن امينا الذي تولى نيابة الوزارة لبرهة من الزمن[٤].

---

[١] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٧١٠؛ الذهبي، العبر، ج٥، ص٧١. والملاحظ ان التشكيك في النسب العلوي للوزير ربما لاسقاط اية ذريعة يمكن ان يتذرع بها الوزير في تطلعه للملك. كما ان ابن الاثير الجزري يذكر: ان هذا العلوي اختار ان يكون تحت الاستظهار حتى لا يتمكن منه العدو (اعداء ابن مهدي) وان امواله لم تمس. انظر: الكامل في التاريخ، ج٩، ص٦١٦.

[٢] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص٦٧.

[٣] الوزير مكين الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم برز القمي: هو قمي الاصل والمولد، بغدادي المنشأ والوفاة، ينتسب الى المقداد بن الاسود الكندي، استكتبه بعض وزراء سلاطين العجم، وقدم بغداد مصاحباً لرسول بعض السلاطين ولما اطلع على نباهته وفطنته وزير الخليفة وقتئذ ابن القصاب، كتب الى الخليفة الناصر عنه، وان "مثل هذا يجب ان يصطنع ويحسن اليه ويستخدم، فكتب اليه الخليفة يأمره بالا يمكنه من التوجه معهم بالعودة. وبقي القمي ببغداد وعين في كتابة الانشاء، ثم تولى نيابة الوزارة بعد ذلك. وكان "اوحد زمانه في كل شيء حسن، كثير الخير والبر والصدقات، واستنابه الخليفتين الظاهر بالله وابنه المستنصر بالله حتى قبضه سنة ٦٢٩هـ/١٢٣٤ م وما لبث ان توفي بنفس السنة للمزيد عن سيرته انظر: ابن الطقطقا، الفخري، صص: ٣٢٦-٣٢٨؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١، ص١٣٤.

[٤] انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص٦٢٤.



والظاهر ان القمي هذا كان ينال قبولاً من الخليفة الناصر لدين الله وهو ما يفسر لنا بقاءه في منصبه حتى بعد وفاة الخليفة نفسه في رمضان ٦٢٢هـ/ايلول ١٢٢٥م.

ام الخليفة الناصر لدين الله زمرد خاتون وتدخلاتها السياسية والمذهبية:

غني عن البيان ما للأم من تأثير على شخصية ابنها، واذا علمنا ان ام الخليفة الناصر لدين الله العباسي وهي: زمرد خاتون[١] كانت لها مكانةً خاصة عند ولدها الخليفة الناصر لدين الله بدليل ما ذكرته المصادر التاريخية عن مقدار الحزن الذي كان قد انتابه على اثر وفاتها[٢]. وبذلك يمكننا أن نزعم بأن ام الخليفة الناصر لدين الله كان لها اثر كبير في مواقفه من التوجهات المذهبية في بغداد. ففي سنة

---

[١] زمرد خاتون: مملوكة تركية الاصل، ثم ولدت الامير احمد لسيدها الخليفة المستضيء فاعتقها اكراماً لها من العبودية بعد ولادة احمد، وهي شافعية المذهب، عاشت في كنف زوجها، وقضت في خلافة ابنها اربعٍ وعشرين سنة، انشأت ربطاً ومساجد وعمرت مدارس ومشاهد وكان لها مبرات واوقاف للخيرات وحجت سنة ٥٨٥هـ/١١٩٠م وانفقت الاموال الجزيلة في طريقها للحج، توفيت في جمادي الاولى سنة ٥٩٩هـ/كانون الثاني ١٢٠٣م، وحزن الخليفة الناصر لموتها حزناً كبيراً، دفنت بتربة انشأتها لنفسها بجوار قبر معروف الكرخي ومازالت القبة المخروطية المبنية على طراز القباب السلجوقية قائمة شاخصة، وتعرف عند عامة اهل بغداد خطأ بقبر الست زبيدة. للمزيد عن سيرتها انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص١٢٨ و ١٢٩؛ ابو شامة المقدسي، الذيل على الروضتين، ص٣٣؛ مصطفى جواد، في التراث العربي، ص١٢٩؛ مصطفى جواد، سيدات البلاط العباسي (بيروت: مؤسسة الصفاء للمطبوعات، د.ت) صص: ١٧٣-١٧٩.

[٢] يذكر سبط ابن الجوزي ان الخليفة الناصر لدين الله حزن حزناً لم يحزنه ولد على والدته، وامر الناس بالمشي في جنازتها من دجلة الى تربتها عند قبر معروف الكرخي، وعمل لها العزاء شهراً كاملاً وفرق الخليفة بعد الشهر اموالاً جزيلة ثواباً لها، وقُسمت تركتها من قماش وذهب وفضة وجواهر في جواريها ومماليكها. انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص١٢٩.



٥٧٩هـ/١١٨٣م فتح الرباط الذي بنته ام الخليفة بالمأمونية[١]، ووقفت عليه "الوقوف السنية"[٢].

وفي سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م عزمت السيدة زمرد خاتون على زيارة المشهد في سر من رأى فضلاً عن زيارة مشهد "صندوديا" للإمام على غرب الفرات، فصحبها الخليفة الناصر لاداء الزيارة، وفي الوقت نفسه امر الخليفة استاذ الدار بعمارة "مشهد سر من رأى، على ان يشيده، وينفذ اليه فرشاً وبسطاً وجميع ما يحتاج اليه"، وكذلك ايضاً فعل الشيء ذاته بمشهد صندوديا"[٣] بل وانعم على المجاورين بهذين المشهدين

---

[١] المأمونية: هي المحلة التي ابتنى فيها الخليفة عبد الله المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٤-٨٣٣م) دوراً لخاصته شرق القصر الحسني في بغداد الشرقية، وموقعها الان هي منطقة صبابيغ الال والدهانة والهيتاويين. انظر: مصطفى جواد واحمد سوسة، ص١٢٣ و ١٢٤.

[٢] انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص٣٥٧؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١٢، ص٢٠.

[٣] ويذكرها عبد الحق لبغدادي بصيغة "صندوداء" ويعرفها بانها: قرية كانت في غربي الفرات فوق الانبار، خربت، وبها مشهد لعلي بن ابي طالب. انظر: مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، مـ٢، ص٨٥٣. وقصة هذا المشهد مروية في كتب الامامية، وتدور حول توقف الامام علي بن ابي طالب في طريق مسيره لوقعة صفين بهذا الموقع بعد ان طلب اصحابه الماء، فكشف لهم عن صخرة نبع من تحتها ماء، وكان هنالك راهب نصراني اسمه شمعون اسلم وسار مع الامام الى صفين وكان اول المستشهدين في الموقعة. للمزيد عن الموضع انظر: قطب الدين ابو الحسين عبد الله الراوندي (من اعلام القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) الخرائج والجرائح، تحقيق: محمد باقر الابطحي، ط٢ (بيروت: مؤسسة النور للمطبوعات، ١٩٩١م) ج١، ص٢٢٢؛ ابو الفضل بن الحسن الطبرسي (من اعلام القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) اعلام الورى باعلام الهدى (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٤م) ص١٨٥؛ محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ/١٦٩٩م) بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، تحقيق: جلال الدين الصغير ومحمد درياب (بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ٢٠٠١م) مـ١٧، ص٣٢٠. والملاحظ ان هذه القصة مشابهة لما ورد في المصادر الامامية ايضاً عن مشهد الامام علي في براثا الذي مر به الامام علي (ع) بعد رجوعه من حرب النهروان. انظر: رضي الدين علي بت طاووس=

بثلاثة الاف دينار، كما انه اعطى في طريق عودته لدار الخلافة الف دينار لعمارة مشهد موسى بن جعفر وفرق على ساكنيه خمسمائة دينار[١] وزاد على ذلك بأن جعل مشهد موسى بن جعفر آمناً لمن لاذ به، فالتجأ اليه خلق كثير[٢].

الملاحظ ان ام الخليفة زمرد خاتون وفي نفس عام زيارتها تلك امرت ببناء مسجداً على شاطي دجلة جعلته وقفاً على الحنابلة (لا يصلي فيه إلا رجل حنبلي) يقال انه احضر اليها رجلاً مقرىء جيد الكلام من باب الازج وامرت ان يخلع عليه في دار الخلافة "في باب الحجرة"، فضلاً عن ذلك فإن زمرد خاتون عملت قبة على قبر احد الصالحين من رفاق الشيخ عبد القادر الكيلاني وهو علي الهيتي[٣].

ثم انها عملت لها ضريحاً مجاوراً لقبر معروف الكرخي مازالت قبته المخروطية المبنية على طراز القبب السلجوقية ماثلة الى اليوم ومن معالمها انها بنت الى جانب تربتها مدرسة لأصحاب المذهب الشافعي، وافتتحت سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م[٤] وبذلك نرى تأثير السيدة زمرد خاتون ام الخليفة الناصر في اهتمامها بطيف من المذاهب الإسلامية من حنابلة وشافعية ومتصوفة، وهذا على ما

=الحلي (ت٦٦٤هـ/١٢٦٦م) اليقين بأختصاص مولانا علي بامرة المؤمنين، تحقيق: الانصاري (بيروت: دار العلوم، ١٩٨٩م) صص: ٤٢١-٤٢٣.

(١) انظر: محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه الايوبي، مضمار الحقائق، ص١٧٧ و١٧٨.

(٢) انظر: الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١٢، ص٢٣؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٥٣٥؛ انظر: محسن الامين، اعيان الشيعة ، مـ٤. ص١١٥.

(٣) انظر: محمد تقي الدين بن عمر الايوبي، مضمار الحقائق، ص١٧٩ والمسجد الذي بنته السيدة زمرد خاتون يقع جنوب المدرسة المستنصرية ولم يتبق من الى الان سوى منارته التي تعد اقدم منارة في بغداد وعلى طرازها بنيت جميع المنارات البغدادية وهذهِ المنارة ملحقة اليوم بمسجد الخفافين. انظر: مصطفى جواد واحمد سوسة، دليل خارطة بغداد، ص١٤٧؛ وانظر: مصطفى جواد، سيدات البلاط العباسي، ص١٧٤. والشيخ علي الهيتي هو: ابو الحسن علي بن ابي نصر الهيتي، من مشايخ العراق الصوفية، وصاحب احوال وكرامات، صاحب الشيخ عبد القادر الجيلي وغيره، توفي سنة ٥٦٤هـ/١١٦٩م وقد ناهز المائة سنة. انظر: الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١١، ص٧٨١.

(٤) انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص١٤.

يبدو اثر بشكل كبير على سلوك ولدها الخليفة الناصر لدين الله العباسي وتوجهاته العقائدية والمذهبية. امر آخر فإن ضرتها من السيدات المدعاة بنفشا[١] اعانت الامير احمد ابا العباس في تولي دست الخلافة في قبال ولدها ابو منصور هاشم[٢] وكانت السيدة بنفشا حنبلية المذهب، ذلك انها قامت سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م بتحويل دار الوزير نظام الدين ابي نصر بن جهير[٣] التي آلت اليها ملكيتها، الى المدرسة

---

[١] وهي مملوكة رومية وام ولد الخليف المستضيء بأمر الله، كانت كثيرة الخيرات واعمال الاحسان ومن ذلك عملها لجسر جديد على نهر دجلة سنة ٥٧١هـ/ ١١٧٥ م. توفيت قبيل وفاة ضرتها زمرد خاتون ودفنت في التربة التي اعدتها لنفسها زمرد خاتون سنة ٥٩٨هـ/١٢٠٢م للمزيد انظر: مصطفى جواد، سيدات البلاط العباسي، صص: ١٦٣-١٧٢.

[٢] كان الخليفة المستضيء بالله يريد ان يعدل بولاية العهد عن احمد ابو العباس (ابن زمرد خاتون) الى ابنها منصور ابو هاشم الا ان امه بنفشا قالت: الله الله ان تعدل عن ابي العباس. انظر: سبط ابن الجزي، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، ج٢١، ص٢٦٣ و ٢٦٤. وقد ينظر الى انحياز بنفشا الى ابن ضرتها، الى كونها قد خشيت على حياة ولدها منصور ابو هاشم، لما سيولد هذا الامر من تضاغن وعداوة بين الاخوين، خاصة ان الامير احمد ابو العباس (الخليفة الناصر فيما بعد) كان هو الاسن. وما لبث الامير هاشم ابو منصور ان توفي سنة ٥٧٨هـ/١١٩١م ودفن عند ابيه الخليفة المستضيء بامر الله. انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٨، ص٣٤٩؛ الملك الاشرف الغساني، ص١٨٨.

[٣] بنو جهير يت عريق تولى اولاده الوزارة العباسية ايام السلاجقة في خلافة القائم بامر الله وهم:

ابن جهير الاول: ابو نصر محمد بن محمد، فخر الدولة، وزر للخليفة القائم بامر الله للمرة الاولى ما بين ٤٥-٤٥٣هـ/١٠٥٨-١٠٦١م، وللمرة الثانية: ٤٥٤-٤٦٠هـ/١٠٦٢-١٠٦٨م، وللمرة الثالثة: ٤٦١-٤٦٧هـ/١٠٦٨-١٠٧٥م حيث توفي الخليفة القائم حتى ذي الجة من نفس العام ١٠٧٥م.

ابن جهير الثاني: محمد بن محمد ، عميد الدولة ٤٦٧-١٠٧٥/٤٧١-١٠٧٨م وبعد بضعة ايام من عزله ما بين ٤٧١-١٠٧٨/٤٧٦-١٠٨٣م وللمرة الثالثة ٤٨٤-٤٩٣هـ/١٠٩٢-١١٠١م في خلافة المستظهر. =

لأصحاب المذهب الحنبلي، وسلمت مفتاح المدرسة الى مقدم الحنابلة عبد الرحمن بن الجوزي، وكتبت في الوقفية على اعتبار انها اوقفتها على اصحاب الإمام احمد بن حنبل[1].

وبذلك يتضح لنا تأثير ام الخليفة الناصر لدين الله العباسي وكذلك جهة الخليفة المستضيء بنفشا على سلوك الخليفة نفسه تجاه المذهب الشافعي والمذهب الحنبلي في بغداد، وما كانت هذهِ الاموال تنفق على الربط والمدارس إلا بمباركة الخليفة نفسه وتوجهاته ولا ننسى ان الخليفة الناصر كان يتردد على الرباط في دار الحريم الطاهري الذي بناه في الجانب الغربي من بغداد[2]، وقيل ان الخليفة الناصر بنى الرباط لرجل بلخي اسمه محمد كان يأوي الى مقابر احمد بن حنبل[3].

=ابن جهير الثالث: علي بن محمد بن محمد، زعيم الرؤساء ٤٩٣-٥٠١هـ/١٠٩٢-١١٠٧م وللمرة الثانية ٥٠٢-٥٠٨هـ/١١٠٧-١١١٤م وكذلك وزر من عائلة ابن جهير للمقتفي ابو نصر المظفر بن علي بن محمد بن محمد نظام الدين ابن جهير لفترة وجيزة من عام ٥٣٥هـ/١١٤٠م. انظر: شاكر مصطفى، موسوعة العالم الاسلامي ورجالها (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٣م) ص: ١٤٤-١٤٦.

[1] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص٢١٤ والدار هذهِ آلت الى الجهة بنفشا عن طريق الشراء. انظر: سبط ابن الجوزي، ج٢١، ص٢٢٥. والمدرسة المذكورة كانت في محلة باب الازج وهذهِ المحلة كانت تمتد من منطقة السيد سلطان علي وحتى تربة الشيخ عبد القادر الجيلي. انظر: مصطفى جواد، سيدات البلاط العباسي، ص١٦٤.

[2] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٤٨١.

[3] انظر: سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص١٤. وكان الخليفة الناصر يتردد الى زيارته، ويقال ان هذا الرجل ابى ان يدخل الرباط الذي تم بناءه سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م ويقول سبط ابن الجوزي الذي كان يأنس بهذا، البلخي انه لم يره بعد سنة ٥٩٦هـ/١٢٠٠م.

الخليفة الناصر لدين الله والموقف من الإمامية والأثر الخارجي في التوجه سياسياً نحو الشيعة لدى الخليفة الناصر لدين الله العباسي:

كانت ايام الخليفة الناصر لدين الله حافلة بتحديات خارجية وداخلية عديدة، فمن جهة كانت السلطنة السلجوقية في ايران والعراق متمثلة بأواخر سلاطينها تحاول وبشتى الوسائل تفادي افولها، وذلك بمحاولة ايجاد الغطاء الشرعي لوجودها في المشرق باعتراف خليفة العالم الاسلامي وقتئذ بالخطبة لهم في حاضرة الخلافة العباسية بغداد، فيما كان رد الخليفة الناصر حاسماً وعملياً هذهِ المرة ، وذلك من خلال الأمر بهدم دار السلطنة السلجوقية في بغداد وذلك في ٥٨٣هـ/١١٨٧م[١].

وهو بهذا العمل ينهي نفوذ السلاجقة في حاضرة الخلافة العباسية، في وقت علينا أن نتذكر ان السلاجقة هم الذين انهوا إمارة الإستيلاء البويهية التي كانت توجهاتها شيعية معروفة سياسياً، هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى ينظر الى ما حققه السلطان الايوبي صلاح الدين يوسف بن ايوب في انهاء وجود الدولة الفاطمية الشيعية الاسماعيلية في مصر على انه نجاح لصحوة المسلمين من اهل السنة، صلاح الدين في مصر، والخليفة المستضيء في متابعة الإمامية بتقوية يد الحنابلة في بغداد، فضلاً عن ما حققه هذا السلطان من انجازات في حروبه مع الصليبيين في بلاد الشام ومصر والتي توجت باستعادة القدس الشريف من الصليبيين سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م جعلت من هذا السلطان يتفوق في سمعته وشعبيته في العالم الاسلامي عامة على الخليفة العباسي في بغداد "امير المؤمنين الناصر لدين الله العباسي" كذلك فإن صلاح الدين لم يتلق ذلك العون المادي السخي الذي كان يأمله

---

[١] امر الخليفة الناصر بهدم دار السلطنة اسلجوقية في بغداد "حتى يقطع الاطماع عنها"، بعد ان ارسل السلطان طغرل الثالث بن ارسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه السلجوقي الى بغداد بأمر بأن يعمر له دار السلطنة وان يخطبو له، وحتى يسكنها عند قدومه بغداد. انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٤٠٦؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، ج٢١، ص٣٤٥؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٤، ص٢٤٨.

من خليفة المسلمين وامير مؤمنيهم[1] الناصر لدين الله، زد على ذلك كله ان السلطان الناصر لدين الله لم يقم بتغيير لقبه احتراماً لاتخاذ الأمير ابي العباس احمد لقب الناصر بعد تسنمه دست الخلافة في بغداد وجرى ذلك في مداولات ورسائل بين الاثنين دليلاً على الخلاف والتنافر بينهما[2].

ثم ان السلطان صلاح الدين كان يستقبل الفارين من حاضرة الخلافة العباسية من امراء العسكر او امراء الحاج[3]، في مقابل ما كان يبديه من ريب ونفرة تجاه اللاجئين الى حاضرة الخلافة العباسية، من صلاح الدين ربما لكونهم من الكرد فأن الخليفة والديوان لم يطمأنوا لهم، واثيرت حولهم الشكوك والريبة في ان يكونوا عيناً لصلاح الدين في بغداد[4]، وتأكدت الوحشة بين الخليفة والسلطان خاصة بعد الفتح الكبير لبيت المقدس، متمثلاً بما حدث موسم الحج لسنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م عندما قتل

---

(١) في سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م قدم رسول الخليفة الناصر الى صلاح الدين ومعه توقيع بـ(٢٠) الف دينار تقترض من التجار على ذمة الخليفة، مع خمسة احمال نقط فاستصغرها السلطان وردها، وقال: انا في يوم واحد اخرج مثل هذا واضعافه، وترحم على العاضد (آخر خلفاء الفاطميين) قائلاً: وصل الي (العاضد) منه في عشرين يوماً الف الف دينار عند مقام الفرنج على دمياط، ومثلها عروض. انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، ص٣٧٧.

(٢) كان الخليفة الناصر قد ارسل للسلطان الناصر صلاح الدين يوسف سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م وبعد فتح القدس رسالة "مشحونة بالعتاب على اسباب منه": ارساله رسولاً من السلطان الى الخليفة، والرسول كان يجب ان يليق بالمرسل اليه، فكان الرسول "صبياً لا يؤبه اليه"، فلم يلتفت اليه واهين، ومنها ان كل من هرب من بغداد يلجأ الى السلطان ويقبل عليه، ومنها مشاركته في لقب الخليفة بالناصر "واشياء من هذا الجنس"، ثم قال بآخره: ويمن علينا بفتح القدس، وهل فتح الا بعساكر الديوان وتحت راياته ؟ انظر: سبط ابن الجزي، مرآة الزمان، ج٢١، صص: ٣٢٤-٣٤٢. وانظر نص رسالة الخليفة والجواب عليها في ملحق رقم (٨)

(٣) انظر: محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه الايوبي، مضمار الحقائق وسر الخلائق، ص١١٩، ١٢٤.

(٤) انظر: المصدر نفسه، ١٢٨.



امير الحاج الشامي وممثل صلاح الدين محمد بن عبد الملك بن المقدم[١] في عرفات على اثر رفع علم صلاح الدين فوق جبل الرحمة (عرفات) [٢]، وينظر الى القتال المصاحب الذي جرى في عرفات، وكانت بنتيجته مقتل صاحب صلاح الدين بسبب التنافس بين ممثلي الخليفة الناصر ببغداد وممثل السلطان صلاح الدين، وفي الحقيقة ان هذا التنافس ما كان ليتم دون خلفيات عند الاثنين بان كل منهما يمثل من هو الأولى والأحق في التقدم برفع الأعلام على جبل عرفات والإعلان بذلك من خلال ضرب الطبل والكوسات.

وبذلك يمكننا تلمس آثار هذهِ الوحشة على السياسة الداخلية تجاه الشيعة الامامية في بغداد التي تعد صلاح الدين وسلطنته من اعدائهم، لما كان له من دور كبير في تتبع الشيعة وملاحقتهم ومعاقبتهم في مصر والشام.

ولابد من الإشارة الى ان امر ميل تشيع الخليفة الناصر لدين الله العباسي صار عند السلطنة الأيوبية امر مفروغ منه، حتى ان ابن خلكان يورد ابياتاً ارسلها الافضل علي اكبر اولاد السلطان بعيد وفاة ابيه الناصر صلاح الدين الى الخليفة تعكس دلالتها المذهبية، اراد بها التقرب الى الخليفة من خلالها مستنصراً الخليفة له[٣].

---

(١) انظر عن سيرته في: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، ص٣٤٧ و ٣٤٨؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١٢، ص٢٢٠-٢٢١.

(٢) انظر الى تداعيات ذلك في: ابن اثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٤٠٤ و ٤٠٥؛ الذهبي، دول الاسلام، ج٢، ص٨٩؛ اليافعي، مرآة الزمان، ج٣، ص٣٢٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مـ٣، ج٦، ص١٠٥.

(٣) الابيات التي اوردها ابن خلكان هي:

مولاي ان ابا بكر وصحبه
عثمان قد غصبا بالسيف حق علي
وهو الذي كان قد ولاه والده
عليهما فاستقام الامر حين ولـــــــي
فخالفاه وخلا عقد بيعته



الخليفة الناصر لدين الله والخوارزميون والمغول:

يعد خوارزم شاه اتسز بن محمد بن انوشتكين المؤسس الحقيقي للأسرة الخوارزم شاهية[1] التي ظهرت نهاية القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي خلفاً للسلاجقة، وكان اتسز يستمد شرعية حكمه من السلطان السلجوقي سنجر [2] (ت٥٥٢هـ/١١٥٧م) في خراسان ولكن بعد وفاة اتسز سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م وتولي ابنه ارسلان ارسل للسلطان سنجر يبذل له الطاعة والأنقياد[3]، وبعد رحيل السلطان

والامر بينهما والنص عليه جلـــــى

فانظر الى خط هذا الاسم كيف لقي

من الاواخر مالاقي مـــــــن الاول

فجاء جواب الخليفة الناصر:

وافى كتابك يا بن يوسف معلنا

بالود يخبر ان اصلك طاهـــــــــر

غصبوا علياً حقه اذ لم يكن

بعد النبي له بيثرب ناصـــــــــر

فأبشر فأن غداً عليه حسابهم

واصبر فناصرك الامام الناصـــــــر

والافضل هو اكبر ابناء صلاح الدين واليه كانت ولاية عهده ولد بالقاهرة سنة ٥٦٥هـ/١١٧٠ م وتوفي بسميساط سنة ٦٢٢هـ/١١٨٠م انظر: وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، ج٣، ص٣٦٨ و ٣٦٩.

[1] انظر: فاسبلي فلاديميروفتش بارتولد، تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، ١٩٨١م) ص٤٧٤.

[2] انظر: امير حسن صديقي، الخلافة والملكية في ايران في العصر الوسيط، ترجمة: احسان ذنون الثامري (كولونيا: منورات الجمل، ٢٠٠٧م) ص١٧٥؛ وانظر ايضاً: نافع توفيق العبود، الدولة الخوارزمية "نشأتها، علاقاتها مع الدول الاسلامية، نظمها العسكرية والاداري" ٤٩٠-٦٢٨هـ/١٠٩٧-١٢٣١م (بغداد: مطبعة الجامعة، ١٩٧٨م)

[3] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١١٢.

السلجوقي سنجر سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م لم يظهر لنا من السلاطين الخوارزميين حرصاً في الحصول على التفويض المعنوي اللازم من خليفة بغداد وحتى في حالة النزاع الذي كان قد وقع بين الأخوين تكش وسلطان شاه على وراثة املاك أبيهما ارسلان الذي توفي سنة ٥٦٨هـ/١١٧٢م[١]، لم يفكرا في خليفة بغداد المسلم بل كان لجؤهما الى جيرانهم القراخطائيين من غير المسلمين[٢].

وبتولي دست الخليفة الناصر لدين الله، وانتهاء السلطنة السلجوقية في ايران والعراق فإن دولة الخوارزمشاهين صاروا القوة الأهم المسيطرة على معظم الجهات الشرقية للمشرق الاسلامي في ايران وقتئذ، ولما سير الخليفة الناصر وزيره ابن القصاب الى خوزستان ليملكها وفي نيته السير الى همدان باتجاه بغداد سنة ٥٩٠هـ/١١٩٤م اقنعه القواد الاتراك ليعينوه على المسير الى اصفهان والري وغيرها، إلا ان هذا ما اثار خورازمشاه (ابو المظفر علاء الدين تكش بن ايل ارسلان)[٣] فهزم عكسر الخليفة، ونبش قبر الوزير ابن القصاب الذي توفي قبل القتال، وقطع رأسه وذلك سنة ٥٩٢هـ/١١٩٦م[٤]. الملاحظة الجديرة بالاهتمام ان خوارزمشاه طلب ان تقام له الخطبة ببغداد من خلال المطالبة بالسلطنة واعادة دار السلطنة السلجوقية الى ما كانت عليه ويجيء الخوارزميون الى بغداد كي يكون الخليفة بادارتهم كما كان الحال ايام السلجوقية[٥] واقعاً ان مثل هذا الطلب واحتمال الرضوخ له تتعارض بطبيعة الحال مع ما عرفناه عن شخصية الخليفة الناصر لدين الله العباسي وبهذا

---

[١] انظر: امير حسين صديقي، الخلافة والملكية في ايران في العصر الوسيط، ص١٧٦.

[٢] انظر: عطا ملك الجويني (ت٦٧٩هـ/١٢٨٠م) جها نكشاي، ترجمة: محمد القونجي (حلب: دار الملاح للطباعة والنشر، ١٩٨٥م)، مـ١، ص٢٦٨؛ امير حسين صيقي، الخلافة والملكية في ايران، ص١٧٦.

[٣] انظر: شاكر مصطفى، موسوعة العالم الاسلامي (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٣م) ص٤٦٠.

[٤] تقدم تفصيل ذلك كله سابقاً. وانظر ايضاً: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص٤٣؛ بارتولد، تركستان، ص٥٠١.

[٥] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص٤٤.

السياق يعلق بارتولد: بأن ذلك كان ايذاناً ببدء العداء المعلن بين الخليفة الناصر لدين الله وسلاطين الخوارزمشاهيين، والتي عادت بالوبال على البيتين[1] العباسي والخوارزمشاهي، ويستفاد من مجمل الاحداث التي تلت ذلك ان خوارزمشاه، تكش[2] وابنه من بعده قطب الدين والذي لقب بعلاء الدين انشغلا بالاستحواذ على مجمل المناطق الشرقية من ما وراء النهر، فيما كان الخليفة العباسي الناصر يحرض الغوريين بمقارعتهم[3]، ولكن الامر آل الى هيمنة الخوارزميين واستقرار علاء الدين خوارزم شاه في الحكم، مهما يكن الامر فقد سار خوارزم شاه في ٦١٤هـ/١٢١٧م ليقصد العراق، فاستولى على همدان[4] في وقت استعد عسكر الخليفة له بتفريق الاموال والسلاح، وبنفس الوقت ارسل له الخليفة الناصر رسول من قبله، لكن الرسول اهين واوقف الى جانب تخت خوارزمشاه، وفوق ذلك، الإستهانة بما ذكر من مناقب بني العباس وسجايا الخليفة، قائلاً لرسول الخليفة: هذا الذي تصفه هو ببغداد ؟ قال نعم، قال "انا اجيء لبغداد واقيم خليفة يكون بهذِهِ الأوصاف"[5]، فيما عدَّ ما اصاب عسكره الذين قدمهم خوارزمشاه لقصد بغداد من مناقب البيت العباسي نتيجة كثافة الثلوج التي اتت مبكرة في همدان، وافشلت حملته على مدينة بغداد. ويبقى السؤال عن الأثر المذهبي كمسلمين سنة بين الخوارزمشاهيين والخلافة العباسية ؟

بعد هذه الحادثة التي مني بها عسكر الخوارزميين اقدم علاء الدين خوارزمشاه على اشاعة امر مفاده ان الخليفة قد مات[6] وان خوارزمشاه كسلطان

---

(1) بارتولد، تركستان، ص٥٠١.

(2) توفي تكش خوارزم شاه سنة ٥٩٦هـ/١١٩٩م وخلفه ابنه قطب الدين محمد علاء الدين خوارزمشاه انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص٥٢٣.

(3) انظر: الجويني، جهارنكشاي، مـ٢، ص٣١.

(4) انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص٦٤٩ و ٦٥٠.

(5) انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص٢١٧.

(6) انظر: ابن الاثير، الكامل ي التاريخ، ج٩، ص٦٥٠.

يرى ان الحسينيين من آل ابي طالب هم اصحاب الحق، وكان من الذي سلب هذا الحق منهم آل بني العباس[1]، وان الخليفة الذي ببغداد منهم.

وربما كان خوارزمشاه يرمي من وراء ذلك سبباً سياسياً وذلك بتحريض وحث الشيعة عموماً، والشيعة الإمامية في بغداد خصوصاً بايجاد قاعدة له تؤيده في دخول عاصمة العباسيين والتسلطن بها، ونحن نرى ان ميل الخليفة الناصر لدين الله نحو التشيع كان يهدف من وراءه "فضلاً عن مبررات اخرى ظهرت مبكراً من خلافته" هو سحب البساط عن اي تحرك عسكري من وراءه تخلخل وضع بغداد المذهبي، خاصة واننا قدمنا سابقاً الاثر المذهبي في علاقة الخلافة العباسية ببغداد مع السلطنة الايوبية في الشام ومصر. وهذا الامر يبين لنا استشعار الخليفة الناصر من امير مكة (شريف مكة) الذي يذكر عنه الجويني ان جلال الدين حسن (ت٦١٨هـ/١٢٢١م) (صاحب قلعة الموت) ارسل اليه عدداً من الفدائيين لاغتياله ولكنهم اخطاؤا الهدف فطعنوا اخاه وقتلوه[2]. ثم ان الخليفة الناصر نفسه كان قد اغرى قتادة بن ابي ادريس ابو عزيز الحسني الزيدي امير مكة، والذي كانت تُحمل اليه الخلع والذهب وهو بداره بمكة، كان قد اغراه بالقدوم الى بغداد حتى انه كتب اليه بالقول: "انت ابن العم والصاحب وقد بلغني شهامتك وحفظك للحاج وعدلك وشرف نفسك وعقلك ونزاهتك، وقد احببت ان اراك واشاهدك واحسن اليك واتبرك بقدومك علي" ويذكر ان امير مكة قتادة كان يرى نفسه احق بالخلافة من خليفة الوقت الناصر العباسي، فكتب قتادة امير مكة جواباً للخليفة الناصر ابياتاً رائعة لها معنى بليغ، والابيات هي:

---

[1] انظر: الجويني، جهانكشاي، مـ٢، ص٣٠.

[2] انظر: الجويني، جهانكشاي، مـ٢، ص٢٩. وكان جلال الدين حسن صاحب قلعة الموت قد قد اعلن البراءة من الباطنية، وانهم صاروا يخطبون للخليفة الناصر، وقدم رسول منه بصحبة ام جلال الدين حسن في طريقها لاداء فريضة الحج وذلك سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م، وما جرى من عملية اغتيال لاخ امير مكة كان بموسم سنة ٦٠٨هـ ايضاً وبحضور ام جلال الدين حسن للموسم. انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص٦٣١؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص١٨٥، ١٨٦.

ولي كفُ ضرغامُ أدلُّ ببطشِها

وأَشري بها بينَ الورى وأبيعُ

تظلُّ ملوك الأرَضِ تلثمُ ظهرَها

وفي وسطها للمجدبين ربيعُ

أأجعلها تحت الَّرحا ثم أَبتغي

خلاصاً لها إني اذاً لرقيعُ

وما أنا إلا المسكُ في كلِّ بقعةٍ

يَضوعُ وأما عندكمُ فَيضِيعُ [1]

وبذلك يتبين لنا مدى استشعار قتادة من الخليفة الناصر، وعدم الاطمئنان الى جانبه.

اما علاقة الخليفة الناصر مع المغول الذين صاروا على تماس مباشر مع دولة الخلافة بعد انهيار الدولة الخوارزمية فيمكن تأكيد شكوك ابن الاثير في كتابه الكامل في التاريخ عن غزو المغول بعد ان تبين امر استهدافهم دار الاسلام من خلال ما كتبه عطا ملك الجويني في تاريخ "جهانكشاي" الذي ذكر ان الخليفة الناصر كان وفي كل مناسبة يدفع خانات القراختاي سراً لحرب السلطان محمد بن تكش خوارزمشاه وان هذه الأسرار كشفت بعد ان دخل السلطان الخوارزمي غزنين[2] وفتش خزائنها حينما رأى بأُم عينه أن الخليفة كان يراسلهم ويحضهم عليه، "ويحثهم

---

(1) انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص٢٥٣ و ٢٥٤؛ ابو شامة القدسي، الذيل على الروضتين، ص١٢٣؛ الحافظ ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، مـ٩، ص٤١.

(2) غزنين: وهو اسم غزنة، مدينة واسعة عظيمة في طرف خراسان، وهي الحد بين خراسان والهند. انظر: ياقوت، معجم البلدان، مـ٣، ج٦، ص٣٨٨.

على الاستنجاد بجيوش الختا"[1] لمطاردتهم وبمباركة الخليفة، وهذا ما يمكن ان نطلق عليه في ايامنا بالسياسة الميكافيلية التي لا تستند على مبدأ او اي وازع نزيه.

الخليفة الناصر لدين الله والفتوة:

في العام ٥٧٨هـ/١١٨٢م رغب الخليفة الناصر باحضار جماعة من الندماء والجلساء الى مجلسه في دار الخلافة، وكان الخليفة وقتئذ في سن الشباب (بنحو الخامسة والعشرون من عمره) وهو في بدايات سني خلافته، فكان كثير الميل الى هؤلاء الجلساء الذين كان من جملتهم ابو الحسن الكرخي، وابن الداية الذي كان يخدم الخليفة لما كان صغيراً في الكتّاب، وله معرفة بابن العوادة "احد الفتيان" واحضر الربيب ابن رزيق رضيع الخليفة، واول ما يلاحظ على الخليفة انه كان قد قرر لهم الجرايات وافرد لهم دوراً بالقرب من دار الخلافة[2]، ويبدو ان هؤلاء جميعاً كانوا قد حسّنوا له ان يكون فتاً، وذكروا له: "ان ها هنا في الجوار رجلاً حسناً يقال له عبد الجبار[3] وراءه خلق كثير، وهؤلاء يحتاج اليهم في وقت". والظاهر ان هذا الامر وجد اهتماماً كبيراً عند الخليفة ورغب في استخدام الفتوة في اغراضه السياسية

---

[1] انظر: الجويني، جهانكشاي، مـ٢، ص٢٩. وانظر ايضاً ابن الاثير الى ذلك في: الكامل في التاريخ، ج٩، ص٦٨٠ و ٦٨١؛ وانظر: الملك الاشرف الغساني، العسجد المسبوك، ص٤٠٨.

[2] انظر: محمد بن شاهنشاه الايوبي، مضمار الحقائق وسر الخلائق، ص٨٤ و ٨٥.

[3] هو الشيخ عبد الجبار بن يوسف بن صالح: شيخ الفتوة ورئيسها في زمانه، استدعاه الخليفة الناصر وتفتى اليه ولبس منه، توفي في سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م وهو حاجاً بالمعلى. عن سيرته انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٤، ص٣٣٤.

فلبس الخليفة سراويل الفتوة، من الشيخ عبد الجبار[١]، وبحضور ابن الشيخ وصهره، وبهذه المناسبة انعم بها على الشيخ عبد الجبار بخمسمائة دينار[٢].

ويستفاد من وراء هذا الخبر عن الفتوة ان الخليفة الناصر وقتئذ قد اعجب بنظام الفتوة وانتماآتها خاصةً ان يكون هؤلاء المنتمين الى الفتوة يلبسون سراويلها، ويشربون كاسها من (الماء المملح) ويرمون البندق باسم الخليفة نفسه، من هنا نقول ان تبني واندفاع الخليفة الناصر لامر الفتوة يعود الى ناحيتين: الاولى في الداخل المحلي البغدادي، وهو ايجاد نوع من القوة الرديفة في المجتمع يترأسها الخليفة مباشرةً يستفيد منها في حالة الازمات التي قد تحصل في حاضرة الخلافة العباسية، وكذلك في تهذيب الطاقة والحيوية التي تفعم بها هذهِ الفئة وتحول توجيهها الوجهه الايجابية في توطيد وغرز القيم المثالية التي ينادي بها الفتيان خاصة وان هؤلاء الفتيان ينسبون انفسهم عبر سلسلة العنعنة التي يفاخرون بها وعلى قولهم الى الفتى الاول في الاسلام الامام علي بن ابي طالب (ع) [٣].

وقد مرت علينا من اعمال هؤلاء الفتيان من نبوية (نسبة الى النبي محمد (ص)) وسنية وشيعية في احداث الزعار والعيارين ومشاركتهم في مجمل الاحداث

---

[١] انظر: نسبة الفتوة الذي ساقه ابن المعمار من الخليفة الناصر لدين الله الى الامام علي بن ابي طالب (ع) الى الرسول الاعظم (ص) في: كتاب الفتوة، ص١٣٦.

[٢] انظر: محمد بن شاهنشاه الايوبي، مضمار الحقائق، ص٨٦؛ ابن المعمار البغدادي الحنبلي، كتاب الفتوة، ص٥٣؛ مقدمة التحقيق للدكتور مصطفى جواد، نقلاً عن علي بن احمد السخاوي الحنفي

[٣] انظر: ابو عبد الرحمن محمد بن لحسين السلمي (ت٤٢١هـ/١٠٣٠ م) كتاب الفتوة، تحقيق: احمد فريد المزيدي (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م) ص١٣.

التي كانت تعصف ببغداد[١] في حالات الاضطراب الأمني في حاضرة الخلافة العباسية بغداد ايام حكم الخلفاء ابان العصر البويهي خاصةً[٢] .

ويعتقد ان حالات تنظيم الفتيان اساسها تنظيم شبه عسكري يتجلى بالمثل الانسانية العليا والمثالية على نمط ما كانت تدعيه الصوفية مع المريدين، ثم ان هكذا تنظيم كان معروفاً في الأوساط الشيعية على الأقل، وفي هذا السياق نستحضر ما كان قد حصل سنة ٤٧٣هـ/١٠٨٠م من كشف تنظيم يخص الفتوة يتبع في سلسلة العنعنة الى الخلفاء الفاطميين في مصر، ومكافحة السلطة السلجوقية وقتئذ، والقبض على كبيرهم "وجعل ذلك طريقاً الى الشنقصة وقطع المصانعات عليهم، ونهبت دورهم، ثم اخذت فتاوي الفقهاء عليهم بوجوب كفهم عن هذا الفساد"[٣] ويلاحظ ان ابن الجوزي الذي أورد هذا الخبر، كان قد وصف امر الفتوة آنذاك بالفساد لانها كانت تنظيم لنظام تعليمي يتبع الدولة الفاطمية، وهذا يعزز رأي باحث محدث (الايرانية شيرين بياني) بأن "الفتوة يمكن عدها بانها فرع من التشيع" مع التحفظ بان هناك من يوصف بالسنية والشيعية والنبوية كما يتبين لنا آنفاً. والتبرير الذي سيق بهذا الأمر يتعلق بكون "غالبية جماعات الفتيان كانوا من الشيعة الحرفيين والصناعيين والدهاقين والطبقة المتوسطة المنتجة"[٤].

الناحية الثانية التي كان من ورائها تبني الخليفة الناصر لأمر الفتوة ولبس سراويلها وشرب كاسها (الماء المالح) كانت غايتها امراء الاطراف في العالم

---

[١] انظر عن مثال ما حصل سنة ٣٦١هـ/٩٧١م حيث ذكر ابن الاثير اصناف الفتيان هذه ومشاركتها في اعمال التجاذب المذهبي وقتئذ. انظر: الكامل في التاريخ، ج٧، ص٦٤؛ كذلك: منصور حسين هادي، التجاذبات المذهبية، ص١٥٤.

[٢] انظر لمنشور الفتوة في: ابن الساعي، الجامع المختصر، صص: ٢٢٣-٢٢٦؛ وانظر لكامل المنشور في ملحق رقم (١٠).

[٣] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٢١٢ والشنقصة يعرفها مصطفى جواد بانها: الاسقصاء في جمع المال. انظر: كتاب الفتوة لابن المعمار، مقدمة التحقيق، ص٤٣.

[٤] انظر: شيرين بياني، المغول التركيبة الدينية والسياسية، ترجمة: سيف علي (بيروت: المركز الاكاديمي للابحاث، ٢٠١٣م) ص١٨٩ وما بعدها.

الإسلامي ورجالاتها من كتاب وفقهاء، واداريين (صدور) وغيرهم من الأعيان والإرتباط بالخلافة العباسية ولو بصورة معنوية من خلال مراسم الفتوة هذه، وهنالك امر لابد من الإشارة اليه على سبيل الاستقصاء والمقاربة وهو ان الخليفة الناصر لربما أراد بتبنيه لأمر الفتوة محاكاة مجموعتين من قوى الغرب اللاتين (الفرنجة) اشتهرتا ايام الحروب الصليبية ونقصد بهما قوى الداوية[١]، والاسبتارية[٢] اللتان كانتا من اشد القوى الصليبية في مناجزة المسلمين ومحاربتهم اخلاصاً لمبادئهم الدينية .

الفتوة والتجاذب المذهبي:

كان لتبني الخليفة الناصر لدين الله للفتوة ومراسمها الأثر الحاسم في انحسار حالات التجاذب المذهبي في بغداد ايام سنوات خلافته حتى لم تذكر المصادر التاريخية حالات اضطراب مجتمعي يسببها العيارون في بغداد[٣] او حالات تجاذب

---

[١] الداوية او فرسان المعبد les templiers فرقة نشأت بعد نجاح الحملة الصليبية الاولى واحتلال بيت المقدس في ٤٩٢هـ/١٠٩٩م وهي تعتمد مبادىء الفروسية الفرنسية حيث اسسها سبعة او ثمانية من الفرسان الفرنسيين، وقد اجتذبت عطف ورعاية المسيحيين في اوربا فاثرت ثراء فاحشاً حتى حلت سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م. للمزيد انظر: وليم الصدري (ت٥٨٢هـ/١١٨٦م) تاريخ الحروب الصليبية (بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٣م) ج١، ص٦١، ٢٦١، ٤٢٧؛ محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية (تونس: دار الكتب الشرقية، د.ت) ص٦٩.

[٢] الاسبتارية Les Hospitaliers : وهي فرقة يرجع تاريخ تاسيسها الى ما قبل الحروب الصليبية، ومبدأ نشأتها هو تقديم المعونة والرعاية الصحية لمن يحتاجها ثم تطور امرها واصبحت تسمى فرسان القديس يوحنا Saint-Jean "وكانت لهم مشاركة قوية في محاربة= =المسلمين" ابان الحروب الصليبية. انظر: محمد العروسي، تاريخ الحروب الصليبية، ص٧٠ و٧١.

[٣] نعم حدثت بعض الحالات بسبب صيد السباع (والمقصود الحيوانات المفترسة من اسود او نمور او ذئاب) هلى نحو ما حصل سنة ٦٠١هـ/١٢٠٤م بين محلتي باب الازج والمأمونية بسبب صيد سبع طيف به في باب الازج، ومنعوا من ان يطاف به بالمأمونية. انظر: ابن الساعي، الجامع المختصر، ص١٤٦. او لحوادث تجاذب مذهبي نادرة ببغداد مثل ما=

مذهبي عنيفة كالتي كانت تحصل في سابق عهود الخليفة الناصر، وفي الحقيقة ان احتواء حيوية وعنفوان الشباب في المجتمع البغدادي من خلال مراسم الفتوة والتلويح بالسجايا الحميدة التي يجب ان يتحلى بها الفتى كان مهذب لسلوك هؤلاء الشبان واشغالهم عن الاشتغال بالعيارة، كما ان الفتوة صارت اشبه ما تكون بمؤسسة مرتبطة بالخليفة نفسه مما اعطاها نوع من الهيبة والقدسية والاحترام، وبذلك تكون مخالفة مراسمها هي مخالفة "امير المؤمنين" الخليفة الناصر لدين الله نفسه.

وفاة الخليفة الناصر لدين الله:

كان الخليفة الناصر يعاني من الفالج في آخر ثلاث سنين من عمره فقد كان "عاطلاً عن الحركة بالكلية فيما ذهبت احدى عينيه والاخرى يبصر بها ابصاراً ضعيفاً"[(١)]، ويذكر سبط ابن الجوزي انه كان يعاني من عسر البول والحصى، وان خادم له اسمه رشيق كان مدة يوقع عن الخليفة"[(٢)]، ثم ان جارية حظية عند الخليفة نفسه وهي ست شمائل، واسمها شجر الدر التركية، كانت مقربة اليه، وتكتب خطاً جيداً، فكانت هي تقرأ المطالعات الواردة عليه، لما تغير نظره وضعف، فكان الخليفة يملي عليها الاجوبة، وهي تكتب[(٣)].

وبحلول ليلة الاحد سلخ رمضان ٦٢٢هـ/٢٧ ايلول ١٢٢٥م توفي الخليفة الناصر لدين الله العباسي، وبنهاية حياته بدأت مرحلة جديدة في حياة الدولة العباسية ببغداد استمرت حتى انهاء الدولة والخلافة العباسية في ٦٥٦هـ/١٢٥٨م. وهذا هو ما سنتناوله في الفصل التالي من هذهِ الدراسة ان شاء الله.

=حدث في السنوات ٥٨١هـ/١١٨٥م انظر: الملك الاشرف الغساني، العسجد المسبوك، ص١٩٧؛ وفي سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٦م. انظر: ابن الساعي، الجامع المختصر، ص٢٠٠.

(١) انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٧٤٥.

(٢) انظر: مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، ج٢٢، ص٢٧٤.

(٣) انظر: مجهزل، الحوادث الجامعة، ص١٢٦. وتوفيت ست شمائل هذهِ في خلافة المستنصر بالله سنة ٦٣٤هـ/١٣٣٧ م.

تقييم عهد الخليفة الناصر لدين الله:

وخلاصة القول في خلافة الناصر لدين الله العباسي، ان عهد هذا الخليفة الطويل يؤشر لمرحلة جديدة في تاريخ الخلفاء العباسيين والدولة العباسية في عقودها الثمانية الأخيرة انتهى فيها عصر التغلب السلجوقي ببغداد وابراز وجودها بحاضرة الخلافة بغداد بتهديم دار المملكة السلجوقية في العام ٥٨٣هـ/١١٨٧م كما وان الخليفة الناصر لم يكن ليسمح بتجربة اية قوة جديدة يمكن لها أن تحل محل السلاجقة مثلما حاول الخوارزميون لاحقاً، ومهما كانت توجهاتها المذهبية فضلاً عن ذلك فان الخليفة عمل على ايجاد رديف لجند الخلافة العباسية من خلال احتواء قوى الفتوة التي انضوى فيها عامة اهل بغداد خاصة اصحاب المهن منهم بلبس سراويل الفتوة وشرب كأسها (الماء المالح) ورمى اعضائها برمي البندق كل ذلك عن "امير المؤمنين" الخليفة الناصر لدين الله العباسي نفسه، وفي جعل نظام الفتوة يعمل بموجب منشور وقواعد يتحلى بها الفتى من خلال رئيس الفتيان "الخليفة"، ومع ان الخليفة الناصر لم يلتزم بقواعدها كامل الالتزام الا ان اصولها تذكره بالاخلاق الحميدة في التضحية والإيثار والتواضع، واحتمال الاذى، وترك الخلاف كل الخلاف ليشمل الخلاف بين المذاهب ايضاً الى ذلك من الصفات السامية، فضلاً عن ذلك فإن الخليفة ربط امراء وملوك وسلاطين العالم الإسلامي وقتئذ بالارتباط الذي كان يعكسه خلفاء بني العباس من خلال عمله رمزياً كخليفة للمسلمين في اصقاع دار الاسلام.

ويمكننا متابعة ما كتبه المستشرق الانكليزي بوزورث من ان الخليفة الناصر من خلال تنظيمه للفتوة فانه يحاول استعادة ما للخلافة من قوى دينوية واخلاقية فقدتها سابقاً[١] وان ارتقاء الناصر للخلافة كان يعني ان الخليفة العباسي اصبح شخصية اساسية في السياسة والدبلوماسية الإسلامية الشرقية ولم يعطِ اهتماماً كبيراً

---

[1] Bosworth, The Political and Dynastic History of the Iranian World, Edited by J.A. Boyle (New York: The University press, 1908) Vol.5, 162-163.

للمغرب الإسلامي تاركاً النزاع مع الفرنجة لصلاح الدين الأيوبي[١]، وهذا الرأي صحيح من وجهة نظرنا مع ملاحظة ان الفرنجة لم يحاولوا ولو مرة دخول النزاع المباشر مع الخلافة العباسية.

ان الخلافات داخل البيت السلجوقي ساهمت بشكل اكيد في السماح للخلفاء العباسيين ان يوسعوا في قواهم الدينوية خلال سنوات القرن السادس الهجري، وكان هذا واضحاً ايام حكم الخليفة المغدور المسترشد (٥١٢-٥٢٩هـ/١١١٨-١١٣٥م) والخليفة المقتفي (٥٣٠-٥٥٥هـ/١١٤٦-١١٦٠م) حتى ظهوره بشكل جلي خلال حكم الخليفة الناصر لدين الله ٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٨٠-١٢٢٥م[٢].

عمل الخليفة الناصر وعند اول تسنمه لدست الخلافة على سياسة تعتمد الانفتاح على اتباع المذهب الشيعي الإمامي الأثني عشري، وربما كان ذلك بسبب ابن العطار الحنبلي النائب في الوزارة ايام أبو الناصر، الخليفة المستضيء بالله والذي كان منحرفاً عن تولي الناصر لدست الخلافة، ولأن ابن العطار كان يؤذي الشيعة ببغداد فإنهم استبشروا بالعهد الجديد خاصة وإن المتحكم بالأمور ببغداد كان ابن الصاحب المعروف بميوله الشيعية، فكانت الشيعة تمارس طقوسها بعاشوراء بحرية كاملة، ولكن ابن الصاحب كثرت السعايات فيه حتى قتل وكان ابن يونس الحنبلي وراء ذلك وبذلك يتضح لنا سياسة الناصر في تولية الاضداد في الديوان، وفي كل مرة يجد من يبارك اجراءاته في القبض على احدهم بعد أن يتمادى في تحكمه في الأمور بالديوان.

كان لأم الخليفة الناصر المسماة زمرد خاتون دور مهم في تكوين شخصية ولدها، وهي المرأة الشافعية المخلصة لمذهبها، وكذلك الحال تجاه ضرتها بنفشا الحنبلية المذهب التي كان الخليفة يكن لها كامل الاحترام.

---

(1)Ibid, Vol.5, 168.

(2)Ibid, vol.5, 128.

وفي برهة من الزمن فإن الخليفة الناصر راودته فكرة الاعتزال سياسياً من خلال التمسك بالتصوف، وعزل ابنه الأمير ابو نصر محمد عن ولاية العهد حتى تعود الخلافة شورى[1]، ولكن الطبع غلب التطبع وعاد الى سابق عهده.

وفي هذا السياق كان الخليفة يزور الربط الصوفية وكبار الحنابلة، ومرجع وفقيه الشيعة بالحلة، وولى نيابة الوزارة اربعة وصفوا بأنهم شيعة او متشيعين لكنهم لم يكونوا وزراء تفويض وانما وزراء تنفيذ وربما بصلاحيات محددة، وعمل له ضريحاً عند مشهد موسى بن جعفر لكنه لم يدفن به ربما، لأنه اصابه الفالج آخر سني عمره ولم يكن بكامل قواه، وعمل على ان يكون مشهد موسى بن جعفر حرماً آمناً لمن يلجأ اليه. عمل على كسب العامة والفقراء من خلال انشاءه لدور الضيافة للأفطار برمضان ودور الضيافة للحجيج المارين ببغداد وعلى الرغم من ذلك كله فإنه لم يتمتع بستراتيجية واضحة طويلة الامد في التهيؤ للخطر الذي كان يحدق بالعالم الإسلامي المتمثل بالمد المغولي العارم الذي اجتاح المناطق الشرقية من دار الاسلام، بل ربما عمل على الضد من ذلك في ضرب وتحريض المغول على الخوارزميين الذين أراد منهم الا يفكروا في اخذ دور السلاجقة الذين انهى الخليفة الناصر املهم في التسلطن ببغداد على اثر هدم دار السلطنة السلجوقية ببغداد.

كانت ايام الخليفة الناصر الأطول من خلال السنين التي قاربت ثمانٍ واربعون سنة هجرية قمرية، نعمت بها بغداد بشيء من الاستقرار النسبي من ناحية التجاذب المذهبي بين ابناءها، وعلى الرغم من كثرة ما استحدثه الخليفة من رسوم وضرائب ومكوس، وصف الخليفة الناصر بانه اسد بني العباس وكان الاكثر فطنة ودهاءً من بين خلفاء بني العباس فكانت الرعية والأمراء وحكام المقاطعات والاقاليم يهابونه ويتحاشون ذكره لاعتقادهم بانه يعلم ما يدور بينهم، لكثرة ما بثه من عيون واصحاب خبر بل بالغ منهم من اعتقد بأن الخليفة سخر الجن لهذا الغرض.

---

[1] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص١٤٣.

بوفاة الخليفة ابتدأ عهد جديد، عهد ادى بما كان يحمله من وقائع واحداث جسيمة انتهت بدخول المغول بغداد وإنهاء الخلافة العباسية ببغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م.

الفصل الثاني

نتناول فيه عهد الخلفاء الثلاثة الاخيرون من الخلفاء العباسيون

- عهد الخليفة الظاهر بالله
- وولده الخليفة المستنصر بالله
- وولده الخليفة المستعصم بالله

يمثل عهد الخلفاء العباسيون الثلاثة الاخيرون، عصر الافول للخلافة العباسية ابتداءً من عهد الخليفة الظاهر بأمر الله وعهده القصير (٦٢٢-٦٢٣هـ/١٢٢٥-١٢٢٦م). فكأنه كان لحظة استراحة بعد عهد ابيه الخليفة الناصر لدين الله الطويل ولبدء مرحلة جديدة من عمر الخلافة العباسية في بغداد.

وعلى الرغم ما شاب حاضرة الخلافة العباسية ببغداد من ازدهار علمي ثقافي ابان خلافة المستنصر بالله (٦٢٣-٦٤٠هـ/١٢٢٦-١٢٤٢) لكن الامر لم يكن يسمح باستمرار هذا الازدهار بتعاظم الخطر المغولي القادم من الشرق ودقه أبواب العراق، وآخر الخلفاء العباسيين السبع والثلاثون الخليفة المستعصم بالله (٦٤٠-٦٥٦هـ/١٢٤٢-١٢٥٨م) والذي لم يكن جديراً بالمرحلة فختمت حياته بنهاية دولة الخلافة العباسية وانتهى عمرها بعد اكثر من نحو خمسة قرون وربع من السنين الهجرية بدخول هولاكو بغداد نة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م.

خلافة الظاهر بأمر الله وخصوصياتها:

بوفاة الخليفة الناصر لدين اله بويع لولده الوحيد الذي بقي على قيد الحياة ابو نصر محمد الظاهر بأمر الله[١]، ليكون الخليفة الجديد هو الخليفة الخامس والثلاثون والذي تولى الخلافة بعد طول انتظار في ولاية العهد، ففي حقيقة الأمر كانت ايام الخليفة الظاهر بأمر الله قصيرة بالمقارنة مع بقية الخلفاء العاسيين السابقين، لكنها كانت ايذاناً بمرحلة جديدة من عمر الدولة العباسية وعلى جميع الاصعدة.

فقد كان الخليفة الجديد قد عانى من الحجر الذي فرضه عليه ابوه الخليفة ولفترة غير قصيرة، حتى قيل انه تلقب بالظاهر بأمر الله "لأن اباه وجميع اصحابه ارادوا صرف الأمر عنه، فظهر وولي الخلافة"[٢]، ولا نعرف بالضبط الاسباب التي ادت بالخليفة الناصر الى رغبته بصرف الامر عنه، وميل الناصر الى ولده الاصغر علي[٣]، ولكن شاء الله أن يموت ولي العهد المفضل ويلي الامير ابو نصر محمد

---

[١] ابو نصر محمد بن احمد الناصر، ولد في محرم سنة ٥٧١هـ/آب ١١٧٥م امه ام ولد يقال لها: اخشو، وقيل بقجة لم تدرك خلافته، خطب له اول مرة بولاية العهد سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م ثم عزل من الولاية العهد سنة ٦٠١هـ/١٢٠٥م، وقيل انه عزل عن ولاية العهد حتى يعهد الى اخيه علي الذي لقب بالمؤيد الا ان علي هذا توفي سنة ٦١٢هـ/١٢١٦م، فأعيدت الخطبة للأمير محمد ابو نصر سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م، ولم تطل ايامه بالخلافة الا تسعة اشهر واياماً حيث توفي يوم الجمعة ١٣ رجب ٦٢٣هـ/٣ تموز ١٢٢٦م. للمزيد عن سيرته انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص٧٤٦؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص٢٧٥ و ٢٨٣؛ ابن الكارزوني، مختصر التاريخ، صص: ٢٥٤-٢٥٧؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٥، ص١١٢ و ١١٣؛ محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت١٢٠٦هـ/١٧٩١م) جذوة الاقتباس في نسب بني العباس، تحقيق: يحيى محمود بن حفيد (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٥م) ص٧٠.

[٢] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٧٤٧.

[٣] توفي الامير ابو الحسن علي في ٢٠ ذي القعدة ٦١٢هـ/٤ آذار ١٢١٦م، وكان يلقب بالمؤيد والملك المعظم، وهو احب ولدّي الخليفة الناصر اليه، وحزن عليه الخليفة الناصر حزناً عظيماً ودفن في تربة جدته زمرد خاتون عند قبر معروف الكرخي، عن سيرته انظر: ابن=

(الظاهر بأمر الله فيما بعد) الخلافة ويورد سبط ابن الجوزي ان الخليفة الظاهر بأمر الله هو الذي أمر بحمل جثمان ابيه ليدفن في ترب الخلفاء بالرصافة عند "أهله" على الرغم من ان الخليفة الناصر نفسه "كان قد عَمَلَ ضريحاً عند موسى بن جعفر" لنفسه[١].

وربما يدل هذا الامر ان الخليفة الجديد الظاهر بأمر الله اراد أن يبين تباين ميله المذهبي عن ابيه الخليفة الناصر، ويُستبعد أن يكون الخليفة الناصر هو من اوصى بذلك خاصةً انه كان عاطلاً عن الحركة بالكلية ولثلاث سنوات قبل وفاته[٢]، وان الظاهر بأمر الله كان "تحت الاحتياط والحجر"[٣] او ما يطلق عليه بأيامنا بالاقامة الجبرية، وقد ينظر الى سبب ذلك هو ميل الأمير محمد ابو نصر (الخليفة الظاهر فيما بعد) الى الحنابلة فيما كانت الشيعة والخليفة الناصر لدين الله تميل الى اخيه الأصغر ابي الحسن علي الذي توفي بحياة الناصر كما تبين لنا سلفاً[٤]، وكذلك فإن الخليفة الظاهر بأمر الله قد حرص على اتخاذ جملة من التدابير والإجراءات التي تميز عهده بها عن عهد ابيه الخليفة الناصر لدين الله حتى ان بعض المصادر تذكر بأنه "كان على خلاف ابيه، فقد كان هو سنياً فيما كان أبوه

=الاثير، الكامل، ج٩، ص٦٤٢ و ٦٤٣؛ ابو شامة المقدسي، الذيل على الروضتين، ص٩١.

[١] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص٢٧٤. وانظر ايضاً: ابو شامة المقدسي، الذيل على الروضتين، ص١٤٤.

[٢] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٧٤٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٩، ص٥٤.

[٣] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٧٤٦.

[٤] نظر:

Anne – Morie Edde, "AL-ZAHER BI-AMR ALLAH", EI.2, Vol.XI, 390.

شيعياً"[١]، وتأكيداً لما للقضاء من أهمية في تمذهب الدولة فإن الخليفة الظاهر كان قد عزل ابا عبد الله محمد بن يحيى بن فضلان الشافعي[٢] قاضي القضاة، وقلد محله ابا صالح نصر بن عبد الرزق بن عبد القادر الجيلي الحنبلي[٣]، لكنه لم يغير القمي في نيابته للوزارة، على الرغم من انه اخرج توقيعاً قبيل وفاته فيه تخويف ووعيد للوزير القمي، وطلب منه قرائته على "ارباب الدولة"[٤].

كما انه ابطل ما كان سنّه الخليفة الناصر بتوكيل الحارس بكل درب من دروب بغداد بكتابة مطالعة (تقرير بلهجة ايامنا) الى الخليفة عما يتجدد من اجتماع اصدقاء او غيره، قائلاً "اي غرض لنا في معرفة احوال الناس في بيوتهم ؟ فلا يكتب لنا احد إلا ما يتعلق بمصالح دولتنا، ثم انه اخرج من كان بالسجون (باعطاء عفو عام للمسجونين على وفق مفاهيم ايامنا) وامر باسقاط كل ما تجدد ايام ابيه من

---

[١] انظر: ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص١٤٤؛ وانظر ايضاً: احمد بن عبد الله القلقشندي (ت٨٢٠هـ/١٤١٧م) مآثر الاناقة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار احمد فراج (بيروت: عالم الكتب، ٢٠٠٦م) ص١٩٦.

[٢] هو القاضي ابن فضلان محمد بن يحيى بن علي بن الفضل بن فضلان ولي القضاء للخليفة الناصر لدين الله ثم عزل بعد شهرين من تولي الخليفة الظاهر دست الخلافة، ثم ولي النظر بالبيمارستان ثم درس في مدرسة ام الخليفة الناصر، ثم بالمستنصرية، توفي سنة ٦٣١هـ/١٢٣٤م. للمزيد انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٤، ص٢١٣.

[٣] انظر: الملك الاشرف الغساني، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك، ص٤١٩. ونصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر ابي صالح الجيلي، قاضي القضاة: ولد سنة ٥٦٤هـ/ اشتغل على الفقه والمسائل الخلافية (الفقه المقارن على اصطلاح ايامنا) وتولى مدرسة جده فكان يدَرسْ بها الاصول والفروع، ثم دَرَسَ فيها الاصول والفروع على مذهب الحنابلة، وتولى قضاء القضاة للظاهر ومن بعده مدة لابنه المستنصر، توفي سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٣م ودفن في دكة احمد بن حنبل. للمزيد عن سيرته انظر: ابن رجب الحنبلي، الذيل على طبقات الحنابلة، ج٢، صص: ١٥١-١٥٤.

[٤] انظر لنص التوقيع في: ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص٧٥٩.

المكوس وهي ضرائب كثيرة دون ادنى شك، وأمر بإعادة الخراج القديم في جميع العراق[1].

وفاة الخليفة الظاهر بامر الله وتقييم عهده القصير:

في الثالث عشر، وقيل الرابع عشر من رجب سنة ٦٢٣هـ/ ٣ او ٤ تموز ١٢٢٦م توفي الخليفة الظاهر بأمر الله العباسي، ولا تذكر المصادر التي بين ايدينا اسباب موته، ولو ان سبط ابن الجوزي ذكر ان السبب هو ما لاقاه من شدائد ابان خلافة ابيه[2]. وكان قد عهد بولاية العهد لولده الأكبر ابو جعفر منصور[3] او الخليفة المستنصر بالله بتسميته الرسمية فيما بعد.

كان عهد الخليفة الظاهر بأمر الله قصيراً جداً، لكنه انعطافة مهمة في عمر الخلافة العباسية التي حاول فيها ابوه الخليفة الناصر النهوض بها من خلال جملة اجراءاته في التحري والاستقصاء للمتربصين بالخلافة خارجياً وداخلياً من دون الاعتماد او الاتكاء على قوة رديفة متسلطة على مقدرات مؤسسة الخلافة او الخليفة نفسه كما كان يحصل ابان سنوات إمارة الإستيلاء البويهية، وبعد ذلك ابان عهد السلاجقة ايام السلاطين السلاجقة العظام وفيما بعد ذلك ايام سلاطين السلاجقة في ايران والعراق، لكن هذا الأمر انتقض كلياً بوفاة الخليفة الناصر حتى ان الدولة العباسية بدت في حالة من الإرباك في ايام وقائع ولده الظاهر الذي ابطل اجراءات ابيه في العفو عما سلف وسنرى كيف آل امر الفتوة الى طريقة للإحتفاء باصطياد الطيور من اجل ان تنثر الدنانير عليها، لا طريقاً الى إعداد قوة رديفة مدربة على الرمي وتهذيب السلوك والإنصياع لأوامر من تنسب اليه بلبس سراويل الفتوة وشرب كأسها الذي يقترن عادة بالخليفة نفسه.. نعم مرت الحقبة اللاحقة كما سيتبين لنا بنوع من الازدهار العلمي وانشاء كبريات المدارس في بغداد متمثلة بـ"المستنصرية"

---

[1] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٧٤٧ و ٧٤٨؛ الملك الاشرف الغساني، العسجد المسبوك، ص٤١٢، ٤١٣.

[2] انظر: مرآة الزمان، ج٢٢، ص٢٨٣.

[3] انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٧٦٠.

التي لازالت بعض معالمها ماثلة امامنا على شاطيء دجلة الشرقي، لكن الخطر الداهم المتمثل بالمغول لم يتم تداركه الا بعمليات سياسة الدفاع والنأي عن المبادرة التي وإن جاءت فمتعثرة، حتى كانت القاضية سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م على يد قائد المغول الاعظم الايلخان هولاكو او هلاوون.

الخليفة المستنصر بالله واهم وقائع خلافته (٦٢٣-٦٤٠هـ/١٢٢٦-١٢٤٢م)

بوفاة الخليفة الظاهر بأمر الله، بويع لولده الاكبر ابو جعفر منصور، ولقب بالمستنصر بالله[١] وبنفس يوم وفاة ابيه، ليكون الخليفة العباسي السادس والثلاثين من مجموع الخلفاء العباسيين السبع وثلاثون في بغداد.

وينظر الى عهد هذا الخليفة بأنه عهد يعكس نوع من الأزدهار الداخلي في بغداد خاصة في المجال العلمي، والرفاهية المادية واغلب الظن ان هذهِ الرفاهية المادية متأتية من الخزائن التي ملئت ايام جده الخليفة الناصر لدين الله العباسي[٢].

---

[١] هو الخليفة المستنصر بالله ابو جعفر منصور بن الظاهر بامر الله بن الناصر لدين الله، قيل في مولده في الثالث من صفر سنة ٥٨٨هـ/١٧ شباط ١١٩٢م. وامه ام ولد قيل رومية او تركية، وقيل اسمها شيرين، وكان جده الخليفة الناصر يحبه ويميل اليه. يمثل عهده عهد ازدهار علم وعلماء، حتى ان الخليفة نفسه كان يستمع الى دروس المدرسة التي انشأها ونسبت الى لقبه فسميت بالمستنصرية، ومن خلال منظرة يجلس من ورائها في دار الخلافة، كما كان عهده عهد تفاقم هجمات المغول على اطراف العراق، لكن محاربة هؤلاء المغول كانت حروباً دفاعية خاصةً بعد مقتل السلطان الشهير جلال الدين منكبرتي سنة ٦٢٩هـ/١٢٣٢م. توفي الخليفة المستنصر بالله يوم الجمعة ١٠ جمادي الاخرة سنة ٦٤٠هـ/٢٨ تشرين الثاني ١٢٤٢م وله اثنان وخمسون عاماً واشهر. للمزيد ن سيرته انظر: ابن الكازروني، مختصر التاريخ، صص: ٢٥٨-٢٦٥؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٥، صص: ٢٧٥-٢٨١؛ القلقشندي، مآثر الاناقة في معالم الخلافة، ص١٩٨. وانظر ايضاً مقالة:

Carole Hillenbrand, ‘‘AL-Mustansir Billah’’, EI.2, Vol.VII, 727-729.

[٢] تورد بعض المصادر التاريخية ان الخليفة الناصر لدين الله كان قد اعد حوضاً عميقاً تحت الميضئة عمل على ملئه بالذهب، الا ان ابنه الخليفة الظاهر بامر الله عمل على الانفاق منه، لكن الاجل لم يمهله طويلاً حتى ينفقه كله على ما يبدو. انظر: ابو عمر منهاج=

ولم يغير الخليفة المستنصر بالله في سنوات خلافته الأولى في مراتب نيابة الوزارة شيئاً، فتولى مؤيد الدين ابو الحسن محمد القمي الوزارة حتى حلول شهر شوال ٦٢٩هـ/تموز ١٢٣٢م حيث عزل وهو من الشيعة الإمامية، ثم تولى نيابة الوزارة ابي الازهر احمد بن محمد بن الناقد[1] الذي ينتسب الى المذهب الإمامي ايضاً، ويلاحظ ان الوزير مؤيد الدين ابو الحسن محمد القمي كان قد قبض عليه بعد ان "تمكن في الدولة ما لم يتمكن مثله احد من امثاله"[2]، حتى انه في سنة ٦٢٩هـ/١٢٣٢م حاول تقليد الخليفة فتح باب في حائط دار الوزارة وعمل فيه شباك حديد وجلس فيه لاستعراض العسكر[3]، ولم يكن لأحد قبل القمي من كبار الدولة او الوزراء ان يجلس من وراء الشباك ومن دون ستارة آنذاك ولأن ذلك كان من رسوم الخلافة

=الدين عثمان المعروف بالقاضي منهاج السراج الجوزجاني (ت٦٥٨هـ/١٢٦٠م) طبقات ناصري، ترجمة وتقديم: ملكة علي التركي (القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٢م) ج١، ص٢٤٤. وقيل ان الذي وقف عليها هو الخليفة المستنصر بالله، وقال ترى اعيش حتى افرغها. انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص٣٧٦.

[1] ابو نصير ابو الازهر احمد بن محمد بن الناقد، ولد في شوال ٥٧١هـ/نيسان ١١٧٦م كان من اولاد التجار المعروفين ببغداد، ادب نفسه في تحصيل الادب وتجويد الخط، "وعند وفاة ابيه رد اليه ما كان يتولاه وهو وكالة ام الخليفة الناصر في وقوفها، ثم عزل"، كان بينه وبين الخليفة الظاهر رضاع وصحبة، فأحضر ووكله لاولاده، وعند وفاة استاذ الدار تولى هو استاذية الدار ثم تولى نيابة الوزارة عند القبض على الوزير القمي سنة ٦٢٩هـ/١٢٣٢م. توفي سنة ٦٤٢هـ/آب ١٢٤٤م، ودفن في ضريح أعدَّ له في مشهد موسى بن جعفر. للمزيد انظر: مجهول، كتاب الحوادث، ص٢٢٢ و ٢٢٣؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص٣٣١؛ وانظر محسن الامين، اعيان الشيعة، مـ٤، ص٤٠٢.

[2] انظر: ابن الطقطقا، الفخري، ص٣٢٨.

[3] نظر: مجهول، الحوادث، ص٤٤.

وحدها، وحتى يطلع على عموم الأحوال في بغداد من الذين يتقدمون لدار الخلافة بطلب العفو او تقديم فروض الطاعة وتجديدها الى غير ذلك[١].

ولما تم القبض على الوزير القمي قال فيه الشعراء في ذلك اشعاراً منها في ذمه وتحريض الخليفة المستنصر على قتله مع ولده[٢]، مع ملاحظة ان البعض نالتهم عقوبة قطع اللسان التي طبقت ابان نيابة الوزارة لمؤيد الدين القمي، وهي العقوبة التي يكاد لا يصرح بأسبابها صاحب كتاب الحوادث، وانما لمح لبعضها تلميحاً او بصورة مبهمة[٣]، ولابد لهكذا عقوبة قد اثارت تساؤلات كبيرة عند العامة في بغداد في أسبابها التي كان يوقعها القمي بقطع اللسان، فضلاً عن ذلك فأنها اثارت الضغائن نحو القمي وممن تعاطف مع الذين عوقبوا بشكل او بآخر.

كما يلاحظ ان نيابة الوزارة كانت ابان خلافة الخلفاء الثلاثة الأواخر مقتصرة على الشيعة الإمامية وحدهم، وهذا الذي جعل البعض من المؤرخين وخاصة المحدثين منهم يلقي باللائمة على الشيعة عموماً في سقوط الخلافة العباسية واجتياح حاضرتها[٤].

---

[١] مثال ذلك ما ذكره ياقوت عن باب الخاصة وباب المراتب انظر: معجم البلدان، مـ١، ج٢، ص٤٦.

[٢] انظر: مجهول، كتاب الحوادث، ص٥٧ و ٥٨. حيث يورد شعراً يشبه فيه القمي بابي مسلم الخراساني منه:

ملك الخراساني ذاك ببغيه
وكذا خراسانينا الماسور
لا تبقيه يا خير من وطيء الحصا
فالحزم ان لايهمل الموتور

[٣] من ذلك قوله: ما اقتضت السياسة ذلك، او ان الذي قطعت لسانه ادعى اتصالاً بالخليفة. انظر: مجهول: الحوادث، ص١٩، ٣١، ٤٣، ٥٢.

[٤] انظر: مثلاً
Carole Hillenbrand, "AL-Mustansir billah", EI.2, Vol.VII.

مهما يكن، فإن شبكة المؤسسات التعليمية تحتل مكان الصدارة في خلافة المستنصر بالله وجمع مذاهب المسلمين السنة الاربعة المعروفة تحت شبكة تعليمية واحدة فما هي هذه المدرسة المستنصرية وما شرط وقفيتها ودورها في تقرير سياسة الخليفة وتوحيدها تحت خلافة المستنصر وإدارته.

المدرسة المستنصرية:

يتميز عهد الخليفة المستنصر بالله بالحركة العلمية التي نشطت بصورة خاصة بعد ان تم افتتاح المدرسة المستنصرية سنة ٦٣١هـ/١٢٣٤م، والملاحظ ان هذهِ المدرسة جمعت في وقفيتها للتدريس على المذاهب السنية الأربعة المعروفة، وليس بحصرها بالمذهب الذي ينتمي اليه الواقف، فضلاً عن اهتمام الخليفة الشخصي بالمسألة فقد كان الخليفة المستنصر نفسه يستمع الى دروس تحاضر بهذهِ المدرسة، ومما لاشك فيه ان تدريس المذاهب الأربعة دون غيرها في المدرسة المستنصرية ساعدت من جهة سياسية شرعية على وحدة الصف في المذاهب السنية الاربعة ومن مواقفها تجاه فرق الشيعة عموماً، ومن جهة ثانية فقد عززت هذهِ السياسة من مكانة الخليفة العباسي في العالم الاسلامي وقتئذ، والذي كان في الغالب يتبع العلماء من اصحاب تلكم المذاهب، فضلاً عن مظاهاة ما قام به وزير السلاجقة الاشهر نظام الملك عندما انشأ شبكة المدارس النظامية وخصها بالمذهب الشافعي وحده في الأصول والفروع، من هنا كان الخليفة المستنصر بالله بعمله هذا المتمثل بأنشاء المدرسة المستنصرية قد خطى خطوة أشمل مما فعله الوزير السلجوقي سابقاً، وذلك باستيعاب مذاهب المسلمين السنة الأربعة في التدريس بها.

عدت المدرسة المسنصرية من اكبر مآثر الخليفة المستنصر والتي كانت في الحقيقة معهداً علمياً يدرس علوم الدين واللغة والطب والحساب والفرائض. ومما لاشك فيه ان افتتاح هكذا مشروع قد اسهم بشكل او آخر في خفض وتيرة التجاذب المذهبي في بغداد خاصة بين المذاهب الأربعة نفسها، فما دامت هنالك مدرسة علمية (اكاديمية على اصطلاحات زماننا) تناقش وتدرس مختلف المذاهب السنية

الاربعة تحت سقف واحد، فإن ذلك لابد وأن يثبط العامة من الخوض في هكذا مواضيع يستغلها المتحمسين من كل مذهب في اثارة الفتن في بغداد[1]. الا من حيث الوعظ، حيث تنتعش مظاهر الخلاف بشكل علني مجدداً، فضلاً عن توافد الطلاب الى بغداد ومن مختلف انحاء العالم الاسلامي وقتئذ يحملهم الرغبة في الدرس ويشجعهم على ذلك ما يناله الطالب من سكن وطعام مجاني فضلاً عن الرعاية الطبية، وفي حاضرة الخلافة العباسية بغداد[2].

ولا يفوتنا ان نذكر أن هنالك من كبار رجالات الدولة العباسية كانوا قد انشأوا ابان خلافة المستنصر وابنه المستعصم بالله مدارس من اموالهم الخاصة واوقفوها على رجال المذهب الذي ينتمون اليه. مثال ذلك المدرسة التي انشأها المملوك شرف الدين اقبال الشرابي[3] ونسبت الى لقب مؤسسها فسميت بالمدرسة الشرابية وافتتحت

---

[1] وهذا الكلام يعززه بشكل ما ندرة وقائع الفتن بين الشافعية والحنابلة ابان الربع قرن الاخير من عمر الدولة العباسية.

[2] عن المدرسة المستنصرية، تأسيسها، وما الحق بها، ونظامها وتطورها، واثرها الثقافي، انظر: حسين امين، المدرسة المستنصرية، ط٢ (بغداد: وزارة الثقافة، دار الشؤون الثقافية، ٢٠١١م)؛ وكذلك انظر: كوركيس عواد ومصطفى جواد، المدرسة المستنصرية اول جامعة في العالمين العربي والاسلامي (بيروت: دار الوراق للنشر المحدودة، ٢٠٠٨م).

[3] المملوك اقبال الشرابي الذي كان مملوكاً لعز الدين نجاح الشرابي (ت٦١٥هـ/١٢١٨م) والذي كان كخادم في دار الخلافة ويقال انه رمى بنفسه خلف ولي العهد الامير احمد، الخليفة الناصر فيما بعد، على اثر سقوطه من قبة جامع القصر، ومن اجل ذلك قربه الناصر وجعله شرابياً له بعد توليه دست الخلافة، وعند وفاة نجاح الشرابي صار الى زوجته التي حملته الى الخليفة الظاهر الذي انفذه الى ابنه الامير منصور او الخليفة المستنصر بعدئذ، فقربه، خاصة بعد توليه دست الخلافة وبعثه لمقاتلة المغول باربل فظفر بقوة منهم. توفي في سنة ٦٥٣هـ/١٢٢٥م. للمزيد عن سيرته انظر ترجمته في: مجهول، كتاب الحوادث، صص: ٣٢٤-٣٢٦؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ج٥، ص٣٩١. وعن نجاح الشرابي انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٠، ص٣٢٤.

سنة ٦٢٩هـ/١٢٣٢م، واختصت بموجب وقفيتها بالمذهب الشافعي[1]، وهناك المدرسة المجاهدية التي بناها مجاهد الدين ايبك المستنصري المعروف بالدويدار الصغير[2]، والتي جعلها خاصة باصحاب المذهب الحنبلي وكانت قد افتتحت سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م[3].

وهنا لنا أن نتسائل لماذا لم يقم نواب متولي الوزارة ابتداءً من مؤيد الدين القمي ومروراً بأبن الناقد وانتهاءً بالوزير مؤيد الدين ابن العلقمي بانشاء أي منهم مدرسة فقهية تختص بالشيعة الإمامية ببغداد[4] ؟ هذا يعطينا تصوراً حقيقياً عن نفوذ وسلطة اولئك الصدور في الديوان كان يقتصر على تمشية المكنة الإدارية لدولة الخلافة، وهم بذلك يكونون في ادنى درجات وزراء التنفيذ، ويبدو انهم لم يجرؤا على التدخل في الشبكة التعليمية، وبذلك يمكننا أن نصرح بأن هؤلاء الصدور لم يكن لهم

---

[1] انظر: مجهول، كتاب الحوادث، ص٤٤ و ٤٥؛ وانظر: عماد عبد السلام رؤف، مدارس بغداد، ص١٣٢. واختلف في موضع هذهِ المدرسة في خطط بغداد. فهناك من يعتقد (ومنهم مصطفى جواد) ان موضعها هو ارض جامع المرادية في ساحة الميدان حالياً، اما ناجي معروف فينسب ما يعرف الان من اثر يرجع الى العصر العباسي وسمي بالقصر العباسي الى كونه هو المدرسة الشرابية بعينها. انظر: سليمة عبد الرسول، القصر العباسي في بغداد (بغداد: المؤسسة العامة للآثار والتراث، ١٩٨١م) صص: ١٢-١٨؛ عماد عبد السلام= =رؤف، مدارس بغداد، صص: ١٣٣-١٣٧؛ وانظر ايضاً: ناجي معروف، المدرسة الشرابية او القصر العباسي في قلعة بغداد، مجلة كلية الاداب، العدد: ٢، شباط ١٩٦٠م؛ وانظر ايضاً الموقع: www.al,aktaba.net/vb/showtherad.php?t=60251

[2] انظر ترجمته في: الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١٤، ص١٢٣.

[3] انظر: مجهول، كتاب الحوادث، ص١٥٧؛ عماد عبد السلام، مدارس بغداد، صص:١٩٥-٢٠٢.

[4] يذكر رضي الدين علي بن طاووس الحلي (ت٦٦٤هـ/١٢٦٦م) بأن الخليفة المستنصر بالله انعم عليه بدار في المأمونية بالجانب الشرقي من بغداد ويبدو من سياق كلامه انها كانت مقراً في بغداد يستقبل بها الشيوخ والعلماء لمذاكرة الاحاديث والاخبار. انظر: ابن طاووس، اليقين باختصاص مولانا علي بأمرة المؤمنين، ص٢٧٩ و ٢٨٠.

دور في سياسة الدولة المذهبية ولا يقدرون على القيام بعمل كهذا بغية تدريس مذهب يخالف مذهب دولة الخلافة العباسية والذي صار ومنذ عهد الخليفة المستنصر بالله هو مذهب اهل السنة عامة بمذاهبهم الأربعة المعروفة، وهو ما يدعونا الى تحليل ما للمستنصر بالله من علاقة مع الشيعة الامامية.

الخليفة المستنصر بالله والشيعة الإمامية الأثني عشرية:

عاش الخليفة المستنصر بالله كأمير في كنف جده الراحل الخليفة الناصر لدين الله لأكثر من ثلاثة عقود من خلافته، كان الناصر فيها شديد الحب له(١)، والميل نحوه ولابد وان يكون هذا التودد له، قد اثر في ميول المستنصر وتعلمه من جده الخليفة الناصر، وان حفيده قد تأثر به(٢) كذلك على الاقل سياسياً خاصة تجاه الصدور من الشيعة الامامية ومن اهل الديوان، ويبدو ذلك واضحاً في سياسة المستنصر العامة من خلال الابقاء على متولي نيابة الوزارة مؤيد الدين القمي(٣)، ذو الميول الشيعية، وحتى في حال القبض عليه باستبداله بأمامي آخر هو ابن الناقد الذي يرجح عنه تشيعه المعلن كذلك، فضلاً عن ذلك فإن الخليفة المستنصر بالله كانت له مواقف تجاه الشيعة الإمامية لا يمكن تصنيفها، الا ان تكون سياسية ايضاً من ذلك مثلاً انه في سنة ٦٢٧هـ/١٢٣٠م وهي الرابعة من خلافته، "تقدم الخليفة المستنصر بالله الى فخر الدين احمد ابن نائب الوزارة مؤيد الدين القمي بعمارة مساجد الكرخ، الذي شرع في ذلك"(٤)، والظاهر ان هذهِ المساجد كانت قد اصاب ابنيتها الضرر نتيجة الفيضانات المتكررة التي كانت تجتاح مدينة بغداد ايام الناصر لدين الله، وكان آخرها ما حدث سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م(٥)، وما لاشك فيه ان غالب

---

(١) انظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٥، ص٢٧٥.

(٢) من مظاهر تأثر الخليفة المستنصر بجده الناصر لدين الله معاودته فتح دور الضيافة التي كان قد عملها الخليفة الناصر في رمضان في جانبي مدينة السلام، بل وزاد فيهما داران واحدة لأولاد الخلفاء المقيمين في دار الشجرة، والاخرى بخربة التاجر ابن جردة للفقراء الهاشميين وذلك سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٣ م. انظر: مجهول، الحوادث، ص٦٩.

(٣) تقدمت ترجمتهما

(٤) انظر: مجهول، كتاب الحوادث، ص٣٢.

(٥) كانت الفيضانات تتوالى على بغداد بجانبيها الشرقي والغربي في الوقت الذي كان الجانب الغربي يتأثر بفيضان نهر الفرات فضلاً عن فيضانات نهر دجلة. وآخر تلك الفيضانات وقتئذ حدثت سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م حيث اغرق فيضان نهر دجلة محال عديدة في الجانب الشرقي والغربي من بغداد، وكذلك اغرق فيضان نهر الفرات من خلال نهر عيسى واضر=

اهل الكرخ كانوا من الشيعة الإمامية، وعليه تكون هذهِ المساجد خاصة بالشيعة الامامية، ثم ان تكليف ابن الوزير القمي له دلالته المذهبية ايضاً. كما وان ابن الوزير قام بعد اكتمال عمارة تلك المساجد بترتيب الأئمة والمؤذنون بها[١]، البته بموافقة الخليفة ومباركته.

كما ان الخليفة قصد مشهد موسى بن جعفر (ع) للزيارة وبعد عودة المستنصر بالله من الزيارة "ابرز ٣٠٠٠ دينار الى ابي عبد الله الحسين بن الاقاسي نقيب الطالبيين وامره ان يفرقها على العلويين المقيمين في مشهد أمير المؤمنين، علي بن ابي طالب والحسين، وموسى بن جعفر عليهم افضل الصلاة والسلام"[٢].
كما ان الخليفة المستنصر نفسه كان قد تقدم بعمارة المشهد، والملاحظ ان صاحب كتاب الحوادث يورد تاريخ زيارة الخليفة المستنصر لمشهد موسى بن جعفر في ٣ رجب سنة ٦٣٤هـ/٢٣ شباط سنة ١٢٣٧م[٣]، وهي توافق احدى المناسبات الشيعية

=بالمحال التي بالجانب الغربي ويقال ان بغداد بقيت تلولاً لا اثر لها. انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص٦٦٠؛ سبط ابن الجوزي، ج٢٢، ص٢١٦؛ وانظر: غامس خضير الدوري، الكوارث الطبيعية وآثارها في العراق، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الاداب- جامعة بغداد، ١٩٩٦، ص٧٠.

[١] انظر: مجهول، كتاب الحوادث، ص٣٢.

[٢] انظر: مجهول، كتاب الحوادث، ص١٢٤؛ والملك الاشرف الغساني يورد الخبر في حوادث سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٦م ويوسع العطايا لتكون كالتالي: الف دينار لفقراء العباسيين، والف دينار لفقراء الطالبيين، والف دينار للفقراء المقيمين على تربة احمد بن حنبل وقبر معروف الكرخي والف للشرفاء المقيمين بدار الشجرة، والفان للفقراء المجاورين في مشهد علي عليه السلام من العلويين، والف لفقراء الجانب الغربي (من بغداد طبعاً) ويرد ذلك فيقول: فعمت هذهِ الصدقة فقراء الاهل والاقارب وفقراء الاماكن الشريفة. انظر: العسجد المسبوك، ص٤٧٠.

[٣] عادة يحتفل الشيعة الامامية الاثني عشرية بمثل هذا اليوم من كل عام بذكرى وفاة عاشر الائمة الاثني عشر وهو الامام علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (ع) والملقب بالهادي (ت٢٥٤هـ/٨٦٨م) في سامراء ابان خلافة الخليفة العباسي محمد المعتز بالله الخليفة الثالث عشر من الخلفاء العباسيين=

التي يقصد بها الشيعة زيارة احد المشاهد القريبة من محل اقامتهم كما انه أمر باعمار مشهد العسكريين بسامراء بعد ان اتى الحريق على الضريحين، في ربيع الاخر سنة ٦٤٠هـ/ايلول ١٢٤٢م، والضريحين للإمامين العاشر والحادي عشر من أئمة الشيعة الإمامية الأثني عشرية الامام علي الهادي، وولده الحسن الملقب بالعسكري، وكان الضريحان اللذان احترقا مما أَمر بعملها ارسلان البساسيري[(١)]، قائد العسكر للسلطان البويهي الملك الرحيم.

ومما لاشك فيه ان هذهِ الاعمال من لدن الخليفة المستنصر بالله لمراقد أئمة الشيعة الامامية لابد وانها قد لاقت قبولاً حسناً من قبل اتباع المذهب الإمامي الأثني عشري، هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى فإنها اعطت اشارات واضحة لمخالفي الإمامية ان الخليفة نفسه يحترم قدسية هذهِ الأماكن على الرغم من كون الخليفة نفسه يعتقد ويتعبد بمذهب أهل السنة وهم من مخالفي الامامية.

ولذلك فأننا نرى خصوصية هذهِ الفترة من الزمن والممتدة ابان خلافة المستنصر بالله يغيب عنها ما كانت تعاني منه بغداد من تجاذب مذهبي بين الشيعة الامامية الاثني عشرية ومخالفيهم، فضلاً عن ذلك فإن المصادر التاريخية التي بين ايدينا لم تذكر أي اخبار عن تضييق على الشيعة الإمامية في مظاهر احتفالاتهم فرحاً او حزناً، فكان هذا الهدوء من ثمار هذهِ السياسة، فضلاً عما اوردناه من عوامل ساهمت في هذا المحتوى.

وعلى الرغم من ذلك كله فإن الفاحص المتدبر يدرك وبسهولة ان المبالغ الخيرية التي كان يوزعها الخليفة على الفقراء والعلويين الشيعة لا تساوي شيئاً في

=(الذي خلع سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م، وتوفي بنفس العام) انظر: ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (من اعلام القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) اعلام الورى باعلام الهدى (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٤م) ص٣٥٢؛ عباس القمي، منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل (بيروت: دار الاندلس، ٢٠٠٥م) ج٢، ص٥٠٢.

(١) انظر: مجهول، كتاب الحوادث، ص١٨١-١٨٤؛ الملك الاشرف الغساني، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك، ص٥٠٦.

قبال ما كان يصرف وتحت انظار العامة في أمور هي اقرب للأعمال الاستعراضية او الاحتفالية مثل الدعوات التي كانت تقام لمناسبة ختم ابن الخليفة للقرآن[١]، او رمي طير وصيده بالبندق نيابة عن الخليفة في مراسم الفتوة وفي نثر الوف الدنانير[٢] عليها الى غير ذلك من مظاهر الترف التي امتازت به ايام خلافة المستنصر بالله المزدهرة.

ثم ان ايام الخليفة المستنصر بالله كانت ايام ازدهرت فيها حركة البناء والأعمار[٣]، فنال الناس "راحة بال وهدوء نسبي" نعمت بأيامه بغداد، وفي الحقيقة ما كان هذا ليحصل لولا ما ترك جده الخليفة الناصر لدين الله من خزائن مال وفيره وظفها حفيده المستنصر لمشاريعه الخيرية والتعليمية، ومما لاشك فيه ان اعمال البناء هذهِ كان لها دور مهم في استيعاب الفعلة (عمال البناء) والعاطلين عن العمل بما يشغلهم عن اعمال العيارة والشغب والانغماس بالفتن.

ومع ذلك فإن بعض حوادث التجاذب المذهبي كانت تقوم لا محالة كما حدث سنة ٦٢٩هـ/١٢٣٠م ولا يذكر صاحب كتاب الحوادث سبب حدوثها وكان مسرحها

---

(١) مثال ذلك ما حدث سنة ٦٣٢هـ/١٢٣٥م عندما عملت دعوة "بلغت الغرامة عليها عشرة الاف دينار، لمناسبة ختم الامير ابو احمد عبد الله (الخليفة المستعصم فيما بعد) القرآن الكريم، وانعم على مؤدبه بـ(٢٠٠٠) دينار. وجرى نفس الحال عندما ختم الامير الثاني ابو القاسم عبد العزيز ابن الخليفة اللمستنصر وذلك سنة ٦٣٤هـ/١٢٣٧م. انظر: مجهول، الحوادث، ص٩٩ و١١٩؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١٣، ص٤٧٦؛ الاشرف الغساني، العسجد المسبوك، ص٤٦٤.

(٢) مثال ذلك ما حدث سنة ٦٣٤ و ٦٣٨هـ/١٢٣٧ او ١٢٤١م من نثر الف دينار كل مرة يحصل بها على صيد طير بالبندق رماية وينتسب فيه للخليفة. انظر: مجهول، كتاب الحوادث، ص١٣٥ و ١٧٢؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١٣، ص٤٧٩.

(٣) من جملة الاعمال العمرانية التي حفلت بها ايام المستنصر: انشاء المدرسة الاشهر المستنصرية، والخانات، والقنطرات، وغيرها من المساجد والربط ودور الضيافة. انظر: ابن الطقطقا، الفخري، ص٣٣٠.



بين محلة باب الأُزج ومحلة المختارة[١]. او ما يتنابز به بعض الاعيان بشعر له مدلولات تجاذب مذهبي[٢].

الخليفة المستنصر بالله والخطر المغولي:

كان العهد الذي تولى فيه الخليفة المستنصر بالله دست الخلافة هي السنوات الحاسمة التي قررت مصير الخلافة العباسية لاحقاً ، فبعد أن فرَّ جلال الدين منكوبرتي هائماً على وجهه بعد هزيمته من المغول ومقتله سنة ٦٢٨ او ٦٢٩هـ/١٢٣١ او ١٢٣٢م[٣]. صارت دولة الخلافة العباسية وحاضرتها بغداد مفتوحة أمام المغول واندفاع أُمرائهم وجنودهم الذين كان يقف امامهم الخوارزميون كالسد او الحاجز الاخير للتماس مع دولة الخلافة[٤]. وسرعان ما ظهر ذلك جلياً في

---

[١] انظر: مجهول، كتاب الحوادث، ص٦٧.

[٢] مثال ذلك ما كتبه النقيب قطب الدين الحسين بن الاقساسي (نقيب الطالبيين) الى نقيب العباسيين مجد الدين ابي القاسم هبة الله بن المنصوري ابياتاً اولها:

ان اصحاب النبي كلهم
غير علي وآله النجب
مالوا الى الملك بعد زهدهم
واضطربوا بعده على الرتب
وكلهم كان زاهداً ورعاً
مشجعاً في الكلام والخطب

فأخذ عليه مآخذ ذم الصحابة واستفتي في امره الفقهاء وذلك سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٣م. انظر: مجهول، كتاب الحوادث، ص٦٦ و٦٧.

[٣] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص٣١١؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج٤، ص٥٤؛ الاشرف الغساني، العسجد المسبوك، ص٤٤٧.

[٤] تنبه الى ذلك الملك الاشرف صاحب دمشق. انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، ج٢٢، ص٣١٣. والشيء بالشيء يذكر فأن ابن الحديد المعتزلي يذكر ان خوارزم شاه محمد تكش غلط حين حارب ملوك ما وراء النهر من الخطا، لان ملوك الخطا كانوا وقاية له ومُجنّاً من هؤلاء فلما افناهم صار هو المتولي لحرب هؤلاء (المغول) او سلمهم.=

ان دولة الخلافة صارت مكشوفة في واقع الأمر أمام المد المغولي الجارف الذي كان يعتمد مبدأ ما يسمى اليوم بسياسة الأرض المحروقة، فكان أن تناولوا أطراف اربل (اربيل)، وداقوقا في ذي الحجة ٦٢٨هـ/تشرين الأول ١٢٣١م، وعلى عادتهم مارسوا النهب والقتل، "وعملوا الأعمال الشنيعة التي لم يسمع بمثلها من غيرهم"[١].

وربما يمكننا أخذ بعض المآخذ على الخليفة المستنصر بالله في تهاونه في احتواء منكوبرتي وعدم دعمه عسكرياً، ويؤيد ذلك ما ذُكِرَ ان جلال الدين منكوبرتي ارسل للخليفة وسلاطين الروم (السلاجقة) والشام رسولاً لكل واحد منهم يستحثهم على مساندته ومحذراً لهم من عواقب انهيار مقاومته للمغول[٢].

والظاهر ان الخليفة المستنصر لم يأمر بالتعبئة العامة للعسكر وان ما قام به هو التجهيز لعمليات تستهدف دفع الخطر المغولي عن اطراف العراق، وعدم ملاحقتهم في العمق الايراني، وقد يفسر ذلك الى حرصه على اطراف العراق وعدم الايغال بالمطاردة لما تنامى اليه عن اعداد وعدة العسكر المغولي، وكذلك حرصه على عدم ترك قاعدة الخلافة وحاضرتها بغداد من غير شحنها بأعداد كافية للدفاع عنها في حالة الألتفاف على ما يرسله من جند. ويؤيد ذلك ان الجند الذي ارسله الخليفة المستنصر سنة ٦٢٩هـ/١٢٣٢م لصد المغول عن اربل عاد لبغداد بعد ما لم يصادف المغول ولم يتحر جند الخلافة الأمر والمبادرة الى ملاحقتهم، واقام حتى صفر سنة٦٣٠هـ/١٢٣٣م خارج اطرافها وأذن لهم بالدخول[٣]، فيما يبدو تحسباً لملاحقتهم من المغول انفسهم.

=انظر: عز الدين بن هبة الله بن محمد بن ابي الحديد المدائني (ت٦٥٥هـ/١٢٥٧م) شرح نهج البلاغة ، ط٣ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م)، مـ٤، ج٨، ص١٢٨.

(١) انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٧٩٧.

(٢) انظر: رشيد الدين فضل الله الهمداني (ت٧١٨هـ/١٣١٨م) جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيز خان من اوكتاي قاآن الى تيمور قاآن) ترجمة: فؤاد عبد المعطي حجازي (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٣م)، ص٤٤.

(٣) انظر: مجهزل، كتاب الحوادث، صص: ٤٨-٥٢.

وبعد وفاة صاحب اربل (مظفر الدين ابي سعيد كوكبري) في رمضان ٦٣٠هـ/حزيران ١٢٣٣م اعاد الخليفة المستنصر الولاية الى سلطته المباشرة بعد أن سير اليها اقبال الشرابي[١]، الا ان المغول استمروا في الإغارة على اطراف العراق ولم يتوقفوا، ففي سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٦م اغاروا على اربل ثانية[٢]، وعادوا في شوال ٦٣٤هـ/حزيران ١٢٣٧م لمحاصرة قلعتها، فاستشعر الخليفة بخطورة الموقف، ولذلك فقد استفتي الفقهاء بامر الحج فافتي ان الجهاد اهم من الحج حتى تنفق الأموال المخصصة لتأمين الحجيج في امور محاربة المغول، فلم يحج احد من العراق بهذه السنة، وحتى في السنوات اللاحقة من خلافة المستنصر بالله، فيما اتخذت الاحتياطات اللازمة لحماية بغداد من خطر المغول بنصب المنجنيقات على اسوارها، إلا ان الملفت في النظر ان المغول الذين عاثوا باربل وحاصروا قلعتها كانوا قد انسحبوا منها بعد ورود اخبار النجدة من بغداد[٣]، كما وان جند الخليفة عادوا لبغداد بعد ذلك دون محاولة تعقبهم ايضاً[٤] من اجل ايقاع الهزيمة بهم، واجمالاً في كل ذلك احد امرين او كلاهما، اما ايهام المغول لجند الخليفة بأن عسكر المغول لا طاقة لهم بمناجزة جند الخليفة، وبذلك يكون المغول قد خدعوا جند الخلافة حتى يستهينوا بالمغول او ان المغول ارادوا جر جند الخليفة بتعقبهم، فيظهرون عليهم بالكمين.

وقد تكرر مثل هذا الأمر في صفر ٦٣٥هـ/ايلول ١٢٣٧م ، وعدلوا عن قصد اربل الى "دقوق"[٥]، "وانبثوا في اعمال بغداد"، حتى ان دار الخلافة اعلنت ما يشبه

---

[١] انظر الى تفاصيل ذلك في: مجهول، كتاب الحوادث، صص: ٧٠-٧٦.

[٢] انظر: الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١٣، ص٤٧٧.

[٣] يذكر ابن العبري ان المحاصرين بقلعة اربل "دفعوا مالاً جزيلاً قبضوه" فانقلبوا عائدين. انظر: ابن العبري، تاريخ الزمان، ص٢٨٣.

[٤] انظر: مجهزل، كتاب الحوادث، ص١٢٧؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١٣، ص٤٧٩.

[٥] دقوق او دقوقاء، بلدة بين اربل وبغداد معروفة انظر: عبد الحق البغدادي، مراصد الاطلاع، ج٢، ص٥٣٠.

النفير ببغداد بعد ان حُرضَ الخطباء والناس للخروج للجهاد، وورد الى بغداد اهل المناطق التي اجتاحها المغول من اهل سواد داقوق وغيرها، "فتضاعفت اجرة، المساكن" بسبب هؤلاء النازحين. وتم اخذ الاحتياطات اللازمة بعمارة (ترميم) سور بغداد[١]، ويبدو ان حملتهم هذهِ كانت تتبع تكتيكات ذلك الزمان في الفر والاتباع ومن ثم معاودة الهجوم على ممتلكات الخليفة، وهذا ما حصل فعلاً، فبعد أن فر المغول امام جند الخليفة الذي قتل منهم وأسر، وغنم عاودوا الهجوم بعد ذلك بعد شهور قليلة، ففي رجب من نفس العام عاد المغول الى اطراف العراق فسار اليهم جند الخليفة بعد ان كتب الى ملوك الشام الأيوبيين فأنجدوه بعدد من الفرسان يربوا عن الف وستمائة فارس ودارت المعركة عند جبل خانقين وانجلت الأمور عن تبدد جند الخليفة، ومقتل امراءه وذلك في ٣ ذي القعدة ٦٣٥هـ/١٠ حزيران ١٢٣٨م[٢].

وهكذا كان الحال حتى وفاة الخليفة المستنصر بالله في العاشر من جمادي الآخرة سنة ٦٤٠هـ/٢٩ ايلول ١٢٤٢م وبذلك يتضح لنا ان الخليفة المستنصر بالله، وعلى الرغم مما ذكر عنه من حسن تدبير وتجهيز الجند، لكن الخليفة المستنصر نفسه لم يحاول أن يتبع سياسة احتواء الخوارزميين بشخص جلال الدين منكوبرتي الذي كانت له تجارب وخبرة مهمة في محاربة المغول، فضلاً عن ذلك فإن الخلافة لم تُحشّد أُمراء الشام الأيوبيين خاصةً بعد أن عقد سلطانهم الكامل محمد الصلح المشهور مع فردريك الثاني الامبراطور الالماني، والذي بموجبه تسليم مدينة القدس للفرنجة بحيث دخلها فردريك الثاني في ٦٢٧هـ/١٢٣٠م[٣]، فلم تكن نجدة الأيوبيين

---

[١] انظر: مجهول، كتاب الحوادث، ص١٣٨ و ١٣٩.

[٢] انظر: ابن العمري، تاريخ الزمان، ص٢٨٥؛ مجهول، كتاب الحوادث، صص: ١٣٦-١٤٢؛ وانظر: جعفر حسين خصباك، العراق في عهد المغول الايلخانيين، ص١٠.

[٣] انظر: لبنود الاتفاق بين السلطان الملك الكامل الايوبي وفردريك الثاني في: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٧٨١؛ المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ص٣٥٣ و ٣٥٤؛ وانظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر والشام في عصر الايوبيين (بيروت: دار النهضة العربية، د.ت) ص١٠١.

في مصر والشام بالمستوى المنتظر منهم تجاه خليفة المسلمين وقتئذ، وكما هو معروف فإن الأيوبيين كان يشغلهم عن خلافة بغداد نزاعاتهم الداخلية التي تقوم عادة بين السلاطين الأيوبيين في مصر وملوكهم من ابناء البيت الأيوبي في نيابة السلطنة الأيوبية في الشام، فضلاً عن تطلع خوارزمشاه منكوبرتي الى املاكهم في الجزيرة القرانية تحت حكم ملكهم العادل الأيوبي.

أمر أخير من خلال استقراء ما جرى من مناجزة وعمليات تجاه المغول من دولة الخلافة نرى الغياب الواضح لمتولي الادارة المدنية بدولة الخلافة وهو آنذاك مؤيد الدين القمي، ومن ثم نصير الدين بن الناقد المعروفين بتشيعهما، اقول الغياب التام والواضح عن أي دور سلبي تجاه حركة العسكر في دولة الخلافة، اولاً لأن الأمر كان يتعلق بامور عسكرية صرفة، وهما من رجال الديوان والوزارة يتوليان شؤون المكنة الادارية لدولة الخلافة، وثانياً لان الأمر يتعلق بإدارة دفة السياسة الخارجية الخلافة التي كان الخليفة المستنصر بالله هو المضطلع بها دون غيره.

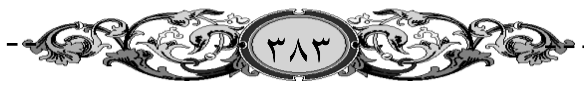
الفتوة في عهد الخليفة المستنصر بالله[١]:

بوفاة الخليفة الناصر لدين الله خفَّ التحمس لامر الفتوة في دولة الخلافة العباسية الذي كان جزءاً متداخلاً من سياسة الخليفة الناصر لدين الله وخصوصياته، إلا ان أمرها لم ينقطع عن قرارات اهل الديوان عنها، لكن صارت لها نوبات شبه احتفالية غالباً ما تدور حول اصطياد طائر يعلق في باب النوبي او احد ابواب دار الخلافة مع ما يصاحب ذلك عادة من نثر الدنانير عليه، لأنه اصطيد ببندق ذكر اسم الخليفة عليه[٢]. او من خلال الاحتفال بلبس سراويل الفتوة لأحد الأمراء في

---

[١] اشار جلال الدين بن المختار العلوي على الخليفة المستنصر بالله ان يلبس سراويل الفتوة من "امير المؤمنين علي (ع) وافتى بجواز ذلك، فتوجه الخليفة الى المشهد ولبس السراويل عند الضريح الشريف". انظر: مجهول، كتاب الحوادث، ص٣٠٠.

[٢] انظر: مجهزل، كتاب الحوادث، ص١٢٥ ، ١٣٥، ١٧٢؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١٣، ص٤٧٩.



بغداد، ولبعض الأمراء اثناء حضورهم الى بغداد[1]، بل وحتى لاحد الفقهاء المالكية الذين احضروا للتدريس بالمدرسة المستنصرية[2].

فضلاً عن ذلك فإن نظام الفتوة ابان عهد الخليفة المستنصر بالله فقد شيئاً من بريقه نتيجة الترف والرفاهية التي عاشها عموم الرعية في بغداد وقتئذ، والأهم اننا لا نجد ذكر لفتيان برزوا لجهاد المغول الكفار، خاصة بعد أن نودي في خطب الجمعة ببغداد بالتحريض على مسألة الجهاد ومتابعته.

كما اننا لانجد ذكر لشغب او فتنة للعيارين تحصل في بغداد طوال ايام الخليفة المستنصر بالله، اللهم إلا ما حدث سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م من "كثر شغب العوام ببغداد، وقتل جماعة من الناس" ودون ذكر سبب ذلك الشغب او من الذي قام به"[3].

وفاة الخليفة المستنصر بالله، وتقييم عهده:

توفي الخليفة المستنصر بالله يوم الجمعة العاشر من جمادي الآخرة سنة ٦٤٠هـ/٢٩ ايلول ١٢٤٢م، عن اثنان وخمسين عاماً واشهر، وكانت ايامه ستة عشر سنة وشهور.

وكما اتضح لنا من مجمل حوادث ايامه، فإن الخليفة المستنصر بالله كان قد تأثر بجده الذي كان يحبه ومولعاً به دون تكلف، فقد عاش في كنفه لنحو من اربع وثلاثون عاماً، وهي سنوات كفيلة بأن يأخذ هذا الفتى العباسي بعضاً من سجاياه

---

(1) في الخامس من صفر سنة ٦٣٤هـ/٢ تشرين الاول ١٢٣٦م حضر نور الدين ارسلان شاه ابن عماد الدين زنكي صاحب شهرزور الى بغداد، "وشرفه اقبال الشرابي بلباس الفتوة نيابة ووكالة عن الخليفة وخلع عليه"؛ وارسل الملك الاشرف ابو الفتح موسى ابن الملك العادل بن ابي بكر محمد بن ايوب بن شادي صاحب دمشق، راسل الخليفة يسأل تشريفه بالفتوة، فنفذ اليه الخليفة المستنصر من فَتّاه بالوكالة. انظر: مجهول، كتاب الحوادث، ص١١٨، ١٣٥.

(2) المصدر نفسه، ص١٢٠.

(3) انظر: المصدر نفسه، ص١٣١.

ومآثره التي تجسدت بسياسته الداخلية تجاه الرعية في حاضرة الخلافة العباسية وفي ايجاد نوع من السياسة والمداراة، فعلى الرغم من اقراره لما كان يمضيه قاضي القضاة في تصريف بعض الأمور وفق المذهب الشافعي[1] الذي ينتمي اليه، كان كثيراً ما يمضي الى "العلث"[2] وهي قرية من قرى دجيل، بينها وبين بغداد مسيرة يومين، لكي يزور احد كبار الحنابلة المسمى ابو اسحاق العلثي الحنبلي، ويتصدق بالأموال في الحربية[3] ويقوم بأعمال خيرية عند قبر احمد بن حنبل[4]، وبذلك يمكننا أن نعد هذهِ الأعمال ومثيلاتها التي درج عليها الخليفة المستنصر ايام سنوات خلافته بأنها محاولة منه بايجاد نوع من التوازن وتنويع الأهتمام بين عناصر المجتمع المذهبية، خاصة في بغداد، وربما تكون هذهِ السياسة قد اثمرت بانحسار التجاذبات المذهبية تجاه الشيعة الإمامية الأثني عشرية ايام خلافته، او حتى تأييد من يخالفه مع الحنابلة المؤيدين له سياسياً، وربما كان ذلك، فضلاً عما تقدمنا به من حسن سياسته تجاه الرعية في بغداد ان ايامه كانت ايام رخاء مالي واقتصادي استثمر خلالها الأموال التي كانت متراكمة في خزائن جده الناصر لدين الله لخدمة مجتمع الخلافة في انشاء بنايات ومساجد ورباطات وخانات امتصت ما يمكن أن نطلق عليه "العاطلين عن العمل"، فشغل هؤلاء عن اعمال العيارة وغيرها التي كانت تستهويهم وقت وقوع التجاذبات وفي الحقيقة ان الخليفة كان سخياً تجاه رعاياه بافتتاح دور الضيافة ببغداد، والتصدق الى الفقراء. وعلى الرغم من حالات البذخ التي توردها المصادر التاريخية عن حفلات ختان باذخة لأولاده وخواصه وغيرها، وهو ما كان قد درج عليه سائر الخلفاء العباسيين من قبل.

---

[1] انظر: مجهزل، كتاب الحوادث، ص٢٤، ص١٠٠.

[2] العلث: قرية على دجلة بين الدجيل وسامراء. انظر: ياقوت، معجم البلدان، مـ٣، ج٦، ص٣٤٤.

[3] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص٣٧٦ و ٣٧٧.

[4] انظر: مجهول، كتاب الحوادث، ص١٢١.

من اجل هذا لم يبق من امر الفتوة ايام الخليفة لمستنصر بالله الا مراسم احتفالية ظهرت لنا لا تغني عن الأسس التي كان يسعى اليها جده في ايجاده قوة شعبية رديفة لجند الخلافة تتمتع باخلاق الفتيان من تضحية وإيثار واخلاق حميدة وبنفس الوقت مدربة على الرمي بالبندق وباقي الأمور العسكرية، اما سياسة المستنصر العسكرية تجاه الخطر لذي كان محدقاً بالخلافة العباسية وقتئذ، وهم المغول الذين كونوا دولة خاصة بهم ومنذ أن أسس جنكيز خان امبراطورية المغول، نقول ان سياسة المستنصر بالله كانت دفاعية محضة لم ترتقِ الى مستوى المبادرة العسكرية لدولة عريقة مثل الدولة العباسية، مع ان الخليفة المستنصر لم يفكر هو او أُمراء العسكر في ايجاد تعاون او تحالف او تنسيق مع آخر الخوارزميين جلال الدين منكوبرتي او ان يدعمه بقوة تساعده في مكافحة المغول، و ربما يعود السبب، لتخوفه من الخوارزميين بسبب مطامع منكوبرتي المكشوفة في العراق. والشيء نفسه يمكن أن يقال عن ملوك الشام ومصر من البيت الأيوبي الذين كان همهم التنافس فيما بينهم فضلاً عن مناجزة الفرنجة الصليبيين.

تولى كثير من الشيعة المناصب الأدارية العليا في الدولة في ايام المستنصر بالله، وكان ارفع تلك المناصب هو نيابة الوزارة، ولا تذكر لنا المصادر التاريخية اي دور لهؤلاء غير ما هو مرسوم لهم من أمور أدارة لشؤون الإدارية المدنية في دولة الخلافة العباسية.

جاءت وفاة الخليفة لمستنصر بالله مفاجئة بشكل ما، وتولى دست الخلافة ولده الأكبر ابو احمد عبد الله، المستعصم بالله وكما تعودنا أن تكون سياسة الدولة المذهبية خاضعة للتوجه المذهبي للخليفة نفسه، فضلاً عن ذلك فإن مجمل الاوضاع في دولة الخلافة كانت تخضع للخليفة العباسي نفسه وتوجهاته، خاصةً ما يتعلق بحرب المغول التي استعرت مع الباطنية في ايران وهذا ما سيتضح لدينا من خلال دراسة الوقائع الجسيمة التي حدثت ايام الخليفة المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين السبعة والثلاثين في بغداد.

الخليفة المستعصم بالله ووقائع الخلافة العباسية (٦٤٠-٦٥٦هـ/١٢٤٢-١٢٥٦م)

تداعيات تولي الخليفة المستعصم بالله[١]

على اثر وفاة الخليفة المستنصر بالله في صبيحة يوم الجمعة ١٠ ربيع الاخرة سنة ٦٤٠هـ/٢٩ ايلول ١٢٤٢م استدعى كبار الديوان الولد الأكبر للخليفة ابي احمد عبد الله، فيما كتم امر وفاة الخليفة حتى تم اختيار لقب للخليفة الجديد "فوقع تعيين الوزير بأذن الخليفة على (المستعصم بالله)" وبويع له بيعة خاصة من افراد البيت العباسي القريبين بالعمل بدار الخلافة، وكبار رجالات الديوان ليكون الخليفة العباسي السابع والثلاثين وآخرهم من الخط العباسي ببغداد، ثم بويع البيعة العامة بعد يومين من ذلك وثلاثة ايام من وفاة والده الخليفة المستنصر بالله[٢].

وقيل ان الخليفة الجديد قُدِمَ على عمه المسمى بالخفاجي لما يعلمون من لينه وانقياده، وضعف رأيه من اجل أن يستبد كبار الديوان بالأمور فالمصادر التاريخية لا تذكر ان الخليفة المستنصر بالله كان قد اخذ البيعة لأحد اولاده او غيرهم بولاية

---

(١) هو الخليفة المستعصم بالله ابو احمد عبد الله بن ابي جعفر منصور المستنصر بالله بن الناصر لدين الله تولى الخلافة خلفاً لابيه المستنصر بالله. وكان قد ولد يوم السبت ٢٣ شوال ٦٠٩هـ/١١ آذار ١٢١٣م، امه ام ولد اسمها هاجر توفيت ايام خلافته، بويع بالخلافة بعد يوم من وفاة ابيه المستنصر، وقد شهدت ايامه اضطراب امر الخلافة ثم زوالها على اثر الغزو المغولي حيث انتهت حياته بالقتل هو واهل بيته الا بنت تزوجها صاحب الديوان الجديد شمس الدين الجويني وكذلك صفَّي غالب الامراء العباسيين ورجالات الديوان والدولة وذلك في صفر ٦٥٦هـ/شباط ١٢٥٨م. للمزيد عن سيرته. انظر: ابن الكازروني، مختصر التاريخ، صص: ٢٢٦-٢٨٠؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٥، صص: ٢٨٤-٢٨٩؛ الاشرف الغساني، العسجد المسبوك، صص: ٦٣٢ و ٦٣٣؛ وانظر ايضاً:
K.V. Zettersteen, “Al-Musta”sm BIL LLAH”, EI.2. Vol.VII, 753.

(٢) انظر الى مجمل هذهِ التداعيات في: مجهول، كتاب الحوادث، صص: ١٨٨-١٩١؛ ابن الكازروني، مختصر التاريخ، صص: ٢٦٦، ٢٦٧.

العهد، وان الذين قدموا الامير ابا احمد عبد الله المعتصم ليكون الخليفة هم: كل من الدويدار الصغير واقبال الشرابي[1]، وتابعيهم من المتنفذين بديوان الخلافة.

كما يلاحظ على نحو ما هو معهود عند تولي خليفة جديد دست الخلافة، فإن الخليفة يظهر ان عهده جديد وفيه سعة على الرعية والمجتمع، ولذلك فإن الخليفة المستعصم بالله بادر الى الافراج عن المسجونين (عفو عام) [2]، كما انه عمل على الاهتمام بامور الحج وتأمين الطريق لأداء فريضة الحج الذي كان قد قطع ومنذ موسم حج سنة ٦٣٤هـ/١٢٣٧م حيث استفتي الفقهاء آنذاك بالأولوية، فكان الجهاد اولى، ودولة الخلافة مهددة بالمغول، مع ان الاستعداد جرى جيداً مع بداية خلافة المستعصم لموسم حج عام ٦٤٠هـ/١٢٤٣م[3]، وموسم ٦٤١هـ/١٢٤٤م حيث ودع الخليفة امه المسماة "هاجر" في موكب عظيم عن طريق النجف وعاد بعدها الى قاعدة خلافته بغداد بعد أن "زار مشهد امير المؤمنين"[4].

---

[1] انظر: قطب الدين اليونيني، ذيل مرآة الزمان، مـ١، ص٢٥٥؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٥، ص٢٨٥؛ جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٥٤٩. مع ملاحظة ان اقبال الشرابي (تقدمت ترجمته) هو الذي كان ينتدب عادةً للخروج لمواجهة المغول في غاراتهم على اربل واطراف العراق سنة ٦٣٤هـ/١٢٣٧م وسنة ٦٣٥هـ/١٢٣٨م. انظر: مجهول، كتاب الحوادث، ص١٢٨، ١٤١. والدويدار الصغير: هو الذي قتله هولاكو صبراً سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م والذي كان قائداً لعسكر الخليفة المستعصم بالله في غزو المغول. انظر عن ترجمته الدويدار الصغير في: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٥، ص٣٨٥.

[2] انظر: مجهول، كتاب الحوادث، ص١٩٣.

[3] انظر: المصدر نفسه، ص٢٠٢.

[4] انظر: مجهول، كتاب الحوادث، ص٢١٥. ويذكر الذهبي ان الموكب الضخم الذي سار صحبة ام الخليفة كان زيادة على ١٢٠ الف جمل محملين بالاموال وستة الاف خلعة. انظر: الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١٣، ص٧٠٨. ويمكننا ملاحظة المبالغة في ما نقله الذهبي. كما يلاحظ ان الحج من العراق انقطع بعد ذلك، وكأن الامر كان بتحريض من الخليفة لتلبية رغبة امه في اداء الفريضة، وكان الخطر المغولي على رأس الاسباب التي ادت الى القطع ثانيةً. انظر: مجهول، كتاب الحوادث، ص٢٣٣.

وفي خطوة ربما اريد منها اظهار نوع من الود تجاه عموم الرعية في بغداد فإن الخليفة المستعصم بالله بعيد توليه دست الخلافة وبنحو من شهر قد ركب من خلال نهر دجلة، واصعد الى مشرعة الكرخ حيث مستقر الشيعة الإمامية عادةً، ومن ثم تكرر ركوبه على الخيل "فلم يدع ولياً ولا صالحاً الا زاره"[١] "وقصد المشهد الشريف الكاظمي ومقبرة احمد"[٢].

وتكررت زياراته في رجب ٦٤١هـ/كانون الاول ١٢٤٣م، وفي رمضان من سنة ٦٤١هـ/شباط ١٢٤٤م[٣] اعيد فتح دار الضيافة بالمشهد الكاظمي لأجل المقيمين به[٤] وهكذا تكررت زيارة الخليفة المستعصم بالله في عدد من السنين لبعض أئمة المسلمين من الشيعة الإمامية الاثني عشرية[٥]، وينظر الى تلك الزيارات حقيقةً بان لها طابع سياسي واجتماعي اكثر منه كتقليد مذهبي على غرار ما تقوم به الشيعة الإمامية الأثني عشرية.

فيما شهدت الأيام الأولى لخلافة المستعصم بالله اول تمرد لفصائل من جند الخلافة وهم المماليك الظاهرية المنسوبة الى الخليفة الظاهر بالله، والمماليك المستنصرية المنسوبة الى الخليفة المستنصر بالله مطالبين الزيادة في ارزاقهم الشهرية، ويقول صاحب مصنف الحوادث المجهول بأنهم خرجوا الى ظاهر السور، بما يمكن ان نطلق عليه بلهجة زماننا انهم اعلنوا الاضراب، من اجل المطالبة في الزيادة، وعلى الرغم من تراجعهم وعودتهم الى الخدمة بعد القبض على عدد منهم

---

(١) انظر: مجهول، كتاب الحوادث، ص١٩٩.

(٢) انظر: الملك الاشرف الغساني، ص٥١٢.

(٣) انظر: مجهول، كتاب الحوادث، ص٢١٣.

(٤) انظر: الملك الاشرف الغساني، العسجد المسبوك، ص٥١٨.

(٥) انظر: مجهول، كتاب الحوادث، ص٢١٣، ٢١٥، ٢٥٨؛ الملك الاشرف الغساني، العسجد المسبوك، ص٥٦٣، ٥٩١. وفي العام ٦٥١هـ/١٢٥٣م عزم على زيارة المشهد في النجف لكنه عاد من الحلة ولم يكمل سفره بسبب مرض الامير اقبال الشرابي الذي كان مرافقاً له، انظر: العسجد المسبوك، ص٦١١.

وحبسهم[١]، فإن هذا العمل يدل على مدى الفجوة المادية التي كانت حاصلة بين ابناء المجتمع البغدادي وكذلك مماليك الخلفاء الذين يشكلون جزءاً مهماً من جند الخلافة وبين متولي الديوان، فالأموال كانت تنثر عند ذكر اسم الخليفة[٢] وان الخلع تستفاض على كبار رجالات الدولة وأعيانها، حتى بلغت ثلاة الاف واربعمائة ونيفاً وعشرين خلعة[٣] ويتعامل مع المماليك الجند بنفس الوقت بقسوة ظاهرة من اجل زيادات، ربما تكون بسيطة.

وكما هو معلوم فإن الخليفة المستعصم بالله كان آخر الخلفاء العباسيين الذي في عهده كانت امبراطورية المغول الايلخانيين يزداد زخم فتوحاتها خاصةً في التوجه نحو الشرق الاسلامي بعد انهيار الدولة الخوارزمية ومقتل جلال الدين منكورتي سنة ٦٢٩هـ/١٢٣١م، وفي هذا السياق يبقى السؤال قائماً فيما اذا كان الخليفة المستعصم بالله الخليفة العباسي المناسب لمواجهة هذا التحدي القادم من الشرق الذي يواجه دولة الخلافة الاسلامية بالاجتياح والازالة ؟ وهو سؤال أساسي بقدر تعلق الامر بهذا الخليفة، وسيتضح لنا جوابه بالنفي من خلال فقرات هذا البحث.

الوزارة في عهد الخليفة المستعصم بالله:

اما حال الوزارة في هذا العهد المضطرب بالحروب الخارجية، فقد استبقى الخليفة المستعصم بالله وزير ابيه ابن الناقد[٤] في دست الوزارة واشهد على ان مرتبته في الديوان "وكالة جامعة"[٥] على الرغم من مرضه وكبر سنه حتى قيل انه حضر البيعة للخليفة وهو محمول على محفة[٦]، لكن الوزير سرعان ما توفي بعد

---

[١] انظر: مجهول، كتاب الحوادث، ص١٩٧.

[٢] انظر: نفسه، ص١٩٣.

[٣] الملك الاشرف الغساني، العسجد المسبوك، ص٥١٢.

[٤] تقدمت ترجمته.

[٥] انظر: الملك لاشرف الغساني، العسجد المسبوك، ص٥١٠.

[٦] انظر: ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص٢٦٧.

نحو من سنتين من تولي الخليفة المستعصم بالله دست الخلافة (٦ ربيع الأول سنة ٦٤٢هـ/آب ١٢٤٤م)[١]

خاطب الخليفة على اثر ذلك الشيخ شمس الدين ابا المظفر علي بن النيار[٢] في الوزارة، إلا انه استعفى منها، وحينها استدعي مؤيد الدين ابا طالب محمد ابن العلقمي[٣] استاذ الدار الى دار الوزارة واستوزر في الثامن من ربيع الاول سنة ٦٤٢هـ/السابع من آب ١٢٤٤م.

---

(١) انظر: مجهول، كتاب الحوادث، ص٢٢٣.

(٢) هو صدر الدين علي بن محمد بن الحسين شيخ الشيوخ ابو الحسن ابن النيار المقرىء البغدادي، كان مختصاً بخدمة الخليفة منذ كان صغيراً، فحفظه القرآن، وحذقه الخط، وعندما تولى المستعصم دست الخلافة وبعد وفاة ابن الناقد، خاطب الخليفة ابن النيار في الوزارة، الا ان ابن النيار امتنع عن تولي الوزارة متذرعاً بانه عاهد الله ان لا يغير لبس المتصوفين، ولا ينزع منه ما تعوده، ففوضت اليه مشيخة الشيوخ الصوفية بغداد وسلم اليه رباط والدة الخليفة الناصر، قتل صبراً في واقعة غزو المغول لبغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م. للمزيد عن سيرته انظر: مجهول، كتاب الحوادث، ص٢٢٨ و ٣٥٨؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٧، ص٣٠٣؛ الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٩، ص١٠٩.

(٣) محمد بن احمد بن محمد بن علي بن ابي طالب، الوزير مؤيد الدين ابو طالب بن العلقمي البغدادي، كان استاذ داراً للخليفة المستنصر بالله وبعد وفاة الوزير ابن الناقد استوزر للخليفة المستعصم بالله. كان "اديباً فاضلاً" الا ان الغزو المغولي لبغداد وانهاء الخلافة العباسية ومقتل الخليفة وجلّ افراد الاسرة العباسية والصدور واعيان الدولة وقوادها العسكريون وبالمقابل ابقاء المغول عليه والتعويل عليه في ادارة شؤون بغداد مع الشحنة علي بهادر فضلاً عن مذهبه الذي يتعبد به وهو مذهب الشيعة الامامية الاثني عشرية اثارت لغطاً كبيراً وجدلاً لا ينقطع عند المؤرخين من مخالفيه في المذهب وخاصة من المؤرخين المتأخرين منهم حول مخامرته للمغول او خيانته للخلافة العباسية. توفي بعد نحو من ستة اشهر من الغزو المغولي لبغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م. للمزيد انظر ترجمته في: مجهول، كتاب الحوادث، ص٣٦٢؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص٣٣٧؛ الذهبي، العبر، ج٥، ص٢٣٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٩، ص١٥٣؛ وانظر ايضاً: محمد الشيخ حسين الساعدي، مؤيد الدين ابن العلقمي واسرار سقوط الدولة العباسية (النجف: مطبعة النعمان، ١٩٧٢م)؛ كذلك:=

ويلاحظ ان الوزير الجديد "لم يخلع عليه" بخلع الوزارة ولم يحضر مراسم استيزاره الدويدار الكبير والصغير صحبة من حضر من "ارباب الدولة والزعماء" الذين حضروا الى دار الوزارة عند استدعاء ابن العلقمي اليها، جرياً على عاداتهما مع من كان قبله[١] واجمالاً لا يبدو تأثير ابن العلقمي كبيراً في ما كان يقرره الخليفة المستعصم خاصة في التعامل مع الخطر المغولي، لأن الخليفة كان يوصف بتأثره بمستشاريه والمحيطين به من قواد العسكر[٢]، فضلاً عن بعض المقربين من اهل المراتب الذين يصفهم بن الطقطقا "بالجهال من اراذل العوام[٣]، إلا وزيره ابن العلقمي الذي كان مكفوف اليد مردود القول يترقب العزل والقبض عليه صباح مساء"[٤].

وفي الوقت الذي تثني المصادر التاريخية على سجايا ابن العلقمي الحميدة[٥] واعماله الديوانية في النظر والوزارة فإن "خواص الخليفة جميعهم كانوا يكرهونه ويحسدونه" على الرغم من أن الخليفة المستعصم كان "يعتقد فيه ويحبه غير ان الأحوال سرعان ما تغيرت في الديوان بحيث اثرت في الخليفة الذي "كثروا عليه عنده" من قبل خواص الخليفة، ولذلك وصف ابن الطقطقا حال الوزير بـ"كف يده عن اكثر الامور"[٦].

=J.A. Boyle, “IBN AL-ALKAMI”, EI.2, Vol.III, 702.

(١) انظر: مجهول، كتاب الحوادث، ص٢٢٤.

(٢) انظر:

K.V. Zettersteen, “ALMustans"sim BI LLAH”, EI.2, Vol.VII, 753.

(٣) مثال ذلك تقريبه لعبد الغني بن الدرنوس، وكان حمالاً اول امره ثم صار براجا في بعض ابراج دار الخلافة، ثم خدم الامير ابو احمد عبد الله، الخليفة المستعصم فيما بعد، وبعد تولي المستعصم بالله دست الخلافة، رتبه كمتقدم براجين، ثم صار حاجب باطن دار الخليفة حتى اذا دخل على الخليفة والوزير حاضر يخلي الوزير له المجلس، وصار من اخص الناس بالخليفة. انظر: ابن الطقطقا، الفخري، ص٣٧.

(٤) المصدر نفسه، ص٣٣٣.

(٥) المصدر نفسه، ص٣٣٧؛ مجهول، كتاب الحوادث، ص٣٦٥.

(٦) انظر: الفخري في الاداب السلطانية، ص٣٣٨.

مراكز القوى في خلافة المستعصم بالله:

مما تقدم يمكن القول ان الخليفة المستعصم بالله كانت تتجاذبه ثلاث قوى، من دار الخلافة والديوان، في قراراته الشخصية المترددة وغير الحاسمة تتمثل اولاً، بالحاشية التي تحيط به من امثال ابن الدرنوس، ومؤدبه ايام الصبا، شيخ الشيوخ ابن النيار[١]، وكذلك ام الخليفة نفسها[٢] وابنه الملقب بأبي بكر وهو ما سيتضح لنا آنفاً. وثانياً الإدارة المدنية للديوان المتمثلة بالوزير وبعض اصحاب الديوان، وثالثاً من قبل مجموعة من اقوى تلك القوى التي تتجاذب اطراف القرارات والمتمثلة بأمراء عسكر الخلافة المتجسدة بالدرجة الأولى بإقبال الشرابي[٣]، ومن ثم بمجاهد الدين ايبك الدويدار الصغير[٤]، فكانت هذه القوى الثلاث تتجاذب الخليفة في اتخاذ القرارات التي كانت مصيرية بالنسبة للخلافة العباسية ببغداد، ومع ذلك فإننا نرى ان المستعصم بالله لم يكن مؤثراً وصانعاً في للاحداث، في الممتلكات التي خاضعة لسلطة الخلافة العباسية، بل ان الأحداث وما يستجد منها هي التي كانت تجعله منساقاً اليها. فضلاً عن ذلك نرى الخليفة نفسه لم يفوض الأمر الى جهة دون

---

(١) تقدمت ترجمته

(٢) والدليل على ذلك ما بيناه من انقطاع الحج من العراق ثانيةً بعد ان فتح لفترة سنتين حجت فيه ام الخليفة.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) مجاهد الدين ايبك الدويدار الصغير، وهو احد المماليك المستنصرية الذين ترقى بهم الامر حتى صاروا من كبار امراء الجند في عهد المستعصم بالله، خاصة بعد وفاة الامير اقبال الشرابي سنة ٦٥٣هـ/١٢٥٥م، والدويدار الصغير هو الذي تقدم اليه الخليفة المستعصم بالخروج لمواجهة قوات المغول بقيادة الامير المغولي بايجو في الجانب الغربي من دجلة فكان ان ظفر بهم اول الامر ثم آلت النتيجة ان عاد لبغداد منهزماً على اثر اغراق الارض التي تقع خلف عسكر الخليفة، وقد قتل صبراً في واقعة بغداد مع بقية الامراء واعيان بغداد. انظر: كتاب الحوادث، ص٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٨؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٥، ص٤٢٥.

اخرى، فلم يفوض الأمر للوزير وحده، ويجعله وزير تفويض، كما ان الخليفة لم يخضع لامر قواد عسكره[١] كما انه لم يكن حاسماً تجاههم، وهذا الرأي يعززه ما اشيع سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م عن الدويدار الصغير بأنه "يدبر في خلع المستعصم بالله والمبايعة لولده الكبير"[٢]، والملاحظ ان هذا الأمر جرى الحديث عنه بعد وفاة اقبال الشرابي امير العسكر البغدادي سنة ٦٥٣هـ/١٢٥٥م. كما ان الخليفة لما أمر احد أمراء العسكر في بغداد، وهو مرشد الخصي[٣] المنسوب الى اقبال الشرابي بالتقدم اليه من اجل الخروج مع باقي العساكر للقاء قائد المغول هولاكو بخانقين سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م الا ان الامراء امتنعوا من المسير تحت امرته. ولم يتخذ الخليفة المستعصم ازاء ذلك العصيان اي اجراء تجاهه وهو يوضح لنا مدى تأثير أمراء العسكر، والدويدار الصغير في إجراءات وقرارات الخليفة المستعصم شخصياً[٤].

الخليفة المستعصم بالله والتجاذبات المذهبية تجاه الشيعة الامامية ببغداد:

إن اولى وقائع التجاذبات المذهبية تجاه الشيعة الإمامية في بغداد ابان خلافة المستعصم بالله كانت قد وقعت في محرم سنة ٦٤١هـ/حزيران ١٢٤٣م بعد نحو سبعة اشهر من تولي المستعصم دست الخلافة، ففي محرم من عام ٦٤١هـ تقدم الخليفة المستعصم بالله الى المحتسب جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي[٥] بمنع

---

[١] من ذلك قول الدويدار الصغير: لو مكنني امير المؤمنين المستعصم لهزمت التتار ولشغلت هولاكو بنفسه. انظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١٥، ص٤٢٥.

[٢] انظر: مجهول، كتاب الحوادث، ص٣٣٦؛ الملك الاشرف الغساني، العسجد المسبوك، ص٦١٦.

[٣] وهو عز الدين مرشد الهندي المستعصمي، كان ملازماً لشرف الدين اقبال الشرابي. انظر: مجهول، كتاب الحوادث، ص١٩٩.

[٤] المصدر نفسه، ص٣٥٠.

[٥] وهو جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي، ولد سنة ٦٠٦هـ/١٢٠٩م درس بالمستنصرية، وكان يعظ مكان ابيه وجده في باب بدر، ولي الحسبة ببغداد، وكان ابوه استاذ دار المستعصم بالله، قتل في وقعة المغول سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م. للمزيد عن سيرته انظر:

الناس من قراءة المقتل في عاشوراء والإنشاد في سائر المحال بجانبي بغداد سوى مشهد موسى بن جعفر (ع) [1]، وينظر الى هذا الأمر بأنه محاولة من الخليفة لتقنين احتفالات الشيعة الإمامية بهذهِ المناسبة في بغداد، وليس المنع المطلق، ولا تزودنا المصادر التاريخية المتوفرة او حتى تنوه بأن احتفالات الشيعة في يوم عاشوراء ببغداد كانت تتضمن قراءة قصة مقتل الإمام الحسين، لكن الإشارة الى المنع هذهِ من لدن الخليفة المستعصم بالله تبين أن مراسم قراءته كانت جارية ابان خلافة المستنصر بالله على الأقل، وربما حتى أبان خلافة جده الناصر لدين الله ايضاً.

ولكننا لا نعرف إن كان يقرأ علناً أم لا ، وعلى ما يبدو فإن المنع قد استمر لسنين بعد منعه سنة ٦٤١هـ/١٢٢٣م، ثم ميّع الأمر بطريقة او بأخرى، ففي محرم سنة ٦٤٩هـ/نيسان ١٢٥٠م "تُقدّم بمنع أهل الكرخ والمختارة من النياحة والإنشاد

اليونيني، ذيل مرآة الزمان، مـ١، ص٣٤٠؛ ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج٢، ص٢١١؛ ناجي معروف، تاريخ علماء المستنصرية، ط٣ (القاهرة: مطبوعات الشعب، ١٩٧٦م) ج١، صص: ١٠٦-١٠٨.

[1] انظر: مجهول، كتاب الحوادث، ص٢١٢. والمراد بالمقتل كما هو معلوم هو قراءة الحوادث والوقائع في مسيرة الامام الحسين (ع) من مكة الى كربلاء وما آلت اليه من اقتتال ادى الى استشهاده ومن معه من ذكور من اهل بيته عدا ولده علي الملقب بالسجاد وزين العابدين وكذلك اصحابه، ومما لاشك فيه ان رواية ابي مخنف من اهم تلك لوقائع. انظر: ابي مخنف لوط بن يحيى الازدي الكوفي (ت١٥٧هـ/٧٧٤م) مقتل الامام الحسين بن علي (بيروت: منشورات الجمل، ٢٠٠٩م)؛ وانظر ايضاً: ابو المؤيد الموفق بن احمد المكي اخطب خوارزم (ت٥٦٨هـ/١١٧٢م) مقتل الحسين (بيروت: جار الحوراء، د.ت)، ج١، صص:٣١٥-٣٥٨.

وقراءة مقتل الحسين (ع)" [1] بذريعة ان هذا الإجراء اتخذ "خوفاً من تجاوز ذلك الى ما يؤدي الى وقوع الفتنة"[2].

ونفس الأمر تكرر في سنة ٦٥٠هـ/١٢٥٢م[3]، ومن الملاحظ أن حالات المنع هذهِ لم تذكر المصادر التاريخية أَية تداعيات فتنة بسببها، وانما الفتن التي كانت تحصل تأخذ مداها ربما لأسباب غير مذهبية، ثم لا تلبث أن تكون مذهبية وبشتى الوسائل والطرق والأمثلة على ذلك متعددة نذكر منها ما وقع في سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م من فتنة بين العوام من شبان المحال ببغداد جرياً على العادة القديمة في صيد السباع وتطور الامر بوقوع فتنة أخرى بين أهل المختارة وسوق السلطان وقتل منهما جماعة"[4]، ولا يخفى الأثر المذهبي لأهل هاتين المحلتين، مثال آخر على مثل هذهِ الحوادث هو على ما وقع من وحشة، ومن ثم تطور الامر الى فتنة بين أتباع الوزير مؤيد الدين بن العلقمي وأتباع أمير العسكر مجاهد الدين ايبك الدويدار الصغير سنة ٦٥٣هـ/١٢٥٥م بسبب ما نسب الى الأخير من أنه يدبر في خلع الخليفة المستعصم بالله والمبايعة لولده الأكبر[5]، وما تطورت اليها الأمور حتى عدت اسبابها مذهبية نجم عنها فتنة العام ٦٥٤هـ/١٢٥٦م وتدخل ابن الخليفة ابا بكر على أهل الكرخ الإمامية.

وكذلك ما وقع من فتنة سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م بين أهل الرصافة ومحلة ابي حنيفة والخضريين وهما جميعاً من غير الإمامية، ولم تذكر المصادر المتوفرة سبب

---

[1] انظر: مجهول، كتاب الحوادث، ص٢٩٢؛ الملك الاشرف الغساني، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك، ص٥٧٥.

[2] انظر: مجهول، كتاب الحوادث، ص٢٩٢.

[3] انظر: الملك الاشرف الغساني، العسجد المسبوك، ص٥٨٥.

[4] انظر: مجهول، كتاب الحوادث، ص٢٠٥.

[5] وهو الامير احمد بن الخليفة المستعصم بالله والملقب بابي بكر، وهو الذي قيل عنه انه قتل وسبى النساء من اهل الكرخ في ذي الحجة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م. انظر: الذهبي، العبر، ج٥، ص٢٣٦.

هذهِ الفتنة، ولكن لما استظهر اهل محلة أبي حنيفة والخضريين[1]، وهم على الأغلب من الحنفية، فإن أهل باب البصرة وهم من الحنابلة عبروا نهر دجلة الى الجانب الشرقي وعاونوا أهل محلة الرصافة حينها عَبرَ أهل الكرخ ليعاونوا أهل محلة أبي حنيفة والخضريين[2]، وهكذا بدت الأمور على نحو من تحزب مذهبي في جانبي بغداد مع ان العامة في بغداد وقتئذ لم يدركوا حقيقةً مقدار الخطر المغولي الداهم الذي كان يحيق بهم وبحاضرة الخلافة العباسية بغداد، فضلاً عن عجز السلطة المتمثلة بكافة أركانها من خليفة ووزير وقادة الجند كونهم لم يكونوا بمستوى توعية الناس وتذكيرهم بالخطر المغولي القادم المحدق بهم فضلاً عن علماء الدين والفقهاء، فلم يتهيأ ببغداد رجل دين حريص على صف وحدة المسلمين ومحاولاً الشد من ازر السلطة كما تهيأ، على سبيل المثال لأواخر الأيوبيين والمماليك في مصر شخصية مؤثرة في المجتمع مثل العز بن عبد السلام[3] الذي كان له دور رائد في شحذ همم المصريين ومتولي امرهم المماليك البحرية في التهيؤ لمقارعة المغول ومن ثم دفعهم عن مصر وبلاد الشام.

---

[1] محلة الخضريين: محلة مجاورة لمشهد الامام ابي حنيفة انظر: عبد الحق البغدادي، مراصد الاطلاع، مـ١، ص٤٧٢.

[2] انظر: مجهول، كتاب الحوادث، ص٣٤٠.

[3] هو عبد العزيز بن عبد السلام بن ابي القاسم بن الحسن ابو محمد السلمي الدمشقي الشافعي ولد سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م وسمع وتفقه على كبار شيوخ زمانه حتى برع بالمذهب، وبلغ رتبة الاجتهاد، وكان لا يخاف في الله لومة لائم، نزح الى مصر بعد ان نال من صاحب دمشق الصالح اسماعيل الايوبي بسبب تنازله للفرنجة عن الشقيف وصفد، ولي قضاء القضاة في مصر، كان له الأثر الحسن في شحذ الهمم لمقارعة المغول ودوره في ذلك لا ينكر. توفي سنة ٦٧٠هـ/١٢٧١م وحضر جنازته السلطان الملك الظاهر بيبرس. للمزيد عن سيرته انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٤، ص٢٠٣ و ٢٠٤؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص٤٣٩.

منع الوعاظ من الجلوس في الجوامع ودور الوعظ:

لا يخفى ما للوعاظ وقتئذ من دور فاعل في توجيه الناس وتعبئتهم سواء كان ذلك لغايات مذهبية او غيرها ولا تذكر لنا المصادر التاريخية أي دور فاعل للوعاظ في سنوات خلافة المستنصر بالله في توجيه الناس وتوعيتهم بحقيقة الخطر المغولي المحدق بالخلافة العباسية، بل على الضد من ذلك فأن الوعاظ كان لهم دوراً سلبياً في اثارة الفتن المذهبية داخل المجتمع البغدادي ولهذا السبب تم منع الوعاظ سنة ٦٤٥هـ/١٢٤٧م جميعهم من الجلوس للوعظ[١]، مع ملاحظة ان المنع شمل: ثلاثة من الحنابلة، وشافعي وشاب يوصف بانه حنبلي امرد يعرف بانه كوفي حنفي / (معتزلي حنفي)[٢] وغني عن البيان ما لنبرات الوعاظ من تأثير في تأجيج مسائل الخلاف والخوض فيهم بما يؤدي الى شحن مذهبي بين اهل الفرق والمذاهب واستثارة عموم الناس وربما ادى ذلك الى اثارة الفتن المذهبية بينهم.

تواصل الفتن والتجاذبات المذهبية في بغداد في اواخر سنوات الخلافة العباسية (٦٥٣-٦٥٦هـ/١٢٥٥-١٢٥٨م):

من الملاحظ ان الفتن والتجاذبات المذهبية وما يتبعها من خروج العيارين، كل ذلك زاد حدةً خلال السنين الاخيرة من عمر الدولة العباسية، فضلاً عن ذلك زادت الكوارث الطبيعية في هذهِ السنين الاخيرة واعتباراً من سنة ٦٥١هـ/١٢٥٣م، وحتى سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م فان الفيضانات تواترت في كل سنة، وكان النهران دجلة والفرات يساهمان في اغلب الاحيان في اغراق جانبي بغداد شرقيها وغربيها[٣]، ولا

---

(١) انظر: مجهول، كتاب الحوادث، ص٢٥٨.

(٢) هكذا ورد في كتاب العسجد المسبوك، ويعلق محقق الكتاب: شاكر محمود عبد المنعم فيقول: لعله كان قد تردد بين الحنبلية والاعتزال والحنفية. انظر: الملك الاشرف الغساني، العسجد المسبوك، ص٥٥١.

(٣) انظر: غامس خضير الدوري، الكوارث الطبيعية وآثارها في العراق، اطروحة دكتوراه غير منشورة، ص٧١.

يخفى ان هذهِ الفيضانات هي التي كانت تساهم في خلخلة الأمن المجتمعي في بغداد بظهور العيارين والسراق وكذلك في ابداء مظاهر الجزع والاتيان بشتى انواع الاعمال غير المنضبطة وربما من كافة اطياف المجتمع، وهذا ما حدث فعلاً في السنوات ٦٥٣هـ/١٢٥٥م و ٦٥٤هـ/١٢٥٦م[١].

اما على الصعيد المذهبي، ففي محرم ٦٥٣هـ/شباط / أذار ١٢٥٥م حدثت فتنة بين أهل الكرخ وأهل باب البصرة، "قتل فيها عدة كثيرة من الفريقين" ولما ارسل الديوان "طائفة من الجند" لمنع الفتنة، فانهم مالوا على أهل الكرخ، "ونهبوا الدور المتطرفة منها"[٢]. ولا تذكر المصادر التي اوردت الخبر سبب الميل على أهل الكرخ والذي كان من المفروض بهم ان يسكنوا الفتنة وليس الميل على احداهما ولا تذكر المصادر ايضاً مَنْ هو امير "طائفة الجند" الذي مال على أهل الكرخ ونهب الدور المتطرفة ويرجح انه كان على ما يبدوا أميراً تركياً من اصحاب الدويدار الصغير، والظاهر ان الامر لم يهدأ الا "بنصب اخشاب على ابواب المحلّتين لصلب من يثير الفتنة، فكفوا انفسهم"، لكن الفتنة تجددت ثانية في ذي القعدة من نفس العام / تشرين الثاني–كانون الأول ١٢٥٥م، والظاهر ان الفتن هذهِ المرة تجددت بين محال اهل بغداد بشكل اوسع هذهِ المرة.

ولا يذكر صاحب كتاب الحوادث الكيفية التي بدأت بها الفتنة وسبب اشتعالها، الا بقوله: "من اجل المذهب"[٣] ويراد به الشيعة الإمامية ومخالفيهم من اهل السنة.

اما فتنة عام ٦٥٤هـ/١٢٥٦م فقد وقعت في ذي الحجة ٦٥٤هـ/كانون الأول ١٢٥٦م وهي من اكبر الفتن التي وقعت ابان عهد الخليفة المستعصم وخلافته، وقد نسب الكثير من المؤرخين، وهم كالعادة من مخالفي الشيعة الامامية، امر اجتياح

---

(١) ظهر العيارون ثانية سنة ٦٥٣هـ و٦٥٤هـ/١٢٥٥–١٢٥٦م: مجهول، كتاب الحوادث، ص٣٢١، ٣٤٧؛ الملك الاشرف الغساني، العسجد المسبوك، ص٦٠٨.

(٢) انظر: مجهول، كتاب الحوادث، ص٣٢٠.

(٣) انظر: المصدر نفسه.

المغول الى نتائج هذهِ الفتنة، زاعمين ان الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي كان يقف وراء استدعاء المغول الى بغداد بغية الانتقام لما جرى من قتل وسبي للنساء العلويات من أهل الكرخ الذين يمتون بصلة القرابة الى الوزير ابن العلقمي، وربما ذكر البعض ان الوزير اطمع المغول في اجتياح بغداد بغية اقامة خليفة علوي للسلطة القائمة بدلاً عن الخليفة العباسي للدولة القائمة، وانهاء الخلافة العباسية في بغداد[1].

وليس بصعب على المتتبع لمجمل الاحداث والوقائع التي سبقت سقوط بغداد بعشرات السنين ومنذ ظهور جنكيز خان وتكوين امبراطورية المغول، نقول ليس من الصعب ان يدرك ما ستؤول اليه الخلافة العباسية عاجلاً ام آجلاً[2] خاصةً وان الخليفة العباسي في بغداد صار يمثل كلا السلطتين الدينية والدنيوية ابتداءً من ايام الخليفة الناصر لدين الله، ان لم يكن من قبل عهد هذا الخليفة.

---

[1] انظر: الكتاب المنسوب لابن الساعي، مختصر تاريخ الخلفاء، ص١٣٦؛ ابو الفداء، تاريخ ابي الفداء، ج٢، ص٢٠٢؛ الذهبي، العبر، ج٥، ص٢٣٦؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص١٨٩؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج٤، ص١٠٥؛ الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، مـ٩، ص١٣٨؛ الملك الاشرف الغساني، ص٦٢٥؛ ابن دقماق، الجوهر الثمين في سير الملك والسلاطين، ص١٩٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مـ٤، ج٧، ص٤٧؛ المقريزي، السلوك، ج١، ص٤٩١؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٥٥٠؛ حسين بن محمد الحسن الديار بكري (ت٩٩٠هـ/١٥٨٢م) تاريخ الخميس في احوال أَنفس نفيس (القاهرة: المطبعة الوهبية، ١٢٨٣هـ)، ج٢، ص٣٧٦؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهبي، ج٥، ص٤٠٣؛ العاصمي، سمط النجوم العوالي في ابناء الاوائل والتوالي، ج٣، ص٥١٨؛ ياسين خير الله العمري (ت١٢٣٧هـ/١٨٢١م)، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام، ط٢ (القاهرة: شركة العاتك لصناعة الكتب، ٢٠٠٦م)، ص١٤٥.

[2] نوه الى ذلك المؤرخ الكبير ابن الاثير في تناوله امر ظهور المغول، قبل نحو من اربعين سنة من سقوط الخلافة العباسية قائلاً: "فمن الذي يسهل عليه ان يكتب نعي الاسلام". انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٦٨٠.

وهذا يعني ان المغول وكبير عساكرهم هولاكو (او هلاوون) بالتحديد صاروا ينظرون الى خليفة بغداد على انه هو الحاكم الفعلي لدولة الخلافة وان بقاءه يمثل تهديداً لولاياتهم وعساكرهم، فهو ليس رأس السلطة الدينية ورمزها الديني فحسب حتى يمكن الأبقاء عليه والتعامل معه، كما ان هولاكو يمثل دار الكفر الذي لا يعترف به عالم الاسلام، وبذلك حصلت القناعة لدى هولاكو على التخلص من الخليفة المستعصم، ويبدو ان هولاكو فكر في قطع الأمل لمن يعول على عودة الخلافة لبني العباس في الحكم ببغداد فقضى على غالب الذكور من العباسيين ببغداد ومن جهة ثانية فأن ابقاء هولاكو على الوزير مؤيد الدين بن العلقمي واعتماده عليه في ادارة مدينة بغداد مع الشحنة الذي عينه هولاكو يعد دليل في نظر ابن الطقطقا على عدم خيانته لمخدومه الخليفة العباسي[١]، فيما يعد مناوؤه ذلك دليلاً على خيانته للخليفة وادارته.

وبذلك يمكن القول ان التهمة التي وصم بها الوزير ابن العلقمي هي تهمة ذات طابع مذهبي ليس غير، والبحث البكر الذي قدمه الراحل جعفر خصباك في كتابه عن الغزو المغولي والتهمة الموجهة لابن العلقمي بهذا الشأن وما قدمه من ادلة وشواهد تاريخية ربما تغني الباحث عن الاستغراق بجدوى البحث لهذهِ التهمة[٢].

امر اخير بهذا الشأن فان الشيعة الإمامية الأثني عشرية كانت قد التزمت حقيقة جانب التقية وعدم الخروج على الحاكم ومنذ ابتداء الغيبة الكبرى للإمام الثاني عشر سنة ٣٢٩هـ/٩٤١م فأن دولتهم ستكون دولة الإمام الثاني عشر "الذي سيملء الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً" من لدن اهل الدنيا[٣]، ولذلك فان كل

---

[١] انظر: الفخري، ص٣٣٨.

[٢] انظر: جعفر حسين خصباك، العراق في عهد المغول الايليخانيين (٦٥٦-٧٣٦هـ/١٢٥٨-١٣٣٥م) (بغداد: مطبعة العاني، ١٩٦٨م) صص: ٢٦-٤٣.

[٣] انظر للحديث المروي عن الامام محمد بن علي الباقر (خامس أئمة الشيعة الاثني عشرية): "ان دولتنا آخر الدول" في: ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، كتاب الغيبة (قم: جاب غدير، ١٤٠٨هـ) ص٤٨٢. وغني عن البيان ان هذهِ الدولة في اعتقاد الشيعة الامامية=

ما قيل عن عزم الوزير ابن العلقمي في اقامة خليفة علوي[1] هو امر مشكوك في مصداقيته او حتى غير قابل للتصديق.

ويبقى السؤال عن:

الاثر السلبي للخليفة العباسي المستعصم بالله في أمر سقوط الخلافة العباسية وتصفية البيت العباسي:

لسنا بحاجة الى التأكيد بأن الخلفاء العباسيين كانوا قد افرطوا في العصور العباسية المتأخرة في الاطمئنان الى كون الخلافة فيهم وانها قائمة لاحفادهم العباسيين الى يوم الدين دون اي ريب او شبهة وهي مقولة طرحها خلفائهم الاوائل وصدقوها وآمنوا بها[2]. وازدادت قناعتهم بذلك من خلال الوقائع التي حدثت ابان خلافة الخليفة القائم بأمر الله اوآخر ايام البويهيين وظهور السلاجقة، ومن ثم عودة الخليفة القائم الى قاعدة الخلافة بغداد بعد حركة قائد العسكر البويهي ارسلان البساسيري التي تناولنا وقائعها سابقاً، وكذلك ما حدث من أمر الوحشة التي وقعت بين السلطان ملك شاه تجاه الخليفة المقتدي بامر الله ثم وفاة السلطان قبل انقضاء المهلة التي حددها للخليفة بمغادرة بغداد، وهذا الذي عدوه بمثابة كرامة للخليفة المقتدي بامر الله، ثم لدينا امر خوارزم شاه الذي عجزت عساكره عن اجتياز جبال همدان والقدوم لبغداد على اثر سقوط الثلج الكثيف وبوقت مبكر وهو ما دعى السلطان الى التراجع عن الامر وتعليق اخذ بغداد مؤقتاً على الاقل، مع الانتباه الى

=الاثني عشرية سيقيمها الامام الثاني عشر المهدي المنتظر، ولا يرجى اقامتها من قبل ابن العلقمي بأقامة خليفة علوي. كما ان كتب الشيعة الامامية الاثني عشرية تحفل بما اسمته انتظار الفرج بظهور الامام الثاني عشر. انظر: الشيخ الصدوق، ابو جعفر محمد بن الحسين بن بابويه القمي، كمال الدين وتمام النعمة، باب ما روي في ثواب المنتظر للفرج، ص٤٤٩.

(1) انظر: المقريزي، السلوك، ج١، ص٤٩١.

(2) نذكر بخطبة داود بن علي عم الخليفة العباسي الاول ابو العباس عبد الله بن محمد بن علي الملقب بالسفاح في الكوفة سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م قائلاً: "فأعلموا ان هذا الامر فينا ليس بخرج منا حتى نسلمه الى عيسى بن مريم". انظر: الطبري، تاريخ الطبري، ج٦، ص٣٧٥. وانظر الى نص الخطبة في الملحق رقم (١٢).

ان امر قتل الخليفة المسترشد وابنه الراشد تم اغفاله، وهذا ما يفند ما قالوه واعتقدوه بشأن خلافتهم.

الامر الآخر الذي يحسب كتقصير للخليفة العباسي المستعصم بالله وحتى لابيه الخليفة المستنصر انهما لم يحاولا كسب الجند الخوارزمية الذين صاروا بعد مقتل جلال الدين منكوبرتي قوة عسكرية مهمة يحسب حسابها تنتاب الجزيرة الفراتية فكان يجب احتوائها واستغلالها في قتال المغول خاصة ان هؤلاء الأمراء العسكر اصبحوا ذوي خبرة وممارسة في قتال المغول ومقاومتهم في ممتلكات الخلافة، لكن هذهِ القوة انضمت بعد معارك اقليمية طاحنة الى متولي الجزيرة الفراتية الملك الصالح قبل أن يرتقي تخت السلطنة الايوبية الذي سارع الى احتواءها، وكانت لهم كلمة حاسمة في ترجيح الجانب الذي صاروا معه[1]، كما ان الخليفة المستعصم بالله لم يحاول لم شمل الامراء الايوبيين في بلاد الشام، وبماله من قوة معنوية، وتوجيههم للوقوف صفاً واحداً امام الخطر المغولي المستمر في آسيا الصغرى ومناطق من شهرزور.

تقييم الخليفة المستعصم بالله وعهد خلافته:

كان تولي الخليفة المستعصم بالله دست الخلافة العباسية في مرحلة تعد من اصعب مراحل حكم العباسيين، ربما يقال عن الدولة العباسية انها قد شاخت ووهنت وباتت في ادوار احتضارها، الا ان هذا الاحتضار ربما كان بالامكان تفادي ما حصل من سقوطها وانهاء الخلافة الاسلامية فيها بشكل او بآخر، قد يكون الاجابة على ذلك رجماً بالغيب الا اننا نحاول ان نبين بعض ملابسات ما حصل من خلال مراجعة النصوص التي وصلتنا وتحليلها، وهي وان كانت تحاول ايجاد كبش الفداء لما حصل والصاقها مذهبياً بعاتق وزير المستعصم مؤيد الدين ابن العلقمي، الا ان تلمس شيء من الحقيقة ممكن تبنيه في تحليلنا هذا، فنقول ان المسؤلية الكبرى لاجتياح بغداد وتصفية البيت العباسي لا يمكن باي حال من الاحوال ان تكون بعهدة

[1] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٢، ص٣٨١، ٣٨٧، ٣٨٩.

الخليفة المستعصم وحده، وانما يتحملها حتى اسلافه الثلاثة من الخلفاء الاواخر كل من الناصر لدين الله وولده الظاهر بالله والمستنصر بالله، وبطبيعة الحال بدرجات متفاوتة، فالناصر لدين الله وحسبما ظهر لنا سابقاً لم يدرك حجم الخطر المغولي بصورة صحيحة على الرغم من اهتماماته بمشاكل المشرق وحدها، ولذلك كان في سياسته ميكافيلياً، على تعبير زماننا، في التعامل مع السلاطين الخوارزمين ودرء اخطارهم، اما خلفه الظاهر، فكان عهده القصير متوجهاً الى المسالمة في نفسه مع مظاهر ما تركه والده من مظالم مع الرعية في بغداد بل وفي العراق جميعاً، وعهد الخليفة المستنصر كان عهد فيه شيء من الحيوية والقوة والاستقرار إلا ان عمله في مكافحة المغول، وهو اخطر المشاكل واكثرها تعقيداً، فلم يتعد الدفاع عن اطراف بغداد ورد الغارات عنها، على الرغم من تزايد التهديد الحقيقي لدولة الخلافة بعد قتل السلطان الخوارزمي الشهيد جلال الدين منكوبرتي وانفتاح المغول على العراق.

واذا اردنا تقييم عهد الخليفة المستعصم بالله فنقول إنه افتقر الى ستراتيجية واضحة في مواجهة الخطر المغولي لا على الصعيد العسكري وحده وانما على الصعيد السياسي كذلك وهو ما نطلق عليه في زماننا بالعمل الدبلوماسي، فضلاً عن تخلخل الوضع الداخلي في بغداد الذي كان قد تفاقم على اثر حالات البذخ التي كان ينفقها الخليفة على حفلات ختان اولاده[1]، وفي المناسبات او في استقبال امه اوقات قدومها من الحج او مقربيه، فيما كان جند الخليفة يعانون من قلة مشاهراتهم وارزاقهم بحيث غادر شطر منهم الى بلاد الشام سنة ٦٥٠هـ/١٢٥٢م[2] للالتحاق هناك بالحكام الجدد "المماليك" وهو ما وقع قبيل الغزو المغولي بسنوات عديدة، وبهذهِ الاوقات الحرجة كان الأمر يزداد سوءً في بغداد نفسها على اثر الوحشة الشنيعة التي قامت بين الدويدار الصغير امير عسكر الخليفة والوزير ابن العلقمي ضمن حوادث شهور ٦٥٣هـ/١٢٥٥م بل وحتى بين افراد أُمراء العسكر انفسهم على اثر عصيان

---

(١) انظر لمقدار البذخ الذي بذل لحفل ختان اولاد الخليفة سنة ٦٥٠هـ/١٢٥٢م في: الملك الاشرف الغساني، العسجد المسبوك، ص٥٨٦.

(٢) انظر: مجهول، كتاب الحوادث، ص٣٠٤.

الجند من دار الخلافة في تولية مرشد الخصي والمنسوب لاقبال الشرابي، والذي كان مقرراً له الخروج بجنده للقاء المغول عند خانقين، سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م[١]، فيما خرج الدويدار الصغير نفسه للقاء بايجو نويان قائد الجناح الايسر للمغول وترك هولاكو في القوة الرئيسية تتقدم الى الجانب الشرقي من بغداد.

هذا فضلاً عن حالات التجاذب المذهبي التي كانت تحصل بين السنوات ٦٥٣هـ/١٢٥٥م و ٦٥٤هـ/١٢٥٦م والتي اثرت سلباً على تماسك المجتمع البغدادي بفئاته المتعددة ، وما زاد الامر سوءً حالات الفيضنات المستمرة التي كانت تقع في بغداد قبيل الغزو المغولي سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، وهذا ما ادى الى ظهور العيارين مرة اخرى مع اضمحلال امر الفتوة، وفي الجانب الثاني كان المغول يزداد زخمهم في الاندفاع غرباً خاصةً وانهم كانوا يتبعون سياسة الارض المحروقة التي صارت تثير رعب رعايا الدولة العباسية عموماً، فكانت غارات المغول تتواتر سنة بعد اخرى على اطراف العراق[٢]. خاصة بعد القضاء على الدولة النزارية وسط ايران، وبقيت بغداد تواجه مصيرها بدخول عسكر هولاكو اليها وخروج الامراء والصدور والاعيان ليقتلوا خارج السور دفعة بعد اخرى بدم بارد فيما نجا اعداد منهم من اهل المراتب من الهلاك على رأسهم يقف الوزير ابن العلقمي وبعض مساعديه.

اما ما يخص مواقف الغزاة من اتباع المذاهب الاسلامية في بغداد، فإن المغول لم يميزوا في ظلمهم وسفك دماء اهل بغداد بين اتباع مذهب ومذهب في خضم دخولهم بغداد، فقد شمل الجميع السلب والنهب والحرق والقتل[٣].

ولم يكن حال الخليفة بافضل من رعيته فقيل انه لف في غرارة ورفس حتى مات في ٤ صفر ٦٥٦هـ/الثامن من شباط ١٢٥٨م[١]، ودفن واعفي قبره[٢].

---

[١] انظر: مجهول، كتاب الحوادث، ص٣٥٠.

[٢] انظر: المصدر نفسه، ص٢٤٠، ٢٨٥؛ رشيد الدين فضل الله الهمداني، جامع التواريخ، صص: ٢٢٩-٢٣١.

[٣] انظر لما يذكره الملك الاشرف الغساني في العسجد المسبوك: "راح تحت السيف الرافضة والسنة"، ص٦٤١.

وهكذا كانت خاتمة الخلافة العباسية التي دامت عهودها نحو خمسة قرون وربع من السنوات الهجرية القمرية، فقد كانت صدمة للعالم الاسلامي وقتئذ كبيرة، اجتاحت بها جنود المغول بغداد واطرافها وكانت ايذاناً بإنهاء الخلافة التي عدت عند الكثيرين رمزاً وعنواناً للأسلام آنذاك.

---

(١) انظر: المكين جرجس بن العميد، اخبار الايوبيين، تحقيق: كلود كاهن (دمشق: مطبعة المعهد الفرنسي، ١٩٢٧م) ص١٦٧؛ ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص١٩٤؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م) ص٢٣٧؛ او نفس الكتاب بعنوان: تاريخ الزمان، ص٣٠٨.

(٢) انظر: ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص٢٧٤؛ مجهول، كتاب الحوادث، ص٣٥٧؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج١٤، ص١٢٣؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٥٥٦؛ احمد بن يوسف القرماني (ت١٠١٩هـ/١٦١٠م)، اخبار الدول وآثار الاول، دراسة وتحقيق: احمد حطيط وفهمي سعد (بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٢م) ج٢، ص١٩٧؛ عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين (بغداد: مطبعة بغداد، ١٩٣٥م) ج١، ص١٨١.



الخلاصة والنتائج

الخلاصةوالنتائج:

تناولنا في هذه الأطروحة بابوابها الاربعة وقائع التجاذبات المذهبية تجاه الشيعة الإمامية الأثني عشرية في بغداد / دراسة تحليلية ٤٤٧-٦٥٦هـ/١٠٥٥-١٢٥٨م.

وبناءً على ذلك فإننا سنتناول ابواب الاطروحة باباً باباً نبين خلاصتها، فضلاً عن أهم النتائج التي استخلصناها.

١-في الباب الاول، الفصل الاول

فيما يخص الإشكالية المنهجية الخاصة بمصادر البحث تبين لنا ندرة ما صنفته الشيعة الإمامية الأثني عشرية في التاريخ السياسي للدولة العباسية في المدة قيد البحث لسببين رئيسيين هما إن الشيعة الإمامية الاثني عشرية لا تعد الخلافة شرعية، إلا في الإئمة الأثني عشر، فضلاً عن ذلك ان التاريخ السياسي عادة ما يكتبه المتصر والمتصدي للسلطة والحكم، وهم بطبيعة لحال غير الشيعة الإمامية الأثني عشرية، وهذهِ الاشكالية المنهجية، التي واجهت البحث، بحد ذاتها تشعرنا نوعاً ما بعدم اكتمال الصورة في البحث التاريخي، وذلك لغياب وجهة النظر الشيعية تجاه وقائع التجاذب المذهبي، كما لاحظنا انصراف الشيعة الإمامية عموماً الى الاسهاب في كتابة تاريخ الرسول الأكرم (ص) وابنته فاطمة الزهراء والأئمة الإثني عشر، ناهيك عن ما روي عنهم في كل ما يتعلق بأمور الدين من عبادات ومعاملات وتفسير وتأويل لآيات القرآن الكريم، فضلاً عن كتب المناقب والكرامات لهؤلاء الأربعة عشر "المعصومين" بهدف نهيئة حشد فكري يشد معتنقي المذهب الإمامي الأثني عشري الى مراقدهم ومقاماتهم من خلال كتب الزيارات والادعية الخاصة بهذه المقامات والمراقد.

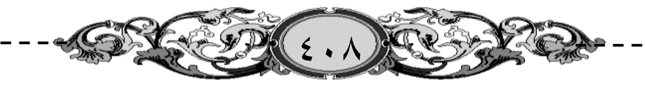
ثم تبين لنا ان عدداً غير قليل من المصادر قد فُقدّ بفعل الكوارث والنكبات التي اجتاحت بغداد وعلى مر الازمان، ولكن ما أثار نوعاً من الارتياح ان بعض مضامين تلك الكتب وصلتنا عن طريق غير مباشر باقتباسات مصنفين لاحقين.

أما ما يخص **الاصطلاحات والتعابير** المستخدمة في الأُطروحة فقد عرضنا على طاولة البحث تعابير تخص الشيعة، وأهل السنة والمذاهب السنية الأربعة المعروفة، وتعابير البدعة وعلم الكلام ومصطلحات ومفاهيم مؤسساتية على نحو من الاستاذية دار وشبكات المدرسة النظامية.

في الفصل الثاني من الباب الأول:

تناولنا الاحوال السياسية والدينية (المذهبية) لحاضرة الخلافة العباسية بغداد قبيل دخولها من قبل السلاجقة في ٤٤٧هـ/١٠٥٥م وقد أظهرت الدراسة:

- ضعف وهوان أُمراء الاستيلاء البويهيين من الجيل الثالث والرابع الذين أنغمسوا في صراعات التنافس على النفوذ والسلطة بما آل اليه اضطراب امر الامارة البويهية والعجز الحاصل في توفير المتطلبات المادية للجند من اتراك وديلم خاصة ايام عماد الدين المرزبان ابو كاليجار (ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م) وولده الملك الرحيم ابو نصر خسرو فيروز وامارته في بغداد والتي انهاها طغرل بك السلجوقي بدخوله الى حاضرة الخلافة العباسية في ٤٤٧هـ/١٠٥٥م.
- كذلك تولي دست الخلافة خليفة عباسي محنك عركته الحياة خاصة ايام نفيه الى البطيحة، عمل على تقوية مركزه ودوره كخليفة يضطلع بأمور دولة الخلافة في مجمل الاحداث والوقائع خاصة الدينية (المذهبية) منها، من خلال اتخاذ وزيراً له في الديوان، ولاول مرة في العصر البويهي، اذ لم يكن للخليفة العباسي قبلئذ اكثر من كاتب يدير اقطاعاته. وكذلك تاكد الحضور السياسي–الديني للخليفة من خلال المحضر الذي كتب في الديوان بالتشكيك بالنسب الفاطمي، وفي خطوة تالية الاعلان الرسمي لمذهب الدولة العباسية من خلال ما عرف بالاعتقاد القادري. لكن الاجل لم يمهل الخليفة القادر طويلاً اذ توفي سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٢م دون أن يتحقق ما كان يحلم به باحلال



الغزنويين الموافقين له مذهبياً محل البويهيين وترك اتمام المهمة لولده الخليفة القائم بأمر الله.

- ظهور السلاجقة في الأقاليم الشرقية كقوة فتية في عنفوان اندفاعها لتزاحم الغزنويين وتنتصر عليهم بمعركة دانداقان ٤٣١هـ/١٠٤٠م وتستحوذ في وقت لاحق على ممتلكات البويهيين حتى صاروا القوة المعول عليها في الحلول محل البويهيين ببغداد في هذا المحتوى،

كانت الشخصية المؤثرة للوزير ابو القاسم بن المُسلمة تعمل في تفاقم وقائع التجاذب المذهبي والاضطراب الأمني للمجتمع في بغداد، بغية اقناع العامة بعجز امير الاستيلاء البويهي (الملك الرحيم) عن بسط الاستقرار في بغداد بغية احلال السلاجقة محلهم. وساعد الوزير على تنفيذ مآرب الخليفة قوى الحنابلة في بغداد التي امعنت في وقائع التجاذب المذهبي في بغداد خاصةً تلك التي وقعت في السنوات ٤٤٣-٤٤٥هـ/١٠٥١-١٠٥٣م حيث تعرض فيها الشيعة الإمامية الأثني عشرية الى ضربة مؤلمة من خلال التجاسر على ضريح سابع وتاسع أئمتهم ومحاولة نبش قبرهما، وهو ما ولد قناعة تامة لدى أهل بغداد عامة والشيعة الامامية خاصة بعجز البويهيين عن توفير الأمن والأمان لهم ناهيك عن حماية اموالهم وارواحهم، وهذا هو احد الأسباب المهمة التي جعلت الإمامية في بغداد لا يقاومون القوة الجديدة التي فرضت سيطرتها على بغداد وان كانت مخالفة لهم مذهبياً والمتمثلة بالسلاجقة الاتراك.

هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فأن رئيس الرؤساء نجح وبشكل فعال على تسقيط او على الاقل تحييد قائد العسكر البويهي ابو الحارث ارسلان البساسيري من خلال التشهير به على ان جرار خمورٍ قد ضبطت مرسلة الى البساسيري، وكذلك اشاعة الاخبار حول مراسلته لحكام مصر الفاطميين، يحدوهم الامل بانتزاع اقطاعاته الكبيرة لتكون محل تطلع السلاجقة اليها، فنشأ العداء السافر بين مركزي القوى بين الاثنين البساسيري ورئيس الرؤساء الوزير ابن المُسلمة.

على اننا –يجب ان لا نهمل **عوامل أخرى** ساعدت في التعجيل باستبدال امارة الاستيلاء البويهية ذات التوجه الشيعي المعروف بالسلطنة السلجوقية السنية المذهب. منها ما يمكن أن يطلق عليه بالصحوة السنية والمبادرة الى الدعوة في مجيء السلاجقة خاصة ان الخلافة العباسية كانت بحق بحاجة الى هذهِ الدماء المتحفزة للقتال (الجهاد) مدفوعين بحلم الحصول على المزيد من الغنائم ممن سبق وكفرهم خليفة بغداد ألا وهم "الهراطقة" الفاطميين، فضلاً عن ذلك فإن احد اركان الاسلام وهو الحج كان معطلاً من العراق ولسنين عديدة بسبب هيمنة ونفوذ الخلفاء الفاطميين، او نتيجة الولاء والخطبة لهم في مكة والمدينة المنورة.

وعلى الرغم مما شاب العصر البويهي من وقائع تجاذب مذهبي سالت به دماء بين المتخاصمين مذهبياً، فإن العصر شهد نوعاً آخر من التجاذب اغنى الفكر التحاوري ومشوقاته وساحاته اراقة مداد القلم على صفحات كتب احتجاجات ومناظرات علمية بين علماء اعلام وليس بين المتحمسين في التجاذب الدموي والذي لا يفضي الى فرض هيمنة فئة على أُخرى.

٢–في الباب الثاني من الأُطروحة تناولنا في الفصل الاول:

– تداعيات دخول السلطان طغرل بك بغداد.

– حركة البساسيري.

– بغداد ابان حكم السلطان طغرل بك بعد القضاء على البساسيري والتجاذبات المذهبية تجاه الشيعة الإمامية الأثني عشرية.

حيث تبين لنا:

إن السلطان طغرل بك اتبع في مسيره الى بغداد اسلوباً نطلق عليه بايامنا سياسة الارض المحروقة في مسعى لارضاء جنده باطلاق ايديهم في السلب والنهب وهذا هو الذي ادى الى توجس أهل بغداد من الجند السلجوقي الذي جاء الى باب الازج لشراء التبن، فانتفض أهل السوق ضدهم وقاتلوهم، فيما عمل أهل الكرخ على حماية العسكر السلطاني وحمايتهم في اجراء ينظر اليه بأنه كان من باب ابداء حسن النية ودفع اي شبهة قد تثار تجاه أهل الكرخ الشيعة في قتال السلاجقة

وبالتالي احتمال الانتقام منهم. اما نتيجة القتال فكانت محسومة لصالح الجند السلطاني المحترف امام المنتفضين من أهل السوق، وبذلك نهبت الرصافة كلها، فضلاً عن الجانب الشرقي لنهر دجلة "من النهروانات الى اسافل الاعمال"، ومن الجانب الغربي لنهر دجلة من تكريت الى النيل، وهذا ادى الى نتائج كارثية تمثلت بهجرة المزارعين لاراضيهم الزراعية، وتعطل الزراعة فيها. وهذا ادى بدوره الى موجات غلاء في السنين ٤٤٨-٤٥٠هـ/١٠٥٦-١٠٥٨م.

على اثر دخول العسكر السلجوقي بغداد بعد حادثة باب الازج اراد السلطان طغرل بك النزول بدار تليق به، فعمل على اعمار دار المملكة البويهية، وانتقل اليها في شوال ٤٤٧/كانون الثاني ١٠٥٦م فسميت بعد ذلك بدار السلطنة السلجوقية، اما عامة جنده فإنهم قاسموا أهل بغداد السكن في دورهم "وارتكبوا كل محظور" على الرغم من تهديد الخليفة القائم بالانتزاح من بغداد فإن السلطان اعتذر وتعلل بكثرة العسكر وعجزه عن تهذيبهم وضبطهم. جاء لفرج لأهالي بغداد اخيراً بادعاء حلم رآه السلطان طغرل بك بان الرسول (ص) يعاتبه على ذلك لكن في الأمر ان قائد الجند البساسيري استولى على الموصل، فسار اليه السلطان، مع ملاحظة ان عادة جنده في الأرض المحروقة صاحبتهم بمسيرهم للموصل.

القطيعة التاريخية التي حدثت على اثر دخول طغرل بك بغداد تمثل اولاً بالأمر الصادر عن السلطان في اواخر رمضان ٤٤٧هـ/ كانون الاول ١٠٥٥م بفرض مراسم أهل السنة بالآذان في مساجد الكرخ، ثم تطور الامر بحلول سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م بأقامة هذهِ المراسم في المشهد بمقابر قريش ومساجد الكرخ فضلاً عن ذلك فقد ازيل من الآذان "حي على خير العمل" من آذان الشيعة.

وينسب بعض المؤرخين الامر بذلك من قبل الخليفة نفسه، كما ازيل ما كانت توسم به الدور والدروب بعبارة "محمد وعلي خير البشر". والملاحظة الجديرة بالاهتمام ان هذهِ الاعمال لم تؤدِ الى اعمال قتل، او جرح، او ما يطلق عليه "اعمال عنف" من قبل الشيعة الإمامية ببغداد، لأنهم جمحوا الى قاعدة التقية عندهم، غير ان هذا ادى الى التمادي من قبل مخالفيهم بنهب وحرق دار مرجعهم وقتئذ الشيخ ابو جعفر

الطوسي الذي آثر الهجرة "الهروب" الى مشهد علي "النجف"، وتطور الامر الى صلب بعض المتنفذين مادياً منهم مثل شيخ البزاوين عبد الله الجلاب وبأمر من رئيس الرؤساء الوزير ابن المُسلمة، فضلاً عن ذلك فإن الأسواق بالكرخ قد نهبت. وان نشوة التعيير هذا قد اغرت فاتكين متحمسين من الحنابلة هما: الزهيري وابن اليدن اللذان قصدا المشهد بمقابر قريش مع جمع من أهل باب البصرة، وباب الشعير، والحربية، والقلائين، ونهر طابق، فسنموا قبر موسى بن جعفر ومحمد الجواد وكل القبور بالمشهد بعد أن أشعلوا النيران بالمشهد وصاروا يقصدون المشهد كل سبت ويلعنون "الرافضة".

حركة البساسيري:

عمل ابو الحارث البساسيري على استغلال النقمة التي تنامت عند الشيعة الامامية في بغداد، بسبب ما اصابهم جراء دخول السلاجقة بغداد فضلاً عن حالة الاستياء والغضب التي عانى منها عامة أهل بغداد على اثر اعمال السلب والحرق والنهب التي مارسها عسكر السلاجقة وكذلك انتهاكهم حرمة البيوت بمشاركة العسكر لأهالي بغداد في مساكنهم، لكن الأمر الجدير بالاهتمام ان البساسيري لم يحظ على ما يبدو بتأييد مرجع الشيعة وقتئذ الشيخ ابو جعفر الطوسي ولا نقيب الطالبيين في حركته تجاه خليفة بغداد، ولذلك فإنه لجأ الى الفاطميين متبعي المذهب الاسماعيلي، وطلب منهم العون، فرفع شعارهم وخطب للخليفة الفاطمي في جوامع بغداد بعد أن عمل على تشتيت قوات السلاجقة من خلال تحالفه مع الاخ غير الشقيق ابراهيم أينال للسلطان السلجوقي، ورغم احتفاء الشيعة الامامية ببغداد بمقدم البساسيري، فإن البساسيري لم يحظ بالدعم الكافي منهم لسببين الاول: إن الشيعة ببغداد غالبهم أهل سوق ومهن وليسوا من اصحاب السيف والقتال، والثاني: ان دعواه كانت للخليفة الفاطمي الاسماعيلي، والشيعة ببغداد إمامية اثني عشرية إمامهم الثاني عشر الذي يقيم دولتهم غائب غيبة كبرى.

انتقم البساسيري من غريمه رئيس الرؤساء الوزير ابن المُسلمة ووافق على نفي الخليفة علّه يكون رهان جيد يناور به لحماية نفسه بعد ان اذمه شريكه بالحركة قريش بن بدران، مع ملاحظة مهمة: ان البساسيري لم يطلب من الخليفة القائم بأمر الله التنازل عن الخلافة، ولم يحاول ان يغدر به ويسمله، ولم يحاول ايجاد خليفة عباسي آخر بديلاً عنه كما كانت الامور في العصر البويهي، وانتهت الحركة سريعاً وبعد سنة كاملة على اثر دخول طغرل بك بغداد سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م وقتل البساسيري بعد ذلك بقليل.

ويمكننا سرد **اسباب فشل حركة البساسيري بما يأتي:**

- ان التأييد الذي حصل عليه من عامة الشيعة الإمامية في بغداد لم يكن بالمستوى المطلوب لانجاح حركته، فالتاييد ازاء حركته لم يتجاوز لمساندة العاطفية لا غير.
- الحسد والمنافسة التي جبل عليها شركاءه في الحركة.
- غياب العصبة القوية من الجند التي كان يتمتع بها خصمه السلطان طغرل بك.
- الضائقة المالية التي مرت بها مصر ليمتد تأثيرها على محدودية الدعم المالي له فضلاً عن تغير الخليفة المستنصر على البساسيري بتأثير وزيره المغربي.
- الحرب النفسية التي مورست ضد البساسيري من خلال الرسائل التي ارسلت الى شريكه بالحركة قريش بن بدران والتي كان لها اثر كبير في انفراط عقد تحالفهما.

النتائج التي ترتبت عليها اعادة الخليفة الى بغداد في ذي القعدة ٤٥١هـ/كانون الثاني ١٠٦٠م

- تعزز مكانة الخلافة العباسية في نفوس الناس عامة وفي نفسية الخليفة القائم نفسه من خلال ما اشيع بين الناس من ان المشيئة الالهية كانت وراء اعادته الى قصره ودست الخلافة خاصة بعد أن كتب رسالة يشكو بها حاله علقت على استار الكعبة المشرفة.
- تعززت مكانة سلطان السلاجقة وقتئذ بأنه منفذ لمشيئة الله في اعادة "خليفة الله في ارضه" وبأن السلاجقة منقذو الشرعية والشريعة وحماتها.

- رغبة السلطان طغرل بك بالاتصال بالبيت العباسي من خلال طلب يد بنت الخليفة والزواج بها، وهذا ما تم فعلاً بعد مناكفات وتجاذبات طويلة، لكن السلطان لم يهنأ بهذا الزواج اذ سرعان ما توفي في رمضان ٤٥٥هـ/ايلول ١٠٦٣م.

في الفصل الثاني من الباب الثاني

تناولنا فيه: بغداد والتجاذب المذهبي تجاه الإمامية ابان حكم

- السلطان السلجوقي الب ارسلان (رمضان ٤٥٥-ربيع الأول ٤٦٥/ايلول ١٠٦٣-تشرين الثاني ١٠٧٢م)

- السلطان السلجوقي ملك شاه (ربيع الأول ٤٦٥-شوال ٤٨٥ / ايلول ١٠٦٣-تشرين الأول ١٠٩٢م).

ففي عهد سلطنة السلطان الب ارسلان يتبين لنا:

- الدور الفعال للوزير نظام الملك الطوسي في استقرار السلطنة للسلطان الجديد، وكذلك الدور الذي اضطلع به هذا الوزير الكبير في انشاء شبكة المدارس في حواضر الاسلام بالعراق والشام والأقاليم الشرقية، والتي عرفت بالنظامية وهي خاصة بالمذهب الشافعي الأشعري (مذهب الوزير نفسه) وهو ما شجع بقية الناشطين من المذاهب السنية الأخرى في انشاء مدارس خاصة بمذاهبهم.

- ندرة وقائع التجاذب المذهبي في بغداد، فقد احتفل أهل الكرخ في عاشوراء ٤٥٨هـ/١٢ كانون الأول ١٠٦٥م وبعد نحو ست سنين من عودة الخليفة القائم بأمر الله من منفاه بالحديثة، فعلقوا المسوح واغلقوا دكاكينهم، وناحوا بحجة جنازة اجتازت بهم، لكن الخبر تنامى للخليفة، فحبس منهم جماعة، ووبخ نقيب الطالبيين، وهرب صاحب الشرطة، "وركب اصحاب السلطان وارهبوا العامة" فيما عمل مخالفي الشيعة من أهل بغداد على الاجتماع وساروا محتجين قاصدين دار الخلافة، "وافحشوا في ذم الشيعة"، واعيد قراءة الاعتقاد القادري القائمي على الناس بالمساجد، وتم لعن الرافضة، "ومن لا يكفرهم فهو كافر".

– ان اسلوب الردع الحازم الذي اتبع في واقعة عام ٤٥٨هـ/١٠٦٥م جعلت أهل الكرخ يركنون كعادتهم الى التقية، ولذلك لم تحدث حالات تجاذب مذهبي مع الشيعة الامامية في بغداد حتى وفاة السلطان الب ارسلان سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م على اثر طعنة خنجر من احد مستحفظي القلاع العاصين عليه.

– الأثر الواضح والفعال لمعركة ملاذكرد في ٤٦٣هـ/١٠٧١م على مجمل الأوضاع الداخلية ببغداد من عدة نواحٍ، فهي من ناحية اعطت الخليفة القائم بأمر الله الثقة والاطمئنان بما آلت اليه الأمور بإحلال السلاجقة محل البويهيين الذين تقاعسوا عن مناجزة الروم البيزنطيين ودفعهم بعيداً عن ثغور المسلمين. ومن ناحية ثانية اعطت العامة من أهل السنة ببغداد النشوة بانتصار موافقيهم مذهبياً على الكفرة الروم وهو ما عجز عنه البويهيين الشيعة.

اما مجمل الأوضاع في بغداد ابان سلطنة ملك شاه وحالات التجاذب المذهبي فيها فقد حدثت:

– اولى بوادر التجاذب بعد نحو من شهرين من وفاة السلطان الب ارسلان ففي شعبان ٤٦٥هـ/نيسان ١٠٧٣م. كما أن حالات التجاذب المذهبي تحصل بتأثير حوادث عامة اكبر، كموت السلطان او حدوث فيضان عارم كما حصل بعد اقل من شهرين من حادثة الفيضان التي حدثت فيها حالة تجاذب مذهبي في شعبان ٤٦٦هـ/نيسان ١٠٧٤م بين القلائين والكرخ.

– مرت السنوات من ٤٦٧-٤٧٢هـ/١٠٧٤-١٠٧٥-١٠٨٠م دون أن تذكر اية تجاذبات مذهبية تجاه الشيعة الإمامية الأثني عشرية في بغداد.

– في شعبان ٤٦٧هـ/آذار ١٠٧٥م توفي الخليفة القائم بأمر الله، المفارقة التي تستوقفنا ان نفس مراسم الشيعة الإمامية الأثني عشرية في عاشوراء اقيمت من عامة أهل بغداد من اغلاق الاسواق، وتعليق المسوح، وفرش البواري وناح النواح ولطم الهاشميات في الحريم ليلاً تعزية بوفاة الخليفة القائم.

- وقد حصلت حالات تجاذب مذهبي بين الحنابلة والأشاعرة سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٧م انتهت بموت مقدم الحنابلة ابو جعفر الهاشمي واتهمت الحنابلة من الأشعرية بتسميمه، فضلاً عن حالة تجاذب مذهبي أخرى حصلت بين الفريقين سنة ٤٧٥هـ/١٠٨٣م.

- وكما نوهنا سابقاً ان حالات الاضطراب المجتمعي نتيجة الأحداث المهمة كوفاة خليفة او سلطان، او فيضان تحدث بتأثيرها حالات من التجاذب المذهبي، وهذا ما حدث سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥-١٠٨٦م من فيضان ووباء وحالات تجاذب مذهبي في ذي الحجة ٤٧٨هـ/آذار ١٠٨٦م، وتجددت في محرم ٤٧٩هـ/نيسان ١٠٨٦م.

- يلاحظ ان النوائب التي اصابت بغداد من وباء وفتن وفيضان في سنة واحدة، كانت قد نسبت وقتئذ الى عقوبات ربانية نتيجة التهاون من عباده في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولذلك خرج توقيع الخليفة المقتدي بأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وتمت اجراءات معينة من اراقة الخمور، ونقض دور أهل الفساد، وكسر الملاهي، بل وطالت اليهود ومنازلهم والزمتهم لبس الغيار.

- لم يقف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند ذلك الحد بل طال الشيعة الإمامية في بغداد ففي رمضان ٤٧٩هـ/نيسان ١٠٨٦م خرج توقيع الخليفة المقتدي بامر الله، يستنكر فيه عدم ذكر "اخمال" صاحبي رسول الله في مقابر قريش وان استمرارهم في هذهِ الاخمال هو "جهالة" تستوجب النكال بهم "ويستحقون به الخزي والوبال" "والتوجه بحثهم على ذكر الصحابة على جنائزهم لنيل الثواب في مقابر باب التبن وربع الكرخ وان يتم التثويب بالصلاة خير من النوم وذكر الصحابة" ثم ان الخليفة كاتب ابن مزيد ليجري هذهِ السنة في بلاده.

- ان توقيع الخليفة المقتدي اعطى غطاءً من الخليفة نفسه لقيام فتنة كبيرة نهبت فيه "قطعة من نهر الدجاج، وطرحت النار في الكرخ" وصار البائع ينادي على المنهوبات بالجانب الشرقي: هذا مال الروافض وشراءه وتملكه حلال"، ويلاحظ في هذهِ النوبة من التجاذب المذهبي ان الحجاج الذين نزلوا بغداد (ويبدو انهم من

الاقاليم الشرقية) في طريقهم الى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج قد اعانوا على اهل الشيعة.

– قد يأخذ التجاذب المذهبي حالة من التنافس بين محلة محسوبة على مذهب معين في التمايز على اخرى مجاورة لها، ومختلفة معها مذهبياً وهذا ما حدث في صفر ٤٨١هـ/نيسان ١٠٨٨م حينما بنى أهل باب البصرة قنطرة جديدة بمحلتهم وعاونهم اهل بقية المحال من الجانب الغربي الموافقين لهم مذهبياً وكذلك أهل باب الازج من الجانب الشرقي لبغداد، وكانوا يعملون باجواء احتفالية وبالمقابل فإن أهل الكرخ عملوا عقداً لأنفسهم، "وفعلوا كفعل أهل باب البصرة". ويبدو ان هذهِ الاعمال الاستعراضية من الطرفين هي التي هيأت لتجاذب مذهبي استغرق شهور عام ٤٨٢هـ/١٠٨٩م، فكبس أهل باب البصرة الكرخ وقاتلوهم، وحاولوا مرة قصد مشهد باب التبن، لكن الحكماء من أهل الحربية (وهي مجاورة لمشهد باب التبن) منعوهم، ولذلك انتدب الخليفة كبار الحنابلة للكرخ وقرءوا منشوراً على أهل الكرخ فيه تهديد ووعيد، وان عليهم ان يدينوا بمذهب أهل السنة. وينظر الى هذهِ الفتنة بأنها الأعنف والأكبر منذ دخول السلاجقة للمرة الثانية بعد القضاء على حركة البساسيري.

السلطان السلجوقي ملك شاه ووزيره نظام الملك الطوسي

– مُنِحَ الوزير نظام الملك الطوسي تفويضاً مطلقاً absolute power، وجعله اتابكاً (الأمير الوالد) له، ولكن مع تقدم العمر بالسلطان ملك شاه ومحاولته استعادة السلطات التي منحها لوزيره من خلال تفويضه اول مرة بدى مستحيلاً الا من خلال التخلص من الوزير نفسه.

– فضلاً عن ذلك فإن الوزير نظام الملك كان قد سفّه رأس ملك شاه في اقامة خليفة عباسي بدل المقتدي بأمر الله يكون حكم ارادته.

– كثرة اموال الوزير نظام الملك وهيمنته على مفاصل دولة السلطان ملك شاه ربما كانت من اسباب مقتل الوزير في رمضان ٤٨٥هـ/تشرين الأول ١٠٩٢م، حيث اتهمت الباطنية بقتله.

- لم يؤشر عن السلطان السلجوقي ملك شاه طول مدة سلطنته التي بلغت نحو من عشرين عاماً انه انحاز الى مذهب بحد ذاته، على الرغم من كون السلطان السلجوقي كان منتحلاً للمذهب الحنفي كباقي السلاجقة.

- عند زيارة السلطان لأول مرة سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م فإنه زار مختلف المراقد ببغداد (ابي حنيفة، والشيخ معروف، مشهد باب التبن)، ثم سلمان الفارسي ومن ثم المشهدين الحسيني والعلوي واجرى الماء للنجف واحسن للعلويين بالمشهد العلوي.

- فيما يروي (ابن عقيل الحنبلي) ان الباطنية افسدت عقيدة السلطان ملك شاه لبرهة من الزمن، وربما يعزى ذلك الى اطلاع السلطان على عقيدة الباطنية.

٣-الباب الثالث:

تناولنا فيه مجمل الأوضاع السياسية ومالها من تأثير على حالة التجاذب المذهبي تجاه الشيعة الإمامية الأثني عشرية في بغداد للسنوات ٤٨٥-٥٧٥هـ/١٠٩٢-١١٧٩م.

أ-الفصل الاول:

تناولنا فترة سبعة عقود من ٤٨٥-٥٥٥هـ/١٠٩٢-١١٦٠م. وهي سنوات تولي الخلفاء:

- السنتين من خلافة المقتدي بأمر الله بعد وفاة السلطان ملك شاه (٤٨٥-٤٨٧هـ/١٠٩٣-١٠٩٤م).

ومن ثم ولده:

- الخليفة المستظهر بالله (١٨ محرم ٤٨٧-ليلة ٢٤ ربيع الآخرة ١٠٩٤م / ٧ شباط ١٠٩٤-٧ آب ١١١٨م).

ومن ثم ولده:

- الخليفة المسترشد بالله (٢٤ ربيع الآخرة ٥١٢-١٧ ذي القعدة ٥٢٩هـ/٨ آب ١١١٨-٢٢ آب ١١٣٥م).

ومن ثم ولده:



- الخليفة الراشد بالله (ذي الحجة ٥٢٩-ذي القعدة ٥٣٠هـ/آب ١١٣٥-آب ١١٣٦م).

ومن ثم عمه:

- الخليفة المقتفي بأمر الله (ذي الحجة ٥٣٠-ربيع الاول ٥٥٥هـ/آب ١١٣٦-آذار ١١٦٠م).

وتعد هذهِ المرحلة مرحلة مهمة من تاريخ الدولة العباسية حيث حاول الخلفاء العباسيون الاستقلال بشكل او آخر من حكم السلاجقة على أن يكملها بصورة تامة الخليفة الناصر لدين الله كما سيتضح لاحقاً.

وقد تبين لنا من خلال هذا الفصل:

- التنافس الذي حصل بين الأخوة اولاد السلطان ملك شاه تمخض اخيراً عن سلطنة اكبر الابناء بركياروق، غير ان الأمر لم يستمر طويلاً حيث تقاسم السلطنة مع اخيه السلطان محمد في ٤٩٧هـ/١١٠٤م وقبل نحو من عام واحد من وفاة بركياروق في ٤٩٨هـ/١١٠٤م.

- لم تحدث حالات تجاذب مذهبي في بغداد على اثر وفاة السلطان ملك شاه، اللهم الا ما حدث في جمادي الاخرة ٤٨٦هـ/تموز ١٠٩٣م وكان للعميد ابي المحاسن الدهستاني دوراً في اطفاء هذهِ الفتنة اثر حسن.

- وبوفاة الخليفة المقتدي بأمر الله في محرم ٤٨٧هـ/شباط ١٠٩٤م بويع ولده الخليفة المستظهر بأمر الله حيث شهدت سنوات خلافة المستظهر بامر الله احداث مهمة على الصعيد الاسلامي عامةً تمثل ببدء الحملات الصليبية على العالم الاسلامي وعلى الصعيد البغدادي المحلي فكان البدء في انشاء السور على الحريم سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م، فكان العمل يجري باحتفالات شعبية اشترك فيها أهل المحال وهو يدلل لنا ان اشغال فئة كبيرة من العوام بهذا العمل شغلتهم عن اجواء التجاذب المذهبي، خاصة ان هذهِ الاجواء الاحتفالية ببناء السور ولدت الامتعاض لدى بعض الحنابلة وقتئذ كأبن الوفا ابن عقيل الظفري الذي استنكر اجتماع النساء والرجال بالاجواء الاحتفالية (البوق والزمور).

- لا يخفى ان هذهِ الأجواء جمعت المتضادين من أهل الفرق، وعلى جميع الأصعدة، فمع ندرة وسائل الترفيه العامة، تكون لهكذا امور أهمية في التصالح ونسيان الضغائن، ولذلك ولبرهة من الزمن تصالح "أهل السنة والشيعة" وحصل التزاور بين محلاتهم حتى تعدى الأمر بذلك الى الجانب الشرقي من بغداد ايضاً ولذلك علق كبير المؤرخين البغداديين ابن الجوزي الحنبلي على ذلك بأنه "من العجائب".

- في هذهِ الفترة كان لامير قبيلة اسد العربية سيف الدولة صدقة بن منصور بن مزيد ذو التوجهات الشيعية المعروفة دور معين في مجمل الاحداث السياسية والمذهبية وكان أكبر دور له تمثل ببناء "اعمار" مدينة الحلة سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م.

- كان لقرب مدينة الحلة من مركز التعليم الشيعي الاثني عشري وهي مدينة تمتلك مقومات السكن من ماء ووفرة محاصيل زراعية شجعت بل ولابد وان استقطبت الناشطين مذهبياً في شد الرحال من بغداد الى الحلة السيفية وبذلك يكون ذلك احد اسباب برود حالات التجاذب المذهبي تجاه الشيعة الامامية ببغداد.

- كان لتأثير الحملات الصليبية على بلاد الشام واحتلال بيت المقدس اثر ايجابي واضح في انحسار حالات التجاذب المذهبي ببغداد، فلابد وان يكون هذا الخطر الداهم الذي صار يهدد مجمل حواضر الاسلام ببلاد الشام، نقول لابد وان وحدَّ القواعد الشعبية لعموم المسلمين وتفكرهم في عواقب هذا الخطر الداهم.

- ولابد من الاشارة الى الحملات المنظمة التي قام بها أمراء السلاجقة تجاه الدعاة الاسماعيليين النزاريين منهم خاصةً والذين ينبزون بـ الباطنية ومحاربتهم ومحاولة استئصالهم من مناطق شرق العالم الاسلامي آنذاك فأن ذلك كله جعل الامامية الاثني عشرية في بغداد تعمد الى اتخاذ جانب الحيطة والحذر والركون الى مبدأ التقية في احياء مراسمهم واحتفالاتهم المذهبية، حتى لا تجرد عليهم حملات كالتي جردت على الباطنية وحتى لا يتهمون بانهم يمالؤنهم ايضاً.

مما تقدم يظهر لنا آثار ذلك كله في انحسار اعمال التجاذب المذهبي ابان خلافة الخليفة العباسي الثامن والعشرون المستظهر بأمر الله الذي توفي في ٢٦ ربيع

الآخر سنة ٥١٢هـ/٧ آب ١١١٨م. ليتولى بعده ولده ابو منصور الفضل المسترشد بالله.

وقد تبين لنا من عهد امتاز بما يأتي:

– استشعاره من اخيه الاصغر سناً المسمى عبد الله ابو الحسن الذي هرب من بغداد والتجأ الى دبيس بن صدقة المزيدي، وبذلك يمكننا تأكيد تزايد الدور المؤثر لـ"ملك العرب" المزيدي في معادلات القوى في دولة الخلافة خاصة بعد احتدام التنافس بين الاخوة واولاد العم من امراء البيت السلجوقي، مع بقاء من سمي بالسلطان الاعظم وهو السلطان السلجوقي ابو الحارث سنجر بن ملك شاه والذي كان يحاول وبلغة تصالحية لم شمل افراد البيت السلجوقي.

– تعاظم دور دبيس بن صدقة المزيدي، حتى أنه منع الخطبة وصلاة الجمعة في مشهد علي (النجف) ومشهد الحسين وكسر المنبر فيهما، تأكيداً لما تذهب اليه الامامية بأن صلاة الجمعة بشروط احدهما "حضور الإمام العادل او من نصبه الامام للصلاة".

– استنفار الخليفة من تصرفات دبيس واجراءاته خاصة بعد أن دخل بغداد وتهديده دار الخلافة، لكن سلوك دبيس كان مراوغاً، فخرج من بغداد بعد ان تجهز السلطان محمود لمطاردته.

– مسير الخليفة نفسه لحرب دبيس بالحلة، بعد أن افتى الفقهاء بوجوب قتال من "يسب الصحابة، ولا يقيم الجمعات، والجماعات، ويتظاهرون بالحرمات".

– كان في عسكر دبيس من خرج لأجل المذهب متحمساً على الرغم من ان حركته لم تكن مدعومة على ما يبدو من فتوى مرجع شيعي، وهنالك من خرج مع دبيس ممن عانوا من شغف العيش وهم لا يملكون دابة ركوب وبذلك يتضح ان غالب عسكره كان من المتطوعة غير المحترفين للقتال. فيما كان عسكر الخليفة يتمتع بالشرعية السياسية–الدينية في نظر من يقاتل تحت لواءه، فضلاً عن الاتراك السلاجقة المحترفين للقتال والضرب بالنشاب.

- انتصر الخليفة على دبيس الذي هرب، وكان تأثير الوقعة على عامة أهل بغداد كبيراً، حيث دخل الخليفة المسترشد بغداد منتصراً في يوم عاشوراء سنة ٥١٧هـ/١٠ آذار ١١٢٢م مصحوباً بالأسرى الذين امر الخليفة ان تضرب اعناقهم صبراً وبين يديه وقيل ان الاسرى مثل بهم.

- عمد عامة أهل بغداد من مخالفي الإمامية الى نهب مشهد مقابر قريش واخذوا ما فيه من ودائع وذخائر.

- تعبيراً عن سعادة الخليفة المسترشد بما حققه من انتصار على دبيس، شرع ببناء سور على بغداد باجواء احتفالية ضخمة، وتمم الاحتفالات بختان اولاده واولاد اخوته الاثني عشر.

- عزل الخليفة من استشعر منه من وظيفته، فعزل نقيب الطالبيين وهدم داره، جمع عملها لنقيب العباسيين.

- لم تحصل اية تجاذبات اخرى تجاه الشيعة الامامية حتى انقضاء ايام الخليفة المسترشد بقتله قرب مراغه في ذي القعدة ٥٢٩هـ/آب ١١٣٥م واتهمت الباطنية بقتله، وما لبث دبيس بعده إلا اياماً قليلة حتى قتل غيلة ايضاً.

وبذلك نستنتج ان الخليفة المسترشد لم يوظف تنامي دور الامير العربي دبيس بن مزيد ولا أن يحاول أن يحتويه لمناجزة السلاجقة الذين قال فيهم "فوضنا امورنا الى آل سلجوق، واكثرهم فاسقون" ويعزى ذلك الى الاختلاف المذهبي الذي طغى لديه على الحنكة السياسية، فضلاً عن ذلك فإن الخليفة حاول وبشكل مستعجل التخلص من الطوق السلجوقي، لكن الأمر كان يتطلب وقت اطول حتى يوطد الأمر لجند خاص بالخلافة قادر على مقارعة السلاجقة.

عهد الخليفة العباسي الثلاثين الراشد بالله ابو جعفر منصور

في عهده القصير تبين لنا:

- ممارسات العامة من أهل السنة لمظاهر الحزن والجزع على أثر ورود خبر مقتل الخليفة المسترشد، وبشكل مشابه لما يعمله الشيعة في عاشوراء حزناً لذكرى مقتل

الحسين (ع)، وبذلك يثار السؤال: هل الحزن والجزع الذي ينكرونه على غيرهم جائز عندهم ؟ ، وهل الخلاف على الشخص الذي تقام له مظاهر العزاء ام على الممارسات نفسها ؟ .

- توجه الجمع الغفير من أهل بغداد الشيعة لزيارة مشهد علي والحسين "لا يحصون عدداً، وظهر الرفض" وبذلك يتضح لنا ان ما عمل عليه الخليفة المسترشد بالله تبدد بعد رفع الشيعة امر التقية (ولو مؤقتاً) على اثر وفاة الخليفة.

- لم تطل ايام الراشد بالله الذي طالبه السلطان السلجوقي مسعود بالاموال التي لم يكن بيده شيئاً مهماً منها، وصاحب ذلك نقض مواضع من السور الذي عمله ابيه الخليفة المسترشد حتى تبقى بغداد في جانبها الشرقي غير محصنة يعرقل دخول عسكر السلطان اليها.

- تكرر نشاط العيارون الذين صاروا يأخذون اموال الناس قهراً على أثر اضطراب امر الخليفة وانشغال السلاجقة بأمر خلع الخليفة الراشد الذي غادر بغداد سراً الى الموصل ومنها الى مراغه ليزور قبر والده ويحدوه الأمل للثأر لأبيه لكنه لاقى نفس مصير ابيه في رمضان ٥٣٢هـ/مايس ١١٣٨م في مراغه، واتهمت الباطنية بقتله ايضاً.

عهد الخليفة الحادي والثلاثين المقتفي لأمر الله ابو عبد الله محمد

- وهو عم الخليفة الراشد بالله، بويع بالخلافة وهو في الحادية والاربعين من عمره، ولذلك ادرك وبشكل صحيح ان لا طاقة به الى مناؤة السلاجقة وسلاطينهم دون جند خاص بالخلافة العباسية، ولذلك فانه ساير السلطان مسعود السلجوقي حتى سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م على أثر اضطراب امر السلطنة، فكتب اليه السلطان مسعود "قد برئت ذمة امير المؤمنين من العهد الذي بيننا، وقد اذنت لك ان تجند عسكراً وتحتاط لنفسك للمسلمين" فدبر امر جند الخلافة ويقال ان ذلك الأمر تم بمشورة وزيره القدير يحيى بن محمد ابو المظفر ابن هبيرة.

- وكانت سنوات خلافة المقتفي ابان سلطنة السلطان مسعود السلجوقي حالة من العبث واللهو والاحتفالات التي رغب باشاعتها السلطان في المجتمع البغدادي، فتكثر الاحتفالات بضرب الطبول والزمور والحكايات (المسرحيات التمثيلية) وشرب الخمور ظاهراً ولأيام متعددة، لكل مرة يتزوج بها السلطان من فتاة توصف له بالحسن والجمال او لولادة ابن للسلطان من زيجاته المتعددة او لزفاف اخت السلطان للخليفة، ويبدو ان السلطان كان مدمناً على الخمر بل كان له طقس خاص بتحية بعض الامراء القادمين فيبعث له كأساً (نخباً) ليشربه قبل وروده بغداد، ولذلك راجت تجارة الخمور بأيامه.

- لنا ان نتسائل اين كان المتشددون في امر الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ لم نر منهم ذلك الصخب والأقتتال.

- ندرة حالات التجاذب المذهبي ابان عهد الخليفة المقتفي لأمر الله، نعم ربما قد حدثت بعض الحالات البسيطة مثال ذلك عندما قبض على احد اصحاب ابي النجيب السهروردي سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م الذي كان يعض الناس، وحمل الى الديوان واخذ منه الواح من الطين عليها اسماء الأئمة الأثني عشر.

- كما ان حالات ظهور العيارين كانت قد تكررت في السنوات ٥٣١-٥٣٢ وحتى سنة ٥٣٨هـ/١١٣٧، ١١٣٨ وحتى سنة ١١٤١م حيث انعدمت هذهِ الظاهرة والتي يمكن تعليلها الى استشراء حالات اللهو والعبث التي كانت مستشرية ببغداد في ايام السلطان مسعود كما نوهنا سلفاً.

- الا ان أهم شيء يستذكر في خلافة المقتفي دوره الفعال والمهم في انهاء الهيمنة والتحكم السلجوقي ببغداد، خاصة وان جند الخليفة قد انتصروا ولاول مرة على العسكر السلجوقي سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م عند نهر بكمزا (بينها وبين بعقوبا فرسخين) التي اكدت امر استقلالية الخلافة العباسية ببغداد عن تلك الهيمنة السلجوقية عندما قطعت الخطبة في بغداد لأي سلطان سلجوقي في سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م.

ب–الفصل الثاني (من الباب الثالث)

تناولنا فيه الاوضاع السياسية والاجتماعية وبما لها من تأثير على مجمل التجاذبات المذهبية تجاه الشيعة الامامية الاثني عشرية ولنحو عقدين من الزمان (٥٥٥-٥٧٥هـ/١١٦٠-١١٧٩م).

عهد الخليفة المستنجد بالله ابي المظفر يوسف الخليفة العباسي الثاني والثلاثين (ربيع الأول ٥٥٥–ربيع الاخر ٥٦٦هـ/آذار ١١٦٠–كانون الاول ١١٧٠م)

وفي عهد هذا الخليفة تبين لنا:

– انه تولى دست الخلافة بعد ان استطاع القضاء على المؤامرة التي حاكتها ام اخيه الحسن ابا علي لاحلال ولدها محله.

– كان عهد الخليفة المستنجد عهد قوة الحنابلة خاصة بعد اقراره لابن هبيرة وهو وزير المقتفي، والذي كان يعد احد وجوه الحنابلة في وقته بالديوان، فضلاً عن ذلك فان الخليفة نفسه خلع على شخصيات حنبلية مهمة مثل ابن الجوزي، والشيخ عبد القادر الجيلي، واذن لهم بالجلوس للوعظ في جامع القصر.

– ان زيادة نفوذ الحنابلة في عهد الخليفة المستنجد بالله قد رفع من وتيرة "التسنن والترفض في بغداد"، ومما يلاحظ ان اغلب حالات ذكر التسنن والترفض جاءت من قبل الحنابلة انفسهم، يعزز ذلك ان المصادر التاريخية لم تذكر حالات لتجاذب مذهبي حدثت في عهد الخليفة المستنجد، كما ان الوزير امر المحتسب بالقبض على جماعة من الحصريين وشهر بهم لانهم كتبوا اسماء الائمة الاثني عشر على حصرهم.

– إن الخليفة المستنجد ما لبث أن مال الى مجالس الصوفية التي كانت تعقد في الدار الجديدة التي بناها بباب الغربة ويحضرها ارباب الدولة ومشايخ الصوفية.

– الحادثة الأكبر تجاه الشيعة الإمامية حدثت سنة ٥٥٨هـ/١١٦٣م حين أمر جلاء بني أسد عن الحلة المزيدية، وقيل انه قتل منهم اربعة آلاف، وهذا الأمر أثر بشكل او آخر على احوال الشيعة الإمامية في بغداد من ناحيتين: الأولى انهم

كانوا يرون في الحلة المزيدية حاضرة قريبة منهم نوعاً ما يغلب على قاطنيها التشيع، فضلاً عما كان لأمراء بنو أسد من دور سلباً وإيجاباً بالتجاذبات المذهبية التي كانت تجري في بغداد، من ناحية اخرى فلا يستبعد أن يلجأ ميسوري الحال من الشيعة الى بغداد وبذلك يتعزز وجود الشيعة الإمامية ببغداد ويزداد عددهم.

عهد الخليفة المستضيئ بالله ابو محمد الحسن بن المستنجد الخليفة العباسي الثالث والثلاثون (ربيع الآخر ٥٦٦-ذي القعدة ٥٧٥هـ/كانون الاول ١١٧٠-آذار ١١٨٠م)

ففي عهد هذا الخليفة تبين لنا:

- أُذن للوعاظ بالجلوس للوعظ بعدما منعوا مدة في خلافة ابيه المستنجد، خاصة مجالس الوعظ المؤرخ الاشهر ابن الجوزي خاصة في عاشوراء من كل عام.
- حضي ابن الجوزي بمكانة خاصة ايام الخليفة المستضيء بالله حتى انه الف كتاباً اسماه المصباح المضيء في خلافة المستضيء ذكر فيه جملة وافرة من مواعظه ومنحه صلاحية هدم دار من ينتقص الصحابة من العوام واخلاده بالحبس، وحَذَّرَ ابن الجوزي نفسه من أن يصدر هذا الأمر من واعظ "فيحذر منه".
- ينظر الى ان ابن الجوزي صار احد من يطلق عليهم بتعبير علي الوردي بـ وعاظ السلاطين، نظراً للمكانة التي صار يتمتع بها ابان خلافة الخليفة المستضيء بالله، فضلاً عن ذلك فإن ابن الجوزي صار يمثل رأي الخليفة نفسه تجاه مخالفي الحنابلة.
- كان الشيعة الإمامية في بغداد يتجدد نشاطهم عند كل مناسبة يلتمسون بها فسحة من عدم التعصب عليهم حتى ان ابن الجوزي يذكر أن سبب انتشار الرافضة للسنين الأولى لخلافة المستضيء بالله هو ان الامير التركي الحسن بن صافي بن يزن احد امراء الجند في بغداد والذي وصف بأنه: "كان رافضياً خبيثاً متعصباً للرفض، وان أهل السنة فرحوا بموته سنة ٥٦٨هـ/١١٧٣م وغضب الشيعة من ذلك".
- الواقعة الكبيرة تجاه الامامية ببغداد في أيام الخليفة المستضيء بالله فقد جاءت في رمضان ٥٧٤هـ/شباط ١١٧٩م عندما كبست دار ابن قرايا الذي كان ينشد الاشعار

على الدكاكين والأسواق بشعر العوني وغيره "من أهل الرفض"، ولذلك اخذ وقطع لسانه وضرب، فهرب الى الشط يسبح فاخرج وضربوه حتى مات واحرق ثم رمي باقيه الى الماء فطفى بعد أيام. ويذكر ابن الأثير ان الخليفة نفسه امر بأن يعقد له مجلساً واستنطق "فاذا هو رافضي جلد" ويذكر ابن كثير بانه ربط برجله شريطاً بعد رجمه وطوفوا به (سحلوه) وبعد ذلك حرقوه.

وسنلاحظ ان هذهِ القسوة من العامة ستتكرر لاحقاً وبطرق لا تختلف كثيراً عما جرى لأبن قرابا.

– الحدث الابرز الذي جرى ابان خلافة الخليفة المستضيء بالله هو الخطبة للخلافة العباسية في حاضرة الخلافة الفاطمية القاهرة وتأكد الأمر بأنهاء الدولة الفاطمية بوفاة آخر الخلفاء الفاطميين العاضد في محرم ٥٦٧هـ/ايلول ١١٧١م، ولا يخفى ما لهذا الحدث من تأثير بالشعور بالنصر والنشوة والأرتياح للخلافة العباسية ببغداد فضلاً عن العامة إذ زينوا بغداد وعملوا القباب في اسواقها وفي المقابل يورد ابن الجوزي الحنبلي فيقول: انكدر الروافض وغني عن البيان ان تأثير هذا الحدث على شيعة بغداد الامامية كان معنوياً نفسياً لا غير على اعتبار انهم شيعة إمامية أثني عشرية وعلى خلاف الدولة الفاطمية السبعية الاسماعيلية.

– يعد أمر إنهاء الدولة الفاطمية حلم كان يراود اجداد الخليفة المستضيء بالله يرمون تحقيقه كل من الخليفة القادر بالله وحفيده القائم بامر الله. إلا ان الأمر جاء اخيراً على يد صلاح الدين يوسف بن ايوب صنيعة الزنكيين الذين هم بدورهم صنيعة اسيادهم السلاجقة.

٤–الباب الرابع:

قسم هذا الباب كرونولوجياً الى فصلين:

أ–الفصل الاول:

تناولنا فيه العهد الأطول اياماً من عهود الخلفاء العباسيين طراً، الخليفة العباسي ابو العباس احمد الناصر لدين الله الخليفة العباسي الرابع والثلاثون (ذو القعدة ٧٥٧–رمضان ٦٢٢هـ/آذار ١١٨٠–ايلول ١٢٢٥م).

وقد تبين لنا:

- يمثل عهد الخليفة الناصر عصر الصحوة للخلفاء العباسيين تجاه قوى التغلب القادمة من المشرق الاسلامي، فضلاً عن عهد ارتقى فيه رجالات الشيعة الإمامية المراتب الادارية والديوان بعد انحسار نفوذهم ايام الخليفة المستضيء بالله (٥٦٦-٥٧٥هـ/١١٧٠-١١٨٠م).

- وقد حاول الناصر وبشكل ذكي احتواء طرفي التجاذب المذهبي وهما: السنية المتمثلة بالمسلمين الحنابلة، وشيعة آل ابي طالب، المتمثلة بالإمامية الأثني عشرية، وايجاد ما يؤشر لدى الخلفاء وكقاسم مشترك يجمعهما شرعياً.

- ان عهد الخليفة الناصر جاء تتويجاً لجهود جدوده الخلفاء ابتداءاً من المسترشد وانتهاءً بالمستنجد الذين تطلعوا الى نزع طوق التقييد الذي فرضه سلاطين السلاجقة، وأمرائهم على البلاد.

- لم يظهر الخليفة الناصر طول مدة خلافته الطويلة، ما عرف بالاعتقاد القادري القائمي، وكذلك لم يلزم الشيعة الإمامية ترك مراسمهم العبادية وطقوسهم الاحتفالية، ولم يفرض على مساجدهم التثويب، فيما أمر بقراءة مسند احمد بن حنبل بمرحلة لاحقة بمشهد موسى بن جعفر وبحضور احد علماء الإمامية، وجعل هذا المشهد أمناً لمن يلوذ به، وعمل ضريحاً لنفسه عند مرقد موسى بن جعفر سابع أئمة الشيعة الإمامية الأثني عشرية (لكنه لم يدفن فيه عندما توفي)، وكان يزور فقهاء الشيعة ومراجعهم، وعمد الى تسمية الطيور الهوادي (الزاجل) الى ١٢ صنفاً باسماء الأئمة الإثني عشر، وكسى الكعبة المشرفة بالديباج الاخضر (وهو دون شك شعار العلويين) بعد أن كانت تكسى بالديباج الأبيض ثم ما لبث ان امر بكسوتها بالديباج الاسود حيث مازالت تكسى بهذا اللون، فضلاً عن ذلك فإن متولوا الوزارة او نيابة الوزارة (وهو منصب استحدث في ايام الخليفة الناصر) كانوا غالباً من الشيعة، كل ذلك أدى الى الاعتقاد من قبل غالب المؤرخين بل جلهم أن يصفونه بأنه متشيعاً او يميل الى التشيع، او شيعي الهوى ونحن نرى أن ما يقال عن تشيعه مرده الى دوافع

سياسية من لدن الخليفة، تستهدف ترسيخ الأمن والطمأنينة لدى فرقاء المجتمع البغدادي لا عن عقيدة وايمان بالتشيبع الذي يدعيه حتى الإمامية منهم.

– كانت الأخبار بما يستجد في ديوان الخلافة، وديوان الوزارة، بل واخبار الناس في بغداد وبقية الاطراف وربما الأمارات والممالك الاسلامية تنقل وبصورة غير مسبوقة الى الخليفة الناصر لدين الله من خلال مطالعات (تقارير بتعبير زماننا) ولذلك عدّ البعض الخليفة الناصر ممن يسخرون الجن، او ممن يعرفون الغيب.

– كان لكل من زمرد خاتون الشافعية المذهب، ام الخليفة الناصر لدين الله، وكذلك لحظية ابيه المسماة بنشفا الحنبلية المذهب اثر واضح في التوازن المذهبي الذي امتاز به عهد الخليفة الناصر، وذلك من خلال انشاءهن للربط والمدارس، ورعاية المشاهد المقدسة سواء عند مذهبهن او حتى بعض المشاهد المقدسة عند الإمامية الأثني عشرية.

– كان للأثر الخارجي اثر واضح في ميل الناصر لدين الله نحو التشيع، وقد تمثل ذلك من خلال مناضلة السلاجقة في محاولتهم العودة الى نفوذهم في العراق والذين اظهر لهم هذا الميل وانهى آمالهم بهدم دار السلطنة السلجوقية سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، كما وان السمعة والشعبية التي تمتع بها السلطان الناصر صلاح الدين خاصة بعد استعادة القدس الشريف سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م وتفاقم الأمر بما حصل من حوادث لجوء بعض أمراء العسكر او الحج الفارين من حاضرة الخلافة العباسية واستقبالهم من لدن السلطنة الأيوبية بالشام، فضلاً عما حصل من احتكاك وتصادم في احد مواسم الحج بين امير الحاج العراقي الذي يمثل الخلافة العباسية وامير الحاج الشامي الذي يمثل صلاح الدين الايوبي، وبذلك يمكننا أن نتلمس آثار ذلك على السياسة الداخلية تجاه الشيعة الإمامية في بغداد التي تعد صلاح الدين وسلطنته من اعدائهم لما كان له من دور كبير في تتبع الشيعة وملاحقتهم ومعاقبتهم في مصر والشام.

– كان للخليفة العباسي الناصر لدين الله دور في تحريض الغوريين بمقارعة الخوارزمشاهيين خشية من أن يأخذوا دوراً مشابهاً للسلاجقة في الهيمنة على الأقاليم

الشرقية ومن ثم الزحف لبغداد، لكن الذي حصل ان الخوارزمشاهيين حالوا ذلك، ولكن كثافة الثلوج حالت دون تحقيق ذلك الهدف وذلك سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م، على اثر ذلك فإن خوارزمشاه اشاع مقولة مفادها ان الحسينيين من آل ابي طالب هم اصحاب الحق، وكان الذي سلب هذا الحق منهم آل العباس، وان الخليفة الذي ببغداد منهم، وبذلك نفهم ما كان يرمي اليه خوارزمشاه في التحريض وحث الشيعة عموماً، والشيعة الامامية في بغداد خصوصاً بايجاد قاعدة له تؤيده في دخول عاصمة العباسيين والتسلطن بها، واننا نرى ان ميل الخليفة الناصر نحو التشيع كان يهدف فضلاً عن مبررات اخرى ظهرت مبكراً من خلافته هو سحب البساط عن اي تحرك يرمي الى ارباك وضع بغداد المذهبي.

- يبدو ان ما خمنه المؤرخ الكبير ابن الاثير الجزري في علاقة الخليفة الناصر مع المغول بالضد من الخوارزمشاهيين قد تأكدت من خلال ما كتبه عطا ملك الجويني بأن الخليفة الناصر كان يحث ويحرض جيوش الختا لمطاردة الخوارزميين وبذلك تتأكد لدينا سياسة هذا الخليفة التي يمكن أن نصفها بمصطلحات ايامنا بـ"الميكافيلية".

- في العام ٥٧٨هـ/١١٨٢م لبس الخليفة الناصر لدين الله سراويل الفتوة وشرب كأسها (الماء المملح) عن الشيخ عبد الجبار بن يوسف بن صالح، واعلن منشور الفتوة التي صار فيها الفتيان يلبسون السراويل ويشربون كأسها ويرمون البندق باسم الخليفة نفسه، ويمكننا القول ان تبني الخليفة الناصر لأمر الفتوة يعود الى ناحيتين: الأولى لغرض داخلي بغدادي محلي، وهو ايجاد نوع من القوة الرديفة في المجتمع يترأسها الخليفة بصورة مباشرة يستفاد منها في حالات الأزمات التي قد تحصل في حاضرة الخلافة العباسية بغداد، فضلاً عن تهذيب الطاقة والحيوية التي تفعم بها هذهِ الفئة وتحول توجيهها الوجهة الإيجابية في توطيد وغرز القيم المثالية التي ينادي بها الفتيان، خاصة وان هؤلاء الفتيان ينتسبون عبر سلسلة العنعنة الى الفتى الأول في الاسلام الإمام علي بن ابي طالب (ع). الناحية الثانية كان غايتها أمراء الأطراف في العالم الاسلامي ورجالاتها، وبذلك يمكننا القول ان الخليفة الناصر ومن خلال

مراسم الفتوة هذهِ استعاد مكانته كقائد للعالم الاسلامي، فضلاً عن ما كان يمثله كرمزاً دينياً في قيادة المسلمين.

- كان وراء سياسات الخليفة الناصر لدين الله في الاحتواء ولمختلف رجالات المذاهب في بغداد، والإحاطة بالأمور في كل ما جرى في بغداد، والمحيط الاسلامي، وتبني أمر الفتوة، وأمور من شخصية الخليفة نفسه الميكافيلية في ادارة ذمة شؤون حاضرة الخلافة كل هذهِ الأمور ساهمت بنوع من انحسار حالات التجاذبات المذهبية عامة في بغداد، فضلاً عن انحسار وقلة نشاط العيارين في عهد هذا الخليفة الذي كان اطول الخلفاء العباسيين طرا، هذا الخليفة:

- مما يؤخذ على الخليفة الناصر لدين الله انه لم يدرك الخطر الحقيقي المحدق بالعالم الاسلامي المتمثل بالامبراطورية القوية النامية التي انشأها جنكيز خان، ولم تكن له ستراتيجية طويلة الامد ازاء ذلك.

- توفي الخليفة الناصر في رمضان ٦٢٢هـ/ايلول ١٢٢٥م وكان قد اصابه الفالج (الشلل) آخر ثلاث سنين من عمره، وفقد الابصار بأحدى عينيه وضعفت الاخرى، ولم يشع العلم بذلك، وهذا كان يعد من حزمه آنذاك حتى لا يرجف بقرب موته فتضطرب الأمور في حاضرة الخلافة العباسية بغداد.

ب-الفصل الثاني:

تناولنا في الفصل الثاني من الباب الرابع عهد الخلفاء الثلاثة الاخيرين من الخلفاء العباسيين:

الخليفة الظاهر بالله.

الخليفة المستنصر بالله.

الخليفة المستعصم بالله.

يمثل عهد هؤلاء الخلفاء الثلاثة، عصر الأفول للخلافة العباسية.

عهد الخليفة الظاهر بامر الله (٦٢٢-٦٢٣هـ/١٢٢٥-١٢٢٦م)

كان عهد الظاهر بالله لحظة استراحة في تاريخ الخلافة العباسية من عهد ابيه الناصر الطويل الامد. مؤذناً ببدء مرحلة جديدة من عمر الخلافة العباسية، اما سياسته، فكانت تقوم على تعزيز حال الحنابلة في ادارة الدولة، والتخفيف عن كاهل الرعية من المكوس والضرائب واعادة الخراج القديم في جميع العراق وابطال اجراءات ابيه في التقصي والاستقصاء عن المتربصين بالخلافة داخلياً وخارجياً مع خلو التجاذب المذهبي خلال خلافته التي تعد واحدة من اقصر ايام هؤلاء الخلفاء من بني العباس.

عهد الخليفة المستنصر بالله (٦٢٣-٦٤٠هـ/١٢٢٦-١٢٤٢م)

- ينظر الى عهد الخليفة المستنصر، الخليفة العباسي السادس والثلاثين، بانه عهد يعكس نوعاً من الازدهار في الازدهار العلمي والرفاهية المادية، ويعتقد ان هذهِ الرفاهية المادية متأتية من الخزائن التي ملئت ايام جده الخليفة الناصر لدين الله العباسي.

- لم يغير المستنصر بالله في سنوات خلافته الأولى في مراتب نيابة الوزارة، فتولى مؤيد الدين ابو الحسن محمد القمي نيابة الوزارة وهو من الإمامية حتى رمضان ٦٢٩هـ/تموز ١٢٣٢م حيث عزل وتولى نيابة الوزارة ابو الأزهر احمد بن محمد الناقد الذي ينتسب الى المذهب الامامي ايضاً.

- عدت المدرسة المستنصرية التي انشأها الخليفة المستنصر ونسبت الى اسمه، فكات معهداً علمياً يدّرس علوم الدين واللغة والطب والحساب والفرائض. ومن الملاحظ ان المستنصرية اقتصرت بتدريس علوم الدين على المذاهب السنية الأربعة على الرغم من تولي بعض رجالات الشيعة اعلى المراتب في الديوان وهي الوزارة فأن احد منهم لم يجرؤ على إنشاء مدرسة فقهية تخص الإمامية، وهذا يعطينا تصوراً واقعياً عن حقيقة نفوذ وسلطة اولئك الصدور في الديوان بأنه كان يقتصر على تمشية المكنة الادارية لدولة الخلافة، وهم بذلك يكونون بأدنى درجات وزراء التنفيذ،

فلم يكن لهم دور في تعزيز سياسة الدولة المذهبية في تقرير أمرين مهمين وهما: قضية القضاء، والمدارس الدينية.

- تأثر الخليفة المستنصر بالله بسياسة جده الخليفة الناصر لدين الله (عاش في كنف جده وهو أمير لأكثر من ثلاثة عقود من الزمن كان جده شديد الحب له) خاصة تجاه الصدور من الشيعة الإمامية وذلك من خلال ابقاءه على متولي نيابة الوزارة مؤيد الدين القمي ذي الميول الشيعية، وحتى في حالة القبض عليه فإنه تم استبداله بإمامي آخر هو ابن الناقد، فضلاً عن ذلك فإن الخليفة المستنصر كانت له مواقف تجاه الشيعة الامامية لا يمكن تصنيفها إلا أن تكون سياسية ايضاً، من ذلك تقدمه الى احمد بن نائب الوزارة مؤيد الدين القمي سنة ٦٢٧هـ/١٢٣٠م بعمارة مساجد الكرخ التي اصابها الضرر، نتيجة نوبات الفيضانات التي اجتاحت الكرخ، كما وان الخليفة المستنصر اظهر وبشكل متكرر زيارة مشاهد الشيعة وتعميرها في سامراء، ومقابر قريش، والمشهد العلوي، والإحسان الى العلويين بها لكن الفاحص المتدبر يدرك بسهولة ان المبالغ التي كان يوزعها الخليفة على الفقراء والعلويين الشيعة لا تساوي شيئاً في قبال ما كان يصرف وتحت انظار العامة في امور هي اقرب الى الأعمال الاستعراضية او الاحتفالية لمناسبات مثل ختم ابن الخليفة للقرآن، او رمي وصيد طير نيابة عن الخليفة في مراسم الفتوة، وفي نثر آلاف الدنانير عليها الى غير ذلك من مظاهر الترف التي امتازت بها خلافة المستنصر بالله المزدهرة.

- ولا يمكن انكار حركة ازدهار العمران ايام الخليفة المستنصر، فنال الناس راحة بال وهدوء نسبي، نتيجة استيعاب الفعلة (عمال البناء) والعاطلين عن العمل بما يشغلهم عن العيارة والشغب والانغماس بالفتن.

- كانت سنوات خلافة المستنصر بالله سنوات حاسمة قررت مصير الخلافة العباسية لاحقاً، فبعد مقتل جلال الدين منكبرتي سنة ٦٢٨ او ٦٢٩هـ/١٢٣١ او ١٢٣٢م، صار الخطر المغولي على ابواب العراق وبغداد بعد أن زالت آخر الحواجز التي تفصل دولة الخلافة عن المغول.

- لم تتعدى مكافحة المغول في عهد المستنصر ستراتيجية الدفاع عن اطراف العراق وفي صد غارات وهجمات المغول دون تعقبهم، ولم يبادر الخليفة الى احتواء الخورزمشاهيين او توحيد قوى المسلمين تجاه الخطر المحدق بالعالم الاسلامي وحاضرة خلافته.

الخليفة العباسي السابع والثلاثون المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين في بغداد

- وصف الخليفة المستعصم باللين، وانقياده، وضعف رأيه ولذلك فإن المستعصم بالله لمن يكن رجل المرحلة المعول عليه التصدي للاخطار المحدقة بدولة الخلافة العباسية المتمثلة بالمغول الذين صاروا يطرقون ابواب العراق بغاراتهم التي انتهت باجتياح كاسح واحتلال حاضرة الخلافة العباسية بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م.
- ينظر الى "تمرد" جند الخلافة وهم المماليك الظاهرية والمستنصرية مطالبين بزيادة ارزاقهم، وعدم الاستجابة لمطالبهم ينظر من سوء التدبير وقد انفقت الاموال الطائلة والخلع الكثيرة احتفاءً باداء ام الخليفة لفريضة الحج.
- بروز ثلاث مراكز قوى في دولة الخلافة اثرت في قراراته المترددة وغير الحاسمة، وهذهِ القوى الثلاثة هي الحاشية التي تحيط به (مثل: ابي الدرنوس، مؤدبه اياتم الصبا، ام الخليفة نفسه، ابنه الملقب بـ ابي بكر)، والإدارة المدنية للديوان المتمثلة بالوزير، ومجموعة من اقوى تلك القوى التي تتجاذب اطراف القرارات، والمتمثلة بأمراء عسكر الخلافة المستجدة اولاً بالأمير اقبال الشرابي ومن ثم بمجاهد الدين ايبك الصغير.
- لم يكن الخليفة المستعصم بالله مؤثراً وصانعاً للأحداث بل ان الأحداث وما يستجد منها هي التي كانت تجعله منساقاً اليها.
- لم يفوض الخليفة الى جهة الخليفة الأمر الى جهة دون أخرى ولم يكن حاسماً تجاهها، فلم يفوض الأمر الى وزيره ويجعله وزير تفويض، ولم يخضع لأمر قواد

عسكره فيفوض امور العسكر لهم كلياً لهم. يعزز ذلك ما اشيع سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م عن الدويدار الصغير بانه "يدبر في خلع المستعصم والمبايعة لولده الكبير".

- يبدو ان حالة فسحة التمتع بحالة من مسحة الحرية التي اعطيت للامامية في إقامة مراسمهم المذهبية قد تقلصت فبعد سبعة اشهر من تولي الخليفة المستعصم بالله لدست الخلافة وفي محرم سنة ٦٤١هـ/حزيران ١٢٤٣م تقدم الى المحتسب جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي بمنع قراءة المقتل بعاشوراء والإنشاد بسائر المحال بجانبي بغداد سوى مشهد موسى بن جعفر، وينظر الى هذا الأمر على انه محاولة لتقنين هذهِ المراسم وليس منعها كلياً.

- تكرر أمر المنع ثانية في محرم سنة ٦٤٩هـ/نيسان ١٢٥٠م بمنع اهل الكرخ والمختارة من النياحة والإنشاد وقراءة المقتل ونفس الأمر أُكدَّ عليه سنة ٦٥٠هـ/١٢٥٢م.

- تواصلت الفتن والتجاذبات المذهبية في بغداد في أواخر سنوات عمر الخلافة العباسية (٦٥٣-٦٥٦هـ/١٢٥٥-١٢٥٨م) فضلاً عن الكوارث الطبيعية، المتمثلة بالفيضانات التي تواترت على بغداد بين السنوات ٦٥١-٦٥٤هـ/١٢٥٣-١٢٥٦م ولا يخفى ما لهذهِ الفيضانات من تأثير في خلخلة الأمن المجتمعي في بغداد بظهور العيارين والسراق.

- الفتنة الأكبر في بغداد وقعت سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م، وقد نسب الكثير من المؤرخين وهم كالعادة من مخالفي الإمامية أمر اجتياح المغول لبغداد الى نتائج هذهِ الفتنة زاعمين أن مؤيد الدين ابن العلقمي كان يقف وراء استدعاء المغول الى بغداد بغية الإنتقام لما جرى من قتل وسبي للنساء العلويات من أهل الكرخ الذين يمتون بصلة قرابة لأبن العلقمي وإقامة خليفة علوي بدلاً عن الخليفة العباسي وانهاء الخلافة العباسية، وكما لا يخفى ما لهذا الزعم من أثر مذهبي يفنده كون المغول كان مخططهم اجتياح دولة الخلافة العباسية بأمر يسبق أمر هذه الفتنة وانهم طرقوا ابواب العراق مراراً ومنذ عهد الخليفة المستنصر، ولم يبادر الخليفة المستنصر ولا المستعصم بالله الى بناء جبهة اسلامية تضم قوى الأيوبيين وما تبقى من

الخوارزمشاهيين وغيرهم، فضلاً عن ذلك فان الثقة المفرطة والوهم الذي آمن به الخلفاء العباسيون ومنهم الخليفة المستعصم ببقاء الخلافة العباسية فيهم الى آخر الدنيا ربما كان وراء الكارثة التي حلت ببغداد بدخول هولاكو (هلاوون) بغداد في صفر ٦٥٦هـ/شباط ١٢٥٨م وبذلك ختم على دولة الخلافة العباسية ببغداد بعد اكثر من خمسة قرون من السنين القمرية لتبدأ مرحلة جديدة في تاريخ بغداد في عهد المغول الايلخانيين.

بعد هذا الملخص لما طرحناه من خلال هذهِ الدراسة يبقى السؤال الاول والاهم: هل ساهمنا بشكل او بآخر في تحليل مشكلة التجاذبات المذهبية تجاه الشيعة الامامية الاثني عشرية ؟ مستمدين من التاريخ كتجارب انسانية، ودروس وعبر، بغية التوصل الى افضل السبل في معالجة مثل هذهِ المسألة العويصة التي يروج لها أهل التحزب المذهبي. وما هي تلك الدروس والعبر التي استقيناها من خلال دراستنا لواقع التجاذب المذهبي التي حدثت ابان الفترة قيد البحث ؟

فنقول:

- ان تمذهب الدولة عموماً، وفي مجتمع متعدد المذاهب، يساهم وبشكل واضح على شدة التجاذبات المذهبية، وتمثل ذلك في دراستنا من خلال ما عرف بالاعتقاد القادري-القائمي الذي كان في غالب فقراته ينص على ما اعتقده الحنابلة خاصةً ومن وافقهم، فيما تعد عملية التثقيف المذهبي التي شرع فيها وزير السلاجقة الاشهر نظام الملك الطوسي قد ساهمت وبشكل لا ينكر في توفير الكوادر الادارية الموالية لتوجهات الوزير المذهبية، وهذا الامر بحد ذاته يفوت الفرصة على الكفوئين من معتنقي "المذاهب الفاسدة" على قول الوزير نفسه من تبؤ المناصب الادارية في الدولة.

فيما ساهم أمر لجوء مرجع الشيعة الامامية الاثني عشرية ابو جعفر الطوسي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٨م) الى مشهد علي (النجف) على اثر دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م ساهم بشكل فعال في انشاء مركز تعليمي شيعي اثني عشري بعيد عن كل الضغوط السياسية سواء من الخليفة او من السلاطين السلاجقة في بغداد،

كما وساهم بشكل كبير في الابتعاد عن مخالفيهم ومالهم من تأثير على السلطة تجاه الامامية (نذكر هذا للمقارنة ما لمرجع الشيعة الامامية الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ/١٠٢٢م) ابان امارة الاستيلاء البويهية من زجه في خضم التجاذبات المذهبية، ونفيه من بغداد ولثلاث مرات).

– ان الشيعة الامامية الاثني عشرية بعد الغيبة الكبرى للامام الثاني عشر "المهدي المنتظر" (٣٢٩هـ/٩٤١م) عادةً ما تركن الى قاعدة التقية في حالات اشتداد التضييق عليهم، ولذلك فأنهم لم يلجاؤا الى مواجهة السلطة الحاكمة او الخروج عليها، وقد تأكد ذلك في حالات عدة في دراستنا منها سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م على اثر دخول السلاجقة بغداد وفرضهم ممارسات ومراسم الاذان الخاصة بأهل السنة. وبناء على ذلك يمكننا القول: انه مهما ازداد الضغط على الامامية، فإن ممارساتهم المعهودة (خاصة في عاشوراء) لا تموت بل تدخل في دور التقية، والسبات الاجباري، حتى تستجد الظروف المواتية لهم فتنتعش من جديد، وقد تجسد هذا الامر في دراستنا بعد وفاة (مقتل) الخليفة المسترشد بالله (٥٢٩هـ/١١٣٥م) فقد "ظهر الرفض ومضى الى زيارة مشهد علي ومشهد الحسين عليهما السلام خلق لا يحصّون"، وكذلك ابان خلافة الناصر لدين الله العباسي خاصة ايام نيابة الوزارة لابن الصاحب استاذ الدار.

– ان تمذهب الدولة تعتمد على شخصية رأس السلطة نفسه، وقد تمثل ذلك في دراستنا من خلال شخصية الخليفة العباسي، وبطبيعة الحال فأن شخصية الخليفة وتوجهاته المذهبية قد ساهمت عدة نواحٍ في بناءها، فضلاً عن الظروف السياسية سواء كانت داخلية او خارجية، وقد تجسد هذا الامر في دراستنا من خلال شخصية الخليفة القائم بأمر الله الذي تربى في كنف ابيه الخليفة القادر بالله وهو صاحب الاعتقاد المعروف باسمه، فضلاً عن ما عاناه من نفي في الحديثة. مثال آخر تجسد لنا من خلال شخصية الخليفة الناصر لدين الله العباسي وميله سياسياً نحو التشيع لظروف داخلية وخارجية.

- ان التجاذبات المذهبية تجاه الشيعة عادةً ما تدور حول احتفالات الامامية بيوم عاشوراء، وكذلك احتفالاتهم بيوم الغدير، وعلى الرغم مما يشوب هذهِ الاحتفالات من تعريض ببعض الرموز الاسلامية عند أهل السنة التي ربما عدّها بعض الامامية هي المسؤلة الاولى عن حادثة الطف، فأن هذهِ الاحتفالات ينظر اليها من قبل السلطة الحاكمة (الخليفة) على أنها تجمعات حاشدة تُعبرْ عن أهميتها، وإمكانية انفلاتها لتكون مناهضة للواقع الذي تعيشه غالب الشيعة[1]

- ان انجع الوسائل في اشغال العامة عن الاستغراق في التجاذب المذهبي كانت هي الوسائل التي اتبعها الخليفة العباسي الناصر لدين الله تجاه الشيعة الامامية الاثني عشرية مدفوعاً بعوامل سياسية داخلية وخارجية قوامها سياسية الاحتواء المتوازن تجاه الامامية ومخالفيهم من الحنابلة خصوصاً وسياسة الاحتواء هذهِ ربما لم يفهمها البعض فهماً جيداً فاتهم الخليفة الناصر بانه متشيعاً، فضلاً عم ما رسمه الخليفة من امر الفتوة التي غايتها اشغال الفتيان عن امور العياره وتوجيههم وجهة تستثير فيهم روح المآثر الحميدة وتفريغ طاقاتهم الشابة في غير التجاذب المذهبي، مع ملاحظة مهمة: ان السلطان السلجوقي مسعود حاول قبل الخليفة الناصر ان يشغل الناشطين من العيارين، بامور الترفيه والترف التي حفلت بها ايام هذا السلطان من خلال تعطيل الاسواق والاستغراق في حفلات صاخبة مع كل زيجة للسلطان او مولود ذكر له، وبقية المناسبات، الا ان الامر لم يستمر مع افول تلك الاحتفالات الصاخبة وربما اثارت النقمة عليه لما يصاحبها من امور لا يقرها الشرع الاسلامي.

- لا يمكن الركون الى ما ذكره غالب المؤرخون من غير العراقيين (الشاميين من العصر المملوكي) ومن المخالفين للامامية بشأن البعد المذهبي في امر الغزو المغولي لبغداد وقد بينا الظروف والملابسات التي افضت الى سقوط الخلافة العباسية في بغداد، وانما ذكر هؤلاء المؤرخون ما ذكروا انما يعود في رأينا وتحليلنا الى أنهم لا يريدون التصديق بالامر الواقع الا وفق نظرية المؤامرة بدافع مذهبي.

---

[1] ذهب الى مثل هذا الرأي المرحوم علي الوردي. انظر: وعاظ السلاطين، ص٢٥٥.

واخيراً لابد من التذكير بما ذكره الله جلت قدرته في محكم كتابه المجيد: **((قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا)) الإسراء ، الآية ٨٤** لتكون حلاً مثالياً للتجاذب المذهبي بين مختلف الفرق.

ومن الله التوفيق



الملاحق

الملحق رقم (١) : الخلفاء العباسيون في الفترة قيد البحث.

الملحق رقم (٢) : وزراء الخلفاء العباسيون في الفترة قيد البحث.

الملحق رقم (٣): سلسلة النسب السلجوقية
السلاجقة الكبار (العظام)

الملحق رقم (٤): الاعتقاد القادري

الملحق رقم (٥): محاضر ديوان الخلافة العباسية في الطعن نسب الخلفاء الفاطميين بمصر.

الملحق رقم (٦): نص رسالة السلطان السلجوقي طغرل بك الى قريش بن بدران العقيلي ابان نفي الخليفة العباسي القائم بأمر الله بالحديثة.

الملحق رقم (٧): نص ما كتبه مقدم الحنابلة ابو الوفا ابن عقيل الظفري الحنبلي بشأن التجاذب المذهبي الذي حصل في بغداد سنة (٤٨٢هـ/١٠٩٠م)

الملحق رقم (٨): رسالة الخليفة العباسي الناصر لدين الله الى السلطان صلاح الدين الايوبي.

الملحق رقم (٩): جواب السلطان صلاح الدين الايوبي على رسالة الخليفة الناصر لدين الله العباسي.

الملحق رقم (١٠): منشور الفتوة الذي أقره الناصر لدين الله العباسي.

الملحق رقم (١١): الحديث الخاص بشأن فضائل يوم عاشوراء والذي عدّه ابن الجوزي من الموضوعات.

الملحق رقم (١٢): خطبة داود بن علي العباسي في مسجد الكوفة سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م.

الملحق رقم (١)

الخلفاء العباسيون في الفترة قيد البحث / تسلسلهم في تسنم دست الخلافة، اسماءهم وكناهم والقابهم وتواريخ مولدهم وتوليهم دست الخلافة ووفياتهم[١]

التسلسل	اسم الخليفة وكنيته	لقبه	تاريخ ميلاده	تاريخ توليه دست الخلافة	تاريخ وفاته	سبب الوفاة
الخليفة العباسي الخامس والعشرون	ابو العباس احمد	القادر بالله	صفر ٣٣٦هـ/ايلول ٩٤٧م	شعبان ٣٨١هـ/كانون الاول ٩٩١م	ذي الحجة ٤٢٢هـ/كانون الثاني ١٠٣١م	وفات اعتيادية
ثم ولدة الخليفة العباسي السادس والعشرون	ابو جعفر عبد الله	القائم بأمر الله	ذي القعدة ٣٩١هـ/ايلول ١٠٠١م	ذي الحجة ٤٢٢هـ/كانون الثاني ١٠٣١م	شعبان ٤٦٧هـ/نيسان ١٠٧٥م	وفات اعتيادية
ومن بعده حفيده الخليفة العباسي السابع والعشرون	ابو القاسم عبد الله	المقتدي بأمر الله	جمادي الاولى ٤٤٨هـ/تموز ١٠٥٦م	شعبان ٤٦٧هـ/نيسان ١٠٧٥م	محرم ٤٨٧هـ/شباط ١٠٩٤م	توفي فجأة
ثم ولده الخليفة العباسي الثامن والعشرون	ابو العباس احمد	المستظهر بالله	شوال ٤٧٠هـ/نيسان ١٠٧٨م	محرم ٤٨٧هـ/شباط ١٠٩٤م	ربيع الاخر ٥١٢هـ/آب ١١١٨م	وفاة
ومن بعده ولده الخليفة العباسي التاسع والعشرون	ابو منصور الفضل	المسترشد بالله	ربيع الاول ٤٨٥هـ/نيسان ١٠٩٢م	ربيع الاخر ٥١٢هـ/آب ١١١٨م	ذي القعدة ٥٢٩هـ/آب ١١٣٥م	اسره السلاجقة ثم قتل واتهمت الباطنية بقتله

(١) انظر: ابن الكازروني، مختصر التاريخ من اول الزمان الى منتهى دولة العباس، صص: ١٩٦-٢٨٠؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، صص: ٤٨٥-٥٦١؛ وانظر ايضاً: شاكر مصطفى، موسوعة دول العالم الاسلامي ورجالها، صص: ١٤١-١٤٨.

ثم ولده الخليفة العباسي الثلاثون	ابو جعفر منصور	الراشد بالله	٥٠٢هـ/ ١١٠٨م	ذي القعدة ٥٢٩هـ/آب ١١٣٥م	رمضان ٥٣٢هـ/حزيران ١١٣٨م	قتله السلاجقة واتهمت الباطنية بقتله
ومن بعده عمه الخليفة العباسي الحادي والثلاثون	ابو عبد الله محمد	المقتفي لامر الله	ربيع الاخر ٤٨٩هـ/نيسان ١٠٩٦م	ذي الحجة ٥٣٠هـ/آب ١١٣٦م	ربيع الاول ٥٥٥هـ/اذار ١١٦٠م	وفاة
ثم ولده الخليفة العباسي الثاني والثلاثون	ابو المظفر يوسف	المستنجد بالله	ربيع الاول ٥١٨هـ	ربيع الاول ٥٥٥هـ/اذار ١١٦٠م	ربيع الاخرة ٥٦٦هـ/كانون الاول ١١٧٠م	ادخل الحمام على كره منه واغلق عليه وهو يصيح حتى مات
ومن بعده ولده الخليفة العباسي الثالث والثلاثون	ابو محمد الحسن	المستضيء بامر الله	شعبان ٥٣٦هـ	ربيع الاخرة ٥٦٦هـ/كانون الاول ١١٧٠م	ذي القعدة ٥٧٥هـ/اذار ١١٨٠م	وفاة
ثم ولده الخليفة العباسي الرابع والثلاثون	ابو العباس احمد	الناصر لدين الله	رجب ٥٥٣هـ	ذي القعدة ٥٧٥هـ/آذار ١١٨٠م	رمضان ٦٢٢هـ	توفي بعد اصابته بالفالج
ثم ولده الخليفة العباسي الخامس والثلاثون	ابو نصر محمد	الظاهر بالله	صفر ٥٧١هـ	رمضان ٦٢٢هـ	رجب ٦٢٣هـ	وفاة
ثم ولده الخليفة العباسي السادس والثلاثون	ابو جعفر المنصور	المستنصر بالله	صفر ٥٨٨هـ	رجب ٦٢٣هـ	جمادي الاخرة ٦٤٠هـ	وفاة

ومن بعده ولده الخليفة العباسي السابع والثلاثون والاخير من خلفاء بني العباس	ابو احمد عبد الله	المستعصم بالله	شوال ٦٠٩هـ	جمادي الاخرة ٦٤٠هـ	محرم ٦٥٦هـ	قتله النغول بعد غزوهم لبغداد وعفي قبره

الملحق رقم (٢)

وزراء الخلفاء العباسيين في الفترة قيد البحث

١-وزراء الخليفة القادر بالله (٣٨١-٤٢٢هـ/٩٩١-١٠٣١م)

ت	اسم الوزير	فترة استيزاره
أ-	ابو الحسن علي بن عبد العزيز بن ابراهيم بن حاجب النعمان	بقي في دست الوزارة حتى وفاته سنة ٤٢١هـ/١٠٣٠م[١]
ب-	محمد بن ايوب بن سليمان	٤٢١-٤٢٢هـ/١٠٣٠-١٠٣١م

٢-وزراء الخليفة القائم بأمر الله[٢] (٤٢٢-٤٦٧هـ/١٠٣١-١٠٧٥م)

ت	اسم الوزير	فترة استيزاره
أ-	ابو طاهر محمد بن ايوب بن سليمان وزير الخليفة القادر بالله حيث اقر على الوزارة	٤٢٢-٤٣٧هـ/١٠٣١-١٠٤٥م
ب-	ابو القاسم علي بن حسن بن احمد بن محمد بن المسلمة رئيس الرؤساء	٤٣٧-٤٥٠هـ/١٠٤٥-١٠٥٨م[٣]
ج-	ابو نصر محمد بن محمد، فخر الدولة ابن جهير الاول	وزر له بعد عودة الخليفة من الحديثة ٤٥٠-٤٥٣هـ/١٠٥٨-١٠٦١م

---

[١] انظر: ابن الكارزوني، مختصر التاريخ، ص٢٠٠؛ وذكر ابن الاثير ان ابن حاجب النعمان كان خصيصاً بالقادر قبيل توليه الخلافة. انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٧، ص٤٣٦. وانظر ترجمته في: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٢١٠.

[٢] انظر: ابن الكارزوني، مختصر التاريخ، ص٢٠٩؛ ابن الطقطقا، الفخري في الاداب السلطانية، ص٢٩٣؛ شاكر مصطفى، موسوعة دول العالم الاسلامي ورجالها، ص١٤٤ و ١٤٥.

[٣] حيث قتل سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م على اثر دخول قائد العسكر ابو الحارث ارسلان البساسيري لبغداد. انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٨٥.

د-	ابا الفتح محمد بن المنصور بن احمد بن دارست	١٥ ربيع الاول ٤٥٣-٣٠ رمضان ٤٥٤هـ/٩ مايس ١٠٦١-٧ تشرين الاول ١٠٦٢م
هـ-	فخر الدولة بن جهير (للمرة الثانية)	٤٥٤-٤٦٠هـ/١٠٦٢-١٠٦٨م
و-	ابو يعلى الحسن بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم الهمداني	٤٦٠-٤٦١هـ/١٠٦٨-١٠٦٩م
ز-	فخر الدولة بن جهير (للمرة الثالثة)	صفر ٤٦١-٤٦٧هـ/١٠٦٨-١٠٧٥م

٣-وزراء الخليفة المقتدي بأمر الله (٤٦٧-٤٨٥هـ/١٠٧٥-١٠٩٣م)[(١)]

ت	اسم الوزير	فترة استيزاره
أ-	فخر الدولة ابن جهير حيث اقر على الوزارة	١٣ شعبان ٤٦٧-٩ ذي الحجة ٤٦٧هـ/٣ نيسان ١٠٧٥-٢٦ تموز ١٠٧٥م.
ب-	محمد بن محمد بن محمد، عميد الدولة ابن جهير الثاني	ذي الحجة ٤٦٧-٤٧١هـ/١٠٧٥-١٠٧٨م.
ج-	ابو شجاع ظهير الدين، لبضعة ايام	لبضعة ايام
د-	ابن جهير الثاني (للمرة الثانية)	٤٧١-٤٧٦هـ/١٠٧٨-١٠٨٣م
هـ-	ابو الفتح المظفر ابن رئيس الرؤساء (لوقت قصير)	٤٧٦هـ/١٠٨٣م

(١) انظر: ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص٢١٣؛ ابن الطقطقا، الفخري، صص: ٢٩٦-٢٩٩؛ شاكر مصطفى، موسوعة دول العالم الاسلامي، ص١٤٥.

و–	ابو شجاع ظهير الدين محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الله ابن ابراهيم الهمداني الروذراوري	١٠٨٣–١٠٩٢م
ز–	عميد الدولة (للمرة الثالثة)	٤٨٤–٤٨٧هـ/١٠٨٣–١٠٩٥م

٤–وزراء الخليفة المستظهر بامر الله[1] (٤٨٧–٥١٢هـ/١٠٩٥–١١١٨م)

ت	اسم الوزير	فترة استيزاره
أ–	عميد الدولة ابن جهير وزير ابيه المقتفي	٤٨٥–٤٩٣هـ/١٠٩٣–١١٠١م
ب–	ابو القاسم علي بن محمد بن محمد ابن جهير (الثالث) قوام الدين زعيم الرؤساء	٤٩٣–٥٠١هـ/١١٠١–١١٠٧م
ج–	زعيم الرؤساء مرة ثانية	حتى وفاته سنة ٥٠٨هـ/١١١٥م
د–	ناب عن الوزارة النقيب ابو القاسم علي بن طراد الزينبي	٥٠٨–٥١٢هـ/١١١٥–١١١٨م

٥–وزراء الخليفة المسترشد بالله[2] (٥١٢–٥٢٩هـ/١١١٨–١١٣٥م)

ت	اسم الوزير	فترة استيزاره
أ–	ابو علي الحسن بن علي بن صدقة جلال الدين	٥١٢–٥١٦هـ/١١١٨–١١٢٢م
ب–	ابو القاسم علي بن طراد الوينبي	جمادي الاولى ٥١٦–شعبان ٥١٦هـ/تموز ١١٢٢–تشرين الاول ١١٢٢م.

---

[1] انظر: ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص٢١٨؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص٣٠٠؛ ادورد نون زامباور، معجم الانساب الحاكمة في التاريخ الاسلامي، اخرجه: زكي حسن باشا، وحسن احمد محمود، ط٢، (القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٨م) ج١، ص٩؛ شاكر مصطفى، موسوعة دول العالم الاسلامي، ص١٤٥.

[2] انظر: ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص٢٢٣؛ ابن الطقطقا، الفخري في الاداب السلطانية، صص: ٣٠٢–٣٠٧؛ زامباور، معجم الانساب والاسر الحاكمة في التاريخ الاسلامي، ص١٠.

ج-	ابو نصر احمد بن نظام الملك الطوسي	٥١٦-٥١٧هـ/١١٢٢-١١٢٣م
د-	ابو علي الحسن بن علي بن صدقة، جلال الدين للمرة الثانية	٥١٧-٥٢٢هـ/١١٢٣-١١٢٨م
هـ-	انوشروان بن خالد محمد القاشاني	٥٢٢-٥٢٩هـ/١١٢٨-١١٣٥م

٦-وزير الخليفة الراشد بالله[١] (٥٢٩-٥٣٠هـ/١١٣٥-١١٣٦م)

ت	اسم الوزير	فترة استيزاره
أ-	ابو الرضا محمد بن صدقة كان قد استوزره الخليفة الراشد ولم تطل ايامه، ثم انه هرب للموصل ولما لحقه الخليفة الراشد الى الموصل اوكل اليه "مهام غير الوزارة"[٢]	ذو القعدة ٥٢٩-ذو القعدة ٥٣٠هـ/ايلول ١١٣٥-آب ١١٣٦م.

٧-وزراء الخليفة المقتفي لامر الله[٣] (٥٣٠-٥٥٥هـ/١١٣٥-١١٦٠م)

ت	اسم الوزير	فترة حكمه
أ-	ابو القاسم علي بن طراد الزينبي العباسي وزير اخيه المسترشد.	ذو القعدة ٥٣٠-٥٣٢هـ/١١٣٥-١١٣٧م.
ب-	سديد الدولة الانباري	٥٣٢-٥٣٥هـ/١١٣٧-١١٣٩م
ج-	ابو نصر المظفر بن علي بن محمد، نظام الدين ابن جهير (الثالث)	٥٣٥-٥٤٢هـ/١١٣٩-١١٤٧م[٤]

---

[١] انظر: شاكر مصطفى، موسوعة دول العالم الاسلامي، ص١٤٦.

[٢] انظر: ابن الطقطقا، الفخري، ص٣٠٨.

[٣] انظر: زامباور، معجم الانساب والاسر الحاكمة، ص١٠؛ شاكر مصطفى، موسوعة دول العالم الاسلامي، ص١٤٦.

[٤] انظر: ابن الطقطقا، الفخري، ص٣١١؛ حيث نقل من الاستاذية دار الى الوزارة. وعن عزله عن الوزارة انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، ص٣٧٤. وتاريخ عزله عن الوزارة لم يذكره زامباور او شاكر مصطفى.

د-	ابو القاسم علي بن صدقة مؤتمن الدولة، قوام الدين[1].	٥٤٢-٥٤٣هـــــــــ/١١٤٧-١١٤٨م[2]
هـ-	ابو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة عون الدين	٥٤٤-٥٥٥هـ/١١٤٩م[3]

٨-وزراء الخليفة المستنجد بالله[4] (٥٥٥-٥٦٦هـ/١١٦٠-١١٧٠م)

ت	اسم الوزير	فترة استيزاره
أ-	ابن هبيرة وزير ابيه المقتفي حيث اقر على الوزارة	٥٥٥-٥٦٠هـ/١١٦٠-١١٦٥م حيث بقي بالوزارة حتى وفاته[5] سنة ٥٦٠هـ/١١٦٥م
ب-	محمد بن يحيى عز الدين بن هبيرة ابن الوزير السابق	٥٦٠-٥٦٣هـ/١١٦٥-١١٦٨م
ج-	ابو جعفر احمد بن محمد بن سعيد شرف الدين بن البلدي	٥٦٣-٥٦٦هـ حيث قتل[6] / ١١٦٨-١١٧٠م

---

[1] حيث تم نقله من المخزن الى الوزارة. انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، ص٣٧٤.

[2] حيث قبض عليه سنة ٥٤٣هـ/١١٤٩م. انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، ص٣٨١.

[3] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص٣٨٧.

[4] انظر: ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص٢٣٦؛ ابن الطقطقا، الفخري، صص: ٣١٦-٣١٩؛ زامباور، معجم الانساب والاسر الحاكمة في التاريخ الاسلامي، ص١٠.

[5] وقيل انه سقي السم فمات. انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص١٦٩.

[6] كان مقتله بتدبير من استاذ دار الخلافة عضد الدين محمد بن ابي الفرج ابن رئيس الرؤساء. انظر: ابن الطقطقا، الفخري، ص٣١٨.

٩-وزراء الخليفة المستضيء بامر الله[١] (٥٦٦-٥٧٥هـ/١١٧٠-١١٨٠م)

ت	اسم الوزير	فترة استيزاره
أ-	ابو الفرج محمد ابي الفتوح عبد الله بن رئيس الرؤساء	٥٦٦-٥٦٧هـ/١١٧٠-١١٧١م حيث قبض عليه الخليفة ونهبت دوره[٢].
ب-	ناب بالوزارة ابو الفضل يحيى بن عبد الله بن جعفر صاحب المخزن[٣]، ثم ناب بعده كاتب الانشاء ابو الفرج محمد بن محمد الانباري	
ج-	اعيد ابن رئيس الرؤساء الى الوزارة	٥٧٠[٤]-٥٧٣هـ[٥]/١١٧٤-١١٧٧م
د-	ابو بكر منصور بن ابي القاسم نصر، ظهير الدين ابن العطار	٥٧٣٠٥٧٥هـ/١١٧٧-١١٨٠م

---

(١) انظر: الكارزوني، مختصر التاريخ، ص٢٤٠ و ٢٤١؛ زامباور، معجم الانساب والاسر الحاكمة، ص١٠؛ شاكر مصطفى، موسوعة دول العالم الاسلامي، ص١٤٧.

(٢) انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، ص١٧٣.

(٣) انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٨، ص١٩٦

(٤) انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، ص٢٢٥.

(٥) يذكر ان الخليفة المستضيء تغير على الوزير ابن رئيس الرؤساء، فخرج للحج وقتل بالجانب بالجانب الغربي من بغداد. انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، ص٢٤٧.

١٠-وزراء الخليفة الناصر لدين الله[١] ومن استنابه الخليفة للوزارة (٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٨٠-١٢٢٥م)

ت	اسم الوزير	فترة استيزاره
أ-	اقر الخليفة الناصر وزير ابيه ابن العطار على قاعدته اياماً يسيرة ثم خرجت جنازته[٢] من دار الخلافة وسلمت الى اخته	
ب-	استناب الخليفة سليمان بن ساروس	ذي القعدة ٥٧٥-محرم٥٧٦هـ/اذار ١١٨٠-حزيران ١١٨٠م[٣]
ج-	استناب بعده: جلال الدين هبة الله بن البخاري	٥٧٦-٥٨٠هـ/١١٨٠-١١٨٤م
د-	ثم استناب بعده: ظهير الدين ابا الفتح صدقة بن محمد بن محمد بن احمد	ستة اشهر من سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م
هـ-	ثم استناب ابا الفتح محمد بن عبد الملك[٤]	٥٨٠-٥٨٣هـ/١١٨٤-١١٨٧م
و-	استوزر ابو المظفر عبد الله بن يونس جلال الدين	٥٨٣-٥٨٤هـ/١١٨٧-١١٨٨م

---

[١] انظر: ابن الطقطقا، الفخري، صص: ٣٢٢-٣٢٨؛ زامباور، معجم الانساب والاسر الحاكمة، ص١٠؛ شاكر مصطفى، موسوعة دول العالم الاسلامي، ص١٤٧. مع ملاحظة ان زامباور وشاكر مصطفى يعدون ابن الصاحب (ت٥٨٣هـ/١١٨٧م) من الوزراء، فيما تذكر المصادر التاريخية انه كان استاذ دار الخليفة . انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، ص٣٥٢. ويذكر الملك الاشرف الغساني ان الخليفة الناصر استناب بالوزارة اثني عشر نقيباً (كذا) ووزر له اربعة وزراء. انظر: العسجد المسبوك والجوهر المحكوك، ص٤٠٨.

[٢] انظر: ابن الطقطقا، الفخري، ص٣٢٣.

[٣] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، ص٢٦٩.

[٤] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، ص٣٠٠. ومن الملاحظ ان زامباور وكذلك شاكر مصطفى لم يذكرا نائب الوزارة هذا.

ز-	ابو المعالي سعيد بن علي بن حديدة الانصاري[1]	٥٨٤-٥٨٥هـ/١١٨٨-١١٨٩م
ح-	اعيد ابن يونس[2] لبرهة من الزمن	٥٨٥-٥٨٨هـ/١١٨٩-١١٩٢م
ط-	ابو المظفر محمد بن احمد مؤيد الدين ابن القصاب استنيب اولاً ثم استوزر سنة ٥٩٠هـ/١١٩٣م[3]	٥٨٥-٥٩٠هـ/١١٨٩-١١٩٣م. ٥٩٠-٥٩٢هـ/١١٩٣-١١٩٥م
ي-	نصير الدين ناصر بن مهدي العلوي الرازي	٥٩٢-٦٠٤هـ/١١٩٥-١٢٠٨م[4]
ك-	استنيب للوزارة فخر الدين ابو البدر محمد بن احمد بن امين الواسطي[5]	٦٠٤-٦٠٦هـ/١٢٠٨-١٢١٠م
ل-	استنيب للوزراة مكين الدين محمد بن محمد بن برر القمي ولقب بـ مؤيد الدين	٦٠٤-٦٢٢هـ/١٢٠٨-١٢٢٥.

١١-وزير الخليفة الظاهر بالله[6]

ت	اسم الوزير	فترة استيزاره
أ-	حيث اقر محمد بن محمد بن عبد الكريم مؤيد الدين القمي على الوزارة	٣٠ رمضان ٦٢٢-١٤ رجب تشرين الاول ١٢٢٥-تموز ١٢٢٦م

---

(١) انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، ص٣٦٨.

(٢) وقيل: بل اعيد كأستاذ دار. انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص٤٨٤.

(٤) انظر: ابن الساعي، الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، ج٩، ص٢٢٠.

(٥) انظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٦١٥، ص٦٢٤.

(٦) انظر: ابن الطقطقا، الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية، ص٣٢٩.

١٢-وزراء الخليفة المستنصر بالله[١]

ت	اسم الوزير	فترة حكمه
أ-	استبقى مؤيد الدين القمي وزير ابيه على الوزارة	٦٢٣-٦٢٩هـ/١٢٢٦-١٢٣٢م[٢]
ب-	نصير الدين ابي الازهر احمد بن محمد بن الناقد	٦٢٩-٦٤٠هـ/١٢٣٢-١٢٤٢م

١٣-وزراء الخليفة المستعصم بالله[٣]

ت	اسم الوزير	فترة حكمه
أ-	اقر الخليفة وزير ابيه ابن الناقد على الوزارة حتى وفاة الخليفة في ١٢٤٢م	٦٤٠-٦٤٢هـ/١٢٤٢-١٢٤٤م
ب-	مؤيد الدين ابو طالب محمد بن احمد بن العلقني وهو آخر وزير لاخر خليفة عباسي في بغداد	٦٤٢-٦٥٦هـ/١٢٤٤-١٢٥٨م

---

[١] انظر: ابن الكارزوني، مختصر التاريخ، ص٢٦٤؛ ابن الطقطقا، الفخري، صص: ٣٣٠-٣٣٢.

[٢] انظر: الملك الاشرف الغساني، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك، ص٤٤٨.

[٣] انظر: ابن الطقطقا، الفخري، ص٣٣٧.

الملحق رقم (٣)

(أ) سلسلة النسب السلجوقية

اسماء السلاطين

الملك جفري بك أبو سليمن داود بن ميكائيل بن سلجوق.

١- السلطان ركن الدين ابو طالب طغرل بك محمد بن ميكائيل بن سلجوق يمين أمير المؤمنين

٢- السلطان عضد الدولة ابو شجاع ال ارسلان محمد (برهان أمير المؤمنين).

٣- السلطان معز الدنيا والدين ملكشاه بن محمد (ال ارسلان) قسيم أمير المؤمنين.

٤- السلطان ركن الدنيا والدين ابو المظفر بركيارق بن ملكشاه يمين أمير المؤمنين.

٥- السلطان غياث الدنيا والدين أبو شجاع محمد بن ملكشاه قسيم أمير المؤمنين.

٦- السلطان معز الدنيا والدين ابو الحرث سنجر بن ملكشاه برهان امير المؤمنين.

٧- السلطان مغيث الدنيا والدين محمود بن محمد بن ملكشاه يمين أمير المؤمنين.

٨- السلطان ركن الدنيا والدين ابو طالب طغرل بن محمد بن ملكشاه يمين أمير المؤمنين.

٩- السلطان غياث الدنيا والدين ابو الفتح مسعود بن محمد بن ملكشاه قسيم أمير المؤمنين.

١٠- السلطان مغيث الدنيا والدين ملكشاه بن محمود بن محمد يمين أمير المؤمنين.

١١- السلطان غياث الدنيا والدين ابو شجاع محمد بن محمود بن محمد قسيم أمير المؤمنين.

١٢- السلطان معز الدنيا والدين ابو الحرث سليمان بن محمد بن ملكشاه برهان امير المؤمنين.

١٣- السلطان ركن الدنيا والدين ارسلان بن طغرل (بن محمد) قسيم أمير المؤمنين.

١٤- السلطان ركن الدنيا والدين ابو طالب طغرل بن ارسلان (بن طغرل) قسيم أمير المؤمنين.

ب-السلاجقة الكبار (العظام) [١]

من سنة ٤٢٩-٥٥٢هـ المصادف ١٠٣٧-١١٥٧م

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاسماء
٤٢٩	١٠٣٧	ركن الدين ابو طالب طغرل بيك
٤٥٥	١٠٦٣	عضد الدولة ابو شجاع الب ارسلان
٤٦٥	١٠٧٢	جلال الدين ابو الفتح ملك شاه
٤٨٥	١٠٩٢	ناصر الدين محمود
٣٧٨	١٠٩٤	ركن الدين ابو المظفر بركيارق
٤٩٨	١١٠٤	ملك شاه الثاني
٩٤٨	١١٠٤	غياث الدين ابو شجاع محمد[٢]
٥١١-٥٥٢	١١١٧-١١٥٧	معز الدين ابو الحارث سنجر [٣]

انقرضت هذه السلسلة على يد الخوارزمشاهية

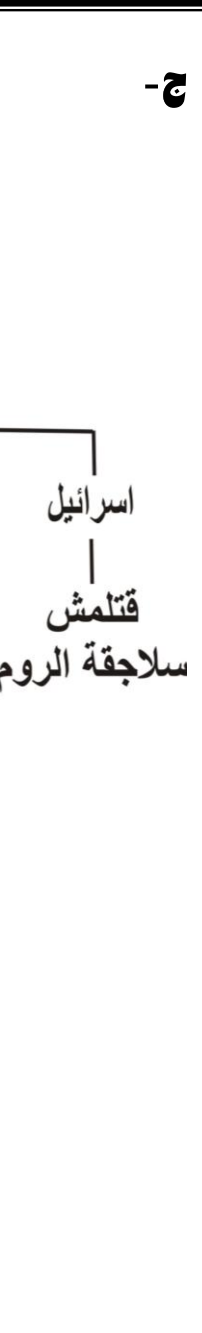
[١] انظر: استانلي بول، طبقات سلاطين الاسلام، ص١٤٣.

[٢] حارب مع بركيارق سنوات عديدة.

[٣] قبل ان يصل سنجر الى رئاسة السلاجقة بعشرين عاماً كان يحكم خراسان.

ج-

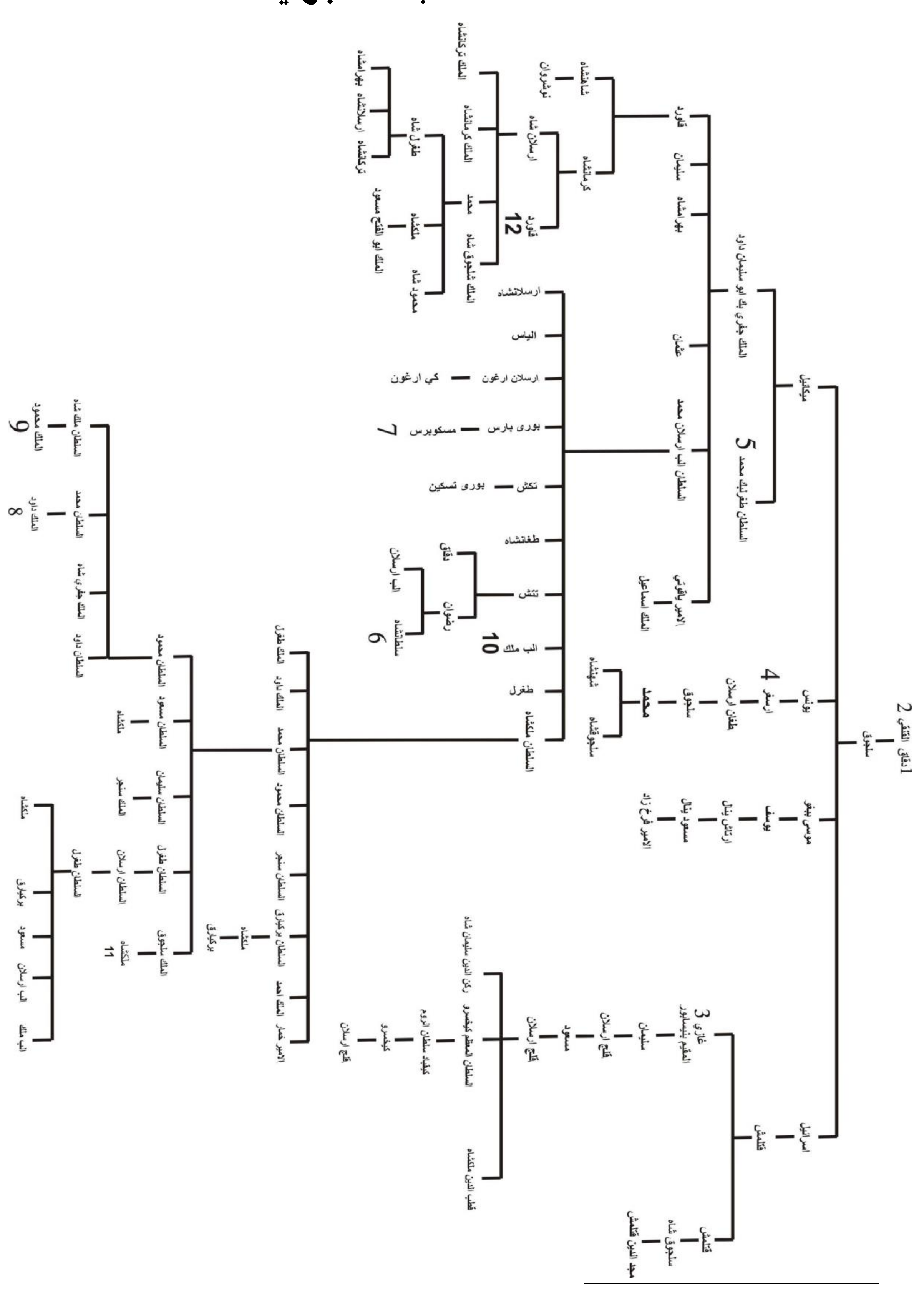
سلاجقة ايران والعراق[1]



---

(١) انظر: عبد المنعم محمد حسنين، ايران والعراق في العصر السلجوقي، ص٢٣.

سلسلة النسب السلجوقية[١]



[١] انظر: الراوندي، راحة الصدور وآية السرور، الملحق الخاص بسلسلة النسب السلجوقية.

– تعليقات محقق كتاب راحة الصدور:

(*) هذه الشجرة ليست على هذه الصورة في النسخة الاصلية، اذ وضعت فيها أسماء أعضاء هذه الاسرة بين السطور ضمن "فهرست أسماء السلاطين" (ص١٤٣) وربط اسم الابن باسم أبيه بكلمة "بن"؛ ومن الواجب ايضاً ان ننبه الى ان هذه الشجرة ليست جامعة لجملة أعضاء البيت السلجوقي، وقد رتبتها وفقاً لما ورد في النسخة الاصلية مع مطابقته بكتب التواريخ الاخرى؛ وقد ميزت أسماء السلاطين بوضع خط تحت اسم كل واحد منهم وذكر رقم نوبته (محمد إقبال)

(١) كتب اسم (دقاق) في الحاشية، ولكن كتبت مكانه في المتن كلمة (لقمان) ولم أصادف هذه الكلمة في اي كتاب آخر باستثناء "جامع التواريخ".

(٢) (قنق) اسم قبيلة من قبائل الاتراك (انظر: تاريخ كزيده وكذلك زبدة التواريخ).

(٣) ارجع الى ص٢٠ عربي ١٩ فارسي الحاشية ٢ عربي ٣ فارسي

(٤) ارجع الى "زبدة النصرة" ص٢٨.

(٥) أضيف بعد ذلك عبارة "المدفون بالري" وكتب بحذائه عبارة: "سيف الدولة ابراهيم بن ينال كان أخاً لطغرل بك من أمه، وقد أعلن عليه العصيان في همدان وقتل ودفم بها.

(٦) كتب بحذائه عبارة "المقيم بدمشق".

(٧) كتب بحذائه عبارة "المقيم بانساباذ".

(٨) كتب بحذائه عبارة "المقيم بروبين دز"

(٩) كتب بحذائه عبارة "المقيم بقلعة سبيذ"

(١٠) كتب بحذائه اسمه عبارة: "المقيم بهراة"

(١١) كتب فوق اسمه عبارة "المدفون بالموصل"

(١٢) كتب هذا الاسم بين اسم "ارسلاننشاه" واسم "كرمانشاه، ولا يعرف على وجه التحقيق والده من هذين الاثنين.

الملحق رقم (٤)

الاعتقاد القادري والذي أعيدت قراءته سنة ٤٣٣هـ/١٠٤١م في خلافة القائم بأمر الله للعمل به[١].

اخبرنا محمد بن ناصر الحافظ حدثنا أبو الحسين محمد بن محمد بن الفراء قال اخرج الأمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين أبو جعفر ابن القادر بالله في سنة نيف وثلاثين وأربعمائة الاعتقاد القادري الذي ذكره القادر فقرىء في الديوان وحضر الزهاد والعلماء وممن حضر الشيخ أبو الحسن علي بن عمر القزويني فكتب خطة تحته قبل أن يكتب الفقهاء وكتب الفقهاء خطوطهم فيه أن هذا اعتقاد المسلمين ومن خالفه فقد فسق وكفر وهو، يجب على الإنسان ان يعلم أن الله عز وجل وحده لا شريك له لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولم يكن له شريك في الملك وهو أول لم يزل وآخر لا يزال قادر على كل شيء غير عاجز عن شيء إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون غني غير محتاج إلى شيء لا اله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم يطعم ولا يطعم لا يستوحش من وحدة ولا يأنس بشيء وهو الغني عن كل شيء لا تخلفه الدهور والأزمان وكيف تغيره الدهور والأزمان، وهو خالق الدهور والأزمان والليل والنهار والضوء والظلمة والسموات والأرض وما فيها من أنواع الخلق والبر والبحر وما فيهما وكل شيء حي أو موات أو جماد كان ربنا وحده لا شيء معه ولا مكان يحويه فخلق كل شيء بقدرته وخلق العرش لا لحاجته إليه فاستوى عليه كيف شاء وأراد لا استقرار راحة كما يستريح الخلق وهو مدبر السموات والأرض ومدبر ما فيهما ومن في البر والبحر ولا مدبر غيره ولا حافظ سواه يرزقهم ويمرضهم ويعافيهم ويميتهم ويحييهم والخلق كلهم عاجزون والملائكة والنبيون والمرسلون والخلق كلهم أجمعون وهو القادر بقدرة والعالم بعلم أزلي غير مستفاد وهو السميع بسمع والمبصر ببصر

---

[١] انظر: المنتظم، ج١٥، صص: ٢٧٩-٢٨٢.

يعرف صفتهما من نفسه لا يبلغ كنههما احد من خلقه متكلم بكلام لا بآله مخلوقة كآله المخلوقين لا يوصف إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به نبيه عليه السلام وكل صفة وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله (ﷺ) فهي صفة حقيقية لا مجازية ويعلم ان كلام الله تعالى غير مخلوق تكلم به تكليماً وانزله على رسوله (ﷺ) على لسان جبريل بعدما سمعه جبريل منه فتلاه جبريل على محمد (ﷺ) وتلاه محمد على أصحابه وتلاه أصحابه على الأمة ولم يصر بتلاوة المخلوقين مخلوقاً لأنه ذلك الكلام بعينه الذي تكلم الله به فهو غير مخلوق فبكل حال متلواً ومحفوظاً ومكتوباً ومسموعاً ومن قال انه مخلوق على حال من الأحوال فهو كافر حلال الدم بعد الاستتابة منه ويعلم أن الإيمان قول وعمل ونية وقول باللسان وعمل بالأركان والجوارح وتصديق به يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وهو ذو أجزاء وشعب فارفع أجزائه لا اله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد والإنسان لا يدري كيف هو مكتوب عند الله ولا بماذا يختم له فلذلك يقول مؤمن ان شاء الله وارجوا أن أكون مؤمناً ولا يضره الاستثناء والرجاء ولا يكون بهما شاكاً ولا مرتاباً لأنه يريد بذلك ما هو مغيب عنه عن أمر آخرته وخاتمته وكل شيء يتقرب به إلى الله تعالى ويعمل لخالص وجهه من أنواع الطاعات فرائضه وسننه وفضائله فهو كله من الإيمان منسوب اليه ولا يكون للإيمان نهاية ابداً لأنه لا نهاية للفضائل ولا للمتبوع في الفرائض ابداً ويجب أن يحب الصحابة من أصحاب النبي (ﷺ) كلهم ونعلم أنهم خير الخلق بعد رسول الله (ﷺ) وان خيرهم كلهم وافضلهم بعد رسول الله (ﷺ) أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ويشهد للعشرة بالجنة ويترحم على أزواج رسول الله (ﷺ) ومن سب سيدتنا عائشة رضي الله عنها فلا حظ له في الإسلام ولا يقول في معاوية رضي الله عنه إلا خيراً ولا يدخل في شيء شجر ويترحم على جماعتهم، قال تعالى : ((وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) وقال فيهم:

((وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ))ولا يكفر بترك شيء من الفرائض غير الصلاة المكتوبة وحدها فانه من تركها من غير عذر وهو صحيح فارغ حتى يخرج وقت الأخرى فهو كافر وان لم يجحدها لقوله (ﷺ) بين العبد والكفر ترك الصلاة فمن تركها فقد كفر ولا يزال كافراً حتى يندم ويعيدها فان مات قبل أن يندم ويعيد أو يضمر أن يعيد لم يصل عليه وحشر مع فرعون وهامان وقارون وأبي بن خلف وسائر الإعمال لا يكفر بتركها وان كان يفسق حتى يجحدها، ثم قال، هذا قول أهل السنة والجماعة الذي من تمسك به كان على الحق المبين وعلى منهاج الدين والطريق المستقيم ورجى به النجاة من النار ودخول الجنة ان شاء الله تعالى وقال النبي (ﷺ) وعلم الدين النصيحة قيل لمن يا رسول الله قال. لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين ولعامتهم وقال عليه السلام، ايما عبد جاءته موعظة من الله تعالى في دينه فإنها نعمة من الله سيقت إليه فان قبلها بشكر وإلا كانت حجة عليه من الله ليزداد بها اثماً ويزاد بها من الله سخطاً جعلنا الله لالائه من الشاكرين ولنعمائه ذاكرين وبالسنة معتصمين وغفر لنا ولجميع المسلمين.

الملحق رقم (٥)

محاضر ديوان الخلافة العباسية في الطعن في نسب الخلفاء الفاطميين بمصر

في شهر ربيع الآخرة سنة ٤٠٢هـ/تشرين الثاني ١٠١١م كتب في ديوان الخلافة محاضر في معنى الذين بمصر والقدح في أنسابهم ومذاهبهم، وكانت نسخة ما قرئ منها ببغداد وأخذت فيه خطوط الأشراف والقضاة والفقهاء والصالحين والمعدلين والثقات وإلا ماثل بما عندهم من العلم والمعرفة بنسب الديصانية، وهم منسوبون إلى ديصان بن سعيد الخرمي أحزاب الكافرين ونطف الشياطين شهادة متقرب إلى الله جلت عظمته، وممتعض للدين والإسلام ومعتقد إظهار ما أوجب الله تعالى على العلماء أن يبينوه للناس ولا يكتمونه (شهدوا جميعاً ان الناجم بمصر وهو منصور بن نزار المتلقب بالحاكم حكم الله عليه بالبوار والدمار والخزي والنكال والاستيصال ابن معد بن إسماعيل / بن عبد الرحمن بن سعيد لا أسعده الله، فانه لما صار إلى الغرب تسمى بعبد الله وتلقب بالمهدي ومن تقدمه من سلفه الارجاس الأنجاس، عليه وعليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين، أدعياء خوارج لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب ولا يتعلقون منه بسبب، وانه منزه عن باطلهم، وان الذي ادعوه من الانتساب إليه باطل وزور وإنهم لا يعلمون أن احداً من أهل بيوتات الطالبيين توقف عن أطلاق القول في هؤلاء الخوارج أنهم أدعياء، وقد كان هذا الإنكار لباطلهم ودعواهم شائعاً بالحرمين، وفي أول أمرهم بالغرب منتشراً انتشاراً يمنع من أن يتدلس على احد كذبهم أو يذهب وهم إلى تصديقهم، وان هذا الناجم بمصر هو وسلفه كفار فساق فجار ملحدون زنادقة معطلون، وللإسلام جاحدون، ولمذهب الثنوية والمجوسية معتقدون، قد عطلوا الحدود، واباحو الفروج، واحلوا الخمور، وسفكوا الدماء، وسبو الأنبياء، ولعنوا السلف وادعوا الربوبية، وكتب في ربيع الآخر من سنة اثنين وأربعمائة[1].

---

[1] انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، صص: ٨٢-٨٣.

الملحق رقم (٦)

نص رسالة السلطان السلجوقي طغرل بك الى قريش بن بدران العقيلي ابان نفي الخليفة القائم بأمر الله بالحديثة[١].

للأمير الأجل علم الدين عزِّ الدولة أبي المعالي قريش بن بدران، مولى أمير المؤمنين، من شاهنشاه المُعظم ملكِ المشرق والمغرب، ركنِ الدين، غياثِ المسلمين، سلطانِ بلاد الله، مُغيثِ عباد الله، طغرل بك أبي طالب، محمد بن ميكائيل بن سلجوق، يمين خليفة الله أمير المؤمنين، وعلى رأسه بخطِّ السلطان: حسبي الله، ومضمونه: كتابنا: أطال الله بقاء الامير علم الدين، أدام الله عِزَّه وتأييده وتمكينه وتمهيده، إنَّ نِعم الله علينا متظاهرة، وآلاؤه متوالية، ورَدَ كتابهُ ووقفنا عليه، واعتددْنا بصنع الله له، وسابغ إحسانه إليه، فأما ما بلغه الرسل من حُسنِ اعتقاده في خدمتنا، وسلامةِ صدره في طاعتنا فقد علمناه، ولمَّا ورَدْنا العراقّ كان في عزمنا تسليمُ الأمر الى علم الدين في تلك الولايات، استقلَّ بالخدمة الشريفة، والمواقف المقدسة، وحدثتْ حوادثُ، وعرضت غوارض، ولم يحدُثْ منها -بحمدِ الله- في حقِّه ما يقدح في الاعتقاد السليم، وإزالةِ الحقّ عن السنن المستقيم، وقد ظهرت نيتهُ الجميلة، وهِمَّتُه العالية الجليلة في خدمة سيدنا ومولانا الأمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين، أطالَ اللهُ بقاءه، وأعزَّ أنصاره وأولياءه، حتى يظفر الاعداءُ منه بما حاولوه، ولم يدركوا فيه ما أمَّلوه، وهذه منَّةٌ على الاسلام وأهله، وأثرٌ جميلٌ في الدين، لم يوفَّق أحدٌ لمثله، ثم الذي وُفِّقَ له من المحافظة على سَنن العرب - من رعاية حُسن العهد - ما عظُمتْ علينا وعلى المسلمين منتهُ، وزادتْ عندنا مكرمتهُ، فلو أعطيناه جميعَ ما حويناه ولا استقللناه، واحتقرناه واستصغرناه، وقد أقبلنا بخيول المشرق الى خدمة سيدنا ومولانا الامام، ولا فُسحةَ لنا في التأخير عنه ساعةً من الزمان، بعد أن أهلكنا أعداءنا، وذللنا حُسادنا، والمقصودُ أحدُ أمرين، إما أن يُقبلَ الأميرُ سيدنا ومولانا الى مقرَّ خلافته وسرير عظمته، وينتدب الأمير بين يديه متولياً حكمه، ممتثلاً رسمه، فذلك هو المراد، وهو خليفتُنا في تلك الخدمة المفروضة، وتولية العراق بأسرها، وتصفية

---

[١] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، ج١٩، صص: ٨٧-٨٩.

مشاريع بَرِّها وبحرِها، وإمَّا أن يحفظ علينا شخصَ مولانا العالي بتحويله من القلعة الى حين لحاقنا بخدمته، ويكون الأميرُ مُخيراً بين أن يكتفي بنا، وبين أن يُقيم حيث شاء، فنوليه العراق، ونستخدمه في الباب الشريف، ونصرف أعيننا الى الممالك الشرقية، وعشائره كلُهم إخوانُنا، وهم في أماننا، فلا يدخُلُ قلوبَهم رهبةٌ منا، وكذا جميع العساكر المنسوبين الى خدمته، ولكلِّ مُذنبٍ عندنا في العراق عفوُنا وأمانُنا، الا الفاجرَ الكافرَ البساسيريَّ عدوَّ اللهِ ورسولهِ، فإنه لا عهدَ له ولا أمانَ عندنا، فلقد ارتكب في دين الله عظيماً، وخطباً جسيماً، وهو ان شاء الله مأخوذٌ حيث وُجِد، ودلَّتْ أفعالُه على سوءِ عقيدته، وخُبثِ طويته، فإن سرِبَ في الأرض لحقه المكتوبُ على جبهته، وإن وقف فالقضاءُ سابقٌ الى مُهجته، وقد حَملنا الاستاذَ العالم أبا بكر أحمد بن محمد بن أيوب – أدامَ الله عِزَّه – والشيخَ معتمدَنا أبا الوفاء زَبْرَك ما يؤدِّيانه من الرسالات، ويُبلغانه من التحملات، وهو يصغي إليهما، ويعتمد عليهما، ويُسرَّحهما الى القلعة ليخدما مجلس سيدنا ومولانا الإمام عنا، ويأتيا ببشارة عالي شخصه المحفوف بالبركات، والبلاد كلُّها والقلاع للأمير مبذولة، في جنب مساعيه والثقة به، وكان مع رسولَي الخليفة أربعون ثوباً أنواعاً، وعشرُ دُسوت ثياباً مخيطةً، وخمسة آلاف دينار، وخمس دسوت مخيطةً من خاتون زوجة الخليفة، وحكى الرسولُ كثرةَ العساكر مع السلطان، فخاف قريش وانزعج، وبعث الى الجفار من أصلح المياه، وعزم على دخول البرية، وبعث بالكتاب الى البساسيري والرسالة، وحذَّر من الرسول ليعود الجواب بسرعة.

الملحق رقم (٧)

نص ما كتبه مقدم الحنابلة ابو الوفا ابن عقيل الظفري بشأن التجاذب المذهبي الذي حصل في بغداد سنة (٤٨٢هـ/١٠٩٠م) [1]

بلغني أن أقواماً يتسمون بالاسلام والسنة قد غضبوا على الله وهجروا شريعته، وعزموا على الارتداد وقد ارتدوا، فإن المسلمين أجمعوا على أن العزم على الكفر كفر، فلقد بلغ الشيطان منهم كل مبلغ حيث دلس عليهم نفوسهم، وغطى عيوبهم، وأراهم أن إزالة النصرة عنهم مع استحقاقهم لها، ولم يكشف عن عوار أديانهم حيث صب عليهم النعم صباً، وأرخص أسعارهم، وأمن ديارهم، وجعل سلطانهم رحيماً لطيفاً، وجعل لهم وزيراً صالحاً يجتهد في إخراج الحكومات المشتبهة الى الفقهاء ليخلص دينه من التبعات، ويأخذ الاجماع في أكثر العبادات، ولا يتكبر ولا يحتجب، فأمرجوا في المعاصي، ثم انتقلوا الى بناء العقود بالطبول، ولهج منهم قوم بسب، فلما نهض السلطان بعصية دينية او سياسية، وقد استحقوا قطع الرؤوس، وتخليد الحبوس، فقعد الحمقى في مأتم النياحة يقولون: هل رأيتم في الزمن الماضي مثل ما جرى على أهل السُنة في هذه الدولة، طاب والله الانتقال عن الاسلام لو كان ما نحن فيه حقاً لنصره الله. وحملوا الصلبان في حلوقهم، ودعوا بشعار الرفض، وقالوا: لا دين الا دين أهل الكرخ، وهل كانوا على الدين فيخرجوا، وهل الدين النطق باللسان من غير تحقيق معتقد، وأسّ المعتقد من قوم تناهوا في العصيان والشرود عن الشرع، وسفكوا الدماء، فلما فرضوا بعذاب ردعاً لهم ليقلعوا أنكروا وتسخطوا، فأردتم ان يتبع الحق أهواءكم ويسكت السلاطين عن قبيح أفعالكم، حتى تفانون بالخصومة والمحاربة، فلا أيام السعة والدعة شكرتم النعم، ولا في أيام التأديب سلمتم للحكيم الحكم، فليتكم لما فسدت دنياكم أبقت بقية من أمر أديانكم.

---

[1] انظر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، ج١٦، ص٢٨٣ و ٢٨٤.

الملحق رقم (٨)

رسالة الخليفة الناصر لدين الله الى السلطان صلاح الدين الايوبي التي ارسلها صحبة ابو بكر حامد اخو العماد الكاتب، وكانت الرسالة من انشاء قوام الدين يحيى بن زيارة استاذ دار الخلافة اذ ذاك سنة ٥٨٣هـ وصورة الرسالة بعد البسملة[١]

قال الله تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا))

(**الاحزاب**: ٧٠-٧١)

ما جمعه الله تعالى للملك الصالح صلاح الدين – ادام الله علوه– من أشتات المناقب، والاراء الصائبة الثواقب، والبصيرة الناقذة في المبدىء والعواقب، يغني عن اطالة الكلام في كشف الغامض الخفي، فضلاً عن الواضح الجلي، ومعلوم ان الاولياء المحروص عليهم، المرغول في عمارة قلوبهم، واستخلاص غاثل صدورهم، واستدامة الحسنى منهم وفيهم، لا تطوى الامور معهم على ادراج الادراج، ولا تغضى العيون منهم على اقذاء الاقذاء، ولا تسمح بهم لمراجم الظنون ومظان الشبهات، ولا يترك تعريفهم كل ما ينظر منهم، بحيث يكون الانعام محفوظاً فيهم، وودائع الصنائع مستبقاة عندهم، ولولا مكان صلاح الدين من الخدمة الشريفة، والشح به، والمنافسة فيه لما جوهر بالعتاب، ولا رفع دونه هذا الحجاب، بل كان يترك الامر على اختلاله، ويدمل الجرح على اعتلاله، وانما الذي سبق له من الخدم، وسيق اليه من النعم، والزمان الذي استنفد في اصطناعه، واطارة صيته واطالة باعه، والمبالغة في أسباب علوه وارتفاعه، لا يسمح للغير، ولا يعرض صفوه للكدر، ولا يرى الديوان العزيز ان يطوي عمله عنه بما نشرت الايام منه، ليعرف مكان النظر بتوقيفه عليه، وايضاحه لديه، كل ذلك على سبيل التسديد والتهذيب، لا على وجه التوبيخ والتثريب، وقد ذكرت الاسباب التي أخذها الديوان العزيز عليه، واستغرب وقوعها من كماله،

---

[١] انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، صص: ٣٢٥-٣٣٦.

ليرعها سمعه الكريم، ويستوري فيها رأيه الاصيل القويم، وينصف في استماعها والاجابة عنها، غير عائج على الجدل، ولا مؤتم بالمراء المذمومين شرعاً وعقلاً، بل يحمل قولي هذا على سبيل المماحضة والانتصاح، وصدق النية في رأب الثأي والاصلاح، فان اتخاذ الدواء الممر لا يتهم فيه الطبيب المجتلب للعافية.

فمنها ان كل من نشد بالعراق غير ضالته، واقتضى الاقضية بما لم يقض أربه، او جهل فعرف، او اعوج فثقف، او تهور فوقف، او أحوج الى تهذيبه بالتأديب وسياسته، او توجه عليه حق، فخاس به بخساسته، لا لعزته ونفاسته، لجأ الى صلاح الدين – حرس الله مجده- في دفع حدود الله وحقوق الناس عنه، فصار كساده عنده نفاقاً، ووجوب حرمانه لديه استحقاقاً، ووجد عنده الاقبال عليه، والقبول والمسامحة له بكل ما يتسمج به ويقول، حتى سرى ذلك في كثير من سفهاء جنود امير المؤمنين واصحابه، وشاع عنهم التسمج فيما لا يصلح، والاقة الالسن فيما لا يحسن، والاجتراء الى كل مفول تحظره الاديان والعقول، ويكرهه الله والرسول، ويزجر عنه المروي والمنقول، وينبو بقائله عن الصراط المستقيم، ويؤتي الى كل أمر مظلم بهيم **(وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ) (النور: ١٥)** فتوهم هذا انه لو لم يكن لهذه الاعلاق عنده نفاق، لما قامت بها لديه الاسواق، وقد كان الورع الديني والادب الدنيوي يوجبان على صلاح الدين – حرس الله نعمته- ان يقف في رضاه وسخطه، واعطائه ومنعه، وتقريبه وابعاده، وحرمانه واسعاده عند اشارة الديوان العزيز، ولا يكون له ارادة في نفسه، فيقيم على هيبة الخدمة الشريفة، حسيباً على ملامح الالحاظ، ومخارج الالفاظ، ومظان الايماء والايماض، حتى لا يكون لاحد مطمع في ان لا يكون بمرأى من الديوان ومسمع، فان صلاح الدين هو العدة لقمع الاعداء بالسيوف واصلاتها، فكيف بكف الالسنة الهاجرة واسكاتها ؟ واعجب الاشياء انه يظن انطواء هذا او ذا في دقائقه عن علوم الديوان العزيز **(مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)** (ق: ١٨) **(أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ) (الزخرف: ٨٠)**.

فصل: وان مما أضحك ثغر الاستعبار ما نتهى عن العوام واشباه الانعام وطغام الشام من الخوض في المذاهب، والانتهاء في التشنيع الى (اختلاق) كل قولٍ كاذب، اما يعلم صلاح الدين وكل من صافح الاسلام قلبه ان هذا البيت المعظم الهاشمي هو البيت الذي اختاره الله من بريته، واستودعه أسرار نبوته، واسترعاه خلقه، واستخلفه في أرضه، وتعبد الامم بولائه، ورفع من قدره وشأنه، وقسم الجنة والنار بين اوليائه واعدائه، وخصه لسوق الدنيا بحذافيرها اليه، وتحريم الصدقة عليه، وغرس له في قلب كل مؤمن حباً، فقال عز من قائل : **(قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)** (الشورى : ٢٣) فاذا كان ولاؤهم على غيرهم فرضاً، فكيف لا يتولى بعضهم بعضاً ظ أفصائر دين الله مضغة لكل جاهلٍ، أغلف القلب موقور السمع، منور العقل، مفتون العقيدة، قد حطه الله عن أوج الاجتهاد الى حضيض التقليد، وتردى من مكان بعيد، لا يفرق بين أياً من أي، ولا يعرق الرشد من الغي، لا يعقل الحق فيتوخاه، ولا الباطل فيتوقاه، اما يعلم صلاح الدين أن هذا البيت المقدس عنه يؤخذ الفرض، ومنه تتلقى السنة، وباعتقاد امامته تنعقد الجماعة، يعلم ولا يعلم، ويخرس كل منطق اذا تكلم، ولهذا قال علي بن ابي طالب عليه السلام: ((نحن صنائع ربنا، والناس بعد صنائع لنا)) فمل لكل ذي ظلع لا يربع على ظلعه، والخوض في دين الله ؟ اما تعلم ان الحكم في دين الله مردودٌ الى هذا البيت ؟ أفرد الله تعالى بذلك منصب خليفته، وعزل عنه سائر خليقته، فقال سبحانه : **(وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا)** (النساء: ٨٣).

ومنها: ما جرى من سيف الاسلام بالحجاز من ازعاج الحجاج، وارهاج تلك الفجاج، والاقدام على مناسك الله وشعائره، وايقاد سعير الفتن ونواثره، وتجديد السير القاسطة، واحياء بدع القرامطة، ما نفر منه كل طبع، ومجه كل سمع، لان مكة – حرسها الله تعالى– هي ام الدين، الذي انتخبه وقربه أمير المؤمنين، الذي اخرجه إرثاً عن آبائه الخلفاء الابرار، والانبياء المصطفين الاخيار، فهم أصحاب هذا البيت مد بوأ الله ابراهيم مكانه، ورفع هو واسماعيل قواعده واركانه، وقد كان في الدهور المتطاولة،

والفترات المتراخية من تداول الدول، وتناسخ الشرائع والملل، ما عجز أهل السير عن ضبطه، وحصرت التواريخ عن حصره، فلم يكن في هذه الازمان كلها من تعرض لهذا البيت المنصور، في ذلك البيت المعمور، حتى كانت الملوك في الجاهلية وقبلها يسمون هذا الحي من ولد اسماعيل عليه السلام: اهل الله وسدنة بيته، فاذا كانت الطغاة والجبابرة، واهل النحل الكافرة، لم يعترضوا لتلك البقعة المباركة لعلمهم بسر الله تعالى فيها، وفي أهلها، واحلال المثلاث بمن خافها، وتعرض لها مع كون الدول والملل متمالئة عليه، تطمع الان فيه، والدول تخدمه، والاديان تعظمه، هذا من غرائب تساويل الشيطان، ومرامي الاطماع، واماني النفوس، فهذه نبذة من أمالي الشرع وقضايا العقل عزيا الى ما يوجبه الادب، وعرفان مواقع النعم. اما كان فيما اولاه امير المؤمنين-صلوات الله عليه- وولاه من تلك البلاد والاطراف، والولايات الواسعة الضواحي والارياف، الى غير ذلك مما استكفاه فيه كفاف يصده عن الطموح، الى وطن أمير المؤمنين، والبيت الذي وقفه عليه رب العالمين ؟ فليس لاحد من خلق الله تعالى فيه مطمع، ولا لبصرٍ من الابصار نحوه مطمح، فكيف جاز لصلاح الدين ان يرخي عنان أخيه فيما يقوض سوابقه واواخيه، ويثبت عليه الحجة، وتتعذر المعذرة فيه، هل هذا الا تحكك بالغير، وتنفير لاوانس النعم ؟ نعيذ صلاح الدين بالله من ذلك.

ومنها: ما قضى الناس منه العجب، وفورق فيه من الادب والحزم ما وجب، التقلب باللقب الذي استأثر به أمير المؤمنين – صلوات الله عليه- وجعله علماً لعظمته، وصار له كالاسم الاعظم الذي لا يشارك فيه، ولا ينبغي لغيره، وقد شارف زمان الدولة -ثبتها الله- خوارج دوخوا البلاد، واسرفوا في العناد، وجاسوا خلال الديار، واخافوا المسالك، واستضاموا الممالك، واقتحموا من الشقاقث اشق المهالك، فما انتهى احد منهم فيما ارتكب واحتقب، الى المشاركة في اللقب، فان كان صلاح الدين رأى او سمع من شارك الخلفاء الراشدين – عليهم السلام- في أخص صفاتهم، وانتهى الى مساماتهم في سماتهم، فليمهد عذره بذكره والاعثار عليه، ليعلم انه بسعادته حذا على مثال، ونسج على منوال، وامتثل ما سبق اليه امثال، والا فسبحان الله ! اما كان

في الالقاب الفاخرة النابهة مندوحة عن الوقوف على هذا المزلق المرتج، وركوب هذا البحر الملتج، والمنازعة فيما لا يوجد له شاهد ولا محتج! ومن العجب أن امير المؤمنين-صلوات الله عليه- يخاطبه من سمة الملك بما لم يكن له، ويزاحمه هو فيما ليس ينبغي لغيره، ومن الحكم البالغة في وجيز الكلام: الذي يصلح للمولى على العبد حرام.

ومنها: ان كل طرف يتاخم الديوان العزيز من مواطن التركمان والاكراد ما زال أهله رعية العراق، وخول الديوان العزيز، يرثون الطاعة خالفاً عن سالف، لا يعرفون سوى ابوابه، ولا يجمعون على غير نوابه، يسافر صلاح الدين – ادام الله علوه- اليهم باستزلال اقدامهم، والاسترسال لاقدامهم، وفل عزائمهم، وطمس ما رقمه الزمان من الطاعة في صدورهم، أفما كان فيهم من الان الديوان العزيز لصلاح الدين مقادته، والزمهم طاعته، وجعلهم اتباعه واجناده من جموع تلك الخطط وامرائها، ومتقدمي بيوتها وقدماتها غنية عن اجناد الحضرة واشياع الحوزة ؟ ولعل أجمل اعذاره وأمهدها في نفسه ان يقول: انني اواصل من يواصله الديوان العزيز، واتقرب الى من يقربه، وتلك خدعة الصبي عن البن وجواب ذلك من جوه متعددة، احدها انه لو كانت قصوده – كما ذكر – لكان ينبغي له ان يقدم استئار الديوان العزيز فيه، ولا يفاتح احدهم بخطاب، ولا يسمح لهم ان فاتحوه بجواب دون المطالعة بذلك، وتنجز الاذن فيه، وعرض كل ما يجري في عرض التكاتب والتراسل على رأي الديوان العزيز، فما يرتضيه يمضيه، وما يرده يقف عند محدود أمره فيه.

والثاني: أن كل من يتكفل الديوان العزيز بأمره، ويقف به في الاستحقاق عند حده وقدره، لا يجوز لاحد من الاولياء بسط أمله الى حيث يقبضه الديوان العزيز عنه، لان الذي يسديه الى عبيده من الانعام، لا يحتاج من غيره الى تمام، لاسيما اذا عُمل الديوان مع هذه الاحوال الغريبة بالمعافصة والمكاتمة، فظهر على ذلك كل ما يوجب الايماء بالظنون، والايماض بالعيون، وشاع من ذلك ما أنكرته قلوب الخواصّ، وأطلق السنة العوام، نظراً الى الظواهر والعادات التي لا تعتبر في الاكثر سواها، ولا يُحكمُ في الاغلب الا عليها، وكتب الظواهر اذا حَسُنتْ، والبواطن اذا

عمرت سلمت من هواجم الاوهام البارعة، ورواجم الاقوال المنازعة، فكيف اذا تنكرت المخايل، واشتبهت الدلائل، فقد ضاع –أدام الله علوه– الحزم، ونكث عن اللائق بأمثاله من أكابر الاولياء الذين يقتدي به من دونهم، الى غير ذلك من الاسباب التي توجب الاتعاظ بها، ويُعول على الالمعية الكريمة في التبطن لها، كل هذا يجري والديوان العزيز لا يتأثر به، ويحمله على أحسن محامله ثقة بصلاح الدين، واعتماداً على صدق ولائه، وأصالة رأيه، وصحة معتقده، الا انه لما كثرت الاقاويل الناشئة عن كل أمرٍ متوهم مخيل أوجب الحزم أن يراجه هذا المشروح بمثاله، ويوازن بمقاله، ويكايل بمكياله، ليلمح صلاح الدين – أدام الله علوه– بتلطف فطنته النيرة مرمى الديوان العزيز في ذلك، فيثوب الى الواجب من قريب، ويرجع في مسالك المخالصة الى سواء السبيل، فما أشار عليه بذلك من نصحه، ولا سول له من شكر صنيعه عنده، لانه عرضٌ لا يظن ويطن به، ويشكك ويتشكك فيه، وما هذا الا من حاسد حسد صلاح الدين على نعم الديوان العزيز، ولم يستطع أن يغير آراءه الجميلة فيه، فغيره هو عليه.

ثم من أدل الاشياء على صفاء رأي الديوان العزيز، وتلونه بسعادته عليه ما جرى في البوازيج، وهو عضو من أعضاء العراق، كان الديوان قد استولى عليها، ودخل العسكر المنصور من أقطارها، وأقام شمس الدين مقلد بن مهارش بها، يستطلع الاوامر الشريفة فيها، فأوعز اليه بالخروج عنها لمكان الوثوق بصلاح الدين، وما سبق من حلفه مغلظات الايمان، المودعة خزن الديوان، أنه يفتتحها وتكريت معاً، ويسلمها اليه، فركن منه الى ذلك، وأعذر بالمهلة، وأخذ معه بوثائق الحجة، ثم نقضت بالانتظار والامهال المدة، فلم يعضد ذلك القول فعلٌ، ولا لاحت له أمارة، ولا تحرك فيه ساكن، وطارت بذلك الوعد عنقاءُ مغرب، مع أن الديوان العزيز ما كان يتعذر عليه أخذ البوازيج ولا غيرها، فإن عسكره المنصور قد فتح القلاع الناهية بين الخلق، فاستنزل أهلها من صياصيها الشمخ الشم، فلم تكن البوازيج المستأمنة بأطماع التركمان، المستأمنة برعاتها لتمتنع عن الجيوش المنصورة، التي تكفل الله بإظهارها في كلَّ ما قط، وأيدها بالملائكة في كل ما رق، ولكن حفظ قلبِ صلاح

الدين الذي حفظه عند الديوان العزيز من أهم المطالب، واصطفاء ولائه الذي هو أنفس الرغائب، ثم رعى الديوان العزيز مع ذلك دقيقة مهمة، وصوباً ظاهر الصواب، خفي اللمح، وهو أن يظهر للكافة أن عند صلاح الدين من حسن الطاعة ونقاء السريرة، والاجتهاد في مراضي الخدمة ما بعثه على انتزاع البلاد من مخالب الآساد، اقتساراً وحرباً، وتسليمها الى الديوان العزيز صفواً عفواً، خدمةً يطوع بها من تلقاء نفسه، وامتيازاً على كل من يناصبه من أبناء جنسه، واحتجاجاً لامير المؤمنين – صلوات الله عليه– في اختصاصه وإدنائه، وليعرف اصحاب الاطراف وولاة الممالك أن مثل الديوان العزيز الى صلاح الدين دونهم، وابطائه إعفاءهم، والانافة به عليهم عن استحقاق بجميل المساعي، واستحباب بحميد الوسائل والدواعي، لان الديوان العزيز خصَّ صلاح الدين بالأثرةِ والتقديم، ورفع بناءه على كلّ بيت قديم، واستهدف فيه مع أصحاب الاطراف، وذوي التيجان الموروثة عن الاسلاف لكل معتبة، واحتمل منهم في سبيله كل لائمة، ولو لم يكن في إحفاظهم، وتنكر طباعهم، وخطأ حظهم الا ما يوجد به –أدام الله رفعته– من بينهم، وقطع به أنفاس منافساتهم من خطابه بالملك، حتى لم يبق من يخاطبه قلمُ الديوان العزيز ملكاً سواه، لكان ذلك كافياً في إنفار قلوبهم، وإيغار صدورهم، واستثارة حفائظهم، واستخراج ضغائنهم، وكأني بصلاح الدين قد عارض هذه المعاتبة الحازمة، والمراشد الجازمة، والحجج الثابتة اللازمة بالامتنان بفتح مصر، وجهاد أهل الشرك، وسدِّ تلك الثغور المنفرجة، وتمهيد تلك الخطط المضطربة، فإن كان المقصود الجنوح الى المواربة، والتجانف عن الموافقة والمجامعة، والاخذ في الجدل، وابراز شبهه في معترض الحجاج، فذاك أطولُ من الاعمار، وقد جُودل في الايات المحكمة وصحاح الاخبار، وما أمسكت قط الالسن الاهوية والاعراض عن المماراة والاعتراض، وان كان المقصود بمحض القول محض الحق، فلا مرية ان فوائد مصر كلها مقصورة على صلاح الدين – أدام الله سعده– في إطالة الباع، وإطارة الصيت، وتأثيل المجد واجتلاب الدر، والمزاحمة بمنكب الملك، والتخطي الى مقام لم يكن له من قبل، والديوان العزيز في نجوة من ذلك كله، لان منصب الامامة المفروضة لا تزيده مصر والثغور اذا فتحت، ولا

تنقصه اذا استغلقت، وقد كان صيت رسول الله (ﷺ) في السماء مشهوراً، وصوت بلال بالاذان في القليب مستوراً، ولقد قُبض رسول الله (ﷺ) ولم يعد سلطانه دُومة الجندل والبحرين، فما كان ضيق رقعة مملكته قادحاً في سعة اجزاء نبوته، وكانت الولاية الحقيقية في الدنيا له، وان كانت أسياف أهلها عليه، وكذلك الامامة التي هي وراثةُ النبوة، فلو لم يكن لأمير المؤمنين–ثبت الله دعوته– من دنياه الا مكان مسجده ومصلاه، لما أبطل تغلب الباطل عليها حقه، ولا أخرجه استيلاء الطغيان عن ملكه لها، وطالما كانت مصر في أيدي الخوارج المارقين، وما أثر ذلك في مماجد الخلافة وإمرة أمير المؤمنين، وكما لم يقدح استيلاء المشركين على بلاد الشام، وهي لمقر الخلافة والامامة أقرب، كذلك لم يقدح استيلاء الخارجين على مصر، وهي عنها أبعد، وأمير المؤمنين– صلوات الله عليه– صاحب الارض بأسرها، والمستحق لها باستخلاف الله تعالى إياه فيها، سواءٌ زويت كلها له أو زويت عنه، فإن مافره منافرٌ كان كما لو كَفرَ بالله كافر، فكما لا يخرج الكافر كفره أن يكون عبداً لله، فكذلك التغلب على الارض لا يخرجها عن استحقاق خليفة الله، واذا فخرت الملوك بالممالك، فخرت المممالك بالخلائف، وبعد، فوالله ما كانت مصر محمية بمن كان فيها، بل باشتغال الخلفاء الراشدين– عليهم السلام– بالاحداث عنها، ومازال عمال الدولة القاهرة حاكمين فيها الى أن تجددت الاخلاف الشاجرة، والفتن النائرة، وانتثال الخوارج من كل صوب، وانتزاء النواجم من كل أوب، فشغل الديوان العزيز عمن تغلب على مصر من الباغين، كما شغل عمن تغلب على الشام من المشركين، وباباتهم، تم ذلك كله: ممن خرج على الخلافة وعصاه، وفارق الجماعة وشق عصاها، ولم يكن الديوان في أثناء ذلك كله مهملاً لمصر، ولا غافلاً عما فعل الظالمون، ولكن أخر ذلك الى حين بلوغ أجل الكتاب في التدبير، أخذاً بسنة الله تعالى في تقديم الاملاء على التدبير، وكوتب الصالح نور الدين محمود بن زنكي– رحمه الله– في تلك الايام السعيدة المقتفية –قدسها الله تعالى– لانه كان يومئذٍ نائب الديوان العزيز في ذلك الطرف بالشرع في أمر مصر، وان يعمل فكره، ويستوري رأيه، وينتضي عزمه، وان يهجر الدعة، متجرداً في نصبه وانتصابه، الى ان يستقر

حقها في نصابه، وكان أسد الدين شيركوه-رحمه الله- ظهير يومئذ، فتظاهرا على امتثال ذلك المرسوم، واصلا لذلك الامر اساساً، وفتلا له أمراساً، وكان صلاح الدين المخصوص باختتام مناقبها، واعتلاء مراقبها، والاستئثار بفخر صدورها، فتقدم الديوانالعزيز بقدم أسبابه حتى أقدم، وابتدائه حتى تمم، واحتكب له حتى أضرم، وهل كانت نائبة مصر الا طيفاً حلم به الزمان، ورقيمة كفرٍ محاها الايمان، ومعلم باطل زحف به الحق، فدرس عفاء، وزبداً احتمله السيل فذهب جفاءً، وان أنصف صلاح الدين علم أنه ما فتح تلك الارتاج، وتسنى تلك الاستزادة الا بيمن آراء الديوان العزيز وتسديده، ولا فتح أقاليمها الا بتقليد تقليده، فإنه استند من عز الخلافة الشريفة الى حول لا يحاول، وسما من طودها الى طود لا يطاول، وجاش من جيوشها بصلال لا يصال، فذل له كلُ صعب، والتأم به كلُ شعب، وأسلست له المصاعب قيادها، وقربت له الآمال آمادها، حتى أباح تلك الارضين وأبادها، وفرست ثعالبه آسادها، ورسا أصل إمرته ورسخ، وسما فرعُها وشمخ، وكذلك كلُ من تقدم وسلف، وكذا يكون كل من تأخر وخلف، ممن عصبت عليه النباهة تاجاً، ونصبت له الرياسة معراجاً، فمن الذي ارتفع شأنه الا بإعلانها، ولويت له الرقاب الا بلوائها، أو نبه اسم الا بتنويهها، وأخصب له جناب الا في روضها المرود، او نقع له أوام مرامه الا من حوضها المورود، أو علت له ذورة مجدٍ الا على ضوامرها القود، او رأى يوماً أبيض الا تحت راياتها السود، وهذا كله لا أقوله انكاراً لجلائل مقامات صلاح الدين، ومشاهير مواقف جهاده في سبيل الله تعالى ونصر المسلمين، ولا طمساً لآثار مآثره التي طرزت السير، ولا ريناً على أيامه الواضحة الغرر، ولا جحداً لمناقبه في النضال عن الدولة القاهرة، والنصح لدعوتها الهادية، وركوب الاخطار في اعلان كلمة الدين حتى قام أوده، وجثومه على رجفان الزمان حتى سكن ميده. وانه -أدام الله علوه- رجل وقته، ونسيج وحده، والمربي على كل من سلف من صنائع الدولة القاهرة، وعلى من يأتي من بعده، ولكنه الولي المخلص، الذي عهد فوفى، واستكفي فكفى، وطب فشفى، ونهج محجة الطاعة فلم يغادر فيها أمتاً ولا جفنا، فكيف يجوز له بسعادته ان يهجن مساعيه الغر المحجلة، ويهبط مكانه المكرمة المجبلة، ويبطل

حقوقه الثابتة المسجلة، ويخرج عن يده رأياً لا تقوم الممالك الا بأمره، ولا تطمئن المنابر الا بذكره، ولا يصح نسب الفخر الا بالانتماء الى عبوديته، وليس في سائر الوجوه عنه عوض، ولا يأخذ من الخلق عنه عفاء لا سيما صلاح الدين وأمثاله من أكابر الديوان لا يفرعون ذروة المجد، ولا يستمدون وطاء الملك، ولا يستصعغرون الخدود الصعر، ولا يستذلون الرقاب الغلب، ولا يتوطد لهم مقام زلق، ولا يحتزم لهم وضيق قلق، الا اذا استندوا الى ركنه، وأووا الى ربوة خدمته، وأشرقت عليهم أشعة طاعته، وماسوا في ذلاذل تشريفاته، وكاثروا بجنود حدوده، واستنجدوا بالملائكة التي لا تسوم الا لنصره، فقد علم كل من نظر في التواريخ والاثار، ونصحته بصيرته في التبصر والاعتبار، أن هذا البيت المعظم مازال يرفع الاقدار الخاملة، ويسم الاغفال الهاملة، ويجذب بصنع العبيد من كل مهوى بعيد، تقبلاً لسنة الله تعالى في الايجاد من العدم، وعخموم الامم بالنعم، فيثورون عليه بطراً، فيغار الله له منتصراً، ويعقبه عليهم إظاهراً وظفراً، كدأب آل طولون وآل سامان آل بويه وآل سلجوق، وقروناً بين ذلك كثيراً، فمن الذي زلزلوه فثبت ؟ ومن ذا الذي حصدوه فنبت ؟ وأي نار أوقدوها فخبت ؟ كلا والله ما طاش لهم سهم، ولا صلد لهم زند، ولا فل لهم حد، ولا قامت الا ببقائهم قائمة، وهذا أمرٌ عقده الله في سمائه، وحكم بإنفاذه وإمضائه، وعنون به سر قدره وقضائه، ونصبه علماً على إسخاطه وإرضائه، فمن ذا الذي يحل معاقد الاقدار، ويطور بهذه الاطوار، ويمانع شامخ الفلك الدوار، ويكشف الاستار عن مراد اللله في هذه الاسرار ؟ ولما اعترض فيه الملائكة المقربون أسكتوا وبكتوا بأني أعلن نبأ ما لا تعلمون، فبالله عليه بسعادته ما الذي أحوجه الى فصم العصم عن بيتٍ هذا مرتقاه في الدنيا، وله الشفاعة والمقام المحمود في العقبى ؟ وما الذي حمله على هذه الوحشات ؟ هل استكثر له جزيل المال ؟ او أنيف بغيره الى هذا المكان العال ؟ او طولب بحق الله مما اختاره من الغنائم والانفال ؟ او حطت له رتبة ؟ او ذللت له صعبة ؟ او طومن له بأو، او كفكف له شأو ؟ لا والله، بل جعله أمير المؤمنين – صوات الله عليه – مطمحاً للأبصار، وعنواناً لولاة الضواحي والامصار، وتاجاً على رؤوس الموالي والانصار، وأربى له على كل مجد، ووسط به كل عقد، واسلفه من

النعم الشريفة في هذا الامد القصير من التنويه والتنويل، ما لا يدرك في المساعي العظيمة في الزمان الطويل، يحسن فراسه فيه، وجميلِ ظن به، وبصيرة الرأي في اصطفائه، واستزكاء لمغارس الصنع عنده، فلا ينبغي له مع هذه المزايا التي أصبح بفخرها نابهاً، والعطايا التي أضحى في نعمائها دون الانام فاطهاً، ان يصالت من أصلته دون كل سيفٍ مغمد، وأشب ناره دون كل وقود مخمد، ولا يحملن صلاح الدين – أدام الله علوه – هذا العتاب اللطيف، والابداء والاعادة في التأنيس والتوقيف على صورة ملجئة اليه، ولا حافر باغيةٍ عليه، بل مجرد حرص الديوان على استضواء أقباسه، واستثمار أغراسه، والا فأن وراء كتبه كتائب تغص الفضا، وتنص القضا، قوية السطا، موصولة السيوف بالخطا، بأسهم شديد، وقلوبهم تحت الحديد حديد، غانين بالكثرة والايد، عن دقيق الحيل والكيد، يقارعون على الحق، ويغيرون على الموت في سبيله، والان فلا يكونن قول هذا مستدعياً للمناقضة، ومفتاحاً للمعارضة، فإني أعلم أن عنده بسعادته أذهاناً صقيلة، والسنة قؤولة، واقلاماً في هياج الاحتجاج صؤولة، لكن لسنا في تحاسين الاقوال، وتلافيق المراء والجدال، والاستباق في مضمار الكلام، وانما نحن في معاظم، وتسكين ثوائر، واطفاء نوائر، وتمهيد أمر مائر، وحد لا يجوز فيه التجوز، ولا يصلح فيه الا الانصات الى الحق والانصاف في الحكم به، وانا معذور، بل مشكور على تشقيق المقال في هذا المعترك من جوه كثيرة، منها: مذهبي في الصدق، وادارة ارادتي على نهج الحق، وانني في هذه السعادة جئت على فترةٍ من الرسل، وتراخ من الكتب، وثاءرٍ من القلوب، ولم أجد لادمال هذه الجراح على أصل الصحة والصلاح، الا بالقول المحض، والصدق الصراح، وربما أتهم في قول هذا بإغراقي في النصيحة، وكشفي الاغطية، وقديماً وقع ذلك لكل مصلح، وقد يستفيد الظنة المنتصح، ولكن مقامي هذا لا يحتمل اللجلجة والمسايرة دون المصارحة والمظاهرة، والانتهاء الى الغاية التي توجبها الامانة، وكفانا بالتعيين في هذه السفارة على تاج الدين –أدام الله علوه– فإن اللله سبحانه امتن على الامم بابتعاث الرسل اليهم من أنفسهم، وقد بلغت جهدي في الكشف عن وجه الامر ليؤتي تدبير من صوب الصواب، والله الموفق لتيسير

الدواعي والاسباب، بمنه وكرمه، اللهم هل بلغت ؟ وللرأي السامي الصلاحي علوه، ان شاء الله تعالى.

الملحق رقم (٩)

جواب السلطان صلاح الدين يوسف الايوبي على رسالة الخليفة الناصر لدين الله العباسي وهي من انشاء القاضي الفاضل[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)) الحجرات : ٦

أدام الله أيام المجلس السامي القوامي ادامة تؤذن بتشييد معاليه، ويشتمل بيمنها وبركتها حاضر وقته وتاليه، ويؤيد من يواليه مواليه، ويخلد معها ناضر وقته وحاليه، ويتكفأ بها ترادف النصر وتواليه، وتزينه بمحاسن الصفات وتحليه، وترى طلوع نجمه من مطالع السعد وتجليه، وتضاعف ما تمنحه به الكرامة وتوليه، والله في كل حال حافظه وكاليه، وصل الكتاب الكريم فملأ القلوب مهابة، وحاكى بطيب عرفه ملابه، ونشر الناشر منه عطراً، ونشق الناشق منه قطراً وأطيل الرنو اليه بالعيون، واعظم ان يحمل على الايدي فحمل على الجفون، وتبسمت الارض عند معاينته تقبيلاً ولثماً حتى كاد ان يؤثر بالشفاه صدعاً ورثماً، وكأنما استحال الترب عند لثمه عبيراً، وانقلب أديم الغبراء سندساً وحريراً، ورفع الدعاء الى مقر الاجابة ومظنتها، وشفع بمفروض الضراعة وسنتها، على انه تضمن ما يزعزع الاطواد، ويقطع الاكباد، ويطرد عن الجفون الرقاد، وفض عن ثناء عظيم، وخطب جسيم (تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا) (مريم: ٩٠) يرعد الفرائص فرقاً، ويغص بالريق شرقاً، لانه عبر فيه عما يعجز أهل البلاغة واللسن تلافيه، وشاب عذب كلامه بعذاب كلامه، ومزج الشهد من حسن رأيه بذعافِ الواشي وافترائه، وفي سالف الوقت قيل فيمن سارع اللائم اليه واعنته: رب ملوم لا ذنب له، وان كان -اعلى الله كلمته- أعنق في النصيحة واوضع، فلقد أنهر الجروح واوسع، وربما بالغ

---

[١] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢١، صص: ٣٣٦-٣٤٣.



الطبيب في إغراق المبضع فاوجع، واشتد الالم وان لم يلم، لانه غير خاف عن احد من أهل ملة الاسلام، وذوي العقول والاحلام ان الدين عقدٌ سيدنا ومولانا امير المؤمنين-صلوات الله عليه- واسطته، وعقد هو رابطته، وورد هو قربه، وسجاح هو كرمه، وعماد هو مشيده، وظهر هو أبهره ووريده، وكتاب هو عنوانه، ودرٌ هو صوانه، ورمح هو مسلاته واهتزازه، وبرد هو تحبيره وطرازه، وان طاعته سبيل من خالفها ضل وغوى، ومنار من تنكبه زل وهوى، وهو الشمس التي لا يكفرها ضباب الجحود، والنعمة التي لا ينكرها الا المارد الكنود، وله العهود المحيطة بالرقاب، والامانة الخالدة على الاحقاب، والدعوة الباقية في الاعقاب، والرتبة التي يستوجب بها الاسماء واشرف الالقاب، ولزوم الحجة التي لا تدفع بالمناكرة، ووجوب الاخلاص الذي لا يلغى بالخدع والمماكرة، والامانة المؤدي حق نفسه من اداها، والمتابعة المنصوص بالسخط على من جاوزها بالخلاف وتعداها، هذا ما يجب على المسلم اعتقاده، فكيف يشك فيمن هذا ينطوي عليه ضميره وفؤاده ؟ او يرتاب بمن اسنده ظهر ؟ وهو تقجيره في نفسه وتقريره، وتحقيقه في حسه وتحريره، وامير المؤمنين – ادام الله سلطانه وعمر باعزاز الخلافة المعظمة مواقفه الشريفة واوطانه-عين الحنبفية الصافية، والنعمة السابغة الضافية، والممتثلة اوامره كرهاً وطوعاً، والسعيد من كان لدعوتها أسمع واوعى، وهو ولي الامة وامامها، وجامع شتات الملة ونظامها، امورها اليه مردودة، وحدودها اليه محدودة، وهو المفوض اليه ما يتنازع فيه المتنازعون، والحاكم فيما يتثلط عنه المتثبطون، ويسارع اليه المسارعون، لا ينازع في ذلك منازع الا والله بما يضمر عالم، ولما يقول سامع (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى) (النجم: ٣١)

واما ما انهى من تترامى به الى هذه الخطة المرامي، فانه وان دعت ضرورته الى اعانته وجبر كسرته، فما أصغى الى شكاته أحدهم بمسمع، ولا التفت عليه بمجمع، ولا تبين له في ذلك مطمع، وكيف ينصت الى من أضاف الى الاراء المظهرة جوراً، وجاوز بذلك حداً، وتعدى به طوراً، وهي النيرة بصيرة عند انطواء

الامور واستتارها، والمأمونة على أحوال الامة واستارها، وان طريد نقمتها بعدما كان يريد نعمتها، وان وقذته فهي التي غذته، واي تقول يبسط، او قول يظلم فيه ويقسط، ومن يقول بفيه التراب، وعلته الرباب، وليده الفدع، ولانفه الجدع، ولو سمع من متسمج ما بدل فساد ما أطهره ما أخفاه، لعجلت عقوبته، ولانتزع لسانه من قفاه، ومن جل همه نشر الدعوة الهادية كيف يظن به ان يسوغ لمن يهدم بهوانه ما بناه، حاش لله، ولولا الوقوف على قدم الادب وقوة الظن ان هذا الضجر لا يقع الا عن سبب لقلت: من المتزيد غير المتأيد، واما نسبة ذلك الخادم واعتماده فهو الموجب للهب كبده واتقاده، ونفور جفنه عن رقاده، وكيف يكون ذلك وهو بطاعة هذا البيت الشريف الذي نزلت فيه الايات، ووردت الاخبار، وعلى ولائه عاش الصلحاء ومات الاخيار، واليه مقاليد الامور، وعليه أجمع الجمهور، وبفضله نزل الكتاب، وهلك بذلك المرتاب، فإنه الحرم المزور، والعلم المنشور، ولا يخالف ذلك الا آثم كفور، واليه إيالة المغارب والمشارق، وكلمت أفل نجمٌ نجم شارق، لا تحصى مآثره، ولا تكثر مكاثره، ولا تعد مفاخره، المحمود الممدوح أوله وآخره، ووضوح الحق بذلك واستنارة دلالاته، والله أعلم حيث يجعل رسالاته، فهو معدن المفاخرة وجماعها، والصخرة التي أعيا الرجال انصداعها، والذروة التي طال اعتياصها وامتناعها، لم يغره من سلطان إنالة، ولا يستطيل غيرهم بما لهم من الاستطالة، ولا يستطيع قائل أن يقول في سواهم هذه المقالة، أمرهم البليغ المطاع، والدنيا لهم نسوع وأنطاع، والوصاة بطاعتهم من الله ونبيه المختار، ان السلامة في جماعتهم، ومن شذَّ شذَّ في النار. هذا جزء من مناقبهم التي لا يستطيع أحد ان يحصيها، ولا ارتياب بها ولاشك فيها، وانه ما طمع في مناوأتهم الا من قمع ووتر، ولا ناوأهم الا من درس، فلا عينٌ ولا اثر، ولا يغلب عليهم متغلب الا عثر جده، وغفر خده، ورد الله كيده في نحره، ولا يدرك وصف فضائلهم مسبٍ مطنب، ولا يملك نعت فواضلهم مصقعٌ معرب، طاعتهم واجبة بالاتفاق، لازمة في الاعناق، مقترنة بطاعة الله ورسوله على الاطلاع، هذا ما لدي عتيد، والله علي به شهيد، وما على من سمع لمزة لمزها

متخرص، ونهزة انتهزها متفرص عتب وملامة، ولا ذنب يكسبه ندامة، وان هذا عندي اعلمه يقيناً، ولا أفتقر ان أحلف عليه يميناً، بل مؤكد لا يحتاج الى تقرير، ولم يتوسم او يتوهم في الخادم غير ذلك، ولو احتوى على ما احتوى عليه كتاب المسالك والممالك، وانه بحمد الله أمد المماليك في الخدمة باعاً، وأسرعهم لاوامرها اتباعاً، وأقبلهم لها طباعاً، وأشدهم بحسن آرائها انتفاعاً، واكثرهم بها دفاعاً، والله المسؤول والمأمول ان يوضح الاراء الشريفة ما تشتمل عليه من الولاء ضلوعه، وما عليه تعويله واليه مرحوعه، غير معرج على تخرص العدو واجترائه، واقدام الواشي وافترائه، فانه لا يرى نجاح مقاصده الا بجميل برائه، ولا معتقده الا جنة واقية من بأساء الدهر وضرائه، وقد وهب الله تعالى الرعايا عامة، والمماليك الخدمة الشريفة خاصة، من فسيح رحمتها ورأفتها، وتغمدها بالعواطف المخطىء والمصيب، ومثبط عن الطاعة ومستجيب، ما تحصل به الطمأنينة للعبد، لاسيما لمن لا يتداخله في الخلاف لها حمية، ولا مرق من طاعتها مروق السهم عن الرمية، ولا اخذته عن التنويه في الانقياد لاوامرها سورة جاهلية، بل يرى طاعته لهذا البيت محضااص لازماً وفرضاً جازماً مع انه لم يشب صفاء وده شائبة، وان رأى يوماً خلافاً رأى ذلك عقاً وجهالة، وان ابتدعوا الخروج عن الطاعة قال: هذا بدعة، وكل بدعة ضلالة، لا يوافق لها مخالفاً، ويكون لنافرٍ عنها الفاً، بل يجري من محض الطاعة على معهوده، ويبذل فيها قدرته وأنهى مجهوده، ولو حمل من الاوامر على الاصعب لرآه الاوفق الاقرب، مستعيذاً بالله من زلةٍ تفتقر الى التجاوز والاغضاء، معترفاً لانعمه التي ضفت عليه ملابسها، واطمأنت اليه اوانسها، وظهرت عليه صنائعها، وطلعت عليه بالغدو والآصال طلائعها، وما ذكر ذلك الا ليثبت البراءة من تخرص ما نقل الناقل، ليحق الحق ويبطل الباطل، ثم مع براءة الساحة وثبوت النزاهة، فانه يلجأ الى معقل التجاوز والعفو، ويأوي الى ركن شديد يشرع منه الى مورد الصفو، ولا يخرج ذلك كما رسم مخرج الاحتجاج والمجادلة، ولا على وجه المناقضة والمناضلة، والمجلس السامي-اسماه الله- بأسو بطبه

مرض هذه الحال، ويحسم داء هذا القول المحال، ويقول الخادم: ان تجرع مرارة الاعذار خير من التسرع الى المعارضة بالانكار، لاسيما مع ما يأمل من العفو لعظيم الزلات، وما الف من كرم اعراقه، ومكارم اخلاقه بطلب الصلاح فيما يأمر به، ويشير اليه، حيث لم يؤنس منه الا اعمال الرؤية الصحيحة، والاعتماد على قوله عليه السلام: الدين النصيحة، ولولا امتثالي لاوامره، واعتمادي لمرسومه عن آخره، فلا اقف مع المناهضة ولا المناقضة ولا المعارضة، لقلت: متى زلت بي عن الطاعة قدم، واستقلت بي استقلالاً يحمل علي الندم ؟ ولم أزل مرتدياً أردية الخضوع عمري، في باطن حالي وظاهر أمري، لا أخل بالمماحضة في مشهدٍ ولا غيبٍ، ولا اخرج عن المناصحة الى شبةٍ ولا ريب، ولا أرفع ولا أضع، ولا أكف ولا أزع، ولا آخذ ولا أدع، ولا أطير ولا أقع، الا بعد المطالعة بمكنون أمري وخافيه، وما لا يباين ظاهر الصدق ولا ينافيه، وما تعرفت الى نعمةٍ فكان لها مني تنكير، ولا غفلت عن شكرٍ فأفتقر الى تذكير.

وأما سيف الاسلام، فما جهل فيما اعتمد حق البيت وأهله، ولا انكر حدود حرمه، وانما عاين اموراً مختلة، واحوالاً معتلة، فظن انه يلم شعثها، ويرم منتكثها، ويثقف اعوجاجها، ويسكن ارتجاحها، فعذل المنتهي عن الغرض، كمن يصف للطبيب غير المرض، وما قصد الا اطفاء الفتنة واخمادها، او صادف الحال اجمادها، ولم تنه الحال على جليتها، ولا جليت في حليتها، ولو علم ان هذا يقع من الخدمة الشريفة موقع السخط والانكار، لكان في حيازة مراضيها شغلٌ عن تلك الاحوال، والدخول فيها، لكن غلب على ظنه ان فعله خدمة يتقرب بها الى الاراء الشريفة، لا لينتسب الى الاقدام والاجتراء، والحدود تذرأ بالشبهات، والتوبة تمحو السيئات.

واما الاتستم بما استأثرت به الاراء الشريفة من اللقب المعظم، فما كان ذلك الا من قبل ان يقع به الاتسام النبوي – زاده الله جلالاً– ولم يرسم فيه ما تقع الطاعة في مقابلته بالامتثال والارتسام، ولم يجهل في ذلك مفروض، ولا طمع ان يتناول الجوهر تناول العروض، وكيف يحاول كف الثريا باللمس، واين السها

النحلى من مطالع الشمس، الحق اوضح مناراً، واوسع مطاراً، وكيف يخامر همته الكريمة الطمع في المشاركة في سمةٍ تتحاماها اطراف الرماح، ونقصر عين كل طرفٍ عن الدنو الى ذلك الطماح، وما صار لبدر الخدمة الشريفة هالة، ونكب عن حالة كان عليها اعلاء حاله، فصار بذلك حرماً، وملىء ما شاء عتقاً وكرماً، فتحامته الاطماع، ووقع باجلاله واعطامه الاجماع، وانما وقع تواصل ذلك، ولم يعلم الانقطاع عنه والامساك لما حصل على توزعها سفار البلاد، وترامت بها الاغوار والانجاد، فلنم يتمكن من استدراكها، ولا ارتجاعها من أيدي ملاكها.

وما كل دار روضة دارة الحمى　　ولا كل مصقول الترائب زينب

واما مواصلة من انكرت مواصلتهم من الاكراد، فما كان ذلك لثقلهم عن خدمة هو فيها يشاركهم، قيام كل بها فرض عين، من غير تخلق ولا مين، ولكن كانت لهم وشائج نسب، وولائج خدم وسبب، فالتمست موافاتهم لتحصل مكافأتهم، وكان التعويل على استخراج الاذن الاشرف عند اجابتهم، فسيردفهم بعد الابعاد، فيحسن قراهم عند القرى، ويرجعون الى خدمة المالك، ولولا ما قد الف الخادم من التقلب في هذه البلاد، والتعرف والتصرف فيها لمغالبة اعداء الله بالجهاد، لود ان يكون تحت الولاية الشريفة حاضراً كما هو تحتها بادياً، وان يخدمها باطناً كما يخدمها رائحاً وغادياً، فيكون على النعمة باطنه وظاهره، ويفوز من ذلك بخير الدنيا والاخرة، فبحسن الاراء الشريفة مصبح النعم وممساها، تتبع اولى النعم أخراها، وباسم الله مجراها ومرساها.

واما البوازيج، فما تأخر امرها الا لامور عرضت من دونها واعترضت، وموراد تكدرت مشاربها وغرضت، وتقلب الفرنج في البلاد، وتغلبهم هلى حاضر منها وباد، وتنقلهم بين الاغوار منها والانجاد، وتوصلهم الى البقاع والوهاد، فذاك الذي صرف الهمة عنها والطرف اليها طامح، واوقع الاحجام عنها والعزم نحوها جانح، وان خلا لها الزرع، حصل منها أصل المقصود والفرع، واما الموسومون بالطغام، فلا يأنف الغني منهم الرغام، وان كان ما انكر ثبت عمن له اسم يعتبر،

او سم يختبر، فان أنعم بتعريفه اوقع به ما يحذر ولا يعذر، وان كان من الغثاء والغثر، ومن يقل بهم الكثر، فاولئك الذين اغتبقوا الجهالة في المهد، ولا يمكن جمعهم على الحق بجهد، وما وجدنا لاكثرهم من عهد، ومن لم يكن له حلم يزعه، كان في الحلوم الشريفة ما يسعه.

واما ما ذكره فيه بالانعام عليه بالخطاب النفرد به عمن سواه، فما جهل الانعام به، فكيف فحواه !

واما من تأثر بذلك عند الاطراف، ورجال على الاعراف، فالحه ينوب عندهم عن الديوان العزيز، وتقوم بحجته عند أهل النظر والتمييز، وذلك انه لم يكن فيهم من خدم خدمته، ولا قدم من مناصحته ما قدمه، والبينة عليهم ظاهرة، وبراهين الخادم لهم قاهرة.

واما ما حصل له من الصيت من فتح مصر فهذا لا يمكن ان يخفى ظهوره، ولا يطفأ نوره، فان من احتف بالسدة الشريفة، واقتحم في اعلاء كلمتها الاهوال المخيفة، انتشر له صيت لا يتوارى، وعلا له صوتٌ لا يشك في علوه ولا يتمارى، وعلاؤه معذوق باعلائها، وارتقاؤه متعلق بارتقائها، والكل منسوب اليها، ومحسوب من نعم الله عليها، وليس الخادم للأنعم بجاحد، ولا من أيام اغترافه بواجد.

واما ما يرجع الى الفتوح التي افتتحها، ومانح السبيل التي أوسعها الله للاسلام وفسحها، فافعاله فيها نجوم الديوان العزيز سناها، وثمار له ما طاب وعذب من جناها، حيث بدعوتها يبدأ ويعاد، وبمفاخرتها يبنى ويشاد، وباستشراف الادعية على منابرها ومنائرها يتشرف، وبنفوذ التصرفات يتعبد لاوامرها وباستحكام اواصرها يتصرف، فهل من يقتحم غمرتها، فيزدحم على حماتها بلجم نفسهع اخطار دوائرها ودواهيها، الا متردداً بين اوامرها ونواهيها ؟ وهل يظن الحلم فيه الا لها لا عليها، والاستقلال بها الا منها واليها ؟ وهل يكون لملابسها وملامسها صوت او صيت، ولو ملك جميع آفاقها الا بجريه على مراضي الخدمة ووفاقها ؟ وهل هو عبد الخاص والعام، والناقص والتام الا بمنزلة الريش مع الريح يطير

بمطارها، ويسير في اقطارها، يفيء حيث فاءت، ويتصرف كيف شاءت، ولا ينفرد ببسط ولا قبض، ولا سماء له مع استزادة زلا ارض، هذا مما يمكن انكاره، او يسوغ للعقل ابتداء الرأي فيه وابتكاره ؟ لا والله ، بل الحق المبين اليقين، والصدق المبين ان امر الخدمة الشريفة فوق كل أمر، وقدرها أسمى وأسنة من كل قدر، وان الكل بطاعتها يقفون، وبسدنتها الشريفة يحتفون، وليس ذلك مما ينكر فيه الواجب، ولا يستر عن العيون بالرواجب.

وأما ما ذكر فيه من توفير الغنائم والاثقال، والاعراض عن إفساد السريع النازل منها والثقال، فأن العلوم النبوية محيطةٌ بما قد جرت عليه عادة هذه البلاد، من مرد ذلك على أهل المكابدة بها والجلاد، وصار ذلك قاعدة مقررة وسنة، ووقاية دون نقلها الى غيرها وجنة، وعادة المستناب يفوض أمره اليه، يجريه مجراه، ويضعه من المصلحة حيث يراه، هذا على أن اكثرها تعتوره النهاب، ويستولي عليه الذهاب في حالةٍ لا يمكن فيها المناقشة ولا المشاققة، ولا المنافسة ولا المحاققة، خصوصاً مع ما طرق هذه السنوات، وطبق من الهنات، وما انثال كما انهال من الرمال، فأيُ مال واكتساب يقع بحصر واحتساب ؟ واي حاصل يسلم للاختزان ؟ واي عطاء ينتظر به لشرط وميزان، وليس الا نفوس تساب، وجثث تسحب، ودماء تسكب، ومهجات تطلب، وكماة على حشاشاتها تغلب، وفرسان على مناكبها تقلب، وحمام الارواح يجلب، واخلاف المنية تدر قبل أن تحلب، وشجعان بدماءٍ ترمل، مع ما يعلم أن الخادم لي داعية الى احتقاب مال ولا احتجانٍ، ولا ارتباط مقرب ولا هجان، وان ركاب الاحمر والابيض عنده ملق، فلا يمر عليه الا وهو منطلق، وقد مرت عليه أحوال كثيرة، حاملة على التعرض لرافد الديوان العزيزة مثيرة، فمنعه ما يعلم من أثقال تحكم بأن تحمل عنه، وان كان البحر لا يعدم مجتدياً، والبدر لا يسأم مهتدياً.

ملحق رقم (١٠)

منشور الفتوة

منشور الفتوة الذي أقره الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٨٠-١٢٢٥م) وهو من انشاء المكين ابو الحسن محمد بن محمد القمي كاتب ديوان الانشاء وقت كتابته سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٨م[1].

بسم الله الرحمن الرحيم، من المعلوم الذي لا يتمارى في صحته ولا يرتاب في براهينه وادلته أن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب -ك- هو اصل الفتوة ومنبعها ومنجم اوصافها الشريفة ومطالعها وعنه تروى محاسنها وآدابها ومنه تشعبت قبائلها واحزابها دون غيره تنتسب الفتيان وعلى منوال مؤاخاته النبوية الشريفة نسج الرفقاء والاخوان وانه كان عليه السلام مع كمال فتوته ووفور رجاحته يقيم حدود الشرع على اختلاف مراتبها ويستوفيها من اصناف الحسبات، على تباين جناياتها ومللها ونحللها ومذاهبها غير مقصر عما امر به الشرع المطهر وقرره ولا مراقب في ما رتبه من الحدود وقرره امتثالاً لامر الله تعالى في اقامة حدوده وحفظاً لمناظم (ص٢٦٠) الشرع وتقويم عموده فانه عليه السلام فعل ذلك بمرأى من السلف الصالح ومسمع ومشهد من اخبار الصحابة ومجمع فلم يسمع ان احداً من الامة لامه ولا طعن عليه طاعن في حداقامة وحقيق بمن اورثه الله مقامه وناط به شرائع الاسلام واحكامه وانتمى اليه عليه السلام في فنونه واقتفى شريف شيمه وكريم سجيته ان يقتدى به عليه السلام في افعاله ويحتذي في ما استرعاه الله تعالى واضح مثاله غير ملوم في ما يأتيه من ذلك ولا معارض فتوة ولا شرعا في ما يورده ويصدره وقد رسم أعلى الله المراسم العلية المقدسة النبوية الامامية وزادها نفاذاً معضوداً بالصواب وتأييداً ممتد الاطناب محكم الاسباب على كل من تشرف لالفتوة برفاقة الخدمة الشريفة المقدسة المعظمة الممجدة المكرمة الطاهرة الزكية النبوية الامامية الناصرة لدين الله تعالى

---

[1] انظر: علي بن انجب ابن الساعي البغدادي، الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، صص:٢٢٣-٢٢٦.

شرف الله مقامها وخلد ايامها واعلى كلمتها ونصر رايتها: انه من قتل له رفيق نفساً نهى (ص٢٦١) الله تعالى عن قتلها وحرمه وسفك دماً حقنه الشرع المطهر وعصمه وصار بذلك مما قال تعالى في حقه حيث ارتكب هذا المحرم واحتقب عظيم هذا المأثم **((وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا))**[1] الاية ان ينزل عنه في الحال في جمع الفتيان عند تحققه لذلك ومعرفته ويبادر الى تغيير رفقته مخرجاً له بذلك عن دائرة الفتوة التي كان متسماً بها مسقطاً لها من عداد الرفاقة التي لم يقم نواحيها، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب، وان كل فتى يحوي قاتلاً ويخفيه ويساعده على امره ويؤويه ينزل كبيره عنه ويغير رفاقته ويتبرأ منه وان من حوى ذا عيب فقد عاب وغوى ومن آوى طريد الشرع فقد ضل وهوى والنبي عليه السلام يقول: **((من آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين، لا يقبل الله من صرفاً ولا عدلاً))** ولا حدث اكبر من قتل النفس عدواناً وظلماً ولا ذنب اعظم منه وزراً واثماً فان الفتى متى قتل فتى من حزبه (ص٢٦٢) سقطت فتوته ووجب ان يؤخذ منه القصاص عملاً بقوله: **((وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ))**[2] وان قتل غير فتى عوناً من الاعوان او متعلقاً بديوان في بلد سيدنا ومولانا الامام المفترض الطاعة على كافة الانام الناصر لدين الله امير المؤمنين وخليفة رب العالمين فقد عيب هذا القاتل في حرم الحزب بالقتل فكانما عيب على كبيره فسقطت فتوته بهذا السبب الواضح ووجب اخذ القصاص منه عند كل فتى راجح وليعلم الرفقة الميمونة ذلك وليعلموا بموجبه وليجروا الامر في امثال ذلك على مقتضى المأمور به وليقفوا عن المحدود في هذا المرسوم المطاع ويقابلوه بالانقياد والاتباع –ان شاء الله تعالى– وكتب في تاسع صفر سنة اربع وستمائة، وسلم الى كل واحد من رؤساء الاحزاب منشور بهذا المثال فيه شهادة ثلاثين من العدول ثم كتب تحت كل مرسوم ومنشور (ص٢٤٣) ما هذا صورته ((قابل العبد ما تضمنه هذا المرسوم المطاع وقابله بما

---

[1] سورة النساء، الآية ٩٣.

[2] سورة المائدة، الآية ٤٥.



يجب عليه من الانقياد والاتباع والامتثال وهو الذي يجب العمل به فتوة وشرعاً وهذا المعروف من سيرة الفتيان المحققين نقلاً، وقد الزمت نفسي اجراء الامر على ما تضمنه هذا المرسوم الاشرف فمتى جرى ما ينافي المأمور به المحدود فيه كان الدرك لازماً لي والمؤاخذة مستحقة على ما يراه صاحب الحزب ثبت الله دولته واعلى كلمته وكتب فلان بن فلان في تاريخه)).

الملحق رقم (١١)

الحديث الخاص بشأن فضائل يوم عاشوراء والذي عدَّه ابن الجوزي من الموضوعات[١]

أنبأنا عبد الله بن علي المقري أنبأنا جدي ابو منصور الخياط أنبأنا عبد السلام بن احمد الانصاري حدثنا ابو الفتح بن أبي الفوارس أنبأنا الحسن بن اسحاق بن زيد المعدل حدثنا احمد بن محمد بن مصعب حدثنا محمد بن عبد الله بن قهزاد حدثنا حبيب بن ابي حبيب عن ابراهيم الصائغ عن ميمون بن مهران عن ابن عباس: قال رسول الله (ﷺ): ((من صام يوم عاشوراء كتب الله له عبادة ستين سنة بصيامها وقيامها، ومن صام يوم عاشوراء أعطي ثواب عشرة الاف ملك، ومن صام عاشوراء أعطي ثواب الف حاج ومعتمر، ومن صام يوم عاشوراء أعطي ثواب عشرة الاف شهيد، ومن صام يوم عاشوراء كتب الله له أجر سبع سموات، ومن أفطر عنده مؤمن في يوم عاشوراء فكأنما أفطر عنده جميع أمة محمد، ومن أشبع جائعاً في يوم عاشوراء فكأنما أطعم جميع فقراء امة محمد (ﷺ) وأشبع بطونهم ومن مسح على رأس يتيم رفعت له بكل شعرة على رأسه في الجنة درجة، قال: فقال عمر يا رسول الله لقد فضلنا الله عزَّ وجلَّ بيوم عاشوراء ؟ قال: نعم خلق الله عزَّ وجلَّ يوم عاشوراء والارض كمثله، وخلق الجبال يوم عاشوراء والنجوم كمثله وخلق القلم يوم عاشوراء واللوح كمثله، وخلق جبريل يوم عاشوراء وملائكته يوم عاشوراء، وخلق آدم يوم عاشوراء، وولد ابراهيم يوم عاشوراء، ونجاه الله من النار يوم عاشوراء، وفداه الله يوم عاشوراء، وغرق فرعون يوم عاشوراء، ورفع إدريس يوم عاشوراء، وولد في يوم عاشوراء، وتاب الله على آدم يوم عاشوراء، وغفر ذنب داود في يوم عاشوراء، وأعطى الله الملك لسليمان يوم عاشوراء، وولد النبي (ﷺ) في يوم عاشوراء، واستوى الرب عزَّ وجلَّ على العرش يوم عاشوراء، ويوم القيامة يوم عاشوراء)).

---

[١] انظر: ابو الفرج عبد الرحمن علي بن الجوزي، الموضوعات، ج٢، ص١١٤.

الملحق رقم (١٢)

خطبة داود بن علي العباسي في مسجد الكوفة سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م

الحمد لله شكراً شكراً شكراً، الذي أهلك عدونا، وأصار إلينا ميراثنا من نبينا محمد (ﷺ)، أيها الناس ! الآن أقشعت (أذهبت) حنادس الدنيا؛ وانكشف غطاؤها، وأشرقت أرضها وسماؤها وطلعت الشمس من مطلعها، وبزغ القمر من مبزغه، وأخذ القوس باريها، وعاد السهم الى منزعه، ورجع الحق الى نصابه في أهل بيت نبيكم، أهل الرأفة والرحمة بكم، والعطف عليكم. أيها الناس ! إنا والله ما خرجنا في طلب هذا الامر لنكثر لجيناً (فضة) ولا عقياناً (ذهباً). ولا نحفر نهراً، ولا نبني قصراً، وإنما أخرجنا الأنفة من ابتزازهم حقنا، والغضب لبني عمنا، وماكرئنا من أموركم، وبهظنا من شئونكم. ولقد كانت أموركم ترمضنا ونحن على فرشنا، ويشتد علينا سوء سيرة بني أمية فيكم، وخرقهم بكم، واستذلالهم لكم، واستئثارهم بفيئكم وصدقاتكم ومغانمكم عليكم. لكم ذمة الله تبارك وتعالى، وذمة رسوله (ﷺ)، وذمة العباس رحمه الله، أن نحكم فيكم بما أنزل الله. ونعمل فيكم بكتاب الله، ونسير في العامة والخاصة منكم بسيرة رسول الله (ﷺ). تباً تباً لبني حرب بن أمية وبني مروان، آثروا في مدتهم وعصرهم العاجلة على الآجلة، والدار الفانية على الدار الباقية، فركبوا الآثام، وظلموا الأنام وانتهكوا المحارم وغشوا الجرائم وجاروا في سيرتهم في العباد وسنهم في البلاد التي استلذوا تسربل الأوزان وتجليب الآصار؛ ومرحوا في أغنة المعاصي وركضوا في ميادين الغي جهلاً باستدراج الله وأمناً لمكر الله، فأتاهم بأس الله بياناً وهم نائمون، فأصبحوا أحاديث ومزقوا كل ممزق، فبعداً للقوم الظالمين، وأدالنا الله من مروان وقد غره بالله الغرور، وأرسل لعدو الله في عنانه حتى عثر في فضل خطامه (ومامه). فظن عدو الله أن لن نقدر عليه. فنادى حزبه وجمع مكايده ورمى بكتائبه، فوجد أمامه ووراءه وعن يمينه وشماله من مكر الله وبأسه ونقمته ما أمات باطله ومحق ضلالته وجعل دائرة السوء به، وأحيا شرفنا وعزنا ورد إلينا حقنا وإرثنا. أيها الناس ! إن أمير المؤمنين نصره الله

نصراً عزيزاً إنما عاد الى المنبر بعد الصلاة؛ إنه كره أن يخلط بكلام الجمعة غيره، وإنما قطعه عن استتمام الكلام بعد أن استحنفر فيه شدة الوعك. وادعوا الله لأمير المؤمنين بالعافية؛ فقد أبدلكم الله بمروان عدو الرحمن وخليفة الشيطان المتبع للسفلة الذين أفسدوا في الأرض بعد صلاحها بإبدال الدين وانتهاك حريم المسلمين، الشاب المتكهل المتمهل المقتدي بسلفه الأبرار والأخيار الذين أصلحوا الأرض بعد فسادها بمعالم الهدى ومناهج التقوى. فعج الناس له بالدعاء.

ثم قال: يا أهل الكوفة ! إنا ما زلنا مظلومين مقهورين على حقنا، حتى أتاح الله لنا شيعتنا أهل خراسان، فأحيا بهم حقنا وأفلج بهم حجتنا وأظهر بهم دولتنا، وأراكم الله ما كنتم به تنتظرون وإليه تتشوقون، فأظهر فيكم الخليفة من هاشم وبيض به وحوهكم، وأدلكم على أهل الشام، ونقل إليكم السلطان وعز الإسلام، ومن عليكم بإمام منحه العدالة وأعطاه حسن الإيالة. فخذوا ما آتاكم الله بشكر، والزموا طاعتنا ولا تخدعوا عن أنفسكم فإن الأمر أمركم، فإن لكل أهل بيت مصراً، وإنكم مصرنا. الا وإنه ما صعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله (ﷺ) الا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد، وأشار بيده الى أبي العباس. فاعلموا أن هذا الامر فينا ليس بخارج منا حتى نسلمه الى عيسى بن مريم (ﷺ). الحمد لله رب العالمين على ما أبلانا وأولانا.



ملحق الصور

ملحق الصور

أ- منظر تصوري للقسم الجنوبي الشرقي من المدرسة المستنصرية (عن هرتسفيلد) [1].

ب- الكتابة الاصلية التي كانت تعلو باب الندرسة المستنصرية[2]، وهي الان في متحف الاثار الاسلامية.

ج- المدرسة المستنصرية من الداخل[3].

د- مدخل وباب المدرسة المستنصرية[4].

هـ- صورة الكتابة التي على مدخل المدرسة المستنصرية[5].

و- القبة المخروطية التي تعلو تربة زمرد خاتون زوج الخليفة العباسي الناصر لدين الله[6].

ز- مئذنة مسجد الحضائر، مسجد الخفافين حالياً[7].

ح- مئذنة جامع الخلفاء، قبل وبعد الترميم[8].

ط- القصر العباسي من الداخل[9].

---

(1) انظر: كوركيس عواد ومصطفى جواد، المدرسة المستنصرية، ص٩٣.

(2) المرجع نفسه، ص٩٩، وبلاحظ التاريخ المثبت في المدخل هو سنة ٦٣٠هـ.

(3) صورت من قبلنا.

(4) صورت من قبلنا.

(5) صورت من قلبنا.

(6) صورت من قبلنا.

(7) انظر: محمد مكية، بغداد، ط٢ (لندن، شركة دار الوراق، ٢٠٠٩م) ص٥٢.

(8) المرجع نفسه، ص٣٢.

وهذه المأذنة اعيد بنائها بعد سقوطها في العهد الايلخاني. انظر: بشير فرنسيس، بغداد تاريخها وآثارها (بغداد: مطبعة الرابطة، ١٩٥٩م)، ص١٣ وما بعدها.

(9) انظر: بشير فرنسيس، بغداد تاريخها وآثارها، ص٢٠.

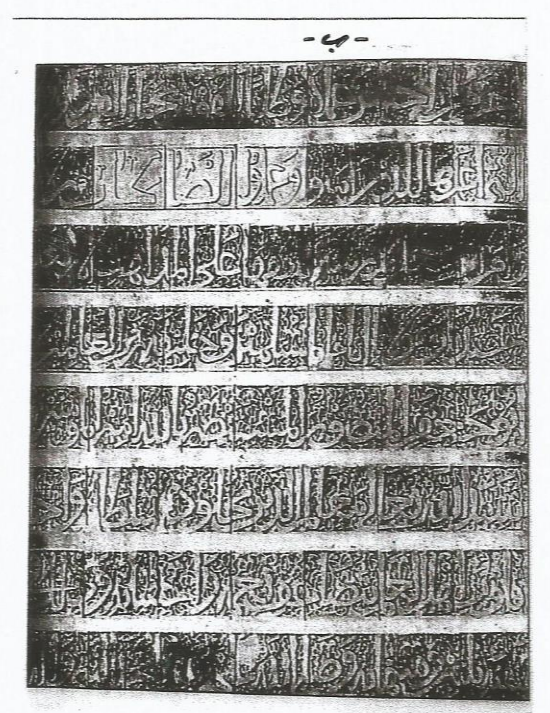
-أ-



منظر تصوري للقسم الجنوبي الشرقي من المستنصرية (عن هرتسفلد)

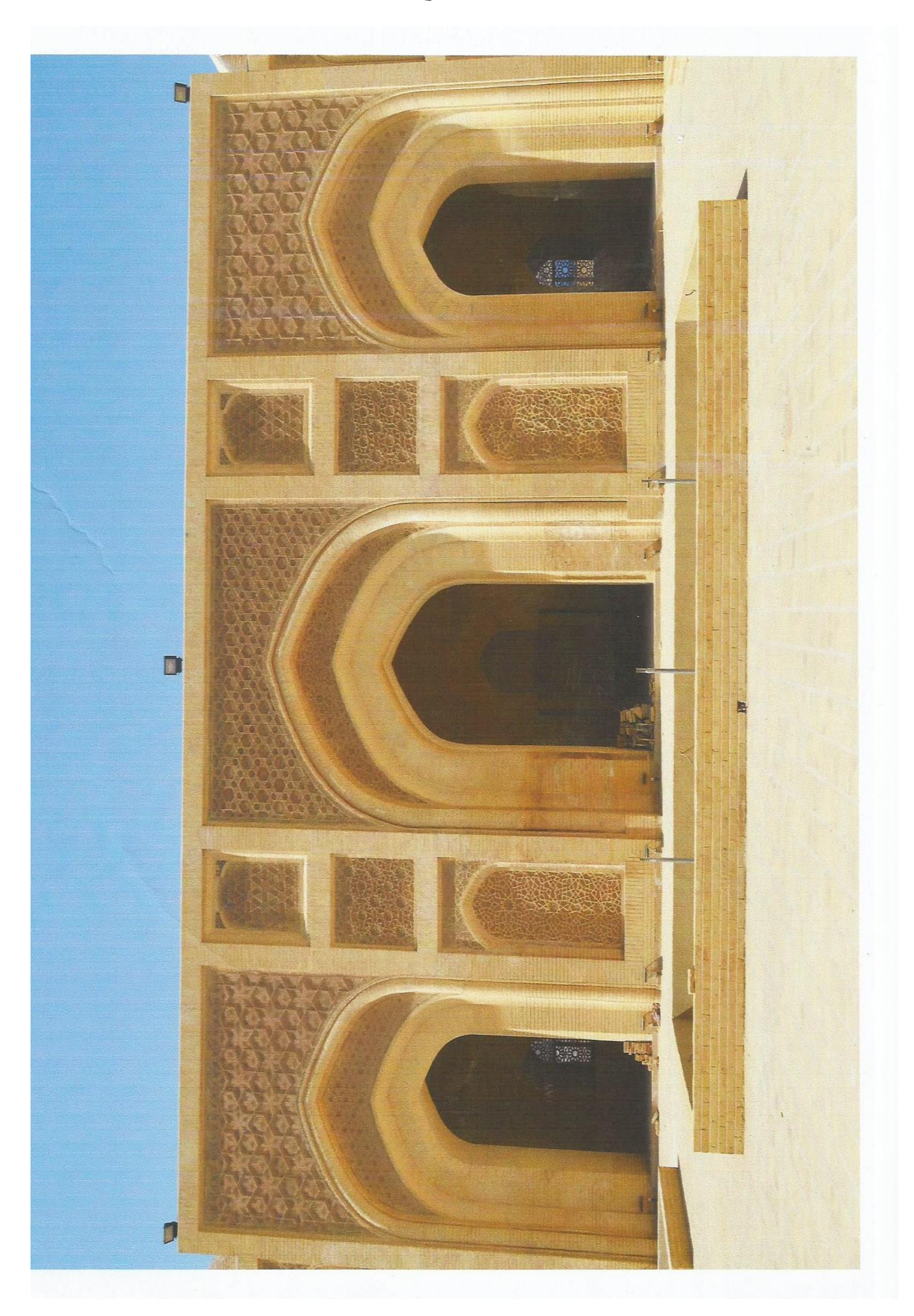
والتي بموجبها تم التجديد

-ب-



الكتابة التي كانت تعلو باب المدرسة المستنصرية
(هي الآن في متحف الآثار الاسلامية)

- ج -



- د -

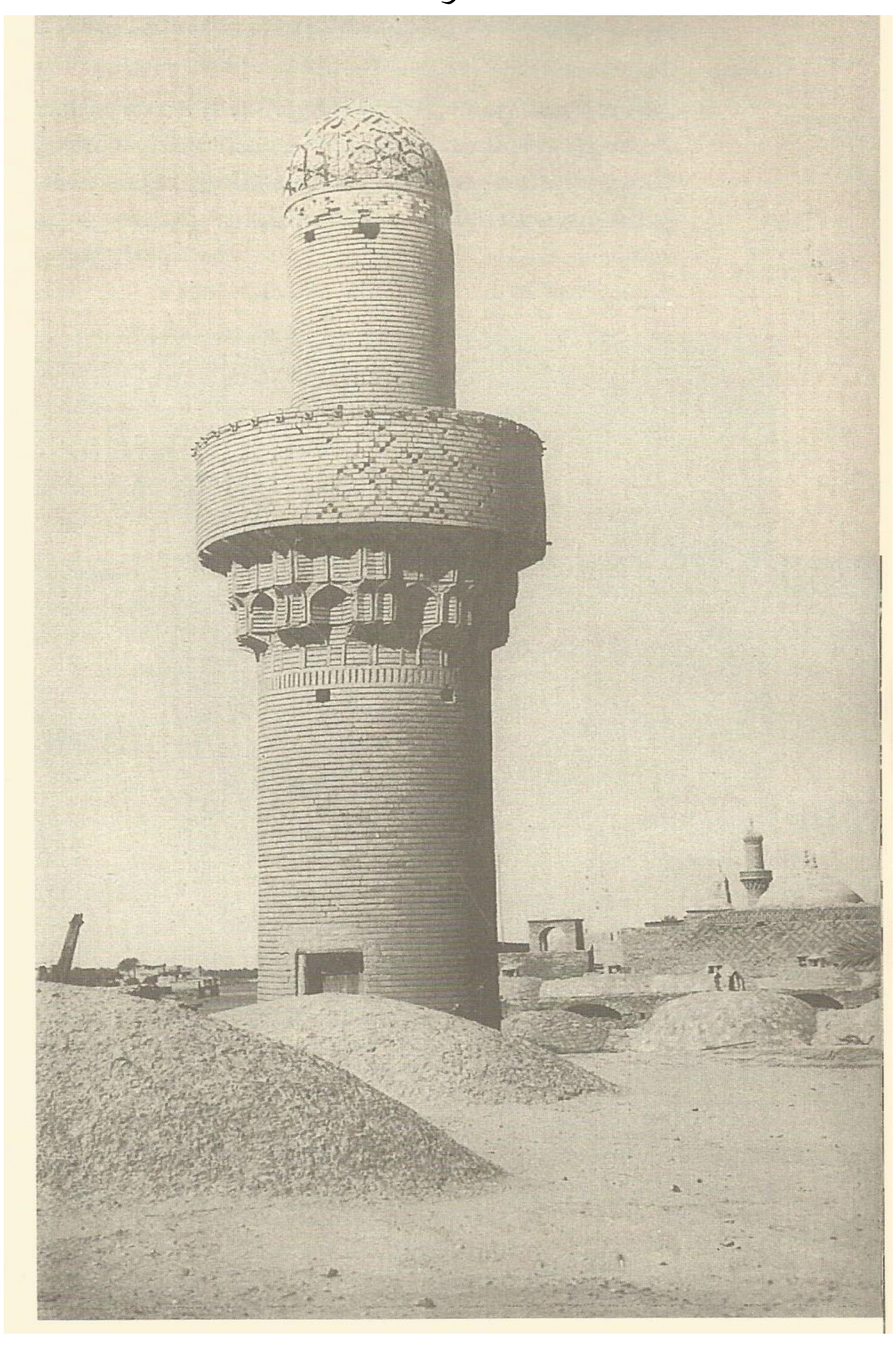


- هـ -

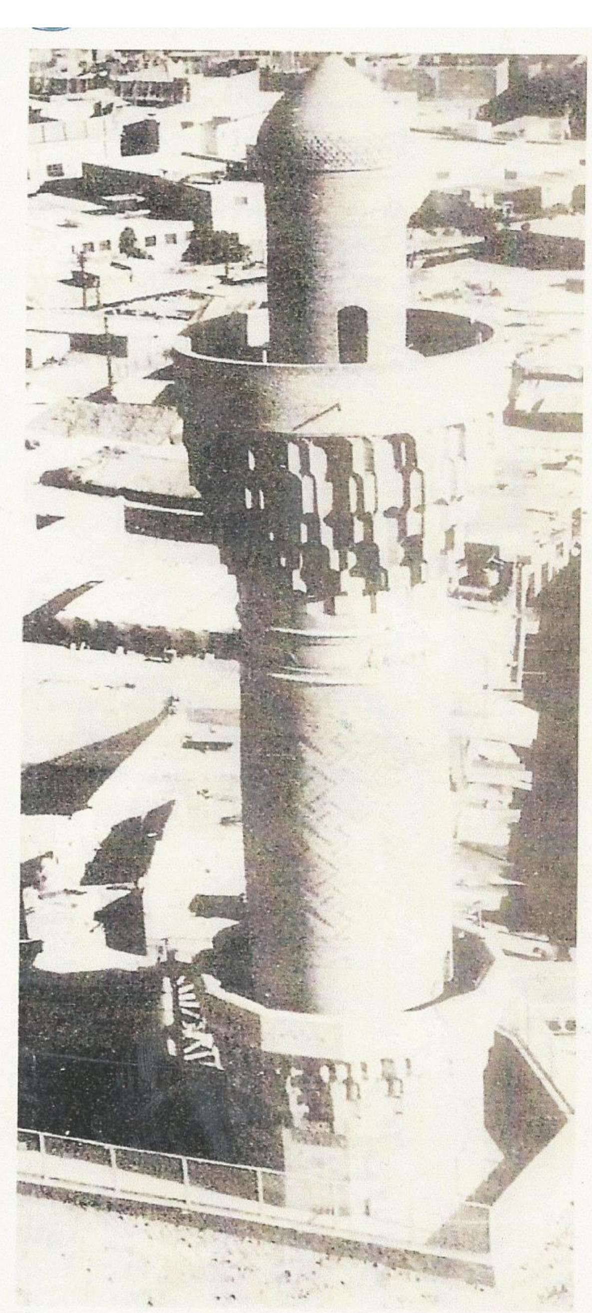
- و -



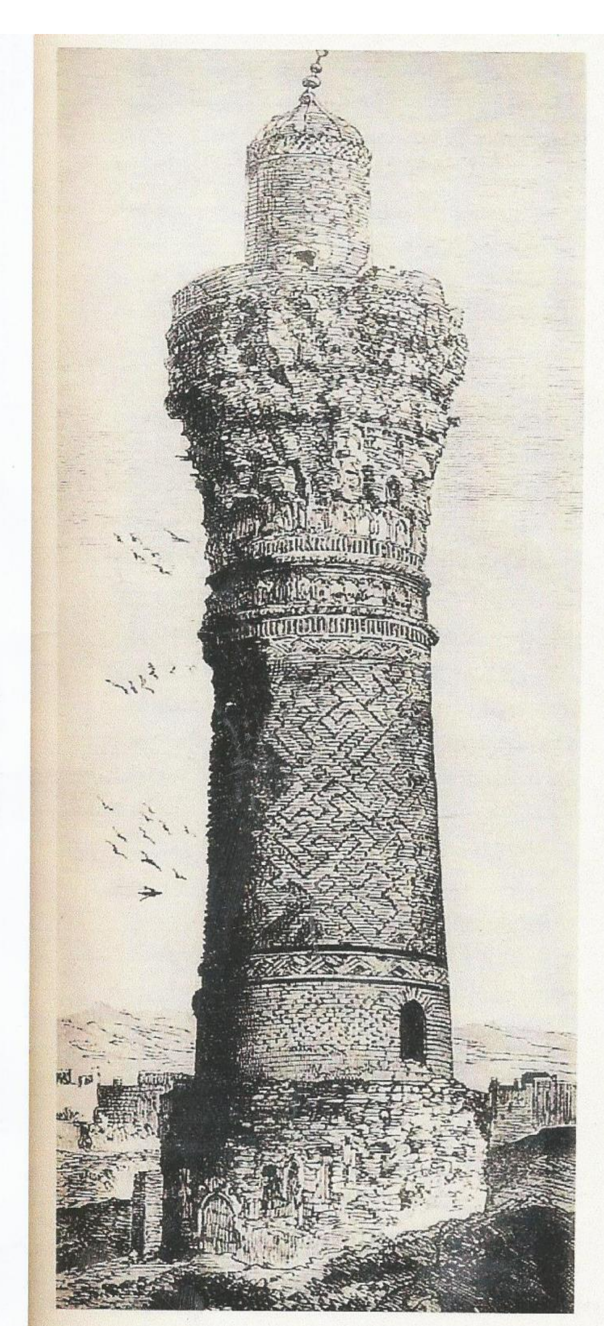
- ز -



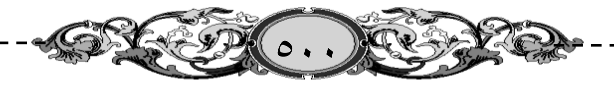
- ح -



مئذنة جامع الخلفاء أو «جامع القصر»

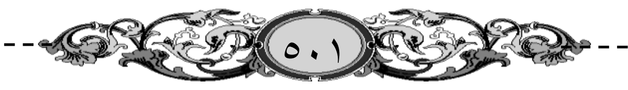


رسم للمئذنة كما رسمها السواح الى بغداد وقبل الترميم



- ط -







المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر

❖ **ابن الاثير،**

عز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م).

- الكامل في التاريخ، تحقيق: خليل مأمون شيحا، ط٢ (٩ج، بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٧م).

❖ **ابن الاثير،**

مجد الدين المبارك بن محمد الجزري (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م).

- النهاية في غريب الحديث والاثر، تحقيق: عبد الحميد هنداوي (٥ج، بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٨م).

❖ **ابن ادريس الحلي العجلي،**

ابو عبد الله محمد بن احمد (ت٥٩٨هـ/١١٩٣م).

- كتاب السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي، تحقيق وتقديم: محمد مهدي الخرسان (النجف: مكتبة الروضة الحيدرية، ٢٠٠٨م).

❖ **اخطب خوارزم، الخوارزمي**

ابو المؤيد الموفق بن احمد المكي (٥٦٨هـ/١١٧٢م).

- مقتل الحسين (بيروت: جار الحوراء، د.ت).

❖ **الاربلي،**

عبد الرحمن سبط قنيتو (ت٧١٧هـ/١٣١٧م).

- خلاصة الذهب المسبوك من سير الملوك، صححه: مكي السيد جاسم (بغداد: مكتبة المثنى، ١٩٦٤م).

❖ **الاربلي،**

عبد القادر القادري بن محي الدين.

- تفريج الخاطر، مناقب تاج الاوليا وبرهان الاصفيا القطب الرباني والغوث الهمداني في السيد عبد القادر الجيلاني (الاسكندرية: مطبعة مريس، ١٣٠٠هـ).

❖ **الاسفراييني،**

ابو المظفر شاهفور بن طاهر بن محمد الشافعي (ت٤٧١هـ/١٠٧٨م).

- التبصير في الدين، وتمييز الفرقة الناجية عن الهالكين، ط٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨).

❖ **الاشعري،**

ابو الحسن علي بن اسماعيل (ت٣٢١هـ/٩٤٢م).

- مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: نواف الجراح (بيروت: دار صادر، ٢٠٠٦م).

❖ **الاصفهاني،**

ابو نعيم احمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ/١٠٣٩م).

- حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، تحقيق: عبد الله المنشاوي ومحمد احمد عيسى ومحمد عبد الله الهندي (٩ج، المنصورة: مكتبة الايمان، ٢٠٠٧م).

❖ **الاصفهاني،**

عماد الدين ابي حامد محمد بن محمد بن حامد (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م)

- تاريخ دولة آل سلجوق، قراءة وقدم له: يحيى مراد (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م).

- البستان الجامع لجميع تواريخ اهل الزمان، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري (صيدا، بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٩م).

❖ **افندي الاصفهاني،**

الميرزا عبد الله (من اعلام القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي)

- رياض العلماء وحياض الفضلاء، تحقيق: احمد الحسني (قم: مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ١٤٠٣هـ).

❖ **الانطاكي،**

يحيى بن سعيد بن يحيى (ت٤٥٨هـ/١٠٦٦م).

- تاريخ الانطاكي "المعروف بصلة تاريخ اوتيخا"، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري (طرابلس–لبنان: جروس برس، ١٩٩٠م).

❖ **الأيجي،**

القاضي عضد الدين عبد الرحمن (ت٧٥٦هـ/١٣٥٥م).

- المواقف، شرح علي بن محمد الجرجاني (ت٨١٦هـ/١٤١٣م) (٤مـ، ٨ج، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م).

❖ **ابن بابويه القمي،**

الشيخ ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين المعروف بالشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ/٩٩١م)

- من لا يحضره الفقيه (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٥م).
- كمال الدين وتمام النعمة (بيروت: منشورات الفجر، ٢٠٠٩م).
- الامالي (بيروت: دار احياء التراث العربي، ٢٠٠٩م).
- معاني الاخبار، تحقيق: علي اكبر الغفاري (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٩٩٠م).
- ثواب الاعمال وعقاب الاعمال، ط٥ (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٦م).

❖ **الباخرزي،**

علي بن الحسين بن علي بن ابي الطيب (ت٤٦٧هـ/١٠٧٥م).

- دمية القصر وعصرة أهل العصر، تحقيق: محمد التونجي (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٣م).

❖ **البخاري،**

الحافظ ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م).

- التاريخ الكبير، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (٩ج، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م).

❖ **البرقي،**

ابو جعفر احمد بن محمد بن خالد (ت٢٧٤هـ او ٢٨٠هـ/٨٨٧ أو ٨٩١م).

- كتاب المحاسن (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٨م).

❖ **البغدادي،**

ابو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م).

- الفرق بين الفرق، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة: دار الطلائع، ٢٠٠٥م).

❖ **البغدادي،**

صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت٧٢٩هـ/١٣٢٩م).

- مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢م).

❖ **البكري،**

ابو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م).

- معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، تحقيق: جمال طلبة (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م).

❖ **البيهقي،**

ابو الفضل محمد بن الحسين (ت٤٧٠هـ/١٠٧٧م).

- تاريخ البيهقي، ترجمة: يحيى الخشاب وصادق نشأت (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٣م).

❖ **البيهقي،**

ابو بكر احمد بن الحسين بن علي (ت٤٥٨هـ/١٠٦٦م).

- السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط٤ (١١ج، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٠م).

❖ **الترمذي،**

ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت٢٩٧هـ/٩١٠م).

- سنن الترمذي (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٤م).

❖ **ابن تغري بردي،**

جمال الدين ابو المحاسن يوسف الاتابكي (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م).

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (١٥ج، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠م).

❖ **التطلي،**

بنيامين بن يونه النباري الاندلسي (ت٥٦٩هـ/١١٧٣م).

- رحلة بنيامين التطلي (بيروت: دار الوراق للنشر المحدودة، ٢٠١١م).

❖ **التهاوني الحنفي،**

محمد علي بن علي بن محمد (ت بعد ١١٥٨هـ/١٧٤٥م).

- كشاف اصطلاحات الفنون، ط٢ (٤ج، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦م).

❖ **التوحيدي،**

- الامتاع والمؤانسة، تحقيق: محمد حسن اسماعيل (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م).

❖ **ابن جبير،**

ابو الحسن محمد بن احمد (ت٦١٤هـ/١٢١٧م).

- رسالة اعتبار الناسك في ذكر الاثار الكريمة والمناسك، المعروف بـ رحلة ابن جبير (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨١م).

❖ **الجواليقي،**

ابو منصور موهوب بن احمد بن محمد بن الخضر (ت٥٤٠هـ/١١٤٨م).

- المعرب من الكلام الاعجمي (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م).

❖ **ابن الجوزي،**

ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م).

- المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط٢، (١٨ج + فهارس، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م).
- المنتظم في تاريخ الملوك والامم (الاجزاء: ٥-١٠، حيدر آباد الدكن: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٨هـ).
- مناقب الامام احمد بن حنبل، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٧٩م).
- تلبيس ابليس، تحقيق: محمد بن الحسن اسماعيل وسعد عبد الحميد السعدني، ط٣ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦م).
- المصباح المضيء في خلافة المستضيء، تحقيق: ناجية عبد الله ابراهيم (بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ٢٠٠٠م).
- الاريج في المواعظ والتواريخ، تحقيق: ايمن عبد الجابر البحيري (القاهرة: دار البيان العربي، ٢٠٠٢م).
- صيد الخاطر، تحقيق: نواف الجراح (بيروت: دار صادر، ٢٠٠٨م).
- الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد، تحقيق: هيثم عبد السلام محمد (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م).
- اخبار الحمقى والمغفلين (بغداد: دار المدى، ٢٠٠٦م).

❖ **الجوهري،**

ابو بكر احمد بن عبد العزيز (ت٣٢٣هـ/٩٣٥م).

- السقفية وفدك، تحقيق: مجيد الساعدي (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠١١م).

❖ **الجوهري،**

اسماعيل بن حماد



- تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار (بيروت: دار العلم للملايين، د.ت).

❖ **الجويني،**

عطا ملك (ت٦٧٩هـ/١٢٨٠م).

- جها نكشاي، ترجمة: محمد القونجي (٢مـ، حلب: دار الملاح للطباعة والنشر، ١٩٨٥م).

❖ **حاجي خليفة،**

المولى مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي، الشهير بالملا كاتب جلبي (ت١٠١٧هـ/١٦٠٨م).

- سلم الوصول الى طبقات الفحول، اشراف وتقديم: اكمل الدين احسان اوغلي، تحقيق: محمد عبد القادر الارناؤط (٦مـ، اسطنبول: منظمة المؤتمر الاسلامي، ٢٠٠٩م).

❖ **ابن حجر العسقلاني،**

شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م).

- لسان الميزان (٨ج، بيروت: دار الفكر، د.ت).
- ابناء الغمر بابناء العمر في التاريخ، ط٢ (٥مـ، ٩ج، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م).
- فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن باز وآخرون (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٩م).

❖ **الحر العاملي،**

محمد بن الحسن بن علي بن الحسين (ت١١٠٤هـ/١٦٩٣م).

- وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٧م).
- امل الآمل، تحقيق: محمد الحسني (٢ج، بيروت: دار التراث العربي، ٢٠١٠م).

❖ **ابن ابي الحديد المدائني المعتزلي،**

عز الدين بن هبة الله بن محمد (ت٦٥٥هـ/١٢٥٧م).

- شرح نهج البلاغة، ط٢ (١٠مـ، ٢٠ج، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م).

❖ **ابن حزم الاندلسي،**

علي بن احمد (ت٤٥٦هـ/١٠٦٤م)

- الفصل في الملل والاهواء والنحل، ط٣ (٣ج، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م).

❖ **الحسيني،**

صدر الدين علي بن ناصر (كان حياً سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م).

- زبدة التواريخ "اخبار الامراء والملوك السلجوقية"، تحقيق: محمد نور الدين (بيروت: دار اقرأ، ١٩٨٦م).

❖ **ابن حمزة،**

عماد الدين ابو جعفر محمد بن علي الطوسي، (من اعلام القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي).

- الثاقب في المناقب، تحقيق: نبيل رضا علوان، ط٤ (قم: مؤسسة انصاريان، ٢٠٠٧م).

❖ **الحلي،**

مجد الدين علي بن الحسين بن باقي القرشي الحلي (من اعلام القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي).

- اختيار المصباح الكبير (٢ج، قم: مطبعة عمران، ١٤٣٢م).

❖ **ابن خرداذبة،**

ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت بحدود ٣٠٠هـ/٩١٢م).

- المسالك والممالك (ليدن: مطبعة بريل، ١٨٨٩م).

❖ **الخطيب البغدادي،**

ابو بكر احمد بن علي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م).

- تاريخ بغداد، او مدينة السلام، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط٢ (١٤ج، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م).

❖ **ابن خلكان،**

ابو العباس احمد بن محمد بن ابراهيم (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م).

- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: يوسف علي طويل ومريم قاسم طويل (٦ج، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م).

❖ **ابن خلدون،**

عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م).

- تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، (٢م، بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٩م).

❖ **الخوارزمي،**

محمد بن احمد بن يوسف الكاتب (ت٣٨٧هـ/٩٩٧م).

- مفاتيح العلوم، تحقيق: نهى النجار (بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٩٣م).

❖ **خواند مير،**

غياث بن همام الدين.

- دستور الوزراء، تحقيق: سعيد نفيسي (طهران: جابخانة اقبال، ١٣١٧هـ.ش).

❖ **الخونساري ،**

محمد باقر الموسوي الاصفهاني (ت١٣١٣هـ/١٨٩٥م).

- روضات الجنات في احوال العلماء والسادات (٨ج، بيروت: دار احياء التراث العربي، ٢٠١٠م).

❖ **ابي داود السجستاني،**

ابو داود سليمان بن الاشعث الازدي (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م).

- سنن ابي داود (٥ج، بيروت: دار ابن حزم، ١٩٩٧م).

❖ **الداودي،**

ابو جعفر احمد بن نصر (ت٤٠٢هـ/١٠١١م).

- كتاب الاموال، تحقيق: رضا محمد سالم شحاذة (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م).

❖ **ابن دقماق،**

صارم الدين ابراهيم بن محمد بن ايدر العلائي (ت٨٠٩هـ/١٤٠٦م).

- الجوهر الثمين فس سير الملوك والسلاطين، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين علي (بيروت: عالم الكتب، ٢٠٠٧م).

❖ **الدميري،**

كمال الدين (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م).

- حياة الحيوان الكبرى (٢ج، بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٣م).

❖ **الديار بكري،**

حسين بن محمد بن الحسن (ت٩٩٠هـ/١٥٨٢م).

- تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس (القاهرة: المطبعة الوهبية، ١٢٨٣هـ)

❖ **الذهبي،**

الحافظ ابي عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان قايماز التركماني (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م).

- سير اعلام النبلاء ، تحقيق: شاكر مصطفى (١٦ج، بيروت: دار احياء التراث العربي، ٢٠٠٦م).
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد معوض وآخرون، ط٢ (٨ج، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م).
- العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد (٦ج، الكويت: دائرة المطبوعات والنشر، ١٩٦٠م).
- تذكرة الحفاظ، ط٢ (٣مـ، ٥ج، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م).

- دول الاسلام، تحقيق: حسن اسماعيل مروة (٢ج، بيروت: دار صادر، ١٩٩٩م).
- تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (١٥ج، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م).
- الكبائر (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م).

❖ **الراغب الاصفهاني،**

ابو القاسم الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ/١١٠٨م).

- المفردات في غريب القرآن الكريم، تحقيق: محمد سيد كيلاني (طهران: المكتبة الرضوية، د.ت).

❖ **الراوندي،**

قطب الدين، ابو الحسين سعيد بن عبد الله بن الحسين بن هبة الله بن الحسن، (من اعلام القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي).

- الخرائج والجرائح، تحقيق: محمد باقر الابطحي، ط٣ (٣ج، بيروت: مؤسسة النور للطباعة، ١٩٩١م).

❖ **الراوندي،**

محمد بن علي بن سليمان (ت بعد ٦٠٣هـ/١٢٠٦م).

- راحة الصدور وآية السرور في اخبار الدولة السلجوقية، ترجمة: ابراهيم الشواربي وآخرون (القاهرة: المجلس الاعلى للثقافة، ٢٠٠٥م).

❖ **ابن رجب الحنبلي،**

ابو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين احمد (ت٧٩٥هـ/١٣٩٣م).

- الذيل على طبقات الحنابلة (٢ج، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م).

❖ **الزبيدي،**

محمد بن محمد بن محمد بن محمد عبد الرزاق الحسيني الشهير بمحمد مرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م).

- تاج العروس في جواهر القاموس، تحقيق: عبد الستار احمد فراج.

- جذوة الاقتباس في نسب بني العباس، تحقيق: يحيى محمود بن جنيد (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٥م)

❖ **ابن الساعي،**

علي بن انجب (ت٦٧٤هـ/١٢٧٥م).

- مختصر اخبار الخلفاء (القاهرة: المطبعة الاميرية ببولاق، ١٣٠٩هـ).
- الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، عنب بطبعه: مصطفى جواد (٩ج، بغداد: المطبعة السيريانية الكاثوليكية، ١٩٣٤م).
- نساء الخلفاء، المسمى "جهات الائمة الخلفاء من الحرائر والاماء"، تحقيق: مصطفى جواد، ط٢ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٣م).

❖ **سبط ابن الجوزي،**

ابو المظفر شمس الدين يوسف بن قزاوغلي بن عبد الله (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م).

- مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، تحقيق: محمد بركات وآخرين (٢٢ج+فهارس، بيروت: الرسالة العالمية، ٢٠١٣م).
- تذكرة الخواص (بيروت: دار العلوم، ٢٠٠٤م).
- مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، (ج٨، حيدر آباد الدكن: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٩٥٢م).
- مرآة الزمان، عني بنشره: علي سويم (انقرة: مطبعة الجمعية التركية، ١٩٦٨م).
- مرآة الزمان، تحقيق: جنان محمد الهماوندي (بغداد: الدار الوطنية، ١٩٩٠م).

❖ **السبكي،**

تاج الدين ابو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م).

- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط٢ (٦ج، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٢م).

❖ **السخاوي،**

شمس الدين محمد عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م).

- وجيز الكلام في الذيل على تاريخ الاسلام، تحقيق: بشار عواد معروف وآخرون (٤ج، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٥م).

❖ **السكسكي،**

ابو الفضل عباس بن منصور الحنبلي (ت٦٨٣هـ/١٢٨٣م).

- البرهان في معرفة عقائد أهل الاديان (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م).

❖ **السكتوري،**

علاء الدين علي دَدَه (ت١٠٠٧هـ/١٥٩٨م).

- محاضرات الاوائل ومسامرات الاواخر، تحقيق: محمد زينهم محمد عرب (القاهرة: دار الآفاق العربية، ٢٠٠٣م).

❖ **السلاوي،**

ابو العباس احمد الناصري (ت١٨٩٧م)

- الاقصى (الدار البيضاء: دون ذكر المطبعة، ١٩٥٦م).

❖ **السلمي،**

محمد بن الحسين (ت٤١٢هـ/١٠٢١م).

- الفتوة، تحقيق: احمد فريد المزيدي (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م).

❖ **السمعاني،**

ابو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت٥٦٢هـ/١١٦٣م).

- الانساب، وضع حواشيه: محمد عبد القادر عطا (٦ج، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م).

❖ **سهراب،**

(ت اوائل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي).

- عجائب الاقاليم السبعة الى نهاية العمارة، عني بتصحيحه: فون مزيك (فينا: مطبعة ادولف هولز هوزن، ١٩٢٩م).

❖ **السيوطي،**

جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت٩١١هـ/١٥٠٥م).

- تاريخ الخلفاء، تحقيق: ابراهيم صالح (بيروت: دار صادر، ١٩٩٧م).
- الوسائل في مسامرة الاوائل (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م).
- حقيقة السنة والبدعة او الامر بالاتباع والنهي عن الابتداع، تحقيق: خليل ابراهيم (بيروت: دار الفكر اللبناني، ١٩٩٢م).

❖ **الشافعي،**

ابو عبد الله محمد بن ادريس (ت٢٠٤هـ/٨١٩م).

- الام، تحقيق: محمود مطرجي، ط٢ (٨مـ، ٩ج، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م).

❖ **ابو شامة المقدسي،**

عبد الرحمن بن اسماعيل (ت٦٦٥هـ/١٢٦٧م).

- كتاب الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: ابراهيم الزيبق (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧م).
- الذيل على الروضتين، تراجم رجال القرن السادس والسابع (بيروت: دار الجيل، ١٩٤٧م).

❖ **شاهنشاه الايوبي،**

محمد بن تقي الدين عمر (ت٦١٧هـ/١٢٢٠م).

- مضمار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق: حسن حبشي (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٦٨م).

❖ **الشهرستاني،**

محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر احمد (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م).

- الملل والنحل، ط٢، (٢ج، بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٥م).

❖ **الشيزري،**

عبد الرحمن بن نصر (ت٥٨٩هـ/١١٩٣م).

- نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: السيد الباز العويني (بيروت: دار الثقافة، د.ت).

❖ **ابو اسحق الشيرازي،**

ابراهيم بن علي بن يوسف (ت٤٧٦هـ/١٠٨٤م).

- طبقات الفقهاء، تحقيق: احسان عباس (بيروت: دار صادر، ١٩٨١م)

❖ **الصابي،**

ابو الحسن هلال بن ابراهيم (ت٤٤٨هـ/١٠٥٦م).

- تاريخ الصابي، الجزء الثامن من تاريخ الصابي والمطبوع كتكملة لتجارب الامم (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م).

❖ **ابن الصباغ المالكي،**

علي بن محمد بن احمد (ت٨٥٥هـ/١٤٥١م).

- الفصول المهمة في معرفة الائمة، تحقيق: سامي الغريري (٢مـ، قم: دار الحديث للطباعة والنشر، ١٤٢٢هـ).

❖ **الصرفيني،**

ابراهيم بن محمد بن الازهر (ت٦٤١هـ/١٢٤٣م).

- المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور لعبد الغافر اسماعيل بن عبد الغافر بن محمد الفارسي (ت٥٢٩هـ/١١٣٥م) تحقيق: محمد احمد عبد العزيز (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٩م).

❖ **الصفدي،**

صلاح الدين خليل بن ايبك (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م).

- الوافي بالوفيات، تحقيق: ابو عبد الله جلال الاسيوطي (٢٤ج، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٠م).

- نكت الهميان في نكت العميان، وضع حواشيه: مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م).

❖ **الصوري،**

وليم (ت٥٨٢هـ/١١٨٦م).

- تاريخ الحروب الصليبية (٢ج، بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٣م).

❖ **ابن الصيرفي،**

ابو القاسم علي بن منجب بن سليمان المصري (ت٥٤٢هـ/١١٤٧م).

- الاشارة الى من نال الوزارة، تحقيق: عبد الله مخلص (القاهرة: مطبعة المعهد الفرنسي، ١٩٢٤م).

❖ **الصيمري،**

ابو عبد الله حسين بن علي (ت٤٣٦هـ/١٠٤٥م).

- اخبار ابي حنيفة واصحابه (بيروت: عالم الكتب، د.ت).

❖ **ابن طاووس الحسني الحسيني،**

رضي الدين ابو القاسم علي بن موسى (ت٦٦٤هـ/١٢٦٦م).

- اليقين باختصاص مولانا علي بأمرة المؤمنين، تحقيق: الانصاري (بيروت: دار العلوم، ١٩٨٩م).
- مهج الدعوات (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٩٩٤م).
- اقبال الاعمال، قدم له وعلق عليه: حسين الاعلمي (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٩٩٦م).
- الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، تحقيق: علي عاشور (٢ج، بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٩٩٩م).

❖ **ابن طاووس،**

جمال الدين ابي الفضائل احمد بن موسى (ت٦٧٣هـ/١٢٧٤م).

- بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية، تحقيق: علي العدناني الغريفي، ط٢ (بيروت: مؤسسة آل البيت لاحياء التراث، ٢٠١٣م).

❖ **الطبرسي،**

ابو منصور احمد بن علي بن ابي طالب، (من علماء القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي).

– الاحتجاج، تحقيق: محمد باقر الموسوي بحر العلوم، ط٣ (١م، ٢ج، بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٠م).

❖ **الطبرسي،**

ابو علي الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ/١١٥٦م).

– مجمع البيان في تفسير القرآن (١٠ج+فهارس، بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٥م).

– اعلام الورى باعلام الهدى (بيروت: مؤسسة الاعلني للمطبوعات، ٢٠٠٤م).

❖ **الطبري،**

ابو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٣م).

– تاريخ الطبري، تحقيق: عبد أ. علي مهنا (٩ج، بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٩٩٨م).

❖ **الطبري،**

عماد الدين ابي جعفر محمد بن ابي القاسم (من اعلام القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي).

– بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، تحقيق: جواد الفيومي، ط٢ (بيروت: دار الحوراء، ٢٠٠٧م).

❖ **الطرطوشي،**

ابو بكر بن الوليد (ت٥٢٠هـ/١١٢٦م).

– سراج الملوك، تحقيق: جعفر البياتي (لندن: رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٩٠م).

❖ **ابن الطقطقا،**

محمد بن علي بن طباطبا (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م).

- الفخري في الاداب السلطانية (بيروت: دار صادر، د.ت).

❖ **الطوسي،**

ابو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ/١٠٦٨م).

- الاستبصار فيما اختلف من الاثار (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٥م).
- النهاية في مجرد الفقه والفتاوي (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٧٠م).
- مصباح المتهجد، صححه: حسين الاعلمي، ط٢، ط٢ (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٤م).
- الغيبة (قم: جاب غدير، ١٤٠٨هـ).

❖ **ابن طيفور،**

ابو الفضل احمد بن ابي الفضل طاهر الكاتب (ت٢٨٠هـ/٨٩٣م).

- تاريخ بغداد، وثقه: عصام محمد الحاج علي (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م).

❖ **العاصمي،**

عبد الملك بن حسين بن عبد الملك (ت١١١١هـ/١٦٧٠م)

- سمط النجوم العوالي، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد معوض (٤ج، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م).

❖ **ابن العبري،**

ابو الفرج جمال الدين (ت٦٨٥هـ/١٢٧٦م).

- تاريخ الزمان، ترجمة: اسحق ارملة (بيروت: دار المشرق، ١٩٨٩م).
- تاريخ مختصر الدول (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م).

❖ **ابن عساكر،**

ابو القاسم علي بن الحسن هبة الله (ت٥٧١هـ/١١٧٦م).

- تبيين كذب المفتري فيما نسب الى الامام ابي حسن الاشعري (دمشق: مطبعة التوفيق، ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م).

❖ **منسوب للأمام العسكري،**

الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر (ت٢٦٠هـ/٨٧٤م).

- التفسير المنسوب للامام الحسن العسكري، تحقيق: محمد الصالحي الانديمتكي (قم: منشورات ذوي القربى، ١٣٨٨ هـ.ش.).

❖ **عطية،**

مقاتل ابو الهيجا البكري (ت٥٠٥هـ/١١١٢م)

- مؤتمر علماء بغداد (كربلاء: مكتبة المنتظر، ٢٠١٣م).

❖ **العليمي،**

مجير الدين ابو اليمن عبد الرحمن بن محمد المقدسي الحنبلي (ت٩٢٨هـ/١٥٢٢م).

- المنهج الاحمد في تراجم اصحاب الامام احمد، تحقيق: عبد القادر الارنؤوط واخرين (٦ج، بيروت: دار صادر، ١٩٩٧م).

❖ **ابن العماد الحنبلي،**

شهاب الدين ابو الفلاح عبد الحي بن احمد بن محمد (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م).

- شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (٩ج، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م).

❖ **ابن العمراني،**

محمد بن علي بن محمد (ت٥٨٠هـ/١١٨٤م).

- الانباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي (القاهرة: دار الافاق العربية، ٢٠٠١م).

❖ **العمري،**

ابو الفضل، شهاب الدين احمد بن يحيى (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م).

- مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق: كامل الجبوري (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٠م).

❖ **العمري،**

ياسين خير الله (ت١٢٣٧هـ/١٨٢٢م)

- غاية المرام في محاسن بغداد دار السلام ،ط٢ (القاهرة: دار العاتك للطباعة، ٢٠٠٦م).

❖ **الغزالي،**

محمد بن محمد ابو حامد (ت٥٠٥هـ/١١١١م).

- فضائح الباطنية، تحقيق: عبد الرحمن بدوي (القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٤م).

❖ **الغساني، الملك الاشرف،**

ابو العباس اسماعيل بن العباس بن رسول (ت٨٠٣هـ/١٤٠٠م).

- العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق: شاكر محمود عبد المنعم (بغداد: دار البيان، ١٩٧٥م).

❖ **الفارقي،**

احمد بن يوسف بن علي بن الازرق (كان حياً في ٥٦٦هـ/١١٧٠م)

- تاريخ الفارقي، تحقيق: بدوي عبد اللطيف عوض (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٤م).

❖ **الفاسي،**

الحافظ ابي الطيب محمد بن احمد بن علي المكي المالكي (ت٨٣٢هـ/١٤٢٩م).

- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام (القاهرة: دار احياء الكتب العربية، ١٩٥٦م).

❖ **ابي الفداء ،**

عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمود ابن عمر شاهنشاه بن ايوب (ت٧٣٢هـ/١٣٣٢م).

- المختصر في تاريخ البشر المسمى بتاريخ ابي الفداء (٢ج، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م).

❖ **ابن الفرات،**

ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت٨٠٧هـ/١٤٠٥م)

- تاريخ ابن الفرات، تحقيق: حسن محمد الشماع (البصرة: جامعة البصرة، د.ت).

❖ **الفراهيدي،**

ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد (ت١٧٥هـ/ ٧٩١م)

- العين، تحقيق: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي (ايران: مؤسسة الهجرة، ١٤٠٩هـ).

❖ **ابن الفقيه الهمداني،**

ابو بكر احمد بن محمد (ت بحدود ٣٠٠هـ/٩١٢م)

- بغداد مدينة السلام، تحقيق: د.صالح احمد العلي (باريس: دار الطليعة، ١٩٧٧م).

❖ **ابن فندق،**

ابو الحسن علي بن زيد البيهقي.

- تاريخ بيهق، تحقيق وتعليق: احمد بهمنيدار، تقديم: ميرزا محمد عبد الوهاب القزويني، ط٢ (طهران: جابخانة اسلامي حاشد، د.ت.

❖ **ابن الفوطي،**

كمال الدين ابو الفضل عبد الرزاق بن احمد الشيباني (ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م).

- مجمع الآداب في معجم الالقاب، تحقيق: محمد الكاظم (٥مـ+فهارس، طهران: وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي، ١٤١٦هـ).
- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، صححه: مصطفى جواد (بغداد: مطبعة الفرات، ١٣٥١هـ).

❖ **الفيومي،**

احمد بن محمد بن علي المقري (ت٧٧٠هـ/١٣٦٨م).

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م).

❖ **فضل الله الهمداني،**

رشيد الدين (ت٧١٨هـ/١٣١٨م)

- جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيز خان من اوكتاي قاآن الى تيمور قاآن) ترجمة: فؤاد عبد المعطي حجازي (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٣م).

❖ **القرماني،**

احمد بن يوسف (ت١٠١٩هـ/١٦١٠م).

- اخبار الدول وآثار الاول، تحقيق: احمد حطيط فهمي وفهمي سعد (٣ج، بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٢م).

❖ **ابن القلانسي،**

ابو يعلى جمزة (ت٥٥٥هـ/١١٦٠م)

- ذيل تاريخ دمشق (بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٠٨م).

❖ **القلقشندي،**

احمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)

- صبح الاعشا في صناعة الانشا، تحقيق: محمد شمس الدين (١٥ج، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م).
- مآثر الاناقة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار احمد فراج (بيروت: عالم الكتب، ٢٠٠٦م).

❖ **القمي،**

ابو الحسن علي بن ابراهيم (من اعلام القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي).

- تفسير القمي (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠١٤م).

❖ **ابن قولويه القمي،**

أبو القاسم جعفر بن محمد (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م).

- كامل الزيارات (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٩م).

❖ **ابن الكازروني،**

ظهير الدين علي بن محمد البغدادي (ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م).

- مختصر التاريخ من اول الزمان الى منتهى دولة بني العباس، تحقيق: مصطفى جواد (بغداد: وزارة الاعلام، مديرية الثقافة العامة، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، ١٩٧٠م).
- مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية، تحقيق: كوركيس عواد وميخائيل عواد (بغداد: مطبعة الارشاد، ١٩٦٠م).

❖ **الكتبي،**

محمد بن شاكر (ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م).

- عيون التواريخ، تحقيق: فيصل السامر، نبيلة عبد المنعم (بغداد: وزارة الاعلام، سلسلة كتب التراث، ١٩٧٧م) ج١٢.

❖ **ابن كثير،**

الحافظ ابو الفداء عماد الدين اسماعيل (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م).

- البداية والنهاية، تحقيق: عبد الحميد هنداوي (١١ج، بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٥م).

❖ **الكراكجي،**

ابو الفتح محمد بن علي بن عثمان الطرابلسي (ت٤٤٩هـ/١٠٥٧م).

- كنز الفوائد، تحقيق: عبد الله النعمة (٢ج، بيروت: دار الاضواء، ١٩٨٥م).

❖ **الكفعمي،**

تقي الدين ابراهيم بن علي بن الحسن بن محمد العاملي (ت٩٠٠هـ/١٤٩٥م).

- المصباح في الادعية والصلوات والاحراز والعوذات (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٣م).

❖ **الكليني،**

ابو جعفر بن يعقوب (ت٣٢٨هـ/٩٠٤م).

- اصول الكافي (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٥م).

- فروع الكافي (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٥م).

❖ **ابن ماجة،**

ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ/٨٨٨م).

- سنن ابن ماجة، ضبط نصها: احمد شمس الدين، ط٤ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٣م).

❖ **الماوردي،**

ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م).

- الاحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: احمد جاد (القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٦م).

❖ **المجلسي،**

محمد باقر (ت١١١١هـ/١٦٩٩م).

- بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، تحقيق: جلال الدين الصغير، ومحمود درياب (٤٤مـ، بيروت: دار التعارف، ٢٠٠١م).

❖ **مجهول،**

بحدود ٦٣١هـ/١٢٣٤م

- تاريخ الرهاوي المجهول، عربه عن السريانية: الاب البير ابونا (بغداد: مطبعة شفيق، ١٩٨٦م).

❖ **مجهول،**

- كتاب الحوادث (مؤلف من القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي) تحقيق: بشار عواد معروف وعماد عبد السلام رؤوف (بيروت: دار الغرب الاسلامي، ١٩٩٧م).

❖ **ابو مخنف،**

لوط بن يحيى الازدي الكوفي (ت١٥٧هـ/٧٧٤م)

- مقتل الامام الحسين بن علي (بيروت: منشورات الجمل، ٢٠٠٩م).

❖ **المرتضى،**

احمد بن محمد

- باب ذكر المعتزلة وطبقاتهم، تحقيق: توما ارنلد (بيروت: دار الوراق، ٢٠٠٨م).

❖ **الشريف المرتضى،**

علي بن الحسين الموسوي (ت٤٣٦هـ/١٠٤٤م).

- الشافي في الامامة ، تحقيق: السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب، ط٢ (٢م، ٤ج، طهران: مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، ١٩٨٦م).
- امالي السيد المرتضى (٢م، ٤ج، القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٢٢هـ/١٩٠٧م).

❖ **المسعودي،**

ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م).

- مروج الذهب ومعادن الجوهر (٤ج، بيروت: دار الاندلس، د.ت).

❖ **مسكويه،**

ابو علي احمد بن محمد بن يعقوب (ت٤٢١هـ/١٠٤٤م).

- تجارب الامم وتعاقب الهمم، تحقيق: سيد كسروي حسن (٥ج، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م).

❖ **مسلم،**

ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ/٨٢٦م).

- صحيح مسلم، ط٦ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١١م).

❖ **ابن المعمار،**

ابو عبد الله محمد بن ابي المكارم المعروف بـ ابن المعمار البغدادي الحنبلي (ت٦٤٢هـ/١٢٤٤م).

- كتاب الفتوة، تحقيق: مصطفى جواد، محمد تقي الهلالي، عبد الحليم النجار، احمد ناجي القيسي (بيروت: الوراق للنشر المحدودة، ٢٠١٢م).

❖ **الشيخ المفيد،**

محمد بن محمد بن النعمان العكبري (ت٤١٣هـ/١٠٢٢م).

- الارشاد (بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ٢٠٠٨م).

❖ **المقدسي،**

موفق الدين عبد الله بن احمد بن قدامة (ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م).

- الرد على ابن عقيل الحنبلي (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م).

❖ **المقريزي،**

تقي الدين ابو العباس احمد بن علي بن عبد القادر (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م).

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار المعروف بالخطط المقريزية (٤ج، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م).
- اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: محمد عبد القادر عطا (٢ج، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م).
- الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق: جمال الدين الشيال (القاهرة: مكتبة الثقافة العربية، ٢٠٠٠م).

❖ **ابو طالب المكي،**

محمد بن عليه بن عطية الحارثي (ت٢٨٦هـ/٨٩٩م)

- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد الى مقام التوحيد (٢ج، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م).

❖ **المنذري،**

زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي (ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م).

- التكملة لوفيات النقلة، تحقيق: بشار عواد معروف (٤ج، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤م).

❖ **ابن منظور الافريقي،**

ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/١٣١١م).

- لسان العرب (٧ج، بيروت: دار صادر، ١٩٩٧م).

❖ **منهاج السراج الجوزجاني،**

ابو عمر منهاج الدين عثمان (ت٦٥٨هـ/١٢٦٠م)

- طبقات ناصري، ترجمة وتقديم: ملكة علي التركي (٢ج، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٢م).

❖ **ابن النجار،**

ابو عبد الله محمد بن محمد بن محمود البغدادي (ت٦٤٣هـ/١٢٤٥م).

- ذيل تاريخ بغداد (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م).

❖ **النجاشي،**

ابو العباس احمد بن علي الكوفي الاسدي (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م).

- رجال النجاشي، تحقيق: محمد جواد النائيني (٢ج، بيروت: دار الاضواء، ١٩٨٨م).

❖ **ابن النديم،**

محمد بن اسحق، (من اعلام القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي).

- الفهرست (بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٨م).

❖ **القاضي النعمان،**

بن حيون المغربي التميمي (ت٣٦٢هـ/٩٧٢م).

- افتتاح الدعوة (بيروت: دار الاضواء، ١٩٩٦م).

❖ **النعيمي،**

عبد القادر بن محمد الدمشقي (ت٩٧٨هـ/١٥٧٠م).

- الدارس في تاريخ المدارس (٢ج، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م).

❖ **نظام الملك،**

الحسن بن علي ابو علي الطوسي (ت٤٨٥هـ/١٠٩٢م).

- سياست نامه، تصدير: غلام حسين يوسفي، ترجمة: يوسف بكار، ط٣ (بيروت: دار المناهل، ٢٠٠٧م).

❖ **النظامي العروضي السمرقندي،**

احمد بن عمر بن علي (ت بعد ٥٥٠هـ/١١٥٥م)

- جهار مقالة (المقالات الاربعة) في الكتابة والشعر والنجوم والطب، حواشي: محمد عبد الوهاب القزويني، ترجمة: عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب (القاهرة/ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٩م).

❖ **النويري،**

شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ/١٣٣٣م).

- نهاية الارب في فنون الادب، تحقيق: عبد المجيد ترحيني (٣٤ج، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م).

❖ **النيسابوري،**

ظهير الدين (ت٥٨٢هـ/١١٨٦م).

- سلجوق نامه (طهران: منشورات كلاله خاور، د.ت) ترجمة: محمد كاظم بريدي اللامي، مشروع ترجمة لنيل درجة الدبلوم العالي، كلية اللغات / جامعة بغداد، ١٩٩٩م.

❖ **نيشابوري،**

فريد الدين عطا (ت٦١٨هـ/١٢٢١م)

- تذكرة الاولياء، تصحيح: رينولد نيكلسون، تقديم عبد الوهاب قزويني، ط٥ (قم: مطبعة عطري، ١٣٩٣هـ).

❖ **الهمداني،**

ابو الحسن عبد الجبار احمد عبد الجبار (ت٤١٥هـ/١٠٢٤م).

- المغني في ابواب التوحيد والعدل، تحقيق: عبد الحليم محمود وآخرون (٢٠ج، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت).

❖ **ابن واصل،**

جمال الدين محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم (ت٦٩٧هـ/١٢٩٨م).

- التاريخ الصالحي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمر (٢ج، بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠١٠م).

❖ **ابن الوردي،**

زين الدين عمر بن مظفر (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م).

- تاريخ ابن الوردي (٢ج، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م).

❖ **وكيع ،**

محمد بن خلف بن حيان (ت٣٠٦هـ/٩١٨م).

- اخبار القضاة (بيروت: عالم الكتب، ٢٠٠١م).

❖ **اليافعي،**

ابو محمد عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م).

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، (٤ج، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م).

❖ **ياقوت الحموي،**

شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م).

- معجم الادباء (١٠مـ، ٢٠ج، بيروت: دار الفكر، ١٩٨٠م).
- معجم البلدان (٤م، ٨ج، بيروت: دار احياء التراث العربي، ٢٠٠٨م).

❖ **اليزدي،**

الوزير محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله ابن النظام الحسيني (ت٧٤٣هـ/١٣٤٢م).

- العواضة في الحكاية السلجوقية، ترجمة: عبد المنعم حسنين، وحسين امين (بغداد: مطبعة جامعة بغداد، ١٩٧٩م).

❖ **ابو يعلى،**

محمد بن الحسين الفراء (ت٤٥٨هـ/١٠٦٦م)

- الاحكام السلطانية، صححه وعلق عليه: محمد حامد الفقي، ط٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦م).

❖ **ابن ابي يعلى الحنبلي،**

ابو الحسين محمد بن محمد بن الحسين (ت٥٢٦هـ/١١٣٢م).

- طبقات الحنابلة، شرح احاديثه ووضع حواشيه: حازم اسامة بن حسن وابو زهراء حازم علي بهجت (٢ج، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م).

❖ **اليونيني،**

قطب الدين ابي الفتح موسى بن محمد بن احمد البعلبكي الحنبلي (ت٧٢٦هـ/١٣٢٦م).

- ذيل مرآة الزمان (٢مـ، حيدر آباد الدكن: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٥٤م).

المراجـــع :

❖ **الاعظمي،**

وليد

- مدرسة الامام ابي حنيفة (٤٥٩-١٤٠٠هـ/١٠٦٧-١٩٨٠م).

❖ **أقبال،**

عباس

- الـوزارة فـي عهـد السـلاجقة، ترجمـة: احمـد كمـال الـدين حلمـي (الكويـت: مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٨٤م).

❖ **الأمين،**

محسن

- اعيان الشيعة (١٦م، بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ١٩٩٨م).

❖ **أمين،**

احمد

- ضحى الاسلام، ط٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م).

❖ **أمين،**

حسين

- المدرســة المستنصــرية، ط٢ (بغــداد: وزارة الثقافــة، دار الشــؤون الثقافيــة، ٢٠١١م).
- تاريخ العراق في العصر السلجوقي، ط٢ (٢ق، بغداد: دار الشؤون الثقافية، ٢٠٠٦م).

❖ **الاميني،**

عبد الحسين احمد النجفي

- الغدير في الكتاب والسنة والادب، ط٤ (١١ج، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٧٧م).
- سيرتنا وسنتنا، ط٢ (بيروت: المجمع العالمي لاهل البيت (ع)، ٢٠١٢م).

❖ **اوليري،**

دي لاسي

- الفكـر العربـي ومركـزه فـي التـاريخ، ترجمـة اسـماعيل البيطـار (بيـروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٢م).

❖ **بارتولد،**

فاسيلي فلادمير فتش

- تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨١م).

❖ **باركر،**

ارنست

- الحروب الصليبية، ترجمة: السيد الباز العريني (بيروت: دار النهضة العربية، د.ت).

❖ **باقري،**

جعفر

- البدعة (بيروت: دار الثقلين، ١٩٩٥م).

❖ **بروكلمان،**

كارل.

- تاريخ الادب العربي، ترجمة: يعقوب بكر ورمضان عبد التواب واخرين، ط٢ (٧م، قم: دار الكتاب الاسلامي، ٢٠٠٨م).

❖ **بول،**

استانلي لين

- طبقات سلاطين الاسلام (بغداد: مطبعة البصريث، ١٩٦٩م).

❖ **بياني،**

شيرين

- المغول التركيبة الدينية والسياسية، ترجمة: سيف علي (بيروت: المركز الاكاديمي للابحاث، ٢٠١٣م).

❖ **تامر،**

عارف

- معجم الفرق الاسلامية (بيروت: دار المسيرة، ١٩٩٠م).

❖ **جار الله،**

زهدي

- المعتزلة (القدس: د.ذكر المطبعة، ١٩٤٧م).

❖ **الجليلي،**

محمود

- المكاييل والاوزان والنقود العربية (بيروت: دار الغرب الاسلامي، ٢٠٠٥م).

❖ **جواد،**

مصطفى

- في التراث العربي (بغداد: مطبعة الشعب، د.ت).

❖ **جواد،**

مصطفى واحمد سوسة.

- دليل خارطة بغداد قديماً وحديثاً (بغداد: مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٨م).
- سيدات البلاط العباسي (بيروت: دار الصفاء للمطبوعات، د.ت).

❖ **حسن،**

ابراهيم حسن

- تاريخ الاسلام السياسي، الديني، الثقافي، الاجتماعي (٤ج، بيروت: دار الجيل، ٢٠٠٩م).

❖ **حسن،**

سولاف فيض الله

- البيوتات العلوية في العصر العباسي (بيروت: الرافدين للطباعة والنشر، ٢٠١٣م).

❖ **الحكيم،**

حسن عيسى

- الشيخ الطوسي (النجف: مطبعة الآداب، ١٩٧٥م).

❖ **خصباك،**

جعفر حسين

- العراق في عهد المغول الايلخانيين (بغداد: مطبعة العاني، ١٩٦٨م).

❖ **الخونساري،**

محمد باقر الموسوي الاصفهاني (ت١٣١٣هـ/١٨٩٥م)

- روضات الجنات في احوال العلماء والسادات (٨ج، بيروت: دار احياء التراث العربي، ٢٠١٠م).

❖ **دفتري،**

فرهاد.

- مختصر تاريخ الاسماعيلية (دمشق: دار المدى، ٢٠٠١م).

❖ **الدوري،**

تقي الدين عارف.

- عصر امرة الامراء (٣٢٤-٣٢٦هـ/٩٣٦-٩٤٦م) (بغداد: مطبعة اسعد، ١٩٧٥م).

❖ **الدوري،**

عبد العزيز.

- دراسات في العصور العباسية المتأخرة (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٧م).

❖ **رايس،**

تامارا



- السلاجقة ، ترجمة: لطفي الخوري وابراهيم الداقوقي (بغداد: مطبعة الارشاد، ١٩٦٨م).

❖ **رؤف،**

عماد عبد السلام

- مدارس بغداد في العصر العباسي (بغداد: مطبعة البصري، ١٩٦٦م).

❖ **زامباور،**

- معجم الانساب والاسر الحاكمة في التاريخ الاسلامي، ترجمة: زكي حسن بك وآخرون، (٢ج، القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٨م).

❖ **زابوروف،**

ميخائيل

- الصليبيون في المشرق، ترجمة: الياس شاهين (موسكو: دار التقدم، ١٩٨٦م).

❖ **ابو زهرة،**

محمد.

- تاريخ المذاهب الاسلامية (القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠٠٩م).
- الامام الشافعي، حياته وعصره وآرائه الفقهية (القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠١٢م).
- احمد بن حنبل (القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠٠٦م).

❖ **الساعدي،**

محمد الشيخ حسين

- مؤيد الدين ابن العلقمي واسرار سقوط الدولة العباسية (النجف: مطبعة النعمان، ١٩٧٢م).

❖ **السامرائي،**

حسام قوام الدين.

- المؤسسات الادارية في الدولة العباسية ٢٤٧-٣٣٤هـ/٨٦١-٩٤٥م (دمشق: مكتبة دار الفتح، ١٩٧١م).

❖ **السبحاني،**

جعفر

- المذاهب الاسلامية (بيروت: دار الولاء، ٢٠١٣م).

❖ **الشبيبي،**

محمد رضا

- مؤرخ العراق ابن الفوطي (بغداد: مطبعة المجمع العراقي، ١٩٥٨م).

❖ **شمس الدين،**

محمد جعفر

- دراسات في العقيدة الاسلامية (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٧م).

❖ **الشهرستاني،**

علي

- حي على خير العمل الشرعية والشعارية، ط٥ (بيروت: دار الرافدين، ٢٠١٠م).

❖ **الشيبي،**

كامل مصطفى

- الصلة بين التصوف والتشيع (٢ج، بيروت-بغداد، دار الجمل، ٢٠١١م).

❖ **صديقي،**

امير حسن

- الخلافة والملكية في ايران في العصر الوسيط، ترجمة: احسان ذنون الثامري (كولونيا: منشورات الجمل، ٢٠٠٧م).

❖ **الطبسي،**

محمد جواد

- قم عاصمة الحضارة الشيعية (بيروت: دار جواد الائمة، ٢٠٠٦م).

❖ **الطهراني،**

اغا بزرك محمد محسن

- الذريعة الى تصانيف الشيعة (٢٦ج، بيروت: دار احياء التراث العربي، ٢٠٠٩م).

❖ **عاشور،**

سعيد عبد الفتاح

- مصر والشام في عصر الايوبيين (بيروت: دار النهضة العربية، د.ت.)

❖ **العبادي،**

احمد مختار.

- في التاريخ العباسي والفاطمي (بيروت: دار النهضة العربية، د.ت).

❖ **عبد الحميد،**

صائب.

- معجم مؤرخي الشيعة (٢ج، قم: مؤسسة دائرة معاروف الفقه الاسلامي، ٢٠٠٤م).

❖ **عبد الرسول،**

سليمة

- القصر العباسي في بغداد (بغداد: المؤسسة العامة للآثار والتراث، ١٩٨١م).

❖ **العبود،**

نافع توفيق

- الدولة الخوارزمية، نشأتها، علاقاتها مع الدول الاسلامية، نظمها العسكرية والادارية، ٤٩٠-٦٢٨هـ/١٠٩٧-١٢٣١م (بغداد: مطبعة الجامعة، ١٩٧٨م).

❖ **عثمان،**

هاشم.

- الاسماعيلية بين الحقائق والاباطيل (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٩٩٨م).

❖ **العسكري،**

مرتضى .

- معالم المدرستين (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٩٨٦م).

❖ **العلوجي،**

عبد الحميد

- مؤلفات ابن الجوزي (بغداد: دار الجمهورية للطباعة والنشر، ١٩٦٥م).

❖ **العلي،**

صالح احمد.

- بغداد مدينة السلام، (٢ج، بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٥م).

❖ **عمارة،**

محمد

- الاسلام وفلسفة الحكم
- المعتزلة واصول الحكم (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٧م).

❖ **عمران،**

محمود سعيد

- تاريخ الحروب الصليبية، ط٢ (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٩٩م).

❖ **عواد،**

كوركيس، ومصطفى جواد

- المدرسة المستنصرية اول جامعة في العالمين العربي والاسلامي (بيروت: دار الوراق للنشر المحدودة، ٢٠٠٨م).

❖ **غولدتسيهر،**

اغانتس



- العقيدة والشريعة في الاسلام، تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الديانة الاسلامية، ترجمة: محمد يوسف موسى (بيروت، بغداد: منشورات الجمل، ٢٠٠٩م).

❖ **فرنسيس،**

بشير

- بغداد تاريخها وآثارها (بغداد: مطبعة الرابطة ، ١٩٥٩م).

❖ **القزويني،**

جودت.

- المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الامامية، دراسة في التطور السياسي والعلمي (بيروت: دار الرافدين، ٢٠٠٥م).

❖ **القمي،**

عباس (ت١٣٥٩هـ/١٩٤٠م).

- الكنى والالقاب (٢ج، قم: مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤٢٩هـ).
- مفاتيح الجنان (الكويت: مكتبة الالفين، ١٩٨٧م).
- منتهى الامال في تواريخ النبي والآل (٣ج، بيروت: دار الاندلس، ٢٠٠٥م).

❖ **الكاتب،**

احمد.

- تطور الفكر السياسي السني نحو خلافة ديمقراطية (بيروت: الانتشار العربي، ٢٠٠٨م).

❖ **كاهن،**

كلود.

- الاسلام منذ نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية، ترجمة: حسن جواد قبيسي (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٠م).

❖ **الكبيسي،**

حمدان عبد المجيد.



- اسواق بغداد (بغداد: دار الكتب العلمية، ٢٠١٣م).

❖ **الكبيسي،**

حمدان عبد المجيد، وعواد مجيد الاعظمي

- دراسات في تاريخ الاقتصاد الاسلامي (بغداد: مطبعة التعليم العالي، ١٩٨٨م).

❖ **الكرملي،**

انستاس ماري

- مزارات بغداد، تحقيق: باسم عبود الياسري (لندن: دار الوراق، ٢٠٠٩م).

❖ **كراتشكوفسكي،**

اغناطيوس يوليانوفتش

- تاريخ الادب الجغرافي العربي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، ط٢ (تونس: دار الغرب الاسلامي، ٢٠٠٨م).

❖ **كوك،**

ريجارد .

- بغداد مدينة السلام، ترجمة: فؤاد جميل ومصطفى جواد (٢ج، بغداد: مطبعة شفيق، ١٩٦٢م).

❖ **كيب،**

هملتون

- دراسات في حضارة الاسلام، ترجمة: احسان عباس (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٤م).

❖ **لسترنج،**

كي

- بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد (بغداد: مطبعة الرابطة، ١٩٥٤م).

❖ **لويس،**



برنارد.

- الدعوة الاسماعيلية الجديدة (فرقة الحشاشين)، ترجمة: الياس فرحات (بيروت: دار البيضاء، د.ت).
- مؤرخو العرب والاسلام حتى العصر الحديث، ترجمة: سهيل زكار (دمشق: دار التكوين، ٢٠٠٨م).

ضمنها:

كلود كاهن

- اعمال التاريخ للعصر السلجوقي

محمد حلمي محمد احمد

- بعض الملاحظات حول اعمال التاريخ العربية خلال الفترتين الزنكية والايوبية (٥٢١-٦٤٨هـ/١١٢٧-١٢٥٠م).

❖ **مبارك،**

زكي

- التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق (٢ج، القاهرة: مطبعة الرسالة، ١٩٣٨م).

❖ **مصطفى،**

شاكر.

- التاريخ العربي والمؤرخون، ط٣ (٤ج، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م).
- المدينة في الاسلام حتى العصر العثماني (٢ج، الكويت: ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٨م).

❖ **المطوي،**

محمد العروسي

- الحروب الصليبية (تونس: دار الكتب الشرقية، د.ت).

❖ **معروف،**

ناجي

- تاريخ علماء المستنصرية، ط٣ (١مـ، ٢ج، القاهرة: مطبوعات الشعب، ١٩٧٦م).

❖ **مكية،**

محمد

- بغداد، ط٢، (لندن: شركة دار الوراق، ٢٠٠٩م)

❖ **النقيب،**

احلام حسن مصطفى

- سياسة الخليفة الناصر لدين الله الداخلية (بغداد: دار الشؤن الثقافية، ٢٠٠٠م).

❖ **نيكلسون،**

رينولد، أ.

- تاريخ الادب العباسي، ترجمة وتحقيق: صفاء خلوصي (بغداد: المكتبة الاهلية، د.ت).

❖ **هادي،**

منصور حسين

- مواقف الحنابلة من الشيعة الامامية الاثني عشرية في بغداد ٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٥-١٠٥٥م (بغداد: مكتبة العين، ٢٠١٤م).

❖ **الوزنة ،**

يحيى حمزة عبد القادر

- الدولة السلجوقية في عهد السلطان سنجر (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٤م).

المراجع الغربية غير المترجمة :

❖ **Bosworth, C.E.**
- The Political and Dynastic History of the Iranian World, Edited By J.A. Boyle (New York: The University Press, 1908)

❖ **George Makdisi,**
- Ibn Aqil (Dammas: Institute Francais Damas, 1963).

❖ **Murtadha H. Al-Naqib,**
- Siyast-Nama, Some Notes on Its Importance As A Source of Studying an Articale Included the Rules of Investigation and Analysis in Historical Writings (Baghdad: College of Art, Baghdad University, 2010).

دوائر المعارف :

١-دائرة المعارف الاسلامية الكبرى : اشراف: كاظم الموسوي البجنوردي (طهران: مركز دائرة المعارف الاسلامية الكبرى، ١٩٩٥م).

❖ **رضا رضا زادة لنكرودي،**
- ابن الاثير

❖ **مسعود حبيبي مظاهري**
- اسماعيل بن جعفر

❖ **صادق سجادي**
- استاذ دار

٢-دائرة المعارف الاسلامية (المترجمة / الاصدار الاول) لمجموعة من المستشرقين، ترجمة احمد الشنتناوي وآخرين (١٦م، طهران: انتشارات جهان، د.ت).

❖ **محمد بن شنب،**
- مقال : ابن الاثير

❖ **Carra de vaux, B.**
- مقال: الباطنية

❖ **Hurt, Cl.**



- مقال: السلاجقة.

❖ **Heffening**

- مقال: الشافعي

❖ **Louis Massignon**

- مقال : التصوف

3- The Encyclopedia of Islam, New Edition, Prepared by Number of Leading Orientalist, Editied By: B. Lewis, V.L. Mange, Ch. Pellat, J. Schacht (12Vol, Leiden: E.J. Brill, 1986-2004).

❖ **Ben chenb, moh,**

- Al-Dhahabi

❖ **Boswort, C.E.,**

- Nizam Al-Malk.

❖ **Boyle, J.A.,**

- Ibn Al-Alkami

❖ **Branue, W.,**

- Abd Al-Kadir.

❖ **Brand, Carole Hillen.**

- Al-Mustarshid

❖ **Cahen, Claud.,**

- Buwayhids

❖ **Caneadm M.,**

- Al-Basasiri

❖ **Edde, Anne-Morie**

- Al-Zaher BiAmr Allah.

❖ **Fuck, J.W.**

- Ibn Khilikan

❖ **Hart Mann Anglica,**

- Al-Nasir li Din Allah

❖ **Hillenbrand, Carole**

- Al-Maustansir Billah

❖ **Laoust, H.,**

-Ibn Al-Djawzi
❖ Makdisi, G.,
- Ibn Hubayra
❖ Rosenthal, F.,
- Ibn Al-Fawti.
- Ibn Al-Athir.
❖ Sellheim, R.,
- Al-Khatib Al-Baghdadi
❖ Triton, A.S.,
- Abd Al-Kadir
❖ Zettersteen, K.V.,
- Al-Mustasm Bil. Llah

المقالات في المجلات والدوريات :

❖ محمد سعيد الطريحي ،
- القائد التركي ارسلان البساسيري (هولندا: مجلة الموسم العددان ٧٩ و ٨٠).

❖ ناجي معروف ،
- المدرسة الشرابية او القصر العباسي في قلعة بغداد، مجلة كلية الاداب، العدد ٢، شباط ١٩٦٠.

❖ يوسف مهدي الهادي ،
- هل من صلة بين كتاب مختصر اخبار الخلفاء وابن الساعي (المملكة العربية السعودية: مجلة العرب، العددان ١ و ٢، يونيو –حزيران ويوليو–تموز، ٢٠١٠.

الرسائل والاطاريح الجامعية غير المنشورة :

❖ البدراوي،
رياض عبد الحسين راضي

- تطور الشيعة الامامية الاثني عشرية في العراق خلال عهد المغول الايلخانيين (٦٥٦-٧٣٨هـ/١٢٥٨-١٣٣٧م) دراسة تاريخية، اطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى كلية الاداب-جامعة بغداد، ٢٠١٤م.

❖ **الدجيلي،**

خولة شاكر محمد

- بيت المال، نشأته وتطوره، من القرن الاول الهجري حتى القرن الرابع الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد-كلية الاداب، ١٩٧٤م.

❖ **الدليمي،**

زكية حسن ابراهيم

❖ المؤرخ البغدادي ابن الفوطي وكتابه تلخيص مجمع الاداب في مجمع الالقاب، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب-جامعة بغداد، ١٩٩٠م.

❖ **الدوري،**

غامس خضير حسن

- الكوارث الطبيعية وآثارها في العراق حتى نهاية الدولة العباسية، اطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى كلية الاداب -جامعة بغداد، ١٩٩٦م.

-

❖ **Murtada H. Al-Naqib**

- The Amir Munis Al-Muzaffar and His Political and Militarity During Al-Muqtadir Caliphate, Unpublished M.A. Thesis (Mc. Geil) University, 1969).

مواقع الانترنت :

❖ http/almothaqaf.com/index.php/derasat/73715.html
❖ www.alashrafmontadamoslim.com/16959-topic.
❖ www.alaktaba.net/vb/shorotherad.php?t=6025